



## ما بين الخذلان والألم

رواية

أميرة مختار

دار اكاديمية الكاتب للنشر الالكتروني



رئيس مجلس الإدارة: محمود كمال

المدير العام: محمد حسن

يناير ٢٠٢٦

الطبعة الأولى

الكتاب: ما بين الخذلان والألم

المؤلف: أميرة مختار

تصنيف الكتاب: رواية

تصميم غلاف:

المقاس ١٤ \* ٢٠

الترقيم الالكتروني EBIN : 60-6-1-260101

التليفون : ٠١١١٢٣٥٧٤٧٣

Email:alkatebacademyforpublishing@gmail.com

موقعنا على فيس بوك: دار اكاديمية الكاتب للنشر الالكتروني

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

هرع رجال الحارة صوب الصرخات العالية كما تجمعت النساء أعلى الشرفات وعلى مداخل المنازل الملتصقة ببعضها البعض راقت العيون الحاذقة الموقف عن كسب، الجميع يسمع السباب اللاذع وأنظارهم تتفقد عابد الذي وقف على أعتاب بيت الست سناء يرتدي بنطال بيتي وفوقه فائنة داخلية يضرب زوجته ويسبها حافي القدمين مرتعش الجسد، تحاشي الجميع الدفاع وباتت الأنفاس تكتم الحق، كيف والمرأة معروفة بين أهل الحارة بحسن خلقها وجميل معشرها المتواضع، الجميع يعلم أيضاً ربح شخصية عابد زوجها والتي تخفي أمام شخصية والدته المتسلطة، هوى على وجهها بكف غاشم وأتبعه بوابل من اللطمات والركلات ولم يبرح فأه السب والقذف والي جواره والدته المعلمة قطة تُشاركه قذارة الكلام، تدخلت إحدى بنات الحارة تسحب جارتها وصديقتها من فم الأسد وهي تصيح بهن على الجميع يرحم صديقتها "كفى! يكفي فضائح؟! "بهنت وجوه الجميع والرجل يركل زوجته مُلقياً أرضاً، يتهمها بالفجور ويتوعدها الشر، الخائنة وجدها ببيت السيدة سناء مع ذلك البلطجي حمو بحالة مُخزية فاضحة فما كان من دمه سوى فوراناً أفاض بما فيه من عاصفة غضب حتى أصبح الأمر ملء الأسماع والأعين، أنهى كلماته القذرة واتهاماته السافرة تاركاً الزمام لأهل الحارة والحي يتنافسون بالسباب والشتيم وبعضهم التزم الحوقله بنكران غير عابئين بالتي تقطعت أنفاسها وقد تخدرت ذراعها تحت وقع الرفض تارة ودفع الضرب عن نفسها تارة أخرى حيث لُجم لسانها تحت إثر الصدمة والفضيحة الموقدة، انتحرت نظراتها وهي تتوسل إليهم السمع والنجاة وقد دُثّرت بكفن العار والكل يزجرها بالشين، هذا بالاتهام الصريح، وذاك بالقول المُشين وهن ضربت كفوفهن صدورهن والتوت الأفواه يساراً ويميناً وألسنتهم تتلذذ مذاقاً لا دعاً شهى المنال!

لملمت عباءتها المبعثرة إثر التمزيق وما أن همّت بالحديث حتى عاجلتها حمايتها بدفعة قوية من جسدها البدين لتصرخ بوجه ابنها بجبروت "طلقها!"

ضربته الكلمة في صميم قلبه ولم يستسيغها العقل ولكن مع تكرارها بإرهاب نطق لسانه وعقله وكرامته "أنت طالق" أنتفض جسدها ثلاثاً وصرخت دون صوت عل راشداً يسمعها، أنكتم صوتها وقُتل قلبها وهي تجد أبنها الكبير ماثلاً أمامها وعينه الدامعة ترفضها بإصرار

كفوفاً امتدت إليه بالمؤازرة وأخرى ضربت فوق بعضها وأفواه ملئتها الهمهمات وأمٌ هُدر دمها بعين وليدها، سحبتها صديقتها الوفية من بين الجميع وذهبت بها الي بيتها تحميها ريثما ينفذ الجمع وينتهي ذلك اليوم العصيب، فكان الفض بلا فض لتبقي خلفهم كلمات أشد من سيوف الحرب وأبنياً مقتول الأم سحبته جدته تاركة لسانها للسباب والشتم ومع توقف اللغط ورحيل الضوء وحلت كآبة الليل تغشى الحارة الظالم أهلها لتخرج متسترة بعتمة الليل لمنزل أختها بأول الحي والخوف سار في عروقها مسرى الدم، سؤال واحد لم يبرح خاطرها "ماذا حدث؟! أهى في كابوس وجب الصحو منه أم صارت بعد عزة النفس بلا شرف؟ جلست أمام أختها الصغيرة التي سألت باضطراب تملك صوتها ونظراتها "ماذا حدث؟! وبعين زجاجية خاوية من الحياة همست بيبأس "ليتني ما سمعت رجائك" أعادت سؤالها والشك يتملكها "ماذا حدث؟! تكلمي"

صرخت بوجهها والدموع تسبقها "ذهبت كما رجوتني للخالة سناء وما كدت أصل لبابها حتى وجدت البلطجي حمّو بوجهي" أجهشت بالبكاء ويدها تللم عباؤها حولها لتتهافت بصوت خشيت دونه الهمس "الكلب هجم على وحاول!" انحسر صوتها دونما شهقة صدرت من فاه المرعوبة أمامها ليعاودها العويل وهي تهمس بجنون "لم أعى على شيء سوى وعابد أمامي وصارت فضيحة بقلب الحارة في ظرف ثانية" ضربت أختها صدرها وهتفت مصعوقة "يا ويلتي" تكومت على الأريكة تبكي وتنتحب وصورة أبنها لا تفارق عقلها نظرة عيناه اللانئة وألف سؤال نزع من فمه دونما التلفظ بشيء وبحس الأمومة التقطت رجائه الصامت من بين عينه وعقله وكأنه أصبح يترجى موتها أو رحيلها بغية الإنقاذ وحديث نفسه سمعه قلبها برجاء "دافعي عن نفسك أمي لا تصمتي؟ أحمدي ناراً تحرق قلبي؟" تُرى ما حال أخاه، ماذا أخبروا الأصغر؟

لملمت ساقها لصدرها تتلمس عناقاً ولو من هواء يُطمئن خوفها الثائر، أفنت خمسة وثلاثون عام من عمرها تُجاهد جهاد الرجال لتنتهي لا هي حيه ولا الموت بها زائرٌ، ماذا ستفعل في الأيام القادمة وكيف ستواجه تلك الفضيحة؟ طيلة عمرها تحاذر من الذهاب الي أحد، ليبتها ما لانت لتوسلات أختها! تابعت نحيبها والمصائب تُرصد أمامها واحدة تلو الأخرى، اليوم أصبحت في الشارع بلا معيل أو سند، منذ وفاة والدها وهي وتَد البيت وقد حملت أمها عوضاً عن حملها لها حتى تزوجت والدتها من المعلم سعدون وسريعاً ما أسلمت الروح تاركة أختها، كانت في الحادية عشر والصغيرة ذات عام من عمرها ليُبقى عليها المعلم سعدون مقابل رعايتها لابنته، مرت السنون عليها خادمة في بيت لا تملك منه سوى صلة رحم مهلهلة وحين دق بابها الخُطاب رفضت وتمسكت بتعليمها رغم رفض زوج أمها الذي أعلن عليها الحرب لتهدأ الأمور بعد أن تعهدت بالعمل وتكفل مصاريف تعليمها كاملة ومع التخرج من كلية التمريض دقت طبول الحرب من جديد ليعلن الرجل حتمية زواجها فلا هو بأبيها ولا هي ابنته حتى يتكفل بها، تزوجت من ذلك الشاب جارها كان رقيق الكلام وذو طلة شبابية تخطف الأنظار والأهم أنه قبل بها دون الحاجة لمصاريف الزواج، وهي الجميلة التي لم تتطبع بطباع الحارة المُغبرة فوماً ما كانت تننى بنفسها بعيداً عن طباع همجية رصدتها بخبرتها رغم سنوات عمرها وطبيعة نشأت عليها في العشر سنوات الأولى من عمرها، كيف لا تقبل به وهو ابنٌ وحيد لجزار المنطقة ووالدته أمراه لها كلمة مسموعة والكل يهابها وتُحبها! تقوَّعت داخل نفسها رأسها بصدرها وذراعيها تقيدا ساقها والسخرية تنتابها، تُرى لو عاد بها الزمن هل ستكون نظرتها لذلك النسب نفس النظرة؟! سؤال تعلم أنها أجابت عليه دون خبرة، كما الطالب البليد دخل امتحان دون سابق معرفة بالمادة ليكتب ويكتب ظناً أنه مُعلم ليتضح بعد خروجه أنه راسباً! أغمضت عينها بقوة وظفرت نفس مُلتهب عقلها يُنبهها لترك الماضي والنظر لمصائبها منذ فترة وهي دفعت بكل راتبها نحو ذلك القرض الذي أجبرها عليه زوجها، كان لابد أن تساعده على إيجاد عمل فهذا العام الثالث دون عمل وهي تسعى دون تأفف أو شكوى، فعند تجديد رخصة القيادة له اكتشفوا أنه يتعاطى المخدرات ومنذ حينها لم يعمل، فاضطرت للإذعان لإلحاحه حتى يشتري

سيارة يعمل عليها سائقاً خاص عليها ترتاح من بعض المسؤولية التي باتت حملها الأثقل، عامر؟ عمر؟ انتابتها موجة شديدة البرودة وهي تجهش بالبكاء من جديد ولسانها يهمس بفلذات كبدها ولدان كالبدن في سن الطفولة وأكبرهم على أعتاب المراهقة مترقباً! ما موقفهم من تلك الفضيحة وكيف سيؤول الأمر بهم؟ ومن دائرة البكاء والعويل إلى دائرة الحيرة وقلة الحيلة والأسئلة تحكم دائرتها حولها، مشنقة علقت برقبتها ومع أول حركة لها سيتلفقها قبرها! انطلق أذان الفجر لتغمض أخيراً عينها تحت رضخة الألم ولسانها يهمس برجاء "ربي أني مغلوبٌ فانتصر"

\* \* \* \*

من فوق سرير المرض كتب وصيته وألزم بها صديق عمره فبعد سنوات الغربة المضنية وفقد الأهل أستطاع جمع ثروة طائلة فكيف لا وهو مستشار لأكبر أمراء العرب، هكذا بنى حياته هو وصديق غربته وحين قررا الرجوع داهمه المرض العضال مؤرق شبابه وبعد صراع دامي على أسرة المشافي استسلم بجسد خائر إلى الموت موصياً بأخر فرد في عائلته إلى صديق عمره تاركاً خلفه إرث يشتري الهرم وصديق كان يستعد معه منذ عام كامل على نقل أعمالهم وحياتهم إلى القاهرة، كان متعلق بابنة صديقه لينا ذات العشر سنوات تعلق العم الحاني مما جعل الفتاة تحزن عليه حزناً شديداً ولكن والدتها كانت ذات رأي آخر فلم تحاذر في فرض رأيها لتعلن دون احترام الموت عن طمع لاح بين عينها فإن كان يحب أبنيتها لما لا يكتب ثروته باسمها أو على أقل تقدير يخصها بالجانب الأكبر منها؟! إذن ليحتفظ زوجها بهذه الثروة ولا يسعى لوريث بحث عنه عمه دون جدوى! لم يتعجب من موقف زوجته فدوماً ما كانت تستغل هذا الحب والحنان في استخدام أبنيتها لايتراز المرحوم عاطفياً مما يجعله يلبي طلباتها في التو واللحظة، ومع يقينه التام بطبعها الطامع البخيل قرر ترك بلاد الغربية والعودة إلى الوطن يوصل الأمانة لأصحابها في أسرع وقت ويلحق بابنته قبل أن تتطبع بطباع الطمع والبخل عله بتلك الخطوة يضع حداً لتلك الزوجة التي تخطت الطمع والبخل حتى صارت الأموال والمصالح ماء يروي ظمأها، أعترف لنفسه أنه تركها لطمعها وأنشغل بالعمل

وتأمين المستقبل كما الذي ربا أسد ليأكله، تذكر كلمات صديقه وهو بين  
سكرات الموت "ابحث عنها حتى تجدها، ستجد ملاكاً عيناها كالعسل المصفي  
يا خل، وضحكتها جنة فردوس ما إن تبسمت لك فتحت لك الدنيا أبوابها "  
هكذا دوماً بداية الحديث حتى طُبعت بخياله صورة وكأنها إله الفتنة على  
الأرض هذا وهي بالعاشرة فما حالها بعد مرور أكثر من عشرون سنة؟،  
وارى صديقه الثرى وانتهت أيام العزاء ليبدأ من فوره تصفية أعماله وترك  
تلك البلد والعودة الي أصله مع أبنته زوجته بعد مجادلات ومشاجرات دفعتها  
الي الإذعان بالصمت فلمن تترك مُلك سليمان؟!، أما هو فيكفيه شقاء، لديه من  
المال والسلطة ما يكفي لإنهاء غربته وترك بلاد الأعراب،

\* \* \* \*

مر شهر على الأحداث وهي حبيسة المنزل لا تبرح أريكتها تأتيها الكلمات  
الجارحة عن لسان أختها التي أصبحت تعاملها بجفاء وتلمح لها بوجوب  
رحيلها فهي لن تتحمل تقرير أهل الحي أكثر من ذلك، ما ذنبها في فضيحة  
ليست لها، بالأمس جلست مع صديقتها وصديقة أختها التي نبهتها إلي ما يُقال  
من خلفها لتنتبه إلي حديثها المُطالب بالرحيل والبحث عن مسكن آخر بعيد  
عن ذلك الحي حتى لا تتلوث سمعتها بما فعلت، ولا تظل عقبة في طريق  
العُرس، و بالحارة صاح الأوسطي علي السباك في الجميع بصوت لائم "يا  
عالم ليس لديكم بينة على هذا الكلام" رد أحد الجيران متحفز "أي بينة!  
زوجها سحبها عارية من بيت حمّو البلطجي" صاح الآخر مُبتسم بتهكم يُشير  
إلي السباك "قُل له!، جميعنا رأيناها وهي تستر جسدها العاري حتى شرفها لم  
تُدافع عنه" رد علي السباك والكلام لا يرضيه "المرأة سمعتها بيضاء ولا  
تدخل بيت أحد أبداً"

"وهذا هو السبب فلما دخلت وهي دوماً مُتحفظة" رد صبي القهوة وهو يميل  
إليهم هامساً "كنت أراها دوماً تخرج من بيت الست سناء ولكن أثرت الصمت  
ستراً ورأيتهم ذات مرة في ظلام الليل يتبادلون القُبَل"



□ "استغفرُ الله" نهض الأوسطي عليّ السباك يهتف بهم غاضباً " اتقوا الله، إلا قصف المُحصنات، لديكم نساء" تركهم غاضباً فمذ الشهر المنصرم وبات الأمر لا يُطاق، خوضاً دامي في عرض المرأة وسمعتها، دقائق وكان يفتح باب شفته ليستمع إلي صوت أبنته تضحك مع أمها "تستحق ما حدث هذا آخر الكبر والغرو" ردت الأم بغيرة لم تفتّر لسنوات "كانت تتعامل من طرف أنفها" تقدم إليها صائحاً غاضباً "أليست صديقتك؟!"

انتفضت تهتف بمفاجئة "فرعتني ثم الله الغني عن صداقة الزانيات" جلس بالمقابل يتقرس طبعها ثم هتف باستغراب شمله إثر موقفها المُغاير "ماذا؟ كنت لها أخت! ووقفتي وسط الحارة تسألين ماذا ألم بها!" سكت وعيناهُ تلتقط نظرة الشماتة التي شملت عينها وتلك الابتسامة البشعة التي احتوتها حتى أيقن بحدث الأب الذي يعلم خلجات البنت والزوجة أن يُد ابنته ملوثة بدماء المرأة ليسأل بصوت وئيد حائر "ألم يكن مسكنها بيت آخر لك؟" تلوت في جلستها حتى صاحت أمها تغلق باب الأسئلة وهي تلتقط شكهُ "أعقلها أنت لا دُخان دون نار، رصيدها من الستر أنتهي" طالعهم بالتوالي وهمس حائراً "سترك يا رب، ماذا فعلت يا أبنة السباك" نهضت كمن قرصها حنش وصاحت بوجهه دون أدب "لا تقول سباك، متي ستغير أسمك وأسم عائلتك هذا" وبالييت المجاور صاحت الجدة قطة بصوتها الغليظ العالي "هيا يا خلفه الندامة الفطور جاهز" وكز عامر أخاه الصغير يوقظه وهتف بوجه مغلق "أستيقظ عمر جدتك بدأت في الصباح" تلوي الصغير ذو العشر سنوات في الفراش وتثائب قائلاً "أليست قطة دعها تنو قليلاً" لم تلقي المزحة صداها لدي الأخ الأكبر ليهتف عمر وهو ينهض بمزاج تبدل في لحظة "أنا أعلم ما يدور حولي يا أخي ولكن متأكد من براءة أمي" رمقه عامر صاحب الثالثة عشر بتهكم ونهض متوجه إلى الخارج بعد أن همس "متأكد؟! لما إذن لا تواجه جدتك بذلك؟" أجاب الصغير دون تردد "لأنها تكره أمي ومن يكره لا يري سوى القبح في الجمال"

وبالخارج همس والدهم من فوق مائدة الطعام وهو يميل إلى والدته "أما زال عامر صامت" أشاحت بذراعها الغليظ هاتفة "نعم، ولا تُحاوله طبعهُ كطبع امه تحب التودد والمديح، وإثارة الانتباه، دعه يحترق" هز رأسه يشعل سيجارة

وآثر الحديث لنفسه، شهر كامل مر عليه ليعي معنى الفقد، بالألمس راوده ضميره بشأن السيارة الجديدة التي اشتراها بمالها وحين أعرب عن كرامة وأراد ردها لها منعتة الست قطة وأقنعتة بأنها مقابل جرح كرامته، أنتبه لصياح عمر على جدته "كيف حالك يا معلمة قطة" تطلعت إليه بعين مقلوبة وصاحت به تراقص حاجبيها "بأحسن حال طالما والدتك رحلت" هز رأسه موافق وهتف وهو يسحب رغيف العيش من أمامها "الحمد لله أنها ذهبت" صاحت تضرب كفه "لما تأخذ رغيفي؟" رد مُناكف بسخط "عفواً يا قطة لم الحظ توقيعك عليه" صاحت في عامر وقد علمت مدى وقاحة عمر والتي ازدادت طوال الشهر المنصرم "أنهض وأفتح الباب، ألا تسمع؟" نهض الفتى وعينه بعينها ثم همس متوجه للباب "سمعت الرعد في أذنك" ثواني وكان يصيح "أبي، أبي" هتف عابد للرجل الواقف بالباب وذراعه يرتاح على كتف ابنه "نعم" "أين السيدة سلمى إبراهيم حسن المصري" رد مُشدّد على كتف الفتى المتحضر "رحلت، ما الأمر؟" رد الرجل بحدة "وقع هنا، هذا خطاب فصلها من العمل" أغلق عابد الباب وقد علم مدي الورطة التي تورطت بها فهي فقدت عملها من أين إذن ستُسدّد أقساط القرض، أنتبه لكف المعلمة قطة الذي هبط على كتفه تصيح أمام أحفادها "هكذا عقاب الله على الخيانة، أسكنها الله السجن حتى تُجن" دفعته جانباً لتفتح الباب لصيفتها وحبيبته قائلة "مرحب نهى، كيف حالك وحال عم على السباك" قلبت نهى عينها تهمس من بين أسنانها "متى سنُغير أسمك يا أبي" هتفت بابتسامة وعينها تلمحه "كيف حالك يا عابد" دفعته المعلمة قطة برفق للداخل وهمست إليها بخفوت حذر "صاحبك رُفدت من العمل" تبسمت وهمست بدورها "وصلهم الأمر! ولكن الناس بالحارة يبحثون عن حمّو" صاحت أمام الجميع "تفضل يا نهى البيت بيتك" ثم همست لها من جديد "حمو قُبض عليه منذ تلك الليلة أبلغت عنه بنفسه" تبادلوا النظرات والضحكات الشامتة لتهمس نهى من جديد "هناك مفاجئة أخرى لكن الصبر مفتاح الفرج" غمزت عينها بمكر وصاحت تلقى السلام ليهتف عُمر وهو يحمل حقيبة مدرسته وإلى جواره عامر الصامت "مرحب بنُقَل الدم الذي حل منذ الصباح"

\* \* \* \*

مر الشهر الثاني ليتجمع أهل الحارة حول سيارة الشرطة لتخرج أمامهم وكفيها مقيدتين بالأصفاد ودموعها نار تحرق حشاها، تطلعت إلى الجميع باحتقار وتفرست وجوههم ولسانها يدعوا عليهم بحرقه، ما لبثت نارها تخمد حتى تشتعل مُجدداً، دفعها الضابط صوب السيارة وما إن هَمَّت بالركوب وجدت أبنائها أمامها كالأصنام، تبادلا الأنظار الباكية ومنها المشتعلة والمتوسلة، دفعها الضابط مجدداً لتهتف إليهم والصدق بعينها يتوسل "لا تصدقوا، أمكم بريئة" سحب عامر أخاه الباكي ونظر إليها بازدياد وعينه بعينها قائلاً "ليس لنا أم، نحن أيتام"

\* \* \* \*

صرخت من وقفتها في المطبخ والكرة ترتطم بكتفها بقوة جعلتها تلتفت راكضة خلفه وخُفها مُعلق بيدها "يا أبن الفاجرة" توقف الصغير عن الركض والتف إليها بعين تُصارع بها الغل ليهتف بالمقابل لها "سامحك الله يا ابنة السباك" تملكها الغيظ وجزت أسنانها تهمس دون صوت "متي ستُغير أسمك يا أبي" هرولت وهي تسبه حتى فتحت باب الغرفة الراقد بها وصاحت عليه بصوتها الرفيع "عابد؟ لابد وأن تضع حد لهذا الولد" تأفف من صوتها ونظر إلى هيئتها المبعثرة ثم أغمض عينه قائلاً بعصبية "توقفي أنتِ عن مسبته" تقدمت إليه حتى جلست أمامه على الفراش وقالت واللهيب يشتعل بعينها "ابنك صار عديم الأدب وأخاه الكبير أصبح مستفز وأنا تحملتهم عامين ونصف فوجب التصرف في أمرهم" نهض من أمامها هارباً من رائحتها المستفزة وصاح بصوت أروعها "ماذا أفعل بهم؟! أدخلهم ملجأ حتى تسعدي" لملت شعرها الأشبه بأسلاك الكهرباء والتفت إليه تهتف بمهادنة "من جاء بسيرة الملاجئ فقط أجعل إقامتهم عند المعلمة قطة هي تسكن في الشقة لحالها"

"أمي؟" ابتسم بتهكم وأكمل "تعلمين أنها تطبق العماء دونهم وهم أيضاً لا يحبونها" صاحت بصوتها الرفيع المستفز "وما ذنبي، لما على أن أتحملهم" طالعها بقرق وأشار لها بالخروج هامساً "الذنبُ ذنبي أنا" جلس إلى الأريكة وأشعل سيجارة وعينه تُطالع النافذة منذ تزوج نهى وكأنه محموم يعاني الهذيان بين الحلم والواقع، أين من تلك التي اختفت معها الحياة كانت نظيفةً وجميلة، عسرتها هادئةً ورغم طمعه وعجرفته معها كانت تتحمله، أما نهى فعنوانها البشاعة، كيف أوقعته في شباكها؟ متى أقنعتته بأنها أنثى؟ كيف أستسلم إلى دلالتها الفاني مع مطلع فجر أول ليلة بينهم؟ نهض متوجه إلى المراض لابد أن ينتبه إلى عمله، أصبح والمسئولية وجهاً لوجه ومُتطلبات أبنائه لا تنتهي، كيف كانت تدبر أمرها؟ سؤال فرضه العقل فأحجم عن أجابته فقط حقيقة واحدة يعلمها فهو من دفعها لخيانته وخيانة نفسها وها هو يسعى للعمل فزوجته نهى السباك ما إن طلبت طلب ولم تجده تشكي وتبكي لكل من

مرّ عليها، منذ أسبوع كانت تريد حذاء أعجبها ولمجرد أن طالبها بالصبر أصبح الحذاء حكاية تروي، فضحته في الحارة وهي تستكي ضيق الحال وبخله وشح يده، أنهى حمامه وأرتدى ملابسه لا يعلم هي نظيفة أم مُتسخة وبدأ رحلة البحث عن فردة جورب تناسب الأخرى وسط دولاب أشبه بسوق الكانتو ومن الجوارب إلى فردة الحذاء وكأنه يطارد فأر همس والعصية تملكه "لو كانت سلمى محلها لكان البيت جنة" أغمض عيناه وهو يلتقط فردة الحذاء من تحت الأريكة ولكن كفه صدمت بشيء صلب ليعتدل جالس وزراعه يسحبه حتى وجد صينية عشاء الأمس تفترش الأرض بما عليها، تطلع إليها بقرف لينهض نافض ملابسه من الغبار الذي علق بها وأتجه الى الخارج بعد ارتداء حذائه، لم يخف عليه حال أبنائه فعامر أصبح صامت أكثر كأنه بركان تتصاعد منه الأبخرة الحارة دون الكشف عن انفجار ينفس عما بداخله، أهذا الذي كان يأنف كل شيء ولا يجلس سوى بمكان مُرتب شديد النظافة كان موسوس مثل والدته، يشم كفاه كل ثانية ويغتسل مرات ومرات في اليوم الواحد! وعمر كان ودود مطيع ذو حس فكاهي كما أمه الآن بات وقح مُتمرداً مستغل للفكاهة أسوء استغلال! مرّ على والدته ليجدها تجلس بصدر البيت تنزين بكم هائل من الذهب والخلى والنرجيلة لا تفارق يدها لولا أمدادها لبيتته بالمال لكان مفضوح الرجولة أمام نهى سليطة اللسان الطامعة، ألقى سلام محمل بالهم وأكمل طريقة دون انتظار الرد لتهتف المعلمة قطة وهي تبعثر دخان النرجيلة "ماذا فعلتي بولدي يا ابنة السباك؟" سحبت نفس عميق ثم ظفرت سحابة الدخان في الجو تتعجب زوجة ابنها نهى السباك، هي من سعت لذلك الزواج وخططت ودبرت، كتمت صوت أعتال داخلها قبل أن يهتف بأن الذنب ذنب سلمى وكابرت يقينها المؤكد بأن الأولى كانت تتفاني من أجل ابنها وأحفادها، لم تسمع منها شكوى ولا لمحت ضيق المال في عين ابنها الذي جلس منعم يرتشف عرق جبين زوجته وكأنه شهد يمرأ عليه بالهناء، نهضت مكابرة كعادتها مقررة الفتك بتلك البلوي المستفزة لتهمس بغیظ وكبت "حقاً قيراط حظ ولا فدان شطارة وحظ ابنة السباك في العالي" دست قدميها في الخُف المنزلي المُرصع بالترتر وتوجهت متحفزة لزوجة ابنها المهملة عليها تفهم ما أصابها الم تجتهد في رضاها ورضا ابنها؟

تسلقت درجات السلم بخفة ورشاقة رغم بدانة جسدها وما أن وصلت إلى شقة ابنها وجدت الباب مفتوح على مصراعيه، هالها منظر الشقة ورائحتها فدخلت وكفها يسد أنفها وصاحت بصوت جهوري "أهذا منزل أم زريبة بهائم؟ ما هذا القرف؟"

\* \* \* \*

جلس خلف مكتبه يقرأ المعلومات التي كلف بها أحد محامي مكتبه عام كامل بعد أن أستقر في القاهرة وهو يبحث عنها دون جدوى واليوم جاءته المعلومات المؤكدة، أرتفع حاجبيه بمفاجأة إثر الصدمة، أكانت بالسجن منذ عامين وأكثر؟! وما هذا الذي يقرأه تطلعت إثر فضيحة أخلاقية؟! همس وعقله متوقف "ما هذا العبث" أشعل سيجارته وهتف بعصبية عبر الهاتف الداخلي لمكتبه "أين شهاب؟ يأتي فوراً" دقيقة ونصف مروا حتى دخل شهاب مرتاب يعلم جيداً ثورته رغم قلة كلامه يهاب كما الجميع نظرة عيناه الباردة، صاح به دون النظر إليه وكفه تضرب الورق أمامه "متأكد من تلك المعلومات؟" تلجلج شهاب وأجاب بصدق "أجل سيد داود، سألت بنفسي"

"متأكد" تنحنح شهاب وأعاد الجواب قائلاً "أجل، فأنا نشأت في حي قريب لديها لذلك المعلومات صحيحة مئة بالمئة"

رفع حاجبيه وأعوج رأسه متسائل بصمت ليجيب الآخر مُسرِعاً "طليقتها من عائلة معروفة بالمنطقة، عائلة القط نسبة لوالدته وهي انتقلت إلى تلك الحارة منذ تزوجت والدتها بالمعلم سعدون" هز رأسه بلا معني وسأل متحفز والسيجارة معلقة بفمه "وماذا عن تلك الفضيحة المذكورة" حك شهاب مقدمة رأسه وأجاب دون النظر إلى عينيه المتحفزة "صار الأمر على مرأي ومسمع الجميع حين وجدها زوجها بأحضان أحد رجال المنطقة، فطلقها أمام الجميع على الفور" أراح ظهره على المقعد خلفه وعيناه تنتفقد الورق ليسأل وعينه مازالت تركض خلف الحروف التي غشاها الدخان "دخلت السجن بسبب قرض إذن؟"

"أجل سيدي استداننت من البنك واشترت سيارة ليعمل عليها زوجها -أوبر- لتأتى الفضيحة وتقصل على إثرها من العمل وهنا قام البنك بمقاضاتها" نفخ نفس ساخن وأعلن رفضه بهزة من رأسه وغمغم هازئاً "اشتريت لزوجها سيارة؟ أهكذا إذن؟" أعوج فمه متهمكماً وأطفأ بقايا السجارة قائلاً " النساء؟ بسيارة تخدر الرجل حتى تنال ضاه وهي بالأصل سافلة" نهض يسحب جاكيت خلته من خلف المقعد ولملم أغراضه قائل "أرسل من يساوي أمر الدين مع البنك وأستخرج لي إذن من النيابة للقائها، تركه راحل دون مزيد من الأوامر ليخرج من مكتب المحاماة خاصته، ثواني وكان يقود سيارته وداخله سخط العالم على تلك المرأة، أهذه من تغني عمها بها؟ بالأخير امرأة، لوكان يوسف على قيد الحياة لمات مقهوراً منها ومن فعلتها، تنهد وغصة فقدان الخل تذبحه كان صديق عمره وصاحب الفضل عليه ولكن بالنهاية لابد من رد الأمانة لأصحابها، ليس لأنها بتلك الأخلاق أن يخل بالوصية سوف يسلمها أرثها ويتركها لحالها تعربد بالجحيم وحدها، يكفيه من النساء ما تفعله زوجته على القليل لم تتجرأ على الخيانة، حمداً لله على الطمع والبخل عوضاً عن كرم مزيف يتبعه ذبح مدي الحياة، صَف سيارته أمام منزله الفاخر وما أن نزل نفخ بعصبيه وهو يتطلع للبيت المجاور لبيته لا يفرقهم سوى سور قصير نسبياً، لو يعلم أن ذلك البيت سوف يصبح مسكنها لما أشتري ليوسف بيت بجانبه، أغمض عيناه يستمع لصوت زوجته تصرخ على لينا أبنته فتوجه للداخل مُتحفز، أليست ابنتها هي الأخرى؟ لما تعاملها بتلك القسوة؟ همس وقد أوشك على الانفجار "سُحَقاً لكن يا بنات حواء" وفي الداخل صرخت في وجه الصغيرة ذات العشر سنوات "بنت أبيك وطبعه، مُجادلة باقتدار" هرولت الصغيرة ما إن رأت والدها لتهتف ببيكاء "أبي والله لم أقصد" التقتها بأحضانها وعيناه تزجر دُرية "لا تبكِ، ماذا حدث؟" صاحت دُرية بجنون طبعها وأفكارها الغريبة "أضاعت حقيبةُ الطعامِ خاصتها بالمدرسة" رفع حاجبيه باستفزاز يتقنه جيداً وقال حارق دمهـا " فداها" صرخت من فورها " فداها؟ هل تعرف كم ثمنها؟"

"لا تبكي بابا سوف نذهب لشراء غيرها"

تملكها الغيظ، فهتفت من جديد "ولما؟ بالأمس اشتريت ألوان بألف واليوم حقيبة بقدرهم، أعطني النقود إذن وأنا سوف أشتري بنفسي" أنزل الفتاة من بين أحضانها وأبتسم قائلاً "أذهبى واختاري ما تريدين عبر الننت ولا تحزني" هرولت الفتاة صوب غرفتها ليهتف من جديد على ذرية يحرق دمها "حضري الغداء، لدي موعد هام" تركها دون الاستماع إلى تمتتها لتتحرك صوب المطبخ تحضر الغداء، عينات من الطعام لا تكفي رجل فقط تأتي بمن تُساعدوها مرة في الأسبوع لطهو الطعام وترتيب الفيلا هكذا طبعها تُبذر فيما يخص نفسها وتاكل وتشبع ومع الآخرين يملكها البخل والجنون حتى صغيرتها ضعيفة البنية ولوازمها لا تأتي حتى لو فارقت الروح الجسد، ما زالت تستخدم كل ما كان يغدقه عليها العم يوسف الذى كان يرى بها ابنة أخيه التي تركها خلفه صغيرة وهو شاباً فقيراً بعدما سافر إلى الخارج يعمل عله يكمل دراسته الجامعية، تطلع داود إلى الصورة التي وضعت فوق مكتبه وقد جمعته بصديق دربه وابنته وهمس إليه محزوناً بألم قرص خافقه "ليتك معي رغم ما كنت سئعانيه من ألم، سلمى المصري سيئة السمعة وخائنة يا أخي"

\* \* \* \*

ألقت حجابها جانباً وصاحت بنزق ما إن دخلت "لما لا تأخذ أبناء أختك لديك؟ ما ذنبي لأتحملهم" هتفت سها وقد أغلقت الباب بعد دخولها "مالي بهم، لستُ مسؤولة يا نهى"

"ولا أنا" تطلعت إليها بشماتة وقالت بلوم "كنتِ على علم بوجودهم وسعيتِ إلى والدهم بكل قوتك" رمقتها بخبث وهتفت بمغرى أرق من أمامها "الكل سعى لما حدث حبيبتي أنتِ فقط من تنسين، تنهدت باضطراب ودواخلها تصارع ضميرها الذي يقارعها بلوم تجاهلته لتتهتف وقد جلست بعيداً عن مدى رائحتها تسأل ببرود "ماذا بك اليوم؟ هل تشاجرت مع عابد مُجدداً؟"

عوجت نهى فمها وأشاحت بذراعتها قائلةً "مع المعلمة قطة بجلالة قدرها" أكملت تحت نظرات الأخرى المتسائلة "أجل وجدتها أمامي تصرخ داخل شقتي" توسعت عيناها وسألت "ماذا فعلت؟" حكّت شعرها النافر بأظفارها وأخذت تشتكي كعادة ملاصقة لها كيف أتهمتها حماتها بالإهمال، هل عليها كل صباح ترتيب الأسرة؟ بالأخير سوف يعاود الجميع النوم عليها



مجدداً، وما الداعي لكنس البيت ليل ونهار يكفي مرة كلما أتسخ، والغسيل؟  
الذي لا ينتهي من المجنون الذي فرض أن القطعة تُغسل من أول مرة،  
الملابس تغسل حين تتسخ فقط، وتلك المصيبة المسماة مواعين هل ستقضى  
اليوم أمام الحوض من أجلها، هي تجمعها بالحوض وتعمل عليها مرة واحدة!  
والمعلمة قطة الظالمة ألفت مستحضرات التجميل خاصتها في صندوق القمامة  
لا تعلم لما الاتهامات الجرافية امتدت حد التطاول على والدها السباك وهي لا  
ترى فيما ذكر على لسان المعلمة قطة ما يستحق تلك المناوشات بالأخير بيتها  
وزوجها وهي حرة فيما تملك! هتفت سها بترقب بعد أن أغلقت فاتها الذي كاد  
يصل إلى الأرض إثر الصدمة "المرأة لديها كل الحق يا نهى، النظافة شعبة  
من الإيمان وعطورك غريبة نبهتك أنها ثقيلة بل تكاد تكون مُنفرة" عوجت  
فمها وحكت شعرها ثم صاحت بعصبية "ماذا أفعل؟ وكل من يعرفني ينعتني  
بابنة السباك والله أبى نظيف وليس له رائحة" شهقت سها وحاولت قدر  
المستطاع أن تكتم ضحكاتها وهتفت بوجه شديد الاحمرار "يا غبية أما زلتِ  
تخجلين من أسم السباك؟ أنه مجرد أسم" هزت رأسها رافضةً وهتفت بغباء  
"أليس أبى يعمل سباك؟" طالعتها بدهشة ونفور "ما علاقة السباكة بالرائحة،  
هو يُصلح صنابير المياه والمواسير، يعمل معظم عمله بالمراحيض ولكن!"  
قاطعتها وقد جن جنونها "هنا مربط الفرس، المراحيض! تلك هي المعضلة"  
ضحكت من أمامها بكل صوتها، دوماً ونهى منذ صغرها لديها عقدة السباك  
والعجيب أن نائب العائلة مأخوذ من تلك المهنة التي ورثها أباه عن الأجداد،  
هتفت من بين الضحكات وكفها على فمها "ألا تعتقدين أن عقدتك تدعوا إلى  
الاهتمام الزائد بالنظافة حد الوسوسة؟" أشاحت بكفها وأجابت "وهل أنا  
مُتسخة! هل سأتزوج من جديد؟ ثم تركنا الوسوسة لابن أختك حبيبتى" لم تجد  
سها قولاً دوماً ونهى مُبالغة في عُقدتها من أسم العائلة لكنها منذ زواجها صار  
حالتها أسوأ مما سبق، لم تُعد تهتم بنفسها كما العهد السابق بل باتت عنوان  
القذارة وقد كانت تحرص على مظهرها بعناية، انتبهت إلى سؤالها تهتف بعين  
لاح بها اللوم والخبث معاً "ألا توجد أخبار عن أختك سلمى؟ متي سوف  
تخرج من محبسها؟" تنهدت سها والجرح ما زال يؤلمها وهزت رأسها بلا  
معني حتي قالت بعد بُرهة "تعلمين أنه محكوم عليها بسبع سنوات ثم من أين

ستأتي بمبلغ القرض وفوائده" تنهدت والكلمات تصعب عليها لو ما رُفدت من عملها لكان الأمر متغيراً بل لو ما كادوا لها لكانت تنعم بين أولادها حتى مع وجود زوج فاتر الرجولة كما عابد طليقها، هزت من أمامها رأسها دون اهتمام وابتسمت قائلة "لا تهم الأسباب بالأخير خائنة" احتدت نظرات سها وهتفت بما جال بعقلها "أنت أدري بما حدث فلا تفتحي باب خلفه هلاك" رفعت كتفيها بلا مبالاة قائلة "موضوع منتهي، لعل غيرتك منها خدمت وارتاحت دواخلك" هزت سها رأسها موافقة وأحجمت عن الرد على تلك السافلة ليس خوف فقط ولكن شعور الوحدة وتأنيب الضمير اهلك راياتها، هي أول من شعرت بأهمية وجود سلمى جوارها كانت لها أم وكانت بدورها سبب للقهق، نهضت وهي تسأل بخفوت "تشربي شاي معي؟" تربعت وراقصت حاجب واحد وقالت بأمر "أعدي لي الطعام أنا جائعة"

\* \* \* \*

ومن خلف أسوار السجن جلست بركن اتخذته ملجأ لها حتى باتت لا تجرؤ إحداهن اقترابه هكذا تعلمت الدرس وطبقته، لا يوجد مخلوق يستحق الرحمة أو التماس العذر أو بصيص حنان إن وجد، كل البشر جياع وطيب القلب رغيف طازجاً! فقط الصبار مالا يقربه أحد فمن له قُبلاً على تذوق المر ومضغه رغم فوائده، تركت الكتاب من يدها تنظر من تقدمت إليها، فتاة صغيرة صاحبة الخمسة والعشرون عام ضمننت زوجها في إيصال أمانة فسجنت عنه، وما إن مارست نساء السجن عليها أفعالهم المشينة احتضنتها هي بالمقابل، لا تعلم هل تري بها حالها أم بقايا رحمة تلوح في ثناياها المُرّهقة، مدت رباب كفها إليها قائلة "علبة سجائر لكي سلمى، اشتريتها كما طلبتي" التقطت العلبة من بين كفيها وهتفت بلامح صلبة "أين ستذهبين عند خروجك؟" تبسمت الفتاة قائلة "لا أعلم، ما بقي لي من الدنيا أحد وكما تعلمين توفي أبي منذ سنة، كان آخر ما أملك بتلك الدنيا الظالمة تطلعت إليها بعين زُجاجية "وزوجك؟"

لوحث كما التي تُزيح عنها الهم وتهتفت " طلقني بعدما تيسر حاله ولا أعرف عنه شيء" تهتدت بأنفاس حارقة وتهتفت بعصبية صارت من طبعها "اسمعي لا تتنازلي عن كرامتك مهما واجهتي" قطع حديثهم وتلك السجانة تتقدم لهم قائلة بحدة "هيا سلمى وقت الغداء" أنكمش وجهها بتقزز وأشعلت سيجارتها وقد نهضت تنفض جلبابها الأبيض وهي تُنتم "حصة القرف وجبت" نظرت إليها رباب مُشفقة وهمست وخطواتهم بخطوات السجانة تلحق "لا تقلقي أنا من صنعت طعام اليوم وجعلت نصيبك جانباً" هزت رأسها بنعم صامته وقذفت سيجارتها من بين أصبعيها إلى أبعد مدى، تخلصت من كل عاداتها السابقة وما بقي سوى تلك العادة المرفقة تأنف أي شيء لم تصنعه يداها وتغسل كفها في الدقيقة ألف مرة وتخشي الغبار والتلوث كما ابنها موسوسه، جزت أسنانها تمنع الدمع فما أن مر طيف أحد أبنائها أمامها انهارت دواخلها بصمت وصرخ قلبها يناديهم بلوعة، لو فقط تنظرهم عن بعد؟ تُرى كيف نحتت ثلاث سنوات مضت ملامحهم؟ هل ما زال عامر يُشبهها طبعاً وشكلاً؟ هل ما زال عمر يتندر ويتنمر على نفسه بخفة دمه الفطرية؟ أم اعتادوا فراقها وأعلنوا موتها حية، تهتدت ثم همست تنظر للسماء الواسعة "قُبْح الاعتياد، أحتوى حياتي دون ذلك الجانب الرهيف" اعتادت حياة الغدر منذ كانت صغيرة أولها غدر عائلة والدها حين تركوها وحيدة مروراً بزواج أمها ثم موتها ومن زوج أم إلى أخت لا تعي سوى نفسها لتتزوج عابد ظناً منها أنه العوض ولكن العوض على الله فيما مضي وما هو أت الذي يجعل رجلاً يدلو بزوجه الي بئر الضنى والشقي، كان يكفيها كسرة خبز بحبة وتقاهم لم تطلب كنوز الفتح الأعظم فقط أرادت بيت تنعم به مع زوج حنون وصبيبين هم تاج شرفها، لكن؟! ضاع الشرف وسرق التاج وغدر الزوج والأخت والأصحاب وهي اعتادت الغدر والفراق عدا فراق قرة عينها، فأين هنا الاعتياد؟! هل جزاء الرضا نكران؟! جلست في عنبر الطعام وقد اكتسبت من طبعها الجديد هيبة انخفضت لها العيون خوفاً، لو كانت بطبعها الأول لكانت اليوم تُداس تحت الأقدام لكنها تعلّمت درسها كاملاً دفعت من حولها إلى عدم الاقتراب منها، أشعلت سيجارتها وتطلعت لهن بعين زجاجية خاويه كما قلبها والدخان غشاها بهالة رمادية لتبتسم إلى سيجارتها تهمس دون صوت "ها أنا

حرقتك بعد إنهاك حتى أُلقي بكِ تحت الأقدام" اتسعت ابتسامتها بخلل ونظرت الي المُرتابات حولها فهتفت وعينها تتوعد "على ما تنتظرُن"

\* \* \* \*

وقف عامر عند باب المدرسة ينتظر خروج أخاه فقد تأخر بغير عادة مما دفعه للبحث حتى لمحهُ من يتشاجر، هرول إليه مُسرعاً ليسمع أحدهم يصرخ بقوة "أبُنُ الفاجرة، أليست أمك من وجدوها في أحضان عشيقها؟" بُهتت وجوه الجميع ليهتف عُمر بغیظ "وأنت والدك مُرتشي" صاح الصبي بغیظ أعمي عيناه "لكن أُمي شريفة لا تُسلم جسدها للرجال كمثُل أمك" وقبل أن يفيض دمع عمر شهق وعامر يهوي على رأس الفتى بحجر لتنفجر الدماء مُغرقة وجهه وأرض المدرسة بعدما خر واقعاً

صرخ الأولاد بفزع ليهرع المدرسين وأولياء الأمور يتفقدون الصبي ليرفع المُعلم راسه شاخص البصر نحو عامر ليهتف مُتأسفاً "ماذا فعلت يا مجنون لقد مات الصبي"

\* \* \* \*

وصل إلى الحي الفاخر في غضون العشريون دقيقة ليصف السيارة مُنتظر العميل، تطلعت عيناه إلى المنازل الفخمة بانبهارٍ وتفرقت نظراته على كل غادي، نساء تسبقهم رائحتهم وبنات وكأنهم بتلات زهور أبيضت وتفتحت، أما الرجال فكل منهم وكأنه وُلِد وبفمه ملعقة ذهب، تلمس ثيابه الغير مُتناسقة وتأفف وهو يلح بقعة طويلة تمددت فوق فخذه، قتبسم وهو يتخيل نهى تمر بذلك الحي الراقي مُنبهرة، قهقهه يتخيلها كما أحمد ذكي في فيلمه حين تعطر بالعطر الدامي وألقى بنفسه في المسبح، همس ضاحكا "اسانس نهى السباك" همس من بين الضحكات بغيط شديد وتهكم قائلا "أخذك الله يا نهى هل تضعين عطراً أم نابالم" لمح بالمرأة سيدة نُقبل عليه واجمةً لتسأل بترفع واستعلاء "كابتن عابد" أماء بالموافقة لتصعد بالمقعد الخلفي للسيارة وتهتف مُجدداً "معك العنوان أليس كذلك؟" تحرك بالسيارة متوجهاً إلى عنوان صالون التجميل الذي سجلته عند طلب الرحلة وصمت مُلقي أذنيه يتسمع حديثها على الهاتف بفضول أحياء به تمنى للثراء الفاحش، وبدورها هتفت والغضب يعتريها "متي سينتهي تصليح السيارة"

"لا أعلم درية"

"طال الوقت داود لما على التحرك بسيارة مؤجرة"

"هل أنا مركز صيانة؟"

"ما هذا البرود!"

"أغلق لي عمل" تطلعت للهاتف الذي أغلق بوجهها وتفقدت العربية من الداخل مندهشة لما يُزينها صاحبها بتلك الحلي المبالغه، دقائق وتوقفت السيارة لترفع يدها صوب السائق قائلة "حسابك" التقط النقود يعدها ليصبح بعدما ترجمت "يا هانم ليس هذا ما اتفقنا عليه! المبلغ ناقص" احتدت نظراتها ورمقته بقرف لتهتف وتدفع بنفسها للرحيل "هذا يكفي، الطريق لم يستغرق ما ذكر" ترجمت من السيارة بعصبية يصيح ويقترّب إليها "هناك اتفاق مسبق" اهتزت مُقل عينيهما وهي تتفحص هيئته السوقية بداية من حدائه الرياضي المتهرئ إلى بقعة بناطله التي لاحت في الشمس مروراً بقميص باهت اللون ليزداد خوفها إثر ملامحه المجرمة، صاحت تستنجد بالأمن "أمسكوا هذا البلطجي"

أنتهى الموقف بطرده من المجمع السكنى بعدما همست له عاملةٌ صالون التجميل "مع من وقعت، تلك الهانم بُخل يمشي على الأرض، أرحل قبل أن يتدخل زوجها" خرج بالسيارة من المجمع السكنى يسب ساكنيه وقد ضاق صدره بما رأى، لما لا يعيش في رغد كما تلك الناس المُنعمَة، كان لباسه فاخر رغم بساطته وكان مظهره مُنمق صحيح أنه ابن حارة شعبية لكن حاله مع سلمى كان أفضل من تلك الحالة المزرية، التقط هاتفه مُتعصب "نعم يا أمي" "أين أنت؟ ابنك قُتل زميلاً له بالمدرسة" انحرف مقود السيارة بيده وهتف وقدمه تضغط على البنزين بقوة "ماذا تقولين؟ أي قتل؟ بالله لا تتلفي أعصابي" أحضر سريعاً يا عابد علنا نُدرك تلك المُصيبَة التي أوقعنا بها ابنُ الفاجرة؛

\* \* \* \*

تابع عمله من خلف مكتبه يتفقد أوراق الاتفاق المُبرمة مع البنك، بفضل علاقاته تم الأمر بأسرع ما يكون واليوم أرسل شهاب إلى قطاع السجون لتقديم الأوراق المطلوبة وإبراء الذمة المالية، دخل شهاب يلقي السلام قائل "تم الأمر سيد داود" هز رأسه بغير رضا وهو يتناول ملف من جواره ودون النظر سأل "وإذن الزيارة؟"

"تمت الموافقة وغداً ميعادها" رفع رأسه مع حاجبيه ليُجيب شهاب على دهشته "أجل، مأمور السجن وافق فور ما إن تعرف على هويتك" توالى هزات رأسه ببطء وسأل بهدوء "هل هناك أخبار عنها؟" أبتلع شهاب رمة ثم أجاب دون تردد "جميع المسؤولين بالسجن أشادوا بأخلاقها ولكن مع ملاحظة عدائيتها المُفرطة" تبسم بتهكم وقال مُعوج الفم "أخلاقها ها، أخلاقها!" حك شهاب مؤخرة رأسه وأضاف "هناك شخص يضع لها مبلغ نقدي بخزانة السجن، تقريباً كل شهر، مبلغ لا يذكر" أراح جسده على مقعده وهتف وحاجبيه يرتفعا مع اهتزاز رأسه إلى الأمام والخلف ببطء "مؤكد عشيقها" حرك شهاب رأسه رافضاً وقال مُسرعاً "لا، الرجل يبلغ الثامنة والخمسون عام" سكن بغير

حركة حتى قال وهو يعود إلى الملفات من جديد "تقص أمره، مَنْ آخر من زارها؟"

"لا أحد منذ سُجنت" رفع عيناه يرمقه بتفكير ودهشة تلاشت سريعاً حيث عاود النظر لما يفعل قائلاً "طبيعي، فمن سيزور امرأة سيئة السمعة" توقف عن الحركة شارداً حتى أعتدل باستقامة يتطلع إلى من أمامه مُضيق عيناه السوداء هاتفاً "شهاب! تقص عن كل أقاربها، أريد تقريراً قبل ذهابي إلى مقابلتها" شرد مُجدداً بعد خروج الرجل يتذكر يوسف وهيامه بها، تُري لو كان على قيد الحياة ماذا كان موقفه؟ نهض وأشعل سيجارته يتطلع من خلف زجاج نافذة مكتبه ليلمح امرأتان جمعهن الضحك وكأنهم خارج القُطر ليهمس والسيجارة معلقة بفمه "سُحقاً لجنس حواء" تفرزت ملامحه يتخيل شكلها، سمراء كالحة البشرة ذات شعر أشعث، بدينة الجسد، وعيونها التي تغنى بها يوسف لابد وأن بهم حول، هكذا شكل بنات الليل والخائنات مقززة هيأتهم، بالأخير كانت مُمرضة! نظر لساعة معصمه وأتخذ خطواته يللم أشيائه، اليوم سوف يتغدى مع محبوبته ونقطة ضعفه وقوته، ليينا ابنته

\* \* \* \*

علا أذانُ المغرب وأهل الحارة مُتجمعين بأكملهم، قلوبهم ملتاعة على الصبي عامر، صاح الأوسطي علي السباك يضرب كف بكف من جلسته وسط أهل المنطقة "ضاع الولد بشرية ماء" هتف الجار شحاتة الذي يجاوره الجلوس على المقهى "كله من تحت رأس والدته منها لله" صاح السباك مُعتاباً "أتقي الله يا شحاتة، لدينا نساء" رمقه شحاتة بنزق ليسأل الحاج متولي صاحب المقهى باندھاش "أمرك غريب يا سباك! أما زلت تثق بها" صاح شحاتة بتهكم منتهز الفرصة "لو كانت من لحمه ودمه لما دافع عنها بتلك البسالة" أولاه الأوسطي على أنتباه كاملاً وأعتدل صوبه مُتحفزاً وصاح بغير طول بال "سلمى الكل يعرفها يا شحاتة، ألم تكن هي من توسطت لابنك عند أكبر طبيب حين كُسر ذراعه؟" تيرم شحاتة وأشاح بذراعه وكأنه يطارد ذبابة وهز رأسه بعصبية مغمغم "كيدهن عظيم يا سباك الحارة" حوّل الأوسطي على

وصاح به "يا جدع كُن محضر خير ودعنا نبحت أمر الولد" لملم الحاج متولي الأمر قبل أن يتسع وهتف بهم "صلوا على النبي وادعوا الله أن يتصالح عابد مع أهل الصبي" هتف شحاتة مرة أخرى بصوت متهم "أيّ تصالح يا معلم؟! مات الولد يا متولي قتله ابن الفاجرة!" هتف متولي وكفه الغليظ يضرب فخذة بقلة حيلة "لا حول ولا قوة إلا بالله، قدر الولد كقدر أمه" تبرم شحاتة وهمس بصوت مسموع "العرق دساس يا حاج سواء من الأم أو الأب" أبتسم بسماجة وأردف "أو الجدة" تقدم عابد إليهم صامت مغلق الوجه والملامح ليسأل حماة السباك "ماذا حدث؟ هل تكلم ابنك" مسح عابد وجهه بكفيه متتهد ثم هتف يبتلع غصة البكاء "عمر يقول الولد تهجم عليه أولاً، لملم أصدقائه وسبه بالأم وحين رد السباب تجمعوا حوله لضربه وهنا تدخل أخاه بحماية وقام بضربه" أبتلع أنفاسه الهادرة وانهمرت دموعه وهتف ببيكاء تقطعت له نياط القلوب "هل ضاع الولد؟" نفخ نفس هادر وأكمل يضرب كفاً بكف "الولد كان يدافع عن أخيه يا عالم" صمت دون الرد والحيلة ليصيح يأس يستجدي معاونة "ما العمل؟" من المؤكد الشرطة سوف تأتي لأخذه" علت الهمهمات بقلب الحارة وتضاربت الآراء ليهتف المعلم متولي قائلاً "أسمع يا عابد، سوف نضع أبنائك عند أحدنا وكأنهم هربوا حتى لا يتم الإمساك بهم" قاطعه السباك موافقاً الرأي مُعقّباً "كأنهم هربوا من الخوف، دعهم عندي يا عابد" أكمل المعلم متولي حديثه وهو يزجر علي السباك بيأس "يا أبا المفهومية أنت حماة! أول من ستفتش الشرطة بيته" دعوهم عندي أنا سوف أضعهم في الشقة المقفولة ببיתי؟" التقط عابد أنفاسه يضرب كتف متولي بامتنان ليهتف علي السباك مقترحاً "دعونا نذهب لأهل الولد وننقذ الأمر" هتف متولي مُنبهاً "أجلس يا علي فقد أرسلت فتله يُعسّس بالمشفى" سأل شحاتة بعد التفكير بعمق "ألم يكفي على خبر والدتهم ماجور وأودعهم عابد مدرسة بعيدة عن الحي؟ كيف علم هؤلاء الملاحين بتلك الفضيحة؟" زجره المعلم متولي بلوم وهو يلوح تغيير وجه عابد للتجهم الشديد وهتف وهو يرفع عيناه إلى السماء يأساً "وما لزوم ذلك الكلام الآن" نهض واقفاً يحث عابد على القيام معه مُنبهاً "أنهض وأحضر الأولاد قبل أن تُداهمنا الشرطة" تركهم عابد وما إن تحرك هتف السباك على شحاتة بعصبية "هل نقطع لسانك الشائك لنرتاح من ثرثرتك



المؤلمة؟" تهكم شحاته مُتبرِّمٌ "وهل قلت شيئاً؟" صاح المعلم متولي يقطع شجاراً وشيكاً وهو يلوح قتله على أول الحارة "كفا شجار، ها قد جاء قتله" وقف عابد مذهول وهو يرى ويسمع المعلمة قطة وقد أجهزت على عمر تمسكه من تلايبه وأوشكت على خنقه صارخة "أصبحتم قتله يا أبناء الفاجرة، حلال أن يلقي أخاك بالسجن عل الفاجرة تنعم" صفعت الفتى بقوة على وجهه ودفعته بغل حتى أرتمى أرضاً ينتحب بالبكاء وأكملت صريخها بوجهه الآخر صارخة "أقسم بربي سوف أسلمك للشرطة بيدي" أشارت بكفها على الملقى خلفها وهي تهم بعامر "وهذا القرد؟ سوف أذبحه وأشرب دمه" هرول عابد إلى عمر يساعده على النهوض ليتفاجأ بصياح عامر وقد هاجت أعصابه حد السماح له بالهجوم عليها صارخاً بعجز "سوف أقتلك"

ومن الدور العلوي تبست نهى بشماته وهي تدلف إلى شقتها، أخيراً سوف يفارقها أبناء الفاجرة وعليها إذن إظهار روعة الحياة دونهم ليقنع عابد بأنهم سبب قلة راحته، بدأت في تنظيف المنزل باجتهاد أخفته جيداً مقررّة جعل البيت جنةً وهي حوريته عليها تقنعه بأن روعة الحياة في ابتعاد أبنائه عنه، همست وهي تبدأ بترتيب الدولاب ببراعة وإتقان "والله لأجعلك تكره وجودهم" وبالشقة السفلية أُنّاب المعلمة قطة الرعب وهي تلمح في عين الصبي الجدية وما زاد رُعبها تقدم عامر نحوها مشهراً في وجهها مُطواة لا تعلم من أين أتى بها، صرخ الفتى في وجهها بجنون حل عليه "لم أقصد قتله!" وثب عابد يقف أمام ابنه مرتعش الساقين ليهتف والخوف يملكه "أهدأ بُني، لن يفعل لك أحد شيء" "لستُ أُنْكَ! أنا ابن الفاجرة" رجفت عين عابد بالخوف ليهتف بما وقع على لسانه "ليست فاجرة يا عامر" تطلع الفتى لعين والدته تيه بين الصدق والكذب لتهتف قطة والخوف يملكها "أجل، أجل والدتك مظلومة وحق الله" التفت عابد يُطالعها بصدمة، يعلم جيداً إنها لا تنطق بالحق سوى تحت الضغط وعلى ما يبدو أن انفجار عامر وضعها في خانة الحق دون أن تدري على نفسها، أنتبه من غفلته على صوت ابنه الذي تقدم نحو قطة يسأل بأمل وتحفز رغم عنف الموقف "بريئة؟ إذن ذنبك أعظم" قاطعه عابد وهو يتقدمه بحذر هامساً "أتوسل إليك بُني أترك ما بيدك وهيا لا يوجد وقتٌ نضيعة" تقدم عمر صوب أخيه مرعوباً من موقفه ليصرخ يستجديه برجاء "بالله يا أخي اهدأ، أنا احتاجك" رقّ

عامر إلى الخوف الذي تملك أخاه وارتعد حين لمح الرعب يبتلع أوصاله وقد خر مُنتحب لِيُنزل السلاح من يده حتى طواه بجيبه قائلاً بصوت مُتراجع "لا تخف هكذا"

انتبه الجميع إلى عم علي السباك الذي دق باب البيت المفتوح يهتف بعجل "أسرع يا عابد، يبدو أن أهل الصبي ابلغوا الشرطة ولكن الحمد لله الصبي مازال على قيد الحياة"

\* \* \* \*

امسك عامر بكف والده مُبتسماً واليد الأخرى تُمسك عمر الضاحك، الفرحة تشملهم والسعادة لهم عنوان يُقرأ، هتف عمر وكفه الحر يداعب خصلات شعره الطويلة "إلى أين أبي؟" لم يلقى رداً سوى صوت عامر الذي هتف وعينه تنظر إلى والده بأمان "الصبر يا عمر، يبدو أن هناك مُفاجأة" هتف عمر وذراعهُ يضرب الهواء حوله "يعيش بابا، أخيراً سوف نخرج ونلهم" صاح عابد فيهما بغير سبب واشتدت قبضتُهُ على معصمهم بقوة وما إن اقترب من مُفترق الطريق حتى ظهر بئر كبير ليدفع إليه أبنائهُ ويهمس دون شعور بالذنب "اذهبوا إلى الجحيم فأنتم سر ابتلائي" صرخ عامر وهو يسقط في ظلام البئر "ماما" وتلفظ بها عمر بجذع ليقع في غياهب البئر وصوت صراخهم يتبعهم!

صرخت بأسمائهم تنتفض من نومتها ومازال صوت صرخاتهم في أذنيها، التقطت أنفاسها المتسارعة ثم اعتدلت تُشعل سيجارتها بارتعاش، جلست بسرير السجن الأشبه بتابوت الموت تسترجع حلمها المُفزع، منذ صباح اليوم وهي مقبوضة القلب عقلها أوشك على الجنون ولا تعلم سبب تلك الحالة الموحجة، همست داخلها بأية الكرسي ليتمثل أبنائها أمامها والدماء تُغرقهم، أغضت عينها ونفضت رأسها ترفض خيالهم بذلك منظر ونفخت دخان سيجارتها في الهواء حولها سامحةً للدمع ينهمر بقوة، ترى ماذا حل بهم؟ لما تشعر وكأن خنجر مغروز في صدرها؟ انتبهت إلى إحداهن تُهاثفها بغضب "قلقتِ منامنا بصوت صراخك المُنفّر ودخان سيجارتك، امرأة مستفزة" مالت

برأسها يميناً تتطلع إلى السرير المقابل لها لتبتسم بإشراق وتألّق ودون مقدمات اختالت بشعرها وهي تقذف سيجارتها من بين أصابعها بحركة تُنفّق فعلها وهتفت "صوتك يا امرأة" صرخت المرأة تنفّادى السيجارة المشتعلة وغمغت بخوف "مجنونة، قادرة" تقدمت إليها السيدة ذهب تسأل بطريقتها الأرستقراطية "ماذا حبيبتى؟ هل شاهدتي كابوساً؟" هزت رأسها بنعم تُقصّ ما رأت، تنهّدت السيدة ذهب قائلة وهي تُريحها بأحضانها "ما زلت عند قولي يا سلمى، تلك العائلة وراء ما حدث" تنهّدت وانخرطت في موجة بُكاء طاحنة وهتفت "كيف أخرج من ذلك الجحيم؟ ماذا عليّ أن أفعل؟" اعتدلت تنظر لمن أمامها بانتباه ثم هتفت مُتعجبة "لما يفعلون يا ذهب؟ كنت لهم خادمة فبماذا أذيتهم؟" ظفرت السيدة ذهب وتطلعت حولها ببأس من عنادها تتساءل لما عليها العناد حتى في تلقي المعلومة الم تُرسل رجالها للنقصي والبحث عنهم بالخارج وأخبرتها بما حدث، أراحت نظراتها فوقها وجذبت ذراعها إليها قائلة "لو تدعي العناد جانباً، أنهضي وتوقفي عن البكاء ليتّ نفع" جذبتها حتى أجلستها باستقامة وصاحت "رباب، ناوليني حقيبة الزينة خاصتي" تطلعت إليها من بين دموعها وعينها تسأل باستفسار صامت حتى أجابت وهي تتناول الحقيبة على عجل "انهضي واغتسلي في حمامي الخاص ودعينا نُدللُ هذا الوجه الساحر عوضاً عن البكاء" همت بالاعتراض لكن أوقفتها ذهب بنظرتها قائلة "ذهب لا يُقال لها لا" نهضت مُستسلمةً باحتياج لذلك الحمام الساخن فلولا وجود ذهب التي لحقت بالسجن قبلها بشهر لما استطاعت الاستمرار في تلك المزبلة فتلك المرأة بما تملك من نفور استطاعت أن تجعل من عنبر السجن شيء ادمي، أراقت الماء الساخن فوق جسدها النحيف فتلك ثاني ميزة اكتسبتها منذ سجنها حيث تخلت عن البدانة التي كادت تُصيبها كما صارت تستطيع المواجهة بقوة، لا أفضل من انعدام نقاط ضعف! ولا أقوى من قسوة القلب عوضاً عن ذلك اللين الذي أصابها بالتلف، هتفت السيدة ذهب بصوتها الأرستقراطي "بنت يا رباب دعينا نهتم بتلك البائسة قليلاً" تقدمت الفتاة تبتسم بشفقة حتى همست وعينها تُراقب باب المرحاض "مسكينة، كيف رماها زوجها وأبنائها هكذا؟" رمقتها ذهب بهدوء نظراتها وقالت بتأني تُجيده جيداً "متي تركوها يا رباب الأولاد مازالوا صغار لا يفقهون شيء" تنهّدت رباب

وسألت بطبعها الساخن "أي فهم؟ مجرد قرض ولم يسد يا سيدة ذهب" انتهت ذهب لعدم إدراكها وتذكرت أنها تكتمت الأخبار حين تقصت عن أبنائها لذا هتفت تفتح حقيبتها "لن يزورها النوم الليلة طالما انتابتها نوبة الحزن، دعينا نهتم بها تحتاج من يطبب حزنها" خرجت من المرحاض مُنتعشة رغم السخط الذي يشملها لتهتف وهي تري حقيبة أدوات التجميل أمامها "لمن تلك الحفلة؟" جذبتها ذهب جوارها وابتسمت بحنان لا تعرف مغزاه وهتفت تتناول فُرشة الشعر من حقيبتها "حفلة دلال للقمر" دفعتها برفق وظهرها أصبح لها تُمشط شعرها بهدوء وتغمز إلى رباب التي بدأت في جذب كفيها تُلم أطاقرها بعناية اعتادت عليها من مهنتها حيث صالون التجميل التي كان لها ولزوجها، استسلمت بدورها لهما ليس طلباً للدلال ولكن لإشغال عقلها وقلبها الذي مازال مقبوض مُعترفة بأن نوبة اليوم غير سابقتها في القسوة، رفعت عيناها إلى طاقة الزنانة الخائقة وهمست بصوت خفيض "ربي إني مغلوبٌ فانتصر"

\* \* \* \*

رحل رجال الشرطة أخيراً بعد التفتيش عن عامر ذو الخامسة عشر وقد اقر الجميع أن الفتى وأخاه لاذا بالهروب مُنذ وقوع الحادث، تفقد عابد الحارة جيداً بعدما ابلغه قتله صبي المقهى أن الشرطة رحلت من الحي بأكمله ليخرج من بيت الحاج متولي بعدما أمّن مكاناً ولديه في بدروم المنزل متعهد لهم أنه سوف يُحاول مرة أخرى مع أهل الولد لعلهم يرتضوا المصالحة، خرج إلى الحارة متوجه إلى بيته وعقله شارد، كيف سيتدبر مصاريف علاج الصبي وكيف سيؤمن مبلغاً آخر للتراضي، منذ أن ابلغه الأستاذ حمادة المحامي أنه لا بد من دفع مبلغ مالي كدية بعُرف القانون وعقله ذاهل، ها هو خاوي الوفاض لا يملك ما يعالج به المُصاب ولا ما يُخرج ابنه من تلك الورطة العصبية، دخل بيته غير منتبه على صياح العم شحاتة ليهمس بكره تجدد في صدره "أخذك الله يا سلمى، ها قد طالت خيانتك أبنائك" امتطى سُلّم البيت الذي جدته منذ عامين ليتوقف أمام شقة والدته وجدها تسحب نفساً رائقاً من النرجيلة التي لا تهدأ نيرانها ليتوجه صوبها أملاً عل الحنان يمس قلبها لكنها بفطنة الأم قابلته وابتسامة مُبهمة

اعتلت صدغها لتتهافت وهي ترفع حاجب واحد "أما وجدت حل ينقذ أبنائك؟" تفحصها ملياً وتهتف "الحل موجود ولكن؟! اتسعت ابتسامتها وأردفت ودخان النرجيلة يضمها "لا املك من المال شيء يا ابن رحمي" هتف يستجديها "الولد سوف يضيع يا أمي وسوف يتبعه الصغير أيضاً" تعاملت يدها بمهارة مع الفحم المشتعل وعينها لم تسقط من فوق وليدها لتتهافت ببرود "خلفتك شين كمن أنجبته، جدد حظك في الذرية والعوض على الله فيما سبق" اتسعت عيناه وهو يرمق برودها اللاذع وتهتف وقد اعتلى وجهه الضيق "ماذا تعنين؟ هل اترك الولد يسجن؟"

تبادلت معه النظرات هو ساخن غاضب والجنون ينضح من عروقه وهي باردة هادئة وصدق مشاعرهما لم يستتر، لتَهْز رأسها بنعم وهمست تندو إليه "ربيت كلب وما طمر به شيء لذا وجب التخلص منه" اعتدلت بجلستها وأردفت قبل أن يُعاجلها بالرد المنكر "أبنائك انفلت عيارهم والحقيقة واضحة، سيحملون عار أمهم مهما طال الزمن" سحبت نفس داخل صدرها الوفير وأطلقت السحب البيضاء تلوث بها الفضاء حولها وقالت "السجن تأديب وتهذيب وإصلاح وهذا ما يحتاجه أبنائك، أرسل الكبير ودع الصغير للوقت وهكذا تحسن تربيته" تملكه الغضب ونحرته الحيرة من كلماتها، الجميع يعلم أخلاق أبنائه والجميع يُقن مدى تربيته، كان أساس الخلاف بينه وبين سلمى تلك المدارس التجريبية التي أصررت أن تلحقهم بها إلى أن انتهى الأمر بتصريحه الوقح بعدم تكفله بثمان قلم رصاص لهم وهي بدورها ثابرت ودفرت وعملت ليل نهار كي تؤمن لهم مقعدين في تلك المدارس وأكملت طموحها في أبنائها حتى صارت تلتحف بالخيش مُقابل أن يلبسوا ثياب الهناء والرخاء جاع أشبعت عيونهم وبطونهم ثابرت حتى شبوا أصحاء من كل زاوية، هتف إليها بعقل غير مُستقر "ألا يرق قلبك لهم أبدا؟ أنت جدتهم!" هزت كتفها دون مُبالاة هتفت براحة "أكرههم كما أكره أمهم" سأل مُغاضباً "لما يا أمي؟" تبسمت باستفزاز وتهتفت "لا اعلم، كانت مُتكبرة" كثر سؤاله تحت إثر اندهاشه "سلمى؟ كانت تخدمك!" تملكها الكبرُ قائلة "لهذا زوجتها بك" توسلها بالرحمة عليها تُسانده "إنهم أبنائي أيضاً! قطعة مني ومنك" زجرتُ برفض وصاحت "هم نسخة منها، صنعتهم لها حتى بالهيئة والطبع" هز رأسه تائهاً في عمق

سوادها وهمس مغلوباً "حسناً، أعطني مبلغ على سبيل الدين وسوف أسدده لك" فقهقهت بقوة وغمرت له تضرب صدرها قائلة "وتُسجن! مثلها" خرج من عندها كما دخل خاوي الأمل ومسموم الأمومة، منذ زيجته الأولى وطأت سلمى أعتاب شقتها تنعم بالجود والكرم، أيام حتى تبدل الكرم قبحاً ومكرراً لتمضي السنوات تاركه له تلك المجنونة عليها تُذعن لما يختلج دواخله الخربة، فتَح باب شقته ليقف على أعتابها مُرتاب، دلف مُغلق الباب خلفه بحذر ليجد النظافة وطيب الرائحة تستقبله ثواني وقبل أن يعي هلت عليه بهيئتها التي سرقت أنفاسه قائلة "كيف حال أولادك؟ هل أرسل لهم طعاماً؟" تفرسها بدهشة لاحت بين مُقاتيه جعلتها تتقدمه بدهاء، لفت ذراعيها حول رقبتة واستطالت على أطراف أصابعها تطبع قلبه بجانب صدغه وهمست "انتهزت فرصة خلو البيت، اشتقتُ لك عابد" وكعادته وعادة طبعه أرتكن إلى حائطها المائل يُلقي بثقل جسده وكامل حملة غير مُبالي سوى بنفسه وعقله يستجلب صورة الحي الفاخر أمامه ليصبح بين أهله وزيراً تاركاً الواقع بأكمله ومُتخذاً من خياله عالم موازي، ملك وخلياته تتحين رضائه، سلم نفسه لها غير عابئ بالواقع

\* \* \* \*

تقدم عُمر خائفاً إلى جوار عامر ليحتضنه الكبير بحماية هامساً "لا تخاف  
عمر" بكى الصغير بصمت حتى همس "لستُ خائف، أنا!"

"أنتَ ماذا؟ تكلم" تطلع عُمر إليه والدمع مكتوم بعينه حتى همس بحسرة "أريد ماما" أجهد في بكاء مريّر يتلفظ اسمها حتى امسك بكف أخيه يهتف مقطوع النفس "لو كانت هنا ما مسنا أحد" انخرط مُجدداً في البكاء ليضمه الكبير يمسح دموعه ويُفسح له مكاناً لينام جواره، دثره جيداً حتى استلقى جانبه ليتفاجأ من سؤاله المباغت "هل حقاً بتُ تكره أمي؟" نظر عامر إلى النافذة القريبة يرى من خلف زُجاجها أقدام الغادي والذاهب ليهمس "كان الأمر برمته أمام عيني يا عُمر" اعتدل عُمر موالياً وجهه إليه حتى همس ومازال مُستلقي "أغض عينك عامر وشاهد بقلبك عل الله يهديك" أغض عامر عيناه يائساً

قائلاً فما أن فتح فاه ينوي توبيخ أخاه ويُعنفه لاحت أمامه ضاحكة، شدد إغلاق عيناه وهو يسمع صوتها تنبهه كما السابق "أعلم أنك في مرحلة تدفعك إلى السعادة بإعجاب الفتيات حولك" رنت ضحكتها الرائقة وهي تلمح الخجل فوق وجهه فأردفت وهي تُنزل من هامتها له تجذبه إلى صدرها "تذكر حبيبي، يُمكنك فعل أي شيء دون أن يراك أحد ولكن!" انتبهت حواسه باستفسار فقالت بابتسامتها الحنونة "الله يرى ويسمع عامر، لذا احذر لكل منا رصيّد من الستر بُني" انتبه إلى وكز عُمر وهو يسأل "أين شردت؟" تنهّد وقد غلبه الحنين والفراق ليهمس بصوت خفيض "معها" اعتدل عمر مُسرّعاً ليجلس مقابله يسأل بأمل "هل اشتقتُ لها؟" اكتفى بهز رأسه على استحياء ليهمس عُمر مُجدداً "أنا أيضاً، أموت وأراها" احتضن أخاه وهتف مُتجنب الدموع التي تكونت بعينه "بعيد الشر عنك يا أحق، لا تُعيدها" نهذه عمر يدسُ نفسه بين أحضان أخيه وهتف "كل دوماً أراها في المنام تبكي وتهتف باسمك يا عامر" كتم عامر شهيقه لثعلن دواخله تمردها شوقاً وحرقة ليهمس بصوت مكتوم غليظ "لو فقط افهم ما حدث سابقاً، لو فقط التقى بذلك البلطجي حمو" اعتدل عُمر جالساً باستقامة ينظر إلى وجه أخيه خائفاً حتى قال مُتردداً "هل لو قُلت لك شيئاً تحفظه؟" طالعه عامر بارتياح ليُردف من جديد بهمس اشد وطأة من سخونة النفس "اقسم انك لن تتفعل ولن ترتكب حماقة لأي سبب" اعتدل عامر حتى أصبح الاثنان وجهاً لوجه ليعطي الكبير الصغير وعداً، تلفت عمر حوله وكأن سر الذرة بجوزته ثم مال إليه يهمس "حمو لم يكن مع أُمي بل كان مع!" خرس لسانه مرعوباً قبل أن يكمل كلامه وأشار إلى الواقف بالركن ينظر إليه بغدر وهمس والروح تُغادره "عامر؟!"

\*\*\*\*

## ظهر اليوم التالي

جلس بغرفة الزيارة الخاصة بالسجن ينتظر مجيئها، عيناه تتفقد المكان الموحش رغم اعتياده بطبيعة عمله، روحه تتمنى انتهاء المُقابلة قبل أن تبدأ، كلما تذكر ما قرأه عنها زادت نفسه قرف، فبشهادة أهل الحارة كانت فضيحتها لا تُقارن بأحد، خائنة وتتججج بالرد حتى فضحت رجولته على الملأ، تارة بعدم قدرته على سد حاجتها المالية وتارة بعدم قدرته الجنسية! هكذا جائه التقرير النهائي عنها، توقف عن استرسال الأفكار وهي تُقبل عليه، طويلةً ممشوقةً القوام ذات جسد نحيف تدثر في جلباب شاحق البياض يرتمي على رأسها وشاح مائل الجلباب لكنه أحجم عن تقييد خصلات شعرها المموجة الهادئة، تهادت بخطواتها القوية حتى وصلت حذوه وبعينها ألف سؤال أولهما بعد مرحباً من أنت؟ هل أعرفك؟ "مرحباً" قالتها تجلس أمامه تتفحص هيئته المرتبة فعاجلها مرحباً برسمية شديده وأكمل ومازالت عيناهما تتبادلان التدقيق ببعضهم "داود، داود الرازي، محامي" صممت وهالته السلبية تشملها لتسأل بفضول "ما سبب زيارتك؟" رفع حاجبيه ينظر إلى عينها التي تطابقت بعين يوسف عدا كثافة رموشها السوداء، عوج رأسه يتطلع إليها يُجبر عيناه عدم مُلاحقة تفاصيلها ليهتف "أنا صديق عمك يوسف المصري ومحاميه الخاص أو للتدقيق كنت أعمل معه" اعترأها الاندهاش والذهول حتى انبسطت ملامحها تدريجياً لتهتف بتهكم "عمي يوسف؟ وهل تذكر الآن ابنة أخيه" تبسمت ونفخت خُصلة تدلت على وجهها بتمرد وقالت باستهزاء وهي تهز ساقتها المرفوعة إلى الأخرى "وماذا يريد عمي العزيز يا تُرى" أطال النظر في عينها وبدورها لم تهرب من سواد مُقلتيه الكارهة فاختلج داخله بالحيرة رغم ملامحه الثابتة، كيف لها بتلك الجراءة وكيف تتكلم بعين ملأها الكبر وكأنها مسجونة سياسية ذات شرف، رفع حاجبيه مُجدداً وهمس وسبابته على فمه "اصمت، لا تتكلمي، فقط اسمعي" رُبعت ذراعيها تحت صدرها باعتراض واضح وهزت رأسها تستفزهُ قائلة "سريعاً! لأنني على عجل" وضع



ساقاً فوق الأخرى وجرى إبهامه على حاجبه ببطيء وعينه تسب برودها ليهز رأسه موافقاً وهو يُتمتم "وكأن ورائها الديوان!" مد كفه بخطاب استخرجه من جيب معطفه وهتف بجدية "هذا لك، من يوسف المصري، هذا أولاً" اعتدل وعينه تتطلع إلى كفها الذي سحب الخطاب باضطراب ليهمس داخله يتفقد أصابعها البيضاء الملوثة وقد مسه الجنون "مسجونة وهذا حالها ماذا إذن عند خروجها؟ سافلة!" رفع أصبعيه السبابة والإبهام قائلاً "ثانياً، سوف تخرجين من السجن غداً أو بعد غد، سددنا القرض للبنك" مد يده بورقة تركها على الطاولة الفاصلة بينهم لتلتقطها من بين دهشتها تتطلع إليه قائلة "ماذا؟ من فعل؟ وكيف؟ متى حدث؟ أنت إذن من يرسل النقود لي" قطعت كفه دهشتها وفرحتها ومزيج المشاعر الذي ضمها فسكتت إذعائاً لكفه ليهتف بقرف تملكه "اصمتي، دعيني أشرح الأمر" سكتت وانتبهت بكل حواسها ليرفع حاجبيه مندهشاً وهو يلتقط شفاها في همس مفاده الحمد والشكر وبعض الدعاء لله، جرى إبهامه على حاجبه واستغفر في نفسه هامساً "سيئة السمعة ذات طابع ديني! الشيخة سلمى المهلبية" تتنح وقال جاذباً انتباهها "لا تقاطعيني حتى انتهي" هزت رأسها موافقةً ليبدأ بسرده ما جاء من أجله تحت وقع عيناها الصافية الغير مستوعبة

\* \* \* \*

تطلعت إلى النائم جوارها بخبث، نجحت خطتها وما عملت عليه، بالأخير يظل الرجل طفل مجرد ما لوحث له بقالب الحلوى المحبب يستسلم بشغف تارك الدنيا خلفه، هكذا ضعيف النفس من تتحكم به شهوته وهي تعلم نفسه أكثر ما هو يعلمها، لكن الأهم أن تُحافظ على ما وصلت إليه وتجتهد في عملها، من ليلة واحدة أنستة قطة وأبنائه ونفسه وخلقت له جواً دوماً يشتاقي له وهي بالحرمان والإهمال ضاعفت الاشتياق حتى صار حُلماً ما إن تحقق تمسك به وأفنى نفسه سعياً للحفاظ عليه، المعضلة الآن في طلبه! كيف التصرف والرد؟ كيف تعطيه مصاعُها، هل هي ساذجة سوف تضحي كالتني من قبلها، هيهات، لماذا خُلق العقل التسوييف سوى لتلك الأمور المتشابكة، وهي بطبعها نهى أي عقول

ضربت بعضها بعضاً، بعضاً من المسكنة والدلال وقمصان النوم المُهْلِكَة  
وسوف يأتي بغيرهم وغيرهم، سوف تضعه على حافة الهاوية، انتبه إلى قرص  
كفها الذي ايقظه من نومه ليلتقطه مُقبلاً ويسأل والنعاسُ يَتملكُ صوته "متى  
استيقظ القلب؟" رنت ضحكتها ومالت تُقبل وجنته وتدغدغه "عيون القلب  
سهرانة" تمطى بكسل ونظر إلى الشرفة يسأل "هل أشرقت الشمس؟" افتعلت  
النعاس وعدم المعرفة تتمطى كأنها غفت "على ما اعتقد، كم الساعة يا ترى؟"  
انتفض ينظر إلى هاتفه ليجدها الواحدة فهتف وهو يصيح لائماً "الأولاد؟  
الأولاد وحدهم؟" نهضت تفتعل القلق وهتفت تدعي الخوف عليهم "احذر يا  
عابد مُخبرون الشرطة مُنتشرون في المنطقة، فلا تهرول إليهم حتى لا تدل  
عليهم دون قصد" تخشب جسده وثبت في وقفته وهو يقول "لم أفكر في الأمر  
من تلك الزاوية"

"لهذا أنبهك" هز رأسه موافق وهتف "الحق معك، جهزي ملابسك حتى أفكر  
ماذا افعل في تلك المُصيبة" أغلق باب المرحاض خلفه لنتهض من مكانها  
تتهياً بكل أسلحتها حتى تلزمه جنتها فتلك فرصة لن تتجدد مرة أخرى وعليها  
استغلالها، لا بد وأن تكون همزة الوصل بين عابد وأبنائه فتلك أول خطوة  
سوف تخطوها في سبيل حياة هائلة، أما تلك القطة حماتها فأمرها هين لن  
تتعب في ترويضها، عصبتها وكرهها لأحفادها سلاحاً لا بد أن تربح به

\* \* \* \*

وكز عمر أخاه همساً "عامر؟ يا عامر؟" تأفف وهو يتمسك بملابسه وعيناه تتفقد كل شبر بالمكان حتى دفع ظهره بقوة "يا عامر أفق، هل طمعت بالنوم الذي خلقه الله لنفسك أخي" تململ عامر بنزق وأفلت نفسه من ذلك الأسر الذي تملكه وهتف "بالله ارحمني، يكفي ما فعلته ليلاً" همس عمر خائفاً "لم افعل شيء يا خم النوم" اعتدل الآخر يدفع يده عنه بقرف ويصيح "ومن الذي كاد يتبول تحته؟ أبي أم أمي؟" نفخ عمر بتأفف وهمس وهو يتلفت حوله بريية والغيط يملكه "الم تُشاهد منظره؟ شاربه أخافني وهو يرمقني وكأنني قتلت أحداً من أهله، وذلك المثدلي منه، بحياتي ما رأيت ذيلاً بهذا الحجم والطول، كان كما الوحش المفترس" قهقه عامر ليلتفت بكليته نحوه وقال يتطلع إليه بعين مفادها أنا هنا "وأين الشجاعة وطول اللسان التي أوجعت رؤوسنا بها؟" قلب عيناه وهتف مستنكراً "هل على آخر الزمن سوف أسب فأر بالأب والأم" قهقه عامر للمرة الثانية مما اسعد قلب أخيه، على ما يبدو أن مشكلته تكمن في البقاء مع جدته وزوجة أبيه فلا بد أن يخبره الحقيقة التي يعلمها، انتبه إلى أخيه وهو يهتف من بين ضحكاته "تخيل لو ردّ عليك السباب وقال لك -اخرس يا ولد -" قهقه الاثنان معاً حتى هدأت أنفاسهم ليهتف عمر وعينه بعين أخيه قائلاً "عامر"

"نعم أخي"

"في تلك الليلة قبل ذهاب والدتك لبيت الست سعاد نزلت في الصباح إلى جدتي لأحضر حذائي الذي تركته على باب شقتها وحينها سمعتُ جدتك تهتف عبر الهاتف "اسمعي يا نهى بمجرد أن تصل سوف أخبر عابد بمجرد سماع رننك" تطلع إليه عامر بوجه شديد العبوس حتى أردف عمر مُكملاً "والله هذا ما قالت حتى إنها سألت كيف ستجعل الرجل يفعل ما يفعل؟ وإذا ربطت ذلك الكلام بالموقف لوضح أن هناك مؤامرة ضد أمي" همس عامر شارداً "ليس دليل على ما تقصد" همس عمر بحذر "لم يتوقف الأمر هنا" تبادل الاثنان النظرات عمر زائغ العين وعامر بملامح مُستفسرة حتى هتف عمر مقررّاً البوح "منذ وقت مر كنت استذكرُ دروسي بغرفة الضيوف ببيت جدتي وبعد ساعة حضرت ابنة السباك تناكف في قطة كما تعودت" انتبه عامر إلى القادم وهمس "أكمل" ليُكمل

عمر باكياً "سمعتُ جدتي تُعابير نهى وتصرخ بها مهددة إن لم ترجع عن عنادها وإهمالها سوف تُخبر أبي بأنها من كانت ببيت حمو لا سلمى" اعتدل عُمر يقترب من أخيه يترجاهُ باكياً "أقسمُ بالله أُمي مظلومةٌ يا عامر، فكر في الأمر، دوماً وأنت أكثر ذكاءً ودهاءً وعقلك أكبر من عُمرِكَ كما كانت أُمي تقول دوماً" انتفض عامر مذهولاً وصاح "أمتأكد مما سمعتُ؟ هذا الكلام خطير" هز الصغير رأسه بتأكيد وسأل والخوف يلعب به "ماذا سنفعل؟ علينا الهرب من بيت أبيك؟ أنا ما عدتُ أرغبُ في العيش مع أبي ما عادت لدي قوى على تحمل ذلك الظلم، أريد أُمي يا أخي" احتضنه عامر بقوة تارك له المجال لدحض مخاوفه بالبكاء وأعترف لنفسه انه أصبح عاجز عن حمايته فماذا يفعل؟ يهرب به إلى شوارع الظلم أم سيُحبس ويتركه، لماضي ِ يفتكُ بمستقبله انتبه الاثنان على التي دخلت عليهم تبتسم بشماتة وتهتف بهم "يليقُ بكم حياة المُطاردين المُشردين، تستحقوها بجدارة" هم عُمر بالرد ولكن توقف وإخاه يسبقه حين تبدل في ثانية بابتسامة غامضة على وجهه يهتف بإنجليزية سليمة "مرحباً زوجةُ أبي، مرحباً ابنةُ الأبالسة" جمعت ما بين عينها تتفقدُهم بالتوالي، تشعرُ وكأن محنتهم زادتهم قوةً وخصوصاً ذلك الذي تخلقى عن صمته، هتفت بغضب وغيره منهم "بماذا تتفوه؟ اشعر وكأنك تسبني يا ابن الفاجرة" اتسعت ابتسامة عامر دون الرد عليها وبدأ عقله يسترجع بعض المواقف لها، مواقف تبدو عادية في ظاهرها ولكن باطنها أصبح مخير، لن يكشف عن أوراقه أمامها بل سيصمت حتى يهتدي لأمرها، مازال يساوره الشك ومازال مشهد الفضيحة يورقه ليس بقادر على الفهم لكن ليدع العقل يعمل رغم الخزي الذي يتملكه،

تقدمت تضع أمامهم كيساً بلاستيكيّاً قائلة "أباكم أرسل لكم الفُطور، ولن يستطيع المجيء إليكم في الأيام القادمة" تبادلَت النظر بينهم وسكوتهم يورقها حتى أردفت وهي تتحرك راحلة "كلوا، لا هناء ولا شفى" قهقهت وهتفت تسحب الباب خلفها "بدلتُم حياة الرجل تركته يلعن اليوم الذي ولدتُم به" أغلقت الباب دون أن ترى كف عامر التي كملت فم أخيه خشية الرد بلسانه السليط ليهمس عامر إليه منبهاً "لا تستفزها سوى بالصمت حتى تُفضي بما داخلها ونكشف نواياها" تخلص من كف أخيه يهمس "سوف أختنق، ثم من أين هذا المكر؟ أراك تركت الصمت وبدأت في الثرثرة؟" جذب كيس الطعام قائلاً

"عندما كنت ألوم على ماما عدم رد الإساءة كانت تُنبهني للصمت، فالصمت أولاً عبادة وثانياً يكشف لك مدى خبائثة الآخرين ونواياهم المواربة" مد يده يناوله الطعام وقال "الصمت يحرك الماء العكر في نفوس الخُبثاء، أما عن الثرثرة فيكفيك أكثر من عام وأنا أسمع واكتم في نفسي السخط مما يحدث" التهم الصغير الطعام جوعاً وهتف والطعام يتناثر من فمه "لنيم أنت" أغمض الكبير عيناه وتبرّمت شفاهه ليدفع من جواره بكتفه قائلاً بقرف "اغلق فمك يا عُمر، ثم رائحتك بدأت في الظهور!" رفع كفاه يشمهم ونهض متوجهاً إلى المرحاض ليهتف "ما هذا القرف؟"

\* \* \* \*

تطلعت إليه بملامح عجز عن تفسيرها، هل حزينه على موت عمها أم سعيدة لتلك التركة، أبتسم داخلياً وهو يفطن الرد جيداً، تراها سوف تمارس مهنتها المقرزة على نطاق أوسع وبطريقة مستحدثة ليكون زبائنُها من عليّة القوم ورجال المجتمع المخملي، قاطعت سير أفكاره العاصفة وهتفت بصوت أستشعر به البكاء "كيف كان عمي؟" ارتبكت وشدت على الخطاب بين أصابعها الفاتنة وأردفت "يعن أنا أتذكره ولكن ملامحه شبه غائبة" رمقها بتفزز وهتف "كيف تتذكرينه دون ملامح؟ ها؟"

مسحت على جبينها ومقدمة شعرها ركزت عيناها في نقطة غير معلومة لتهمس "كنت اركن إلى حنانه وكان بدوره يحتضن طفولتي وجزعي، يشملني بالدلال رغم قصر يده وصغر سنه" رفعت عيناها المزينة بالدمع المحبوس إليه قائلة "أتعرف؟! كان حنانه يفوق حنان أبي، حقاً افتقدته حين قرر أن يسافر"

"هل هي صادقة؟" سؤال فرض نفسه عليه ليقر بأنه صدقها ولكن ما المانع أن تكون صادقة في مشاعرها وهو الأعم بمن كان يوسف وما كان يحمله من إنسانية مفادها الرحمة، استحوذت على انتباهه وهي تهمس "هل أخبرك أن موت أبي تزامن مع رحيله؟ يوم أن ودعني يتمت للمرة الثانية" تأففت بصمت، لن يتحمل حديثها أكثر وها هي بدأت في إعطاء الأمر أكثر من حقه، لا بد وأن ينهض ويُنهي تلك المسرحية الهزلية شديدة البؤس، استقام واقفاً يللم معطفه وعينيه ترمقها باستهزاء صامت مفاده "لا تُبالغِ" وبدورها نهضت تتفحصه بعين تملكها الأسئلة ولم تخفى عليها نظرة الازدراء الموجهة إليها حتى قالت على عجل اكتسبته من تهجمه "متى أخرج؟ وأين يقع مسكني؟" انكمشت

جبهتها وصححت "اقصد مسكن عمي" طالعها بطرف عينه وجرى إبهامه على حاجبه قائلاً بقلّة صبر التقطته في تهكمه "غداً أو بعد غد، سوف أرسل لك من يقلك ويكمل الإجراءات" اشتعل غضبها من أسلوبه المنكر وكأنما يراها ربيبة سجون حقاً، هي ابنة عز لولا الزمن الذي دار دورته، هتفت وقد تملكها التعالي واسترجعت طبعها الجديد "ولما لا تأتي أنت؟" صاح بها "نعم؟ ولما أنا؟"

حركت كتفيها باستقزاز تُنقنه وهتفت "محامي عمي وأنا بعده" التف إليها بكليته وهتف بغضب "لم أكن محامي يوسف بل كنتُ أخ له" تهياً للرحيل تاركها

لتهتف من وقفته "داود" توقفت حواسه وأحجم عن النظر إليها هل هتفت باسمه مجرداً؟، حقاً سافلة، ودون أن يلتف إليها هتف "داود بيك، سلمى"

"سلمى هانم، داود بيك"

"عنيدة" همسَ بها وقد انفك رباط هدوئه "أسمعي! ابحتي لك عن محامي آخر أنا لا اعمل مع ساقطات" هالها ما سمعت وعلمت للتو أنه تقصى أمرها لتهتف بتعالٍ تأمره "لا تستهن بالساقطة إذن وأجرك سوف تناله الضعف، وبما أنك تعرف من أنا فأول مهمة، تأتني بأخبار أبنائي وتبحث عن طريقة تُمكنني من حضانتهم" اشتعلت نظراته وصاح بها "لن أكون محامياً لك" تحركت ترفع انفها بشموخ وترمقه بتحدي لتهتف وهي تضرب باب الغرفة "حينما اخرج غداً تكون قد جئتني بأخبار الولدين ولا تنسى، أنا وصية عمي لك كما ذكرت" خرجت من الغرفة دون سماع الرد لنعوذ برأسها تستقره قائلة "يبدو أنك حصلت على نصيباً من تلك التركة الضخمة، فالأمر مغري، لهذا تريد التملص من مهام وظيفتك" همس بحقد وقد اختفت دون رجعة "سافلة، وتتحدايني!" ظفر نفساً مُلتهب وغمغم وهو يُغادر

"سوف أعلمك معنى التربية كما لو كان يوسف هنا"

\*\*\*\*

تعجلت بخطواتها أول الحي وهي تلمحها من بعيد، ثواني وكانت تلحقها هاتفه "سها، كيف حالك يا فتاة" انتبهت سها من شرودها وأقبلت عليها تهتف "ما الذي حدث يا نهى، كيف حال الأولاد؟" رمقتها بلؤم قائلة "رُدي السلام أولاً، ثم منذ متى وأنتِ تتلهفين على أبناء أختك حبيبتي؟" تجهمت ملامحها وهتفت بها غاضبةً "ماذا تقصدين؟" تبدل اللؤم بسداجة تُثقفها جيداً لتهتف بها واللؤم متواري بين كلماتها "لم اقصد شيء، أنتِ من أصبحتِ تحسسي من كل كلمة بيننا" لوت فمها يمين ويسار وهتفت بخبتها "من على رأسه بطحة يُحسس عليها يا سها" أيقنت سها مغزى الكلمات لتهتف مُتخليّة عن الحذر "بل يفعلوها ويخيلوا يا نهى، أم نسيتِ مكرك وفعلتك" تجهمت وصاحت بتهديد "وهل فعلته وحدي، أم كنتِ شريكتي سيده سها؟" رفعت سبابتها المرتعشة محذرة "بل كنتِ ضحيتك" حركت كتفها بلا معنى وهتفت ببرود مستقر "لن

يفرق! بالنهاية سعت بدافع غيرتك، والان تسألين عن أبناء أختك الفاجرة" تطلعت حولها بارتياح مخافة الناس، للآن تخشى ربط سمعتها بسمعة أختها فمن سيطلب ود أخت سلمى صاحبة الفضيحة الكبرى، أنتشر القرف على ملامحها وجانباً منها يعلم مدى دناءتها، لو أقسمت أنها ضحية تلك الخبيثة لن يُصدقها أحد، كيف تُثبت أنها خُدعت ولم تتقصّد ما تورطت به، لو يُعاد المشهد من جديد لتصرخ بكل صوتها وتدفع الأذى عن أختها، لكنها تعلم مدى خستها وجُبنها لو بها الخير لاحتوت أبناء لحمها ودمها، صاحت نهى تُخرجها من شرودها "أين ذهبتِ يا حلوة" تحركت من أمامها قائلة "ابتعدي، لا تريني وجهك مرة أخرى" هتفت الأخرى من خلفها باستهزاء وسوقية "وأبناء الفاجرة؟ ألا يذاعبك ضميرك من أجلهم" هتفت تستفز عُقدتها "ليس من شأنك، سوف أسأل عنهم الأوسطي علي! السباك" جرت أسنانها وتمتمت بغیظ من ذلك اللقب "متى ستغير أسمك يا أبي؟" عادت أدراجها تعلم أن تلك الضعيفة لا تمتلك من أمرها شيء ليس ما تشعر به سوى وخزة يفرضا تأخرها بالزواج وعدم إقبال الرجال عليها، أما سها فسقطت دموعها وعظم الألم بصدرها، يوماً عن يوم يزداد احتقارها لنفسها وتعي ضعفها، تملكها الغيرة من أختها التي أفنت نفسها من أجلها، لو كانت تضمّر لها حقداً لأخذها العناد وانتقمت منها في شخص والدها الذي أذاقها المرّ واليتم، لوما كانت سلمى متفوقة في كل شيء لما عانت وقاست حقد الناس عليها، كانت تتجول بين أعوامها الدراسية دون عناء المُجاهدة، لولا قسوة زوج أمها لكانت طبيبة كما كانت تحلم، حتى الظلم أثمر وافرّج عن زهرة جميلة ترعرعت في بيئة شديدة القسوة والهمجية لتسرّ الأيام مسراها وهي بين الزهور تينع، تتزوج من طامع وتظل بعطائها تزخر، تضيق بها نفقات الحياة وتظل تتحمد وتشكر، تُرى بعد كل ما مرّ عليها هل ما زالت على غُصنها أم صارت جافةً يابسة كزهرة صبار ألقاها أحدهم تونس من مات لتتملكها القسوة، مسحت دموعها ترتقي سلم بيتها ولسانها يهمس "يا ربي لم أكن أعلم أن تلك الداهية تخطط للتخلص منها" أغلقت الباب خلفها تمسح دموعها وحوار نفسها سيجال "وماذا فعلت حين وقعت الواقعة يا سها؟! هكذا ليها ونهارها تُمزق نفسها بنفسها دائرة مغلقة بين الحقيقة والجدال، ليست قادرة على الاعتراف، مجرد كلمة كفيفة بستر من كانت لها أم، وببيت الحارة وقفت



نهى على أعتاب شقة المعلمة قطة تنظر إليها من حيث لا تراها، لأبد وان تساعدنا في إبعاد الولدين عن محيطها، فكيف تعلم نواياها، انتبهت إليها تهتف "ادخلي يا نهى لما تقفين على الأبواب هكذا؟" رسمت ابتسامتها الخبيثة ودخلت تهتف بما تحب قطة وترغب "من أين تلك العبادة الجميلة يا معلمة؟ لم أرى مثلها على أحد" تحسست قطة صدرها بفخامة ونفخت دخانها بالهواء تسأل "حلوة؟"

"أكثر من الحلاوة، واللون الأزرق سيأكل من جمالك قطعة" شمّرت أكمّام العبادة قاصدة إبراز خُلِيها حتى قالت نهى تتكشف الأجواء حولها "لابد أن تُخفي ذلك الذهب عابد يطمع به من أجل أولاده" رمقتها قطة بطرف عيناها وكأنها تنعتها بالكاذبة حتى عاجلتها قائلة "بالأمس طلب مصاغي وقال أمي سوف تُعطيني بعض ما لديها؟"

"وهل صدقتي كلامه؟" حكّت شعرها من تحت حجابها وقالت "بالأخير هم أحفادك" احتارت في معالم وجهها الضاحكة وأكملت تسأل "جئت إليك كي تنصحيني! ماذا أقول له" أمسكت ملقط الفحم تُغيره بأخر لتتهتف لمن ترأقها قائلة "أرى أنك غيرتي نمط حياتك الخبرة، لست بقليلة لتسألني" اقتربت حتى جلست على الأريكة المُقابلة لها وهتفت "عملت بنصيحتك، ألم يكن كلامك؟"

"تعجبيني" قالتها وفمها يلفظ دُخان النرجيلة في وجه من أمامها حتى قالت مرة أخرى "مع ولدي لا حيلة تنفع، اعرف طبعه، ما إن وضع شيء في رأسه نفذه"

"ما العمل إذن؟" قالتها تدعي الحيرة والجهل وبعد سكوت طال قالت وعيناها بعين قطة "تخلصنا من هم حتى وقعنا في الأشد منه" تطلعت إليها قطة تسأل "أين الهم يا ساذجة؟" مالت إليها تهتف "يا معلمة سيأخذ أبناء الساقطة ما دفعته طوال عمرها؟ أهذا عدل؟" احتدت عين قطة وكأن الشرر يخرج منها لتتهتف والكلمات تلقى بنفسها وقع "اسمعي؟ الرفض القاطع مع ابني هو الأسلم" قاطعتها بتعجل "أنتِ قولتِ لن يترك امرأ وقع في نفسه" سحبّت نفس عميق وأهدرت دخانها بقوة قائلة "إذن علينا أن نتخلص من ذلك الهم"

"كيف؟" تبسمت وهتفت ضاحكة "أنا قطة وأنتِ نهى وكما فعلناها سابقاً سنفعلها اليوم" تنهدت بغير فهم وهتفت "وضحي يا معلمة"

وضعت قدم فوق الأخرى وهتفت تزامناً مع دُخانها "مرري اليوم، وغداً فاعلٌ خير يُبلغ عن مكان الصبي" خرجت من باب الشقة وعقلها يعمل، سوف تنفذ خطتها على الفور ولكن هُناك زيارة لابد أن تفعلها، وصلت الي شقتها وما إن دخلت هتفت "أين أنت يا حُب؟" همست وهي تفتش عنه "لابد أن يتعقد الأمر أكثر"

\* \* \* \*

"أخيراً ستخرج؟" جلست وسط الزنزانة والنزليات حولها يحتفلون بخروجها بعضاً بمحبة وأكثرهم تخلص منها، لا تعلم كيف ستبدأ حياتها من تلك البقعة السوداء، إن ذهبت إلى الحارة فالكل يكرهها لا أحد يرجو قُربها حتى أختها؟ لم تتلقي منها حتى سؤالاً، أبنائها؟ لابد أن تأخذهم معها ولكنها لا تعلم ما حل بهم، هل مازال عامر يكرهها؟ ومن المؤكد زاد كُرهاً، وعُمر ماذا عنه؟ هي حتى لا تعلم عنهم شيء، وحيدة دون الأهل كُتِبَ عليها حرباً غصباً تخوضها! فتحت خطاب عمها خلسةً عليها تُشغل بالها بشيء آخر، تسابقت دموعها وهي تستقبل أذاره وكيف بحث عنها ولم يجدها لكن توقفت عند إلحاحه المكتوب تقرأه للمرة الألف.

"سلمى، ضعي ثقتك كاملةً في داود الرازي، هو مني وانا هو، اجعليه دوماً حائطاً تستندي إليه، أنا تعهدتُ بكِ لديه والرجل في خدمتك طواعية"

طوت الخطاب ووضعت في حقيبة صغيرة تخصصها ومالت تهمس الي دهب هانم قائلة "هل أثق في صاحب عمي المغرور يا دهب" تطلعت إليها دهب وقالت "لا تتقي سوى بنفسك، لكن لا بأس من مجاورته، لديه نفوذ سوف تساعدك" هزت رأسها دون اقتناع لم تعد ترغب في وجود أي رجل في محيطها يكفيها ما جنت، تبسمت والنساء يرقصن حولها وهمست لنفسها "فقط يُساعدني في أمر أبنائي وبعدها يذهب لحاله"

\* \* \* \*

وبالمساء دخلت من باب المشفى تُفتش عنهم، لمحت تلك الباكية فاقتربت منها قائلة "هل مازال في مرحلة الخطر" رفقها المرأة بريية حتى عاودت هتافها قائلة "أنا ممرضة بتلك المشفى" تنهدت المرأة بأسى وهمست "الحمد لله قدر ولطف" زاغت عينها وهي تجلس جوارها تهمس مرة أخرى "سمعت أنكم انتقمتم مع والد الجاني على المُصالحَة"

"سامحهم الله، سوف نتنازل عن المحضر لعل الله يُجبر خاطرنا" همست تميل إليها "يا أم أيمن الم تعلمي أن والدَة عامر مسجونة" انتفضت المرأة تضرب صدرها لتكمل الأخرى "اجل، وإن تنازلت سوف يعاود عامر الكرة، تلك عائلة معروفة بالبلطجة وإن دفعوا لكم الدية سوف يأخذونها مرة أخرى مُضاعفة رغماً عنكم وعن الشرطَة"

"ماذا تقولين؟ ومن أين" قاطعتها ناهضة وهتفت بها "اسألي بنفسك والدَة عامر فاجرة، سيئة السمعة، تقبع في السجن بسبب النصب والاحتيال، صدقي أو لا تُصدقي فهي تحايلت على بنك بأكمله" ابتسمت وهي تري النار تشتعل في عين المرأة لتهتف وهي ترحل "خُذي بتار ابنك وارفعي هامته، اسجني الولد فهو لا يستحق الشفقة، واخوه أيضاً، الاثنان خططوا للأمر برُمته يا غالية" تحركت المرأة من مكانها مهرولةً حتى وصلت إلى الضابط الواقف بين الرجال لتصيح به بقوة "لن نتنازل عن المحضر، وضم له محضراً جديداً باتهام عُمر أخُ عامر ايضاً، لا بد أن يُعاقبوا وتقطع أيديهم" خرجت من المشفى متوجهةً إلى محل البقالة القريب، ثواني وكانت تطلب رقماً لتهمس وعينها تضحك "أنا فاعلة خير أريد أن ابلغ عن مكان عامر عابد المُتهم في قضية قتل، اكتب العنوان الذي يختبئ به من فضلك"

\* \* \* \*

أستنفر أهل الحارة من مطلع الصباح والشرطة تُداهم الحارة وقد طوقوا الحي بأكمله والصبيان يصرخُ خان ببكاء وعابد يهرول خلف الضباط حافي القدمين، كيف عرفوا مكانهم ولم يقربهم أحد، صاحت المعلمة قطة وهي تقف أمام بيتها "العرق دساس، ويبدو أن الأجرام شمل أبناء الفاجرة" تحركت سيارة الشرطة وتحرك مثلها الأب باتجاه والدته وهو يهتف "لا وقت لذلك الكلام، بالله أعطني أي نقود أضعها أمام أهل الولد حتى نُنتم الاتفاق" تحركت ترمقه بقرق وهتفت متوجهة إلى شقتها "مالي بهم! هم أبناءك! فتولي أنت أمرهم يا عابد ثم من قال إن معي مالا؟" صعد خلفها السلم وهو يهتف "لديك من الذهب ما يزين الهرم يا أمي" التفت بنصف جسدها صوبه وصاحت بوجهه "أنت تطمع فيما عندي إذن!"

"لا املك شيء وأنت أعلم"

"لو كنت تعمل مثل العالم والخلق لما احتجت أحد، ولكنك تعمل فقط من أجل شراء الحشيش الذي تشربه" وقف على أعتاب شقتها وهتف يأساً "هل اليوم تلوميني ما سمعتُ اعتراضاً لك قبل سابقاً" جلست تُشعل النرجيلة وتهتف "لا املك لك شيء، دع السجن يرببهم كما يُربي أمهم" تركها يائساً وتوجه إلى شقته عقله متوقف عن إيجاد الحل لو كانت سلمى هنا لما تذلل لأحد، فتح دولابه يسحب بنطال وقميص لكنه تذكر تلك العُلبة التي تركتها الأولى كانت تحوي خاتماً ومحبس وسلسال ورثته عن أمها، غمغم وهو يفتش "ثمنهم يكفي مؤقتاً" صاح بصوته مستعجلاً "نهى، يا نهى" أقبلت عليه تلوكُ شيء بفمها تهتف "يا نعم"

"أين عُلبة سلمى التي كانت في دولابها" تقدمت إليه وسيرتها تقتلها لتهتف في وجهه بغضب "لا يوجد عُلب" التفت إليها موشك على الجنون ليصيح بوجهها "لا وقت لغبائك متأكد أنها هنا" تبسمت تُلقِي إليه حذاءه "هُم حقي يا عابد، ثمن العفش الذي لم تأتني به" تطلع إليها وقد توقفت يده عن ارتداء الجورب وهي تُهاثفه بإصرار علم منه ضياع الذهب "يكفي إنني ارتضيتُ النوم على فراشها، ليس لديكم شيء عندي" لم تُلَقِ منه رداً حتى تركها مهرول خلف

أبنائه علّه يجد حل قبل أن يضيع إلى الأبد، همست واللوم على ملامحها الشامتة "يومان، يومان فقط وسوف تنسى أبنائك عابد، بالأخير أنت لا يهّمك سوى نفسك"

\* \* \* \*

نظر إلى طاولة الطعام مُستغرباً منذ متى تضعُ كل هذه الأصناف، هل بها مرض؟" هتفت تضع السندوتشات بحقيبة لنا "كيف كانت مُقابلَةُ الأُمس" تناول قطعةً من التوست المحمص كما يُحبه وقال بهدوء "إنسانة باردة، فقط أُنتم خروجها وأسلمها ارثها ولن ترى وجهي ثانياً" تفحصت صدق ملامحه ودارت عينها عليه حتى قالت بجدية "ويوسف؟" رفع أنظاره يرمُقها بغير فهم وهمس "رحمه الله، ما به؟" عاجلته مُسرعة "هل سَتُخل بوصيته؟" تركّ الطعام من يده وهتف "ها أنا اعمل عليها وبحثُ عنها عاماً كامل" جلست بالمقابل لهُ وهتفت "ارتدي حذائك لنا " ثم وجهت أنظارها إليه تسأله "داود؟ هل نسيت اهم شرط بالوصية أم تغافلت عامداً؟" جرى إبهامه على حاجبه وهتف مُتحفزاً "بما تُلمحين يا دُرية؟ ها، ثم أرى انكِ استسلمت للأمر برمته" تملكها الغيظ لكنها حافظت على هدونها قائلة "الم يتوسل إلّك يوسف ألا تتركها؟ ثم ما حيلتي؟ صحيح الثروة كثيرةٌ عليها ونحن أولى لكن بالأخير هي الوريثة شرعاً" صمت وعقله يتذكر توسل صاحبه من فوق فراش الموت، كاد يُقبل يده وهو يُلزمه بها وبحمايتها، تنهد بغضب، ماذا لو علم يوسف شاكلتها؟ هل كان سيهتم؟، كان رقيقُ القلب يُعطي لكل شيء سبباً يضع الأسباب نُصب عينيه لكن ما عساه سببها حتى تمتنن أقدم مهنة مُخلّة عرفتُها البشرية، نهض ينبه صغيرته أن تستعد والتفت إلى دُرية مُحذراً "لا تفتحي تلك السيرة مرة أخرى" هزت رأسها ورسمت ابتسامةً لا مُبالية بالأخير سوف تسكن جوارها ولا بد أن تُصبح صديقَتها! بلا سوف تجعلها أختاً لها، مُنذ أوقعت شهاب في الكلام وعرفت خلفيتها فطنت لاحتياج مثلها للاهتمام والتماس العذر وهي لها!، ستحتويها لتكسب صداقتها وحينها تربح الهدايا والدعم المالي كما كانت تفعل مع عمها، لا عن طريق ابنتها رغم استغلالها ولكن الود والمحبة أولاً، ومن خلف مقود

سيارته ودع صغيرته ثم رفع هاتفه يسأل "شهاب أين أصبحت؟" هتف شهاب بصوت مضطرب "هناك أمرٌ جَلَلٌ سيد داود" أغمض عيناه وابتعد الهاتف قليلاً يُغمغم "أصبحت لا تُطاق شهاب" أعاد الهاتف إلى أذنه قائلاً "اختصر"

"تم القبضُ على أبناء السيدة سلمى المصري" صاح مُتفاجئاً "و هل خرجت حتى يلحقها أبنائها! ما السبب وكيف حدث؟" قص عليه ما سمعه، منذ بزوغ الشمس يقبع بالحارة والحي يتقصى أخبار ساكنيها وبالأخص أخبار زوجها وأبنائها ليتفاجأ بما حل بهم وما حدث، انتبه لصوت داود الذي أمره "اذهب وواتني بكل تفاصيل الأمر وانا سوف اذهب لإخراجها"

اغلق شهاب الهاتف مُتعبلاً وما إن بلغ أول الحي يفتش عن سيارته اصطدم بتلك الباكية دون قصد لتهتف به والبكاء يقتلها "ألا ترى؟!" هم بتوبيخها لكنه رق لبكائها وخطرت له بعض الأفكار المتضاربة ليهتف بما تمسك بعقله "اسف، تأثرت لحال الولدين ولم انتبه" انهمر دمعها بوفرة وتحركت تنهياً للرحيل ليُعاجلها سريعاً عليها تظل "أنا محامي أهل المجني عليه" توقفت تستنجد به وتهتف بما جال برأسها "الم تتفقوا مع والدهم على الصلح؟ لما تراجعتم!" تفرس لهفتها وسأل وقد تأكد حدثه "أرى أنك تهتمين لأمرهم أكثر من كونه شفقة!"

هزت رأسها بنعم وهتفت "أنا خالتهم" اتسعت عيناه وسأل مُتعباً من تلك الصُدفة "إذن كانوا في رعايتك؟" زاغت عينها على مباني الحي وهتفت تحك انفها "يا ليت! لكن والدهم منعهم تماماً عني" هز رأسه بلا معنى وهتف "لا بد أن الموضع ضخم لكني مُضطر للحاق بهم" تأهب للرحيل وهي تُطالعه بحزن ليناولها بطاقة التعارف الخاصة به قائلاً "إذا أردت أن نتواصل من أجلهم هذه أرقامنا" تناولت البطاقة وسألت "هل هناك أملٌ للصلح؟" تحرك مُسرعاً يركب سيارته ويصيح "لا اعلم سوف أتفقد أهل الفتى وموقفهم" اغلق السيارة وتحرك مُسرعاً وهو يهتف إليها "يا انسه؟ حدثيني في أقرب فرصة" هزت رأسها موافقة وتوجهت صوب بيتها باكياً وصورة أختها ترتقي أمامها، لأبد وان يجئ يوم المواجهة ومن الآن تجهل كيف ستبرر الخذلان، تنهدت وقد تسلفت سَلْم بيتها تهمس " لا بد أن تُجهزي حُججاً مُقنعة ليوم المواجهة" أغلقت

الباب تقرأ البطاقة التي بين كفها لتهمس "ربما أنتَ فرصةٌ لإبراءِ زمتي" ساورتها الأفكار لتقرر التواصل معه عليها تدفعه لإقناع أهل المصايب للتنازل وإن لم تُفلح فقد تابعت الموقف، ليس لها حيلة بعدما اختارت بكل إرادتها إهمال أبناء أختها بل تعمدت الابتعاد عنهم، نفخت وجنتيها وهي تتذكر مجيء عُمر يشكو قسوة نهى وجدته وإهمال والدته فما كان منها سوى طرده مُتعللة بفقرها وعدم قدرتها على مواجهة المعلمة قطرة التي ستعمل على هدر سُمعتها، فهم الصبي تملصها من مسؤوليتهم رَغَم حادثة سنه، تعلم ذكائه وذلك ما اثبتته موقفه حين لم يُعاود الظهور أمامها، لملمت شعرها وصرخت داخليا "يحدثُ ما يحدث، بالأخير لن أصلح العالم وحدي"

\* \* \* \*

تجمع أهل الحارة عند قسم الشرطة مُنتظرين سماع أي خبر عن الولدين أو عابد الذي دخل الي وكيل النيابة ومعه أهل الولد،

هتف الأوسطي علي السباك بحزن "يا لطيف يا رب" ليصيح شحاته جارهم "من ليس له أم حاله يُغم، وأمهم من جنت عليهم"

صاح علي السباك بغضب "لا تبدأ حديثك المُعصب يا شحاتة" صاح شحاتة بطبعه الحشري وقال بفم ملتوي "وهل قُلت شيء؟ أنتَ من تُدقق بكلماتي وكأن تلك الفاجرة أبنتك" هتف المعلم متولي قيل أن تنشب بينهم النار "صلوا على النبي، ليس هذا وقتُ حديثكم" تراشق الاثنين رصاص النظرات ليتقدم علي السباك صوب باب القسم علّه يفهم أو يسمع شيء تاركاً خلفه هذا الأفاقُ المُنافق، وبداخل هتف عابد إلى والد الصبي بعصية "الم نتفق على الصلح يا أبا أيمن؟ ماذا حدث" لم يلقى إجابة فتمسك بالصمت علّه يجد مخرجاً، مر الوقت كالقاتل المُتسلل ببطيء، لم تفلح مساعي وكيل النيابة للصلح رحمة بالصغار الذين قتلهم البُكاء وقسوة المكان، لينتهي أخيراً بأمر حبس عامر وعُمر ثمانية أيام على ذمة التحقيق حتى يتم النظرُ في تقرير المشفى والطب الشرعي، توسل عابد وكيل النيابة بكل كيانه، كيف سوف يترك أولاده مع المجرمين داخل هذا الحبس المُخيف، لينظر له الرجل مُستحقر أبوته وتركه

لأبنائه حتى وصلوا ها هنا، أحجم عن أخباره انه سوف يودعهم غرفة خاصة حتى لا يطأهم أحد، تركه متوجهاً نحو غرفته يرد على هاتفه قائلاً "الولدان برعايتي داود باشا، وأما والد المجني عليه فبعض الضغط أعتقد يُجدي" وقف الجميع على باب القسم وعقولهم تأبى التصديق، هل ضاع الولدان ومعهم مستقبلهم؟ كيف لم يستطع عابد تدبير بعض النقود ووالدته ملكة جزارين المنطقة؟ ترى سترك أحفادها؟ تفرقت الأسئلة دون جواب وكبلهم العجز حتى أصبحوا يتطلعون لمبنى القسم دون المقدرة على الجراك، هتف شحاتة يتحرك أمامهم "الوقفة لن تُجدي نفع دعونا نذهب ونبحث عن حل"

\* \* \* \*

أغلق هاتفه وعيناه تتفحص أوراق خروجها وهو يجلس بمكتب مأمور السجن لا يعلم هل يُخبرها بما حدث أم ينتظر حتى يعلم على ما تنوي، يتورط كل دقيقة في أمور حياتها وذلك أمراً بات يورقه، ما لبث حتى اتخذ قراره بالتصل منها حتى فوجئ بمشكلة أبنائها، تنهد وجرى إبهامه على حاجبه بمحاولة لإقناع نفسه بأنه سوف يوالها ظهره دون رجعة بعد تلك المشكلة، أنتبه لدخولها فتفقدتها بعين شملت كليتها، تهادت ببنتال يلتصق بجسدها وبلوزة رمادية ذات صدر واسع ليختفي نحول جسدها داخل معطفاً دثر حتى ركبتيها تاركة خصلات شعرها المموجة تنساب بحرية، نهض واقفاً وهو يستهزأ من هيئتها المنمقة متسائلاً بصمت، ترى من ساعدها في الحصول على تلك الملابس الباهظة؟ لا بد وأنها على اتصال بأحد رجالها! تقدم يذني إليها بعض الأوراق حتى توقعها ليلحظ تبرج وجهها الهادي، أرتفع حاجبيه يستقبل سؤال باغته "هل كانت مسجونة بإحدى دور الأزياء العالمية؟" أشار إليها تتبعه فرفعت حاجباً معترض لتتقدمه بعند فهل سيتعالى عليها من أول الأمر! تطلع إلى ظهرها متعجب وسأل وقد أصبح جذوها "مهلاً" أشار بسبابته صوب إحداهن لتجد السجانة قد جهزت أماناتها، وقعت بالاستلام وتفحصت أغراضها الخاصة حتى أمسكت بمحبس زواجها تتطلع إليه شاردة، دقيقة مرت تحت مراقبته لها لو ما يعرفه عنها خيراً لظن أنها تنعي عمراً كاملاً، تفاجأ بها تلقى أغراضها بالقمامة حتي أتبعتهن بالمحبس الذهبي فقط صورة



صغيرة تفرست بها، همست بصوت مكتوم "دعني نذهب" نهبت السيارة الطريق في صمت حفهم وهو يُراقب بطرف عيناهُ سكونها الشارد، وهي فلم تُبالي بشيء مما حولها فقط ذهنها عالق بفلذات كبدها، لا تعلم هل تستطيع ضمهم أم ستواجه بالرفض؟ التفت لمن جوارها تهتف بمفاجئة "أعلم أنك تقصيتُ عني فهل لديك خبر عن أبنائي؟" لا يعلمُ مجدداً يُخبرها أم ماذا؟ لذا هتف بما جال في خاطره "يعيشون مع والدهم وزوجته" تبسّمت وهزت رأسها تسأل "تزوج إذن؟" سكنت من جديد ولملمها الشرود حتى عادت مُباغته "من المؤكد أنهم يُعانون وذلك في صالحي، وبصفتك محامي هل ستسمحُ لي المحكمة بأخذهم؟" أرتفع حاجبيه عجباً من ثباتها ليهتف بها "دعينا نبدأ الأمر بالتراضي أولاً، أعتقد أن بعض المال يخلُ المشكلة"

"من تزوج؟" تطلع للطريق ثم هتف "لا أعلم، امرأة" قاطعتهُ تلفت بجسدها نحوه وتهتف ويدها تُشعل سيجارتها "علمت كل شيء ولم تعلم من زوجته؟" هدأ من سرعة السيارة إلى أن توقف والتفت إليها، يرمقها بقرف كتلك السيارة ليهتف "أولاً، لا تُقاطعي طالما أتكلم، ثانياً، أنا لستُ أعملُ لديكِ فلا تتجاوزي حدودك" نفخت دخان سيجارتها في وجهه وهزت رأسها موافقة لتهتف "الحقُ عندك، لهذا دعنا نتفق على توليك أموري القانونية"

"سوف أجدُ لك محامي آخر"

"يوسف أوصاني بك أنت" تقلصت جبهتهُ وهز رأسه يميناً ويساراً بالرفض يسأل بتهمك "لم أفهم" تنهدت وهي تتفقد المكان الخاوي حولها ثم التفت قائلة "هل سنبقى هنا؟ تحرك"

"جاوبي ما إن سألت" هتفت بشبة صياح في وجهه "عمي شدد على أن توليك أمري، ما الذي لا تفهمه" أعادت صياحها تنفضُ رماد سيجارتها "مؤكد ألزمتك نفس الشيء، فلا تتغابي"

هدر بها يُديرُ السيارة مرة أخرى "سافلة" مرت ساعتان أو أكثر حتى توقفت السيارة أمام منزلها الجديد ليهتف عليها بقرف "أنزلي" ترجلت وعينها تتفقد المكان بأكمله، بيوتاً مُتشابهة تراصت جوار بعضها وطُرق شديدة النظافة

يعدوا فوقها أناسٌ مُنمقة، تقدمها وكفه يدعوها تتبعه ليمر من البوابة الرئيسية يتبعها ممراً ممهداً، وصولاً لباب المنزل الداخلي، فتح البيت بمفتاح أخرجه من جيبه ودعاها قائلاً "أول أرتك! فيلاً يوسف المصري" دخلت تتطلع بالبيت بإعجاب لاح على وجهها لتقف بالبهو الواسع مأخوذة أمام صورة غُلقت على الحائط تمثل بها والدّها وجواره عمها وهي بعمر التسع سنوات أو قليل بينهم، ضحكاتها صافية وجسدها السمين يجلسُ براحة بين راحتهم المُتشابكة وضحكات ثلاث نُثرت فوق الوجوه كانت هي أجملهم وأكثرهم حميمية، تعجب بدوره من طلّتها الطفولية البريئة، كيف لم يرى تلك الصورة قبل سابق؟، ذكّر المرة الأخيرة التي زار يوسف بها المنزل في إجازة صيف بعيدة ولم يسمح له ضغط العمل بمصاحبتها! سعل يخرجها من شرودها ليلمح دمع عينها المُنزلق فوق وجهها، تلبك لا يعلم يُعزيها أم دواخله التي تشمئز منها تمنعه، مد يده بمفتاح البيت يتجنب لمس أمثالها، ليهمس وهو ينظر ساعة معصمه "أرتاح اليوم وغداً نفعل ما يجب فعله" تناولت المفتاح من يده تُسأل بنبرة جديدة على أذنه "داود؟ ما بهم أولادي؟" مسحت دمعها وأكملت "بالنهاية أنا أم أشعر وأحس ولدي شعورٌ قاتل بأن الولدين في محنة، لو كنت تملك ولداً مؤكد أنك ستشعر بما يُساورني من قلق" جرى إبهامه على حاجبه وتحرك تاركها وهو يهتف "لينا، أبنتي الوحيدة، أرتاح قليلاً وسوف الحق بك حتى نتحدث" أغلق الباب راحلاً قبل أن يسمع ردها، لا يعلم هي ورطة أم مأزق عليه الهروب منه، دواخله وعقله وكل شيء بالكون يرفضها ووصية يوسف هي من تقيدُه بل وتمد بينهم خيطاً كما الحرير ضعيفاً بظاهره ولكن مكمّنه قوة قاتله، أشعل سيارته متوجّهاً إلى مدرسة أبنته مُقررّاً النأي عن محيطها ولو مؤقتاً، سيُمسك العصا من منتصفها حتى يجد من يتولى شئنها وبهذا لن يخل بوصية أغلى إنسان على قلبه، أما عنها فما أن خلا البيت نفضت قناع الجمود الزائف لتجلس لأول مقعد أمامها تتطلع صوب أبيها وعمها مُعاتبة، كيف تركوها تهوى من بين أيديهم، أما كانت دُرّتهم الغالية، خطف الموت والدها دون إنذار وتقبلت أمر الله صاغرة مُستندة بعظامها اللينة لعمها ولكنه لم يرأف بتلك اليتيمة حتى أضاف يُتماً جديداً لها، دفنت رأسها بين كفيها في محاولة فاشلة لردع الذكرى لكنها كلما أغضت عن صورة استرسلت أخرى أشدّ ألم، شهقت نفس مؤلماً

وتفوقعت حول جسدها لتأخذ الدموع من روحها ما تأخذ، تعالت شهقاتها وقتلها البكاء وحيدة أمام عجزها بمواجه المجتمع القاسي، كيف ستردع الظلم عنها؟ وكيف تثبت براءتها؟ كيف تخرج من البئر الذي ألقوها داخله؟ دوامه من الأسئلة عجزت عن حلها، ها هو الغريب يُعاملها بما سمع وهي تعزّره، فما بال من يعرفونها! كيف ستقف أمامهم وشرّفها ملطخ بالعار والرديلة؟ والأهم أبنائها كيف تمحو تلك الذكرى المشينة عنهم وتؤكد لهم طهارتها؟ أوشك الجنون يمس عقلها وقبل أن تطلق صرخة يأس مدوية انتبهت لجرس الباب لتمسح وجهها وتسحب نفس ندياً بالدمع وبخطوات حاولت تذكرها اهتدت إلى الباب تفتحه، انكششت ملامحها وفاتنة شقراء تهتف إليها وكأنها تعرفها " مرحباً سلمى، حمداً على سلامتك حبيبتي!"

\* \* \* \*

وفي قسم الشرطة جلس عمر داخل أحضان عامر يبكي وينتفض لسانه يهذي "ماما؟ أين أنت؟" ضمه عامر بين ذراعيه وكنم البكاء خشية أن يفجعه، صار هو أمانه فإن هوى، هوى وتداعى بعده، نظر إلى الغرفة الموحشة رغم أثاثها الذي دل أن أحدهم يسكنها لكن فكرة احتجازهم كانت كفيلة بتلك الرعدة التي نفضت أوصاله، شدد ضمته على أخيه يهمس له كاتم البكاء "لا تخاف عُمر بابا لن يتركنا" علا بكاء الصغير وصرخ "لو كانت أُمي هنا لما حدث ما حدث، تعلم جيداً أن أباك لن يهتم لنا" تنهد وكيانه غير قادر على إنكار احتياجهما لها فهمس دون صوت ودمعة يتيمة كحالهم تتقهقر فوق وجنتيه الناحلة "لو تأتي وتأخذنا!" وكان الآخر شعر به ليباعد بجسده يُناجي أخاه سائلاً "لو هي دعوة واحدة عند ربي فأنا أريد أُمي، ألا تُريدها أخي؟" تبسم عامر وقد عانده الدمع فاحتضن أخاه قائلاً "ما زلت تأمل؟ كيف ستخرج من محبسها، حالها مثل حالنا وإذا خرجت كيف ستتهدي إلينا؟ كيف ستدفع الفدية عُمر؟ سجنها الفقر يا أخي" أنفلت زمام الفتى وهتف والدمع يتناثر من عينيه "سُجنت بسبب تلك السيارة الملعونة، والدك لم يكن يعمل، أنا صغير لكن أعني ليتني حرقت السيارة حتى أحرق دمه" لم يتفاجأ عامر من عدائه فهو من منعه من تلك الفعلة يوم شاهده يُدس زجاجة بنزين داخل حقيبة مدرسته، تنهد

مغلوباً وهمس يُداري سخطه "أهدأ أخي" صرخ عُمر من جديد والخوف يرتع في دواخله "سُنحبس ونُضرب سنُحرق بالنار ونُعاشر المُجرمين وأبي لن يُيالي بنا، سينسانا ويتحمد غيابنا" حاول عامر أن يُهدئ من روعه لكنه عجز، كيف يُحارب خوف بالأساس يتملكه!، كيف يُبعد تلك الهواجس التي تطرأ على عقله وهو يرى أخاه يُمتهن وهو عاجزٌ عن حمايته، كيف وهو الآخر في احتياج للحماية؟، تطلع لانهيار عُمر وما كان منه سوى البكاء الصامت وقد وقر أخاه في صدره مُستسلماً لليأس بكليته، فمن يرحمهم من العذاب ومن يشمل روعهم غير أم بعيدة كما ابتعاد السماء الصافية، فُتَح الباب فجأة فانتفض معاً ليقبل عليهم وكيلُ النيابة أدهم فما أن رأى حالتهم هاتف بصوت تملكته الرحمة "ماذا؟ أ يبكي الرجال" أنكمش الولدان بعضهم ليهتف عامر متوسلاً "بالله أخي لم يفعل شيء، أرجوك دعه يرحل" صرخ عُمر بانهيار وكفاه تتمسك بملابسه "لا لا بالله لن أترك أخي" حطمت الشفقة قلب أدهم فتقدم إليهم ممسكاً حقيبة ورقية وضعها أمامهم قائلاً "لا تخافوا دعونا نأكل ونتكلم قليلاً" تطلع إليه الصغيرين بريية ليهتف باسماً "هيا لا تخافوا، بين الثانية والثانية يُغيرُ الله القدر" فتح كيس الطعام أمامهم وهتف بوجه بشوش أوفد إليهم بصيصاً من الطُمأنينة "أنا جوعان جداً من سيأكل معي؟" تطلع إلى تمنعهم الصامت ليهتف بجدية "لو أكلتم حتى الشبع سوف أحاول الوصول لحل مع أهل زميلكم" هتف عُمر وعينه على الأكل "أقسم بالله أولاً" قهقه أدهم وهو يُشمر أكمامه قائلاً "إذن أنت المُشاغب الذي يأتي بالمشاكل وذاك درع حمايتك" بقلوب زلزلها الخوف تلاحم جسدهما معاً والخوف يحفهم ليبدأ عامر في إطعام أخيه هامساً "كل حبيبي أنت من الصباح لم تأكل شيء"

\* \* \* \*

صاحت بأهل الحارة المتجمعين بشقتها "هيا كل إلى بيتي، هل لدينا مأتَم وأنا لا أدري" صَب شحاتة زيتُه الحامي فوق النار المُوقدة ليهتف "قلوبنا عندك يا معلمة قطعة، نعلم مصابك ومدى حُزنك" عوجت فمها مُتهكِّمة وهتفت تطرده "مُصاب؟ قل غُمة وانزاحت من فوق قلبي، أولاد الفاجرة ولحقوا بها، يا فرحتي" تطلع إليها الرجال بغير تصديق من أين أتت بذلك الكُره لأحفادها كيف

لم يرق قلبها وهي تعلم ما قد يحدث لهم، صاح عابد متفاجئاً بموقفها الشامت "لما كل هذا الكره؟ أليسم أبنائي أم نسيت؟" صرخت والجميع مُنتبهاً لها "من أين تعرف أنهم أبنائك وأهمهم خائنة؟ يعلم الله من أي رجل جاءت بهم وألحقت نسبهم بنا" ضرب الرجال الكفوف ببعضهم وهالهم القول وهي تطعن نسب أحفادها، تسائلوا بصمت ما بال الكره والغل يملكها، أنزوت نهى جانباً تاركة الحلبة للأقوى ليهتف والدها بطبعه الطيب قائلاً "أتقي الله يا معلمة، حازري قَصِفُ المحصنات" جلست بهيمنة واضعة ساق فوق الأخرى وصاحت بصوت تملكته القدرة "نهى؟! أشعلي فحماً بسرعة" التفتت بعينها صوب الأوسطي علي وصاحت به "وأنت يا سباك الحارة ضع لسانك داخل فمك أو خذ أبنتك بيدك وأرحل" تدخل المعلم متولي وقد ضاق صدره من جبروتها ليهتف قائلاً "صلوا على النبي يا جماعة، هيا بنا دعوا الناس تهدأ" تفرق الجمع سريعاً يخشون لسانها لتخرج نهى بالفحم المشتعل تجز أسنانها وتسب مهنة السباكة واللقب معاً "متى سَتُغِير أسمك يا أبي؟! " سحب متولي علي السباك أمامه يهمس له "أصمت يا علي وإلا طُلقت أبنُتُك بلحظة غضب "أخفض رأسه قائلاً وهو يخرج مُرغماً "حسبي الله فيمن ظلم امرأة، كشف الله سترك" سحبت أنفاس النرجيلة بغیظ أبنها الصامت وقد شملهُ الذهول لتصبح بصوت سيؤثر به "فكر جيداً! ولدان لا يملكان من ملامحك شيء ولا طباعهم مثلك" سحبت نفس طقطق له الفحم وهبت منه ناراً زرقاء وأكملت والدخان يفصل بينهم "يا ولدي أسجد لله شكراً أن خلصك من العار دون حول ولا قوة" دفعت زوجته من خصرها تغمز لها وحديثها موجه له "هيا أنهض وأصطحب زوجتك علي بيتك، لا يفعل الله شيء سدى، تقبل الحقيقة التي خفت قولها منذ زمن" سحبت نهى كما خروف أوشك على النحر وهتفت بصوتٍ بدا ناعماً "هيا يا حُب دعني أخفف عنك الألم" أستمسك بغير عقل وما قل يجري به مجرى السُم ليهمس للفراغ "من أنتم؟"

\* \* \* \*

ومن أمام منزله رَمَقَ بابها لا يعلم أيخبرها بما جاءه على لسان أدهم أم عليه الانتظار، تأفف حيران وأتخذ قراره بإخبارها بالأخير هم أبنائها ولا بد أن تعرف، نظر إلى صغيرته المشغولة بما في يدها وأتجه صوب بيتها يهتف "لينا أذهب إلى البيت حبيبتي" دخل بوابتها الرئيسية ولم يلحظ شرود أبنته التي أتبعته أوتوماتيكياً، وبالدخل أوشكت على طرد تلك الثائرة التي لم تتوقف عن الكلام لحظه تارة تُعد صفاتها الحسنة وتارة تُعد محاسن الزوج المغرور ولكن ما أدهشها من تلك الدرية تباسطها، كأنها ولدت وتربت معها! دق باب البيت لتهب واقفة ودرية تسأل بفضول لا تعلم له قبلاً "هل تنظرين أحد سلمي" نهضت كما لو البيت يبتئها وتوجهت نحو الباب تفتحه ثواني وكانت تقف أمامه وهو يسألها بغضب "ماذا تفعلين هنا؟" طلت بقامتها الطويلة من خلفها وقالت تستقبله رُغمًا عنها "تفضل سيد داود" لم يُقابل ترحابها بشيء يُذكر غير أشاره لزوجته بالرحيل قائلاً "هيا لينا بمفردها بالبيت" انتهت الصغيرة وصاحت من خلفه "أي بيت؟ أنا ورائك بابا" أغمض عيناه لحظةً وهتف من بين أسنانه وإبهامه يجرى فوق حاجبه "هيا درية" وبطبعها الحشري هتفت وهي تُفسح مجالاً له وللطفلة "أعرفكِ سلمي، لينا أبنتي" تطلعت إلى الصغيرة التي تُقارب عُمر سنّاً بعين أم ذبحها الفراق لتهتف تستقبلها بحنان مبتور الأمومة "مرحباً بالقمر" تخطت لينا ساقى والدها تهتف لمن نزلت بتواضع لمستوى قامتها القصيرة "مرحباً، من أنت؟" قبلت كفها الممدود قائلة "جارتكم" تفرست الطفلة في وجهها والتفت تشد بنطال داود قائلة "عينها كعين عمي يوسف، رحمه الله بابا" اندهشت سلمي من ملاحظتها ورق قلبها لتهتف بطبيعتها المواربة "تفضلي لينا" هتفت الصغيرة وعينها تستكشف البيت "وجهك مُنتفخ مثل الضفدع، هل كنت تبكين؟" جلس الجميع ببهو البيت العصري داود يرمق درية بغضب وسلمي تاهت بعالم الطفلة وقد أفرج عن حنائها المُخبأ ليهتف داود دون مقدمات وقد أستاذ به فلة زوجته "سلمى هناك أخبار عن أبنائك" انتهت لنبرته العدائية المُتحفزة وابتلعت رَمَقها والخوف يغزوها ليعتدل مُشبك كفيه ببعضهم ويهتف دون مُراعاة الخوف الذي كتم أنفاسها "الصبيان مقبوض عليهم بجريمة قتل ومحتجزين في قسم شرطة مصر القديمة"

أجهزاً على الطعام بأكمله تحت عيون أدهم المتفحصة، فهمس بداخله يلعن التفكك الأسري الذي يدفع بأبرياء مثلهم لتلك لحظات مُظلمة، يعلم بخبرته وما لاقاه من مهنته أن المحنة ستقع في نفوسهم وتبقي ذكرى سوداء تُلطخ بياض عالمهم، ما الذي يدفع أباً لترك أسرته تغرق في ظلام المجتمع؟ أليس قواماً بما يملك وإذا لم يملك فهو قواماً بأبوته، والأم؟ أيعلم حافظ إبراهيم حين نعتها بالمدرسة أنها سوف تُصبح ماخوراً يحوي آفات المجتمع؟ التوى فمهُ وتنهّد مُتهكماً وعقله يقارن تلقائياً بين أمهات الزمن وأمّهات هذا الزمن شتان بين من أفنت عُمرها للتربية وبين هؤلاء اللاتي يبذلن العُمر في هُراء الشهوات القاتلة! تنحّج مُندهشاً وهو يُشاهد عامر ينظف مكان مأكلهم بعناية شديدة ويحُثُّ أخاه على غسل يدهُ ووجهه جيداً ليهتف بملاحظة تعلمها من مهنته "دع عنك كل شيء سوف يأتي من ينظف الطاولة" ولبسان كهل وملامح عجوز كسره الزمن أجاب الفتى رَغَم ملامحه الشابة المنمقة "ولما؟ نحنُ من أكل والنظافة شُعبة من الإيمان بالله ورسوله" تبسم أدهم قائلاً "يبدو أن مدرستك جيدة حتى تُعلمك تلك المبادئ المندثرة" هتف عمر وهو يخرج من الحمام الصغير المُلحق بالغرفة "ماما من علمتنا لا المدرسة" أرتفع حاجبيه اندهاشاً وهو يواجه تناقد بين سيرة المرأة وانعكاسها بأبنائها الذين بدأوا بتنظيف الغُرفة بمهارة وسرعة دلت على إتقانهم للأمر ليهتف بحذر قائلاً "قليلٌ من أمّهات هذا الزمن من تُعلّم أبنائها تلك الأمور" لم يلقى إجابة من أحدهم لكنه لاحظ فخر عُمر وتصلبُ جسد عامر رَغَم حركته، فطن لموقفهم الراهن وتساءل وهو يهيم بمساعدتهم رَغماً عنه تُرى ما كينونة تلك المرأة وكيف أقدمت على فعلتها؟ لما يستشعر تناقد ملحوظ بين الواقع المُلقى أمامه وبين ما نقلته السُن أهالي الحي، لابد وأنها نُقطة الفصل في جدال النفس الذي فرضهُ العقل! راقب الاثنين عن كسب مُقرر التحري عن أمرها بطريقة مُعاكسة خصوصاً وهو يعلم بسيرة والدهم والتي تلمسها بشخصيته الركيكة المُستسلمة أثناء وجوده وكأنه يتباطأ في أنقاذهم عن قصد، كيف يقف مُستسلماً دون جدوى، يبدو أنه من هؤلاء الكسالى الذين يوكلون أمرهم لغيرهم، أمسك هاتفه وكتب إلى داود "هناك ما يجب مُناقشته"

رن هاتفه بصوت الرسالة لكنه لم يقدر على مطالعتها، كيف يُهدئ تلك الصارخة الباكية التي ما إن سمعت الخبر انهارت كجلمود لفظه الجبل بيُسّر، كيف استدرجت شفقتُه وقد بات يكرهها ويكره سيرتها القذرة، أُنْتَبِهَ إلى تحولها المفاجئ وتوقفها عن البكاء والهذيان لتَهْتَفَ بصوت صلب ومُتَحَدِّياً "أريد الذهاب إليهم الآن" هم بإجابتها لكنه توقف إثر شرودها وتلك الحالة تكسوها ونظرة عينها الثابتة بتوعد وانتقام لتصيح به "هل كنت ستذهب دون أن تُخبرني؟ هل قلبك حجر؟ الولدان في خطر! أنتَ بني آدم عديم الحس" نهضت بغير راحة تشد شعرها وتغدو ذهاباً وإياباً حتى توقفت صوبه وهتفت بشبه تذلل تترجأه "أرجوك سيد داود ساعدني في ضم أبنائي لي ونجدتهم وبعدها لك مُطلق الحرية فيما تريد الفعل بي" قاطعتهم دُرية منتهزه الفرصة "ماذا تقولين؟ أنتِ بالتأكيد لا تعلمي وصية يوسف له"

"دُرية" صاح بها مُحذراً فهتفت له متوسله "أقسم لك لن أطلبك بشيء، فقط أبنائي وبعدها لن ترى وجهي مُطلقاً" هتفت الصغيرة وكفها يتمشى بحنان على ظهر سلمى "بابا؟ من أجل خاطري أحضر أبنائنا، إنها تبكي" نفخ بغضب، ها هي أسرت أبنته من أول لقاء جمعهم، نهض واقفاً وهز رأسه بالموافقة رافعاً سبابته بوجهها مُنبهاً "تلك فقط، وبعدها لا تُسمعين ذكرك" هرولت تلبس حذائها الرياضي ولملمت شعرها في عقدة خلف رأسها وقالت تتجّه صوب باب البيت "لك ما شئت، دعنا نتحرك" تقدمته مُسرعة تصيح بدُرية بلهجة حاسمة "شكراً لزيارتك ولكن ألزمني تعليمات زوجك ولا تقتربي من ربيبة سجون مثلي" خرجت دون أن تعبأ بوجودهم ليدفع دُرية تتقدمه هامساً لها بشر "سمعتي ها؟ هي لحاليها فهمت، على البيت من فضلك وحسابنا فيما بعد" جلست جواره بالسيارة تُنصت لحديثه مع أدهم يسأله بأي مشفى يقبع المجني عليه ثم ليتبع المُكالمة بأخرى يأمر شهاب بالذهاب إلى أهل الولد يتحسس موقفهم دون الإفصاح عن شيء، سمعها تُنبيهه بتوخي الحذر إن وجد أحد من الحارة أو طليقها، ليعود إليه مُنبهاً أن يتحسس الأمر دون ذكرها،

\* \* \* \*



ناولته سيجارة يعرفها جيداً وهمست تتحسس قميص نومها "هذه لك، عدّل مزاجك يا حُب" التقط السيجارة يرمقها باستفسار فقالت وهي تتخذ مكانها لتلتصق بجسده "وجدتُ قطعة حشيش تحت مفرش دُولابك" قبلت وجنته وهمست "لففتُها لك" دفعها عنه وأشعل ما بيده وأسلم نفسه إلى لهيبها الأزرق لتتهافت بدلال تعلم أثره "لا تُفكر فيما مضى يا عابد" تنهد يظفر أول أنفاسه الملوثة "وأبنائي؟" رَقَّ صوتها تُجيد ما تفعل "قدرهم ولا حيلة لك" تطلع إليها بجانب وجهه وتبسم قائلاً "جميعكم تكرهونهم" اعتذلت صوبه ومالت إليه "بل نعشق التراب الذي تُخطي عليه" تفحص هينتها بعين جائعة وهمس يسأل بحيرة "والولدان" خُفَّت صوتها وأسكنت عينها الحذر قائلةً "لعلهم ليسوا من صُلبك" تصلب جسده وصرخ بها "أبنائي والكل يعلم" تنهدت تناظره بتحدي ثم ابتعدت تدعي التأفف من دخان السيجارة تهتف بمكر "لا يعلم صحة نسبهم سوى من أنجبتهم! أمره أفتضح" سحب نفس غاضباً وأخرجه بقوة ماثلت صياحه "كلامك ككلام أمي" تقدمت نحوه مجدداً وقد فطنت عصابيته ما هي إلا ادعاء يوارى رغبة في التملص من المسؤولية الجاثمة، ألصقت جسدها بجسده بحميمية وهمست بخفوت ساخن "وهل حُب الأم يحملُ شبهة؟ حتى سلمى فعلت ما فعلت بدافع حُبها لأبنائها" تطلع إليها وعينه جرت على مفاتها قائلاً بتردد "اخرسي" مالت تكشف عن صدرها وهمست كما الأفعى بسُمها "فكر عابد؟! عُمر صورة مُطابقة منها، شعرُها وعيونها العسلية حتى خلجائها، وعامر؟ رجولي رُغم صغره يتكلم دوماً وكأنه هي حتى داء الوسوسة نفسُ جينها، عينها بالمطابقة، ملامحه لا تحمل شيء من ملامحك فما الشيء الذي ورثوه عنك؟" احمرت عيناه لا تعلم أثر السيجارة أم من الغيظ حين اقتنع بكلامها، كتمت الجرح بالملح وهي تعتليه بإغراء قائلة "عقابها على خيانتها لك سجن أبنائها بيدك، هكذا ترد كرامتك أمام الكل يا حُب" تجاوب واستجاب لها واخرس ضميره خنوعاً لكلماتها وقد وجدت في نفسه ما ساعده على التملص من المسؤولية مُقنعاً نفسه أن لو كانوا حقاً أبنائه لوضع الله في قلبه نار الأبوة، لكن قلبه دافئ مرتاح الدقات من جانبهم! شدد ضمها مُستعرضاً فحولته يُثبت لنفسه

أنه رجلاً لا يضاهيه أحد وبخُبثها صورته أمام عينه العَشْ أنه سيّد الرجال  
ما خُلِق قبله ولا بعده،

\* \* \* \*

وقفت وعينها على الباب الفاصلُ بينهم جوارها داود الذي قرأ اهتزازُها  
وأمامها أدهم الذي يتطلّع إليها بعين متفحصه بدءاً من شعرها حتى ذلك  
الحذاء الرياضي الذي جلبته لها السيدة ذهب، رفعت كفها صوب الباب تسأل  
بخوف "بهذه الغرفة؟" اتسعت ابتسامة أدهم يهز رأسه بنعم صامتة ويهمس  
"أهدأي أولاً" هتف داود وعقله يتهمها بإيقاع الرجل "أهدأي، ها؟ أهدأي"  
تقدمت إلى الغرفة بخطوات مُترنحة تدقّ دقة واحدة، فتحت الباب ودخلت  
إليهم صامتة، عامر جالساً مقابل لها وعمر يبدو ناعسٌ فوق قدميه، هتف  
عامر وكأنه يحلم بالجنة "ماما؟"

تقدمت ودموعُها تحكي مأساة عاشتها عامين متواصلين "عامر، عمر"  
تقدمت إليهم خائفة ردة فعلهم تزامناً مع اعتدال عمر الذي حك عيناه قائلاً "ليتها  
هنا؟ رأيتها حين أغمضتُ عيني تصنع لي رُقاق بالسكر والحليب" انفلتت  
شهقتها عالياً واقتربت حتى باتت تفصلهم عنها خطوة واحدة لتهمس رغم  
الرفض الساكن بعين عامر، "أنتم بخير" صرخ عمر واثباً بمباغطة صارخاً  
"أمي، ماما" شهق سأل ماما؟ هل أنتِ حقيقة" احتضنته وتتهيدة اشتياق تشق  
قلبها تزلزله وهمست وعينها تُناجي الآخر "اشتقتُ إليكم" قبلت كل ذرة بوجهه  
بينما هو يتشجج بأحضانها باكياً يهتف "للتو كنت أحلم بك يا أمي" غلب البكاء  
والشهقات كلماتها وأخذت الخطوة الفاصلة حتى أراحتهُ واقفاً دون إفلاته عينها  
تتفحصه، همست تلملم شعره الثائر "أستطال شعرك أكثر من اللازم عمر"  
أجابها يبكي "عامر يُحذرني دوماً من الذهاب للحلاق" أنزلت نظراتها تُعاق  
نظرات من يتطلّع إليها، تعلمه جيداً دوماً لا يستطيع البدء بمجاهرة مشاعره  
ليس كبراً ولكن طبيعة سنه لعل هي ما ألصقت به تلك الصفة حينما كانت تُنبهه  
كره التلامس، همست ورعدة الخوف تقطع كلماتها "ع! عامر؟"

هز رأسه بلا شيء ولكن الدمع بعينه كان لهم الغلبة في الرد مما جعلها تجلس صغيرها وتجلس الفرصاء أمام كبيرها وبدمع العين والروح تهمس برجاء "أقسم بالله بُني أنا ما فعلتُ شيء، أقسم لك كانت مكيدة لا أعلم من دبرها" طالعت دموعه التي تسربت من بين رموشه الكثيفة وامتددت يدها المثلجة بريية وقد صاحبتها ارتجاجة قوية تمسح دمعاً يذبحها، ارتعش جسده عوضاً عنها وانفلتت منه شهقة قوية وهو يُقبل باطنها الذي تلمسه، سحبته بقوة إلى أحضانها تكتم صرختها وتهمس "عامر؟ لا تبكي يا قلبي" أنخرط الاثنان في بكاء لم يُجربا مثيله وقد جذبته إليها حتى سكن أحضانها أرضاً وصاحت بشبه صراخ مكتوم "قل أنك تُصدقني؟ هدي سكرات قلبي بُني" وبعجز فاق عجزها أجاب مقطوع الأنفاس "شملنا الويل واليتم دونك يا أمي" سلخت الكلمات روحها كمن يسليخ جلد الشاة حيه لينهار ثباتها ويسقط قناع القوة المزيف عنها جلست والاثنين عن يمينها وشمالها تهزي وتلوماً الدنيا "لما أنا؟ ما ذنب أولادي وذنبي يا الله؟" ضمتهم بصدرها تهتز وترتعش "ماذا فعلوا بكم؟ ضربتم؟ ذقتم الجوع والخوف؟ الرعب واليتم؟ شاهدتم الكوابيس في لياليكم السوداء؟ من كان يدثركم؟ أم كنتم عراة الجسد والروح مثلي" هرول أدهم وخلفه داود نحو العُرفة وقد راقب كلٌ منهم الموقف عن كثب ليتقدم إليها الأول يهتف وهو يسحبها من فوق الأرض والمشهد ينكت قلبه "سيدة سلمى؟ تماسكي! أهدأي من فضلك" جذبها من الأرض وأسندها حتى جلست على الأريكة ليتبع بها أبنائها وقد رقت شفقتهم بهما ليتحرك إلى المُبرد الصغير يُحضر غُلبة عصير ويتقدمها قائلاً "أهدأي من فضلك، نحنُ بالآخر في قسم الشرطة سلمى" تطلع للمشهد كاملاً وقد تفاجأ بضعفها، أذهه من كانت تأمره بعناد، وما لها تتعامل ببساطة مع ذلك الأدهم، لا يعلم لما يتميزق بمنظرها رغم يقينه بمناورتها بمهنتها المقيتة، ظفر غاضباً من وكيل النيابة المُتطفل، لما يتدخل في أوقاتها الحميمة مع أبنائها؟ وعند ذكر الحميمية صاح بالجميع دون داعي "كفى وأهدأي! ها؟ أهدأي على القليل من أجل أبنائك" انتبهت لصرخته العالية وتفقدت المكان حولها وما زالت تحتضن أبنائها بحماية وتهتفت والدموع تُغرق وجهها "ماذا حدث؟ لما تصيح هكذا؟" رمقها بعين متوسعة ليجيب أدهم بابتسامة دافئة "لا شيء حدث، فقط انفلعت قليلاً سلمى" جرى إبهامه على حاجبه ونظراته القاتلة تتفقدهم، أهي

تدعي؟ أم هومن يتحينُ ضعفها؟ أستنكر طريقة تفكيره التي ذهبت به لمكان بعيد ليس له معنى مما جعله يُشير إليهما بسبابته مُحذراً "توقفا عما تفعلانه فليس له معنى ودعونا نناقش أمر الأولاد إذا أردتِ خروجهم سيدة سلمى" رفق أدهم بنظرة ذات مغزى وقال مُشدداً على الحروف "سيدة سلمى! ها! سيدة، سلمى! لا تنسى" قطع استفسار النظرات بينهم عُمر وهو يتقدم سائلاً بأدب يمسح دموعه بكم ملابسه "هل أنت ضابط عمّو؟" هتف عامر به أنفاً وقد تطابق شكله مع شكلها "كفا قرف" هز رأسه بجنونٍ منهما وهمس وهو يتجه خارجاً "اثنان آخرين مماثلين لها؟ لا، هذا فوق طاقتي!"

\* \* \* \*

تمسكت بهاتفها وبطاقة التعارف بكفها الحر لا تعلم هل تُحدثه أم ماذا تفعل! تُريد وبشدة أن تعلم ما آخر تطورات الموقف مع أبناء أختها ولكنها تخاف كونه محامي الخصم، تعلم أن تفكيرها معوج لذا تخاف افتعال شيء أو تصدر منها كلمات تُأزم الموقف، اتخذت قرارها وطلبت أحد الأرقام المكتوبة أمامها مقررّة إلزام نفسها بالسؤال فقط وعدم الإجابة عن أي أسئلة، جاءها صوته وهو يسأل عن هوية المُتصل لتهتف بصوتٍ مهزوز حذر "مرحباً سيد شهاب، أنا سها؟" هتف بالمقابل وعقله يعمل على التذكر "سها من يا فندم" ترددت بتعريف نفسها فهتفت بما جال بخاطرها "كنت أود الاطمئنان على سير القضية" ظفر متهدداً وقال "أي قضية فهم كثر؟"

"قضية الطفل أيمن، الولدين عامر وعُمر" تذكر هينتها الباكية مما جعله يهتف مُتذكراً "أنتِ خالتهم؟" هتف يتخذ جانباً في رواق المشفى "الصراحة المشكلة تكمن في والدّة الصبي، مُتعتة بشكل متطرف؟"

"ألم يوافقوا على الصلح من قبل؟"

"اجل، ولكن المرأة تتخذ موقفاً من والدّة الصبيين، تتهمها بالبلطجة والنصب" "يا ربي، إلى متى ستتحمل ذنباً ليست لها؟"

"وضحي من فضلك يا سُها؟ أي ذنوبٍ تقصدين؟" صاحت تُدافع عنها في سابقة لم تحدث من قَبْل "مُنذ صغرها والظلم يلحُفُها، بدءاً من أبي وتباعاً زواجها وصولاً للفضيحة التي ألّمت بها وها هم الناس يتهموها بالنصب والبلطجة" انتبهت إلى انفعالها فعضت لسانها تمنعه الزلف بما يُدينها تزامناً مع لمحّه والدُ الصبي أيمن ليهتف بهمس وهو يتحرك لموقع أكثر أماناً " أسمعني، دعينا نلتقي ندرس كيف يمكن مساعدتها" هتفت وظنُ السوء يتملكها "كيف المساعدة وأنت محامي الخصم؟"

"أي خصم أنا محامي عينه وكيل النيابة لأولادها" سكنت والظن يتأرجحُ بها حتى عاود هتافه مرة أخرى "سُها، لابد أن أنهي المكالمة ولكن سوف أعاود الاتصال بك لاحقاً" تركت الهاتف تُوْنِب نفسها على ما قالت تحاول أن تتذكر بماذا قدم نفسه لها، قال انه محامي الخصم ولم يذكر انه محامي أبناء أختها، انتبهت إلى رنات هاتفها لتجده عاود الاتصال بها ولكنها أمتنعت عن الرد حتى تُلملم أعصابها وترتب أفكارها، هم بالاتصال مُجدداً لكنه أُنْتَبِه لوصوله القسم فوضع الهاتف في جيبه وتوجه بعد أن صف سيارته إلى القسم وعينه تفتش عن داود ليخبره بما سمع في المشفى، دقائق حتى لمحّه وهو يجلس مع أدهم ومعهم شابة تبدو جميلة لوما كانت فاتنة ليتقدم وعينه تتفحصها ليهتف دون انتباه "مرحباً سيدتي؟" نظرت إليه باستفهام مغزاه من أنت؟ وأدهم مُبتسماً كعادته، رمقه حتى قال مُشيراً إلى المقعد الخاوي "أجلس هنا!" هز رأسه بخوف، لا يعلم من أيقظ الوحش!، جلس يتحدث بصُلب الموضوع قائلاً باندفاع "والد أيمن يريد الصُلاح طالما هناك دية، المشكلة بالأُم، تقول سلمى فاجرة ونصابة ولن تسلم من بلط جيتها، فالأمان أن يُسجَنَ أبنائها" هبت واقفةً وهتفت بعصبية "أبناء الأبالسة، ومن أين تعرفني لتحكم علي؟" صاح شهاب مُتفاجئاً "هل القمر سلمى المصري؟" فعاجله داود غاضباً "هل جُننت؟! ماذا تقول أنت؟" نظرت إلى داود واتبعت نظرها صوب أدهم تسأل مُتغاضيةً عن كلمات شهاب التافهة "ماذا؟ ألم تُخبروني بأن عابد نقلهم مدرسة بعيدة لم يعرفهم بها أحد؟ فما تفسير هذا الكلام الفارغ؟"

رد أدهم بمهادنة "كم مرة سوف أنبهك أن تهدئي؟" أنفعل داود هاتفاً "أهدأ أنت أولاً" مسحت على وجهها وشردت وكأنها تحل أحجية الأنظار عليها حتى هتفت "اسمعوني من فضلكم" أشار لها داود مُمتعض من طبعها "أجلسي أولاً" جلست تُسند معصمها إلى ركبتيها في جلسة رجولية وقالت تُشمر أكمام معطفها وقد انحسر ليكشف عن بنطالها الضيق "سأذهب لمقابلة أهل الولد!" هم داود بمقاطعتها فهتفت برجاء أسكته لتقول بلطف ظهر عليها لأول مرة "داود؟ لابد أن ترى المرأة تلك البلطجية الفاجرة حتى تقتنع ما إن كانت هكذا" بسطت كفها على صدرها وأكملت "وذلك دوري"

"اقتنعت بوجهة نظرك سلمى" قالها أدهم وهو يرمقها بإعجاب حتى أولته اهتماماً تُكمل "عظيم، طالما اقتنعتم دعوني أسرد الخطة كما برأسي" حك داود جبينه وتنهّد مفكراً فيما اقترحت وبمجرد أن هم بمناقشة الأمر سبقه أدهم بالقول "تلك خطوة تُحسب لكي سلمى، السلطة دوماً تُخرس أفواه البشر ومن موقفك سوف تقلبي الحدث" هزت رأسها موافقة وأردفت "هذا ما أعتمد عليه، مُجرد ما أظهر بمظهري الجديد ستتقلب الموازين وستشاهدون بأنفسكم إلى أي منقلبٍ ينقلبون" هتف شهاب موافقاً "أنا معك" أتبعه أدهم مُقرراً "وأنا من سيرافقك، إن شئت طبعاً" تطلع إليهم بغضب وقال ناهضاً "إذ اتفقتم! فلا حاجة لوجودي إذن" هتفت توقفه "كيف؟ دورك هو الأهم داود" تطلع إليها وكلماتها تُلقي في نفسه غروراً مُحبباً "دوري؟ ها؟ أي دور سلمى هانم؟" توترت نظراتها وتفرقت بينهم فشدت من معطفها حولها وهتفت بخفوت حذر "أنت من سيرافقني!" أغضت عين واحدة لتشاهدهُ بالأخرى وهي تسمع صيحته "نعم؟" تلجلجت خوفاً من نظراته وهتفت تُشير إلى أدهم "الكل يعرفه فلا يمكن أن يظهر معي، أما أنت؟" تطلع إليها يهز رأسه بماذا؟ حتى عاجلته قائلة "وكيلي! المحامي الخاص بي، ووكيل أعماله" اتسعت ابتسامته التي أظهرت وسامته ليُشير على نفسه يتطلع إليها بعصبية قائلاً "إذن جعلتني أعمل لديك؟ هكذا الأمر إذن؟" تقدم إليها قاطعاً الخطوات وأشهر سبابتها بوجهها قائلاً "يا لا خُبت النساء" تربعت تكتم الضحك على ملامحه وقالت "حسناً سوف اعتبر إهانتك موافقة" أشار صوب باب الغرفة المتواري بها الولدين قائلاً "وأبنائك؟"

هل ستتركينهم هنا حتى تُحققي انتقامك" هزت رأسها رافضةً وسألت "كم الساعة" رد شهاب وهو يتطلعُ إليها "السابعة والثلاث" تركتهم متوجهةً إلى أبنائها تهتف "علينا التحرك حالاً يا داود" لم تترك له رداً وقد اختفت خلف الباب ليهتف أدهم مُبتسماً في وجه الآخر يقول "مُتحمس لأراها تنتقم" رمقه بنظرات مُبهمة وسأل بتعجب "بماذا كنت تُريد أن نتحدث أدهم؟" أشار بالانتظار وهو يلتقطُ هاتفه من جيب خُلتِه قائلاً "لحظة" أبتسم وهو ينزوي جانباً وأردف "مرحباً حياتي، لا مازال أمامي عمل، يبدو أنني سأعود متأخراً" اغلق الهاتف قائلاً "خطيبتني؟" تنهد داود والأفكار تتأوشه بنوايا الرجل، يعلم رجال الشرطة وغرورهم والأخرى لا تضع مع الغرباء حداً فاصلاً، أغمض عينه وتأفف هامساً "سافلة" احتضنتهم بقوة وابتعدت بلطف قائلة "استعدوا، إن شاء الله سوف أخرجكم الليلة، ولكن!" قبلت كلاً منهم وأكملت تسأل "هل لديكم مانع من العيش معي؟!" هتف عُمر يتمني "أرجوكِ ماما خُذينا معك" تطلعت إلى عامر الصامت وهزت رأسها تحته على الرد ليسأل بتحفظ "أين سنسكن؟ وكيف سوف تدبرين الأمر؟" احتضنته وقبلت وجنته تهتف "سلم لي خيرُ الرجال، هناك الكثير والكثير لأبد أن أقصه لكم ولكن أولاً سأذهب لأسوى أمر خروجكم" تطلعت لنظراتهم السائلة فقالت فرحة "اتفقنا؟" هزّ الاثنان رأسهم بالموافقة لتهتف وهي تتركهم "انتبهوا على حالكم، لن أتأخر"

\* \* \* \*

هتفت عليها ما إن رأتها تدخل من باب البيت مُسرعة "تعالى يا زوجة أبني" تفحصت نهى جلستها فوق الأريكة وهتفت تتحى لها "نعم يا ست الكل، أراكي تصغرين بالعمر يا معلمة قطة! ما شاء الله من يراك لا يظن أنك جدة" استعرضت جسدها البدين كما وإنها رشيقة صغيرة السن وخمست بوجهها بغرور طبعها وهتفت "معلوم، فقد تزوجت وأنا ابنة الاثني عشر عاماً" لوت نهى فمها يمين ويسار وهتفت تُثني عليها "أعلم، أعلم، أمي قالت إن بنات المنطقة كانوا يغارون منك، وكنت أجملهم" قهقهت منتشيه وهتفت "دعك من الكلام وأخبريني، أين زوجك؟" أشارت بللا شيء ثم ردت "ذهب يعمل على سيارته" لوحت لها قائلة "إذن واسمعي" انتهيت بكل حواسيها واقتربت جوارها جالسة بحذر "لابد أن نُكمل خطتنا"

"وهل بقي شيء لم نفعله" قلبت عينها وصاحت "أفهمي يا غبية! سلمى حُكم عليها بثلاث سنوات كامله قضت منهم اثنان أو ثلاث وسنة السجن تسعة أشهر إذن؟"

"إذن ماذا؟" قالتها نهى تهز رأسها بجهل، فصاحت قطة تضرب جانب رأسها "افتحي ذلك المُغلق، ستة وثلاثون شهر قضت منهم أكثر من ثماني عشر إذن بقي القليل ونجدها أمامنا تُطالب بأبنائها" ربت قديميها وقالت غير مُبالية "تظهر! حينها سوف تركض خلف أبنائها ثم إن حبستك خاطئة سلمى أخذت سبع سنوات لا ثلاثة" تنهدت وصاحت بها "يا غبية نحن لم نضمن مصير الولدين فلا بُد أن نعمل على تشويه سُمعتها بين أهل الحارة حتى ما إن ظهرت قابلوها بالطرد والعار، ماذا سيحدث لو خرجت بعفو صحي أو خرجت بعفو رئاسي" شردت بعيداً في تلك المعضلة حتى سألت "ما زالت تحمل الفضيحة فوق أكتافها فماذا سنفعل أكثر؟" تبسمت قطة بمكر وهتفت "لابد أن يعلم الجميع أن الولدين ليسوا من صُلب عابد، كي لا تصمت أفواه الخلق"

"وهل سيصدق أهل الحارة ذلك كلام؟ وأبنك؟ كيف يقيم هامته أمام الجميع؟" رفعت حاجباً موشوم بعناية وهتفت وهي تدعوها للاقتراب أكثر "اسمعي ما سوف نفعله وبعدها أحكمي" همست إليها بخطتها كاملة حتى قالت "وبهذا سوف يُصبح ولدي ضحية تستحق الشفقة والمؤازرة" صاحبت نهى بعين



جاحظة " معلمة قطة؟" هتفت قطة غاضبة "لا تقولي لم تفهمي؟" رمقتها بذات الجحوظ وأشارت خلفها قائلة "بلا، لكن إبليس خلفك يبكي تفوقك عليه" فهتفت قطة بكل صوتها وضربت كتفها تهتف "تلميذي وأنا المعلمة"

\* \* \* \*

"داود" قالتها مترددة وهي تجلس بالمقعد المجاور له بالسيارة، همهم يقود بانتباه "نعم" ران الصمت بينهم حتى عاودت قولها "داود" استشعر أنها تريد طلباً من مطالبتها التي بدأت ولن تنتهي ليهتف مره أخرى "قلت نعم؟" تطلع إليها بطرف عينه حتى عاد ينظر الطريق أمامه قائلاً "تكلمي أو أصمتي دون نداء داود، داود" تتحنث وأصابعها تتلاعب بعضها "كنت أريد شراء ملابس غير هذه" تطلعت صوبه تستكشف وقع طلبها لتهمس بخجل "إذا سمحت" هز رأسه موافقاً وهمس "تمام" هتفت تُبرر له "لا بد أن أقابل المرأة بمظهر رسمي بحت" أنحرف عن مسار الطريق مقررأ أخذها لشراء ما ترغب ناظم على ما يفعل، بات الأمر له إرغام مُقن بالأدب ويبدو أنه يتنازل صاغراً وذلك أمر يراه منكرأ، بحياته لم يذهب مع إحداهن لشراء شيء حتى زوجته، توقف عن فعلها منذ أن أصابه الأمر قديماً بالملل، هل بات خادماً عوضاً عن كونه مُحامياً ذو صيت وسُعة، والمُشين أنه يصطحب مُلوثة سافلة، توقف أمام أحد المُولات التجارية المشهورة وصَف سيارته يدعوها غاضباً "تفضلي" هم بغلق باب السيارة ليتوقف يميل إلى جلستها يسأل مُستفهماً "ألن تنزلي؟" وضعت سبابتها بين شفاهها تقرضها بخجل وتطلعت له بنظرات أدهشته، فتسائل بعجب كيف تتحول بلحظة كما هرة ناعمة بيضاء اللون، أغمض عيناه يأساً مما يُخالج عقله وهتف وإبهامه يجري على حاجبه "سلمي؟ تفضلي"

"داود" قالتها بخفوت، ليرد بعينه المغمضة "أنحرق داوود وأنت معه! نعم" تتحنث بخجل وقالت سريعاً "أنا، أنا لا أملك نقوداً" أنهت جملتها بصوت باكي ليتعجب، أتملك عزة نفس؟ أغلق باب السيارة بعنف وألّف نحو بابها يفتحهُ وهو يُغمغم "تخجل من طلب المال! كيف؟ أوليس أساس مهنتها الفاجرة؟"

فتح بابها يدعوها بقلة صبر وجفاء قائلاً "هيا، دعينا ننتهي الوقت ينفذ" رمقته وقد تَبَيَّنَتْ مكانها ليصرخ وهو يسحبها بعنف "سوف أخصم كل قرش من أرثك هل ظننتِ أنني سأصرف عليك"

ارتاحت وأخذت تتفحص المحال وسريعاً ما استقرت على زياً ما فتركته مع هاتفه لتخرج ترتدي حُلة رسمية رمادية اللون أسدلت فوق حذاء ذو كعب عالي رنان، تطلعت للمرأة التي صادفتها والتفت نصف التفتاة تُتَمِّم على مظهرها حتى هتفت وهي تتقدم بخطوات رشيقة ذات صخب "انتهيت، هيا بنا" أرتفع حاجبيه وهو ينهض وعينه معلقة بها وهتف وما زال يتفحصها "انتهيت بسرعة؟" تحركت بعجل قائلة "مُجَرَّدُ زي لا يستحق إهدار الوقت" هز راسه موافق ليدعوها للرحيل وعينه تتطلع لها بقرف إثر فتحة البلوزة التي استقرت تحت الحُلة وقد كشفت جزءاً من صدرها ليهمس وهو يتقدمها "سافلة" همست تتبعه "هل جلبت الرجال" أغمض عينه وكلماتها تذهب به إلى سوء الظن "سافلة" وصلا السيارة ليهتف وهو يُديرها "بالانتظار عند باب المشفى" رُجت المشفى إثر الحركة المُفَاجئة وتطلعت العيون لصاحبة دقات الكعب العالي وذلك الرجل صاحب المعطف الطويل ذو الملامح المُغلقة، أفسح الرجال مفتولي العضلات المجال لهم، تقدمت بهالتها المُجحفة تُناظر التي رمقتها وزوجها بعينا متسعان وفمٌ مُدلي لتهتف بهم بثبات وثقة "سلمى المصري، والدَة عامر وعُمر" ابتسمت نصف ابتسامة لم تصل عينها وهتفت مُجدداً "جئتُ نُنهي المسألة"

\* \* \* \*

صف سيارته في ركن آمن ليمر من أمام مقهى المعلم متولي شارد الذهن غير منتبه إلى السلام المُلقى عليه ليتبادل شحاتة النظر مع متولي قائلاً "ما باله اليوم" همس متولي وما زال يتفقد بنظراته "حزين على أبنائه" مط شحاته شفثيه وبادلهم همس "من الحزين؟ أنه غير مُبالي يا معلم، لا بد في الأمر سر" تنهد متولي يائساً وشحاتة يصيح بقوة "ما بك يا عابد وكأن أحدهم ضرب رأسك" أنتبه عابد لأسمه غير عابئ بما قيل ليتهف وهو يتقدم إليهم مُلقي سلاماً فاتراً، دقق شحاتة على ملامحه وأفرج عن ابتسامة لئيمة كشفت عن اصفرار أسنانه وهتف "يبدو المزاج عالي اليوم، عينك وكأنما تلونت بالدم" تقدم عابد يسحب مقعداً ليتسم ويهز رأسه بلا معنى وهتف مُستغرباً "رأسي بغير مكانه يا عم شحاتة، سوف أجن" ضحك شحاتة وتبسم المعلم متولي بامتعاض ليتهف الأول هازئاً "منذ متى! أنت مُعتاد على شرب ذلك الزفت منذ زمن"

"ليتني ما شربته حتى لا أشاهد الخيالات يا عم شحاتة" تطلع شحاتة صوب متولي عيناه تستفسر بصمت ليهمس بلؤم "هل الصدمة أطاحت بعقله؟ ولما مُصفر الوجه وكأنه شاهد الجن؟" أخذ يُحرك الحصى بين قدميه شارد الذهن يتساءل أهي حقاً أم أخرى تُشبهها، رغم نحولها وهيئتها الجديدة تعرف عليها، ليت أقدامه ما وطأت ذلك الحي المخملي، اليوم تمثلت أمام عيناه المُخدرة ليلعن الظلام الذي حال بينه وبينها، مازالت جميلة وازدادت جمالاً بتلك الهيئة الفخمة! انتبه إلى فرقة أصابع العم شحاتة أمام وجهه "أين شردت يا جدع" نهض تاركهم دون رد وما زال عقله زاهلاً، تائهاً الحيرة تُأرجحه أهي أم شبيهة لها، ماذا ستفعل حين تعلم ما صار لأبنائها؟ تنهد بيأس وتهذلت أكتافه ليجلس بعتبات السلم مُفكراً، هل كانت خائنة؟! أجاب بصدق سبق العقل مُحال، الخيانة لا تخطر ببالها، تذكر يوم ميلاد عامر وهو يطير بأجنحة السعادة ما إن طل بوجهه، فكيف اليوم يتصل منه ومن عمر؟! ضغط جانبي رأسه بقوة، يعلم ما توسوس له نفسه، ألم يقر بعد سجنها برغبته للتصل من المسؤولية للدرجة التي جعلته يتمنى موتهم! علّه يترك تلك الحارة وسكانها، متى سيضحك الحظ له ويصبح من ذوات الهيبة الطاغية؟ تحسس ملابسه

وأستعرض طوله الفارع، وسامته التي طمستها الحارة، يجب أن يجعل من نفسه شيء ذو قيمة، سيُنفذ الفكرة التي استحوذت عليه، قد ذال أكبر هم وعباً في حياته "أولاده" نهض إلى شفتيه وعقله يُخمر الفكرة المجنونة، ولجّ باب البيت ليجدّها جالسة أمام التلفاز فرمقها بملء عينه وهمس "سوف تسعد بنت السباك بما أفكر" تقدم إليها يخلع قميصه ويهتف "نهى؟ دعينا نغير حياتنا للأفضل" جمعت ما بين عينها في محاولة لفك شفرات كلماته ليجلس جوارها قائلاً "لدي فكرة تجعلنا أثرياء بلحظة" التمتعت عيناها بالطمع واعتدلت صوبه تهتف "معك حتى جهنم"

\* \* \* \*

تطلعت إليهم بقوة وتحركت تسحب مقعداً ولم تنسى أن تمسح سطحه بمحرمه ورقيه قبل أن تجلس أمامهم، مالت إليه تهمس "داود؟ كُن معي كلمة بكلمة" أماء برأسه موافقاً لتجلس وقدمها فوق الأخرى تهتف بثبات لا تعلم كُنْته "طلباتكم" ردت أم أيمن بغل بلغ عينها "رقبة أبنائك البلطجية" ابتلعت رُمقها بخوف لم يصل لعينيها وهزت رأسها موافقة لتُشعل سيجارتها قائلة وعينها بعين من أمامها "أولاً، أبنائي ليسوا بلطجية، ثانياً، أبنك من بدأ وسأرفع عليكم دعوى سب وقذف وأحضر شهوداً بالعدد الذي تُجيبين عدّه" نفضت رُماد السيجارة ومازالت تحبس عين المرأة بعينها لتميل إليها قائلة "القانون بحرّه غادر فالقرار لك، نغرق معاً أو ننجو معاً" رجفت عين المرأة وتطلعت لها تسأل "أي نوع من الأمهات أنت؟"

"أسمعي، أنا أمراه تحملت الظلم لأجل أبنائي، أكلت النار ولم أصرخ، أحرق العالم ولا يطل عين أبنائي دمعة"

"تهددينا إذن!"

"توء" قالتها باسمه وأكملت "فقط أشرخ لك، أتعلمين؟ لا شيء سيُرجعني خطوة واحدة" ألقت سيجارتها تدعسها بمقدمة حذاءها وأكملت بثبات "ماذا لو خرجت وأخبرت الجميع بأنك مُرتشية؟" رُمقتها المرأة بخوف وهمت بسبها

فقاطعتها مُبتسمة وأكملت "ثم ظهرت براءتك، أي سُمعة ستبقى لك؟ علماً بسمو شرفك" اتسعت بسمتها المُستفزة تحت نظرات المرأة الهادرة وأردفت "هكذا المجتمع يعلم براءتك لكن الناس تظلم، مجرد كلمات جعلتك قاضي في مُحكمة ظالمة" تطلعت المرأة لزوجها المذهول تسأله المشورة بصمت تُقر بجبروتها وعزمها دون إبداء رد، وبدورها قذفت سيجارتها الثانية ومالت تُلقي إليهم عرضها السخي "حسناً، أبنك سيُنقل لأكبر مشفى وأنا بنفسى سأشرف على تمريضه، وعربون الصلح مليون جنية عدأً ونقدأً" ارتفع حاجبي الأب وآلام بصدمة لتطرق الحديد وهو ساخن قائلة "معكم خمس دقائق على الرد" نهضت تنظر إلى داود المراقب لها تسأله ليسحبها من معصمها جانباً ومازالت تُذهله "ماذا فعلتي؟" أفرجت عن خوفها أمام عينه وهمست "هل وُفقت؟" أشار نحوهم وهم يتشاوران وهمس وهتف بخفوت "تطلي بنفسك" انتبهت لهتاف المرأة الذي كشف موافقتها وهي تسألها "ما الضمان بأنك لن تؤذي أبنى؟" تقدمت إليها ولان وجهها لتهتف بصدق "يا أم أيمن بالأخير أنا أم" رمقتها المرأة بمكر فالتقطت نواياها قائلة "أجل سُجنت! لكن الله يعلم كم ظلمت" قاطع حديثهم خروج كبير الأطباء يتقدم إليها قائلاً "سلمى؟! تبسّمت لتتقدم مُرحبة "دكتور فاد رشدي، لقائك من حسن حظي" أمسك كفها وهتف "وصلني أخبارك وحزنتُ مما سمعت" انخفضت عيناها بصمت ليهتف الطبيب يدعوها للبدء من جديد ومُحذرها من تتبع الماضي، كما عرض عليها الانضمام لكادر التمريض بالمشفى الاستثماري تبعه فمُنذ غيابها لم يعوّض مهارتها أحد، أهدته وعداً بالتفكير والتفت لأم أيمن تهمس بمحبته "يعلم الله نواياي وبينى وبينك الأيام تبرهن لكى من سلمى المصري" تخطت الثالثة فجراً وها هي تجلس وداود يعمل فقد أبرم اتفاقاً بقسم الشرطة وأنهى أمر الشجار وكأنه لم يكن، ساعده أدهم بأنهاء إجراءات الصلح والأفراج عن عامر وعمر في سابقه لم يفعلها من قبل، كما ألزمت أم أيمن ووالده بعدم ذكر شيء مما حدث على أن يدعوا الجهل بمصير الولدين أنهم لن يتنازلا مهما حدث" وقفت بالباب الخارجي لمنزلها وأبنائها يُطالعانه بعيون مُنبهرة لتسمع صوته الرخيم يشق سكون الفجر "فعلتُ ما علي! لا أريد بعد اليوم رويئة وجهك مجدداً" همت بالاعتراض لكنه قاطعها "أسبوعاً واحد ترتاحين أنت وأنا أتم

أستلام ميراثك ثم نصف الخطة الباقية، ولذلك الموعد سيتعامل شهاب نيابة عني" تركها وقد رمقها بتحذير وأتجه لمنزله لتهتف تنوسط أبنائها "هيا، هيا لدينا الكثير والكثير كي أقصه عليكم"

\* \* \* \*

دخلت من باب الشقة تتطلع إلى العمال المنتشرون كخلية نحل تتسأل بصمت ماذا يفعل؟، أسبوع مضى بحالٍ لا يُفسر، أفرغ غرفة أبنائه وباع متاعهم حتى ملابسهم القى بها في القمامة ورفض وهبها ل أحد، ويُجهز الغرفة ويُدهن حائطها، وما هذا المقعد غريب الشكل؟، دارت عينها بالغرفة تتفقد كم الإضاءة الساطعة كما أستوديو السينما، هتفت بصوتها الجهور "عابد؟ يا عابد" خرج إليها من الغرفة المُقابلة يرد ندائها بحماسة تكسوه "نعم يا ست الحبايب" تفرست بوجهه وسألت "ماذا تفعل؟"

"مُفاجئة"

"تكلم لا تُثير غضبي" قهقه واخذَ يُدغدغُ خصرها "الصبر قليلاً يا قطة" قهقهت بالمثل وراقصت حاجبيها "تعلم أنى لا أتاثر بالدغدغة" أحجم عن ذكر أسبابه وهتف يتجه للغرفة "يو مان فقط وسوف أشرح لك الأمر برُمته" دارت عينها بالشقة مُستغربة وهمست لحالها مُتخوفة "هل نسي أبنائه؟" أنقبض قلبها بشدة وتحركت تهمس بما يؤرق جانب الحق بنفسها "يا ويلي من طبعك يا بن بطني"

\* \* \* \*

أسبوع وهي تراقبه عن كثب وقد سلمها أرثها كامل ليمتنع عن مُتابعته والحديث إليها، شهاب من يتابع أمورها، تنهدت بغضب، كيف يترك المال هكذا؟ وماذا ستفعل بكل تلك الثروة، لو أكلت النقود عوضاً عن الطعام والشراب لن تنتهي ولن تُفنى! "ماذا أفعل؟" صاحت بها عاجزة عن التواصل معها، لابد أن تجد ثغرة تولج منها، ولكن ماهي؟ دارت حول نفسها بيهو البيت وبيدها هاتفها لا تعلم كيف تبدأ، تطلعت لساعة الهاتف لتجدها الثانية عشر ظهراً فتحرّكت مُقررة زيارتها تطمئن عليها، ستقترب برغم تحذير زوجها وبعدها ستُفكر في الخطوة القادمة، التقت مفتاح البيت ورفعت الهاتف تتفقد مكانه قائلة "أين أنت داود؟" هتف عبر الأثير وقد بدا عليه الانشغال التام "بالعمل درية"

"حسناً أردت الاطمئنان عليك" اغلق الهاتف غير مُهتم بسؤالها يكفيه انها لم تطلبُ شيء، هتف في الجالس بحضرته "أين توقفنا قاسم بيك" تبسم الرجل وسحب نفساً من سيجاره الفاخر على مهل وهتف بجدية شديدة قائلاً "اثنان مليون جُنيه وتخسر قضية ذهب الإخشيدي!" لم تتغير ملامحه الجامدة فكيف يتجرأ هذا الرجل ليعرض عليه هذا العرض السيدة ذهب الاخشيدي ملكة الذهب في القطر العربي بأكمله وهو مُستشارها القانوني ومكتبه المسؤول عن ابرام صفقاتها، لو يعلم أن بها شبة أو شائبة لأدخلها السجن بنفسه ولكن هكذا حال رجال الأعمال في البلد، القوي يزداد قوة ولا مكان لغيره، دبّروا لها مكيدة بسبب منجم الذهب الذي اكتشفته في قطعة أرض ورثتها عن زوجها وما أن ذاع الخبر بعثوا من أشتى من محلاتها الذهب ليقلدوه بالنحاس والإبلاغ غنها لتصبح رهينة خمسون محضر مُحرراً، وبمهارته وخبثه استطاع الوصول لصانعي القطع ومورديها ليثبت أن القطع ذهب مئة بالمئة وأن كل قطعة لم يُصنع منها سوى واحدة فقط، رفع عيناه وهتف وهو يُشعل سيجارة نادراً ما يلجأ لها " وهل يُرضيك بيع ضميري باثنان مليون فقط؟"

استبشر قاسم الوكيل وهتف "خمسة مليون يا متر" بادلته الابتسام يهز رأسه موافقاً وقال "أنتظر ردي بالقرب العاجل"

نهض قاسم يتصفح كفه بحرارة قائلاً " أذن المبلغ سيحول لحسابك يوم النطق بالحكم" خرج مغادراً ليرفع داود سماعة الهاتف الداخلي قائلاً "شهاب؟ أَمِنْ كُل

ما تمتلكه السيدة ذهب الإخشيدي جيداً وأبلغ شركة الحراسة الخاصة أن تُشدد تأمينها يوم جلسة النطق بالحكم "هتف شهاب" "تم الأمر يا باشا؟" هتف مُجدداً "أبلغ شركة الأمن يستعدوا في غضون يوم لإتمام باقي الاتفاق الخاص بسلمى المصري، دعنا نُغلق صفحاتها للأبد" انتبه للعمل مُجاهداً مع عقله الذي يتبع أخبارها، آخر ما يريده أن يسمع أسمها أو يخطر بباله طيفُها، همس مُتحفزاً "يكفي إلى هنا تحملت فوق طاقتي" أنخرط بالعمل غافلاً عن ذكرها مُقتنعاً بأنها تفرض حضورها ليس لشيء سوى سفالتها وجُرأتها في التعامل مع كل شيء، رغم أنه دائم الإعجاب بالمرأة ذات الشخصية القوية إلا أن هذه حطمت الإعجاب ليتبدل لشيء يعجز عن تسميته، تقلب له موازين الحياة بتقلدها المسؤولية التي صبغتها بالجبروت لتصبح غريبة الأطوار! ألقى القلم بعصبية أردته أرضاً يسبها ويسب نفسه التي تتفلسف بعالمها مقرر إتمام خُطتها ليتثنى له الذهاب بإجازة مع صغيرته ودُرية،

دُرية؟ وقفت بباب منزلها تهتف لصاحب الشعر الناعم الواصل حتى أول كتفه "مؤكد أنت عُمر؟" تفحصها مُنبهر من جمالها وهتف "وأنتِ باربي" قهقهت تُداعب شعره وسألت "أين مامي سلمى" ظهرت تضع كفها على كتفه تهتف بإشرار جديد عليها "مرحباً دُرية تفضلي" طالت جلستهم النسائية مما اسعد دُرية وأثار قلق الأخرى فأخر ما ترجوه احتدام أمرها مع داوود، تعلم تحفظه وقد التمتست سابقاً صراحة رفضه لأي علاقة تجمعها مع زوجته، لذا هتفت بحذر لمن أمامها "دُرية؟ سامحيني وتفهمي موقفي، لكني أخاف المشاكل مع زوجك، كلانا يعلم رفضه لأي صداقة تجمعنا" ابتسمت تتناول فنجال القهوة من فوق الطاولة وقالت بهدوء وثقة "لكِ العذر فأنتِ لا تعلمين داود جيداً، هو جامد الوجه لكنه يملك قلباً من ذهب" تأففت داخلها، تعلم أنها تُدافع بيقين مما تملك لذا هتفت "يا دُرية! أعلم يقيناً أنه يكرهني"

"يكرهك؟" تبسمت بثقة وأردفت بيقين كاذب "لا تقوليها، داود فقط يجهل التعبير عن مشاعره" أنكمش حاجبيها يستجديان تفسيراً منطقياً لتهتف دُرية مؤكدة لها "داود أحن رجل تلتقيه بحياتك" وضعت فنجال القهوة بعد أن أنهته واعتدلت نَدلو بدلوها "هل تسمح لي بالتحدث بصدق دون تحسس" لانت ملامحها وهتفت



"أرجوك" اعتدلت وأولتها انتباها وبدأت تشرح لها مُستندة بما أفصت به وفضفضت، فبمجرد أن قصت سلمى حكايتها كاملة تفهمت درية موقفها والتمست لها الحُجج بمهارة تتفنها جيداً لتشرح موقف زوجها فكيف لمن لا يعلم بالظلم الذي تكبدته أن يُقابل فضيحتها بصدر رجب، بالأخير تقصى عن حكايتها وكما جرت عادات مجتمعنا الظالمة تزين الإشاعات بالترهات القاتلة حتى تتفاقم الشائعة لتصبح سيرة مُزينة بالأكاذيب، الكذب شاباً فتياً يلبس ثوب الحقيقة الخادعة زهق كهولة الحق بقوته، وهو محامي وبطبيعة مهنته تظل الأدلة ما يقره الشهود وتقرضه المُستندات والبراهين ولو كانت خادعة، ليس منا من يُفند حديث الناس بعين العقل والحق جميعنا نُدين ونُلقي فوق النار الحطب، أوهمتها بأن داود نفسه من ترك باب الوصال بينهم موارباً ووضع درية كصديق بينهم ليهذا ضميره ولا يشعر بأنه غفل عن وصية صديقه، داود أمر برعايتها وتلبية طلباتها! اقتنعت البلهاء بما سمعت لتترك قناع القوة الذي تزينت به وتكشف عن طيبة عقلها وطهر دواخلها مُقرة بأن له كامل الحق بموقفه فمن الذي يسمع بفجر امرأة ويدافع عن براءتها!

نهضت ثريه تتطلع لساعاتها تعدها بقاء غداً ليذهبوا للتسوق وشراء كل ما يلزم أبنائها، أغلقت الباب خلفها تتحمد وجودها وتترحم سيرة عمها الذي أوصاهم بها فلولا وصيته ما اهتمت لصادقتها، صاحت تنادي أبنائها وتتفقدهم، بالأمس ألحقهم بتلك المدرسة الدولية الموجودة بالمجمع السكني بمساعدة شهاب الذي رافقها طوال الأسبوع المنصرم بجانب توصيات أدهم التي سهلت إجراءات كُثر، أسبوعاً واحد وتبدل حالهم وبدأت نفسياتهم بتفريغ ما بها من سقم، كما أسعدها حال عامر الذي بدوره أمطرها بالأسئلة حتى هدأت نفسيته رغم ما ظل به من وسوسة،

اليوم ستذهب لتشارك لهم بذلك النادي الرياضي الضخم وتُلحق كلاً منهم بلعبة رياضية تناسبه، عُمر تمنى لعب كرة القدم وعامر أفضى بطلبه تعلم السباحة والاشتراك بصاله ألعاب رياضية، دخلت مطبخها الواسع تستعد لتجهيز الغداء ليتقدم إليها عامر يسأل "من تلك السيدة التي رحلت؟ ثرثرة لأبعد مدى" "ولد"

تمسكت بجانبى وجهه وقبلته وهي تجاوبه "جارتنا، زوجة السيد داود الرازي"  
تطلعت إليه تسأل "ماذا تأكلون اليوم؟"

"أي شيء"

"إذن قل شيء"

"ماما؟"

"نعم"

"لما تخلى عنا بابا؟" توقفت يداها عن الحركة وهو يُداهمها بسؤاله، لا تنكر شدة كُرهما التي زادت لوالدهم حينما علمت تفاصيل زواجه بصديقتها، لم تتخيل أنها تتحين مكانها بل باتت تميل لتصديق السيدة ذهب، تطلعت للذي يفترسها بعينه الذهبية الفاتحة ولا تعلم بما تُجيبه، أ تُبلّغه عن حقارة والدّه وتكسر هالة الأب داخله، أم تكذب بالحق وتخدعه حتى ما إن وعي لامها، لملت شعرها بعقدة خلف رأسها وهتفت تتحرك بين دُلف مطبخها "لم يتخلى عنكم عامر فقط ضيق يده وعدم امتلاكه ما يسعفكم كبله" هتف بضجر "أ معقول نسي أبنائه، لم يسأل ماذا أصابنا؟" اضطربت وسكنت تُفكر حتى قالت "لكل منا ظروفه بني"

"ماما؟" هتف بها مُغاضباً وأكمل بصوت صادق "لا بد أن تعي نُضج عقلي  
بالكامل وللأمانة لا أجد له مُبرراً"

"أسمعني إذن" تقدمته وزينت وجهها بإصرار لا يقبل التفاوض لتتهف بفحيح خافت "أنا أخفيت خروجكم من تلك الورطة ليس لشيء سوى أنانية الأمومة، فلن ولم أسمح لاحد أن يأخذكم مني هذا أولاً، ثانياً مُحال أرجع بكم للوراء خطوة واحدة لتكونوا ألقمة سائغة في فم قطعة ونهى! كفاكم حملاً اللهم بُني" تنهدت وأسكنت عينها بعينه وقالت بقوة "وبما أن لديك عقل فماذا لو كان الأمر خلاف بيننا عليكم؟ ثم ألا يُكفيك وجودي عامر أنا أصلي لله شكراً على وجودكم معي بُني، دعه وشأنه وإن أردت زيارته لن يمنعه أحد" طالعها بفخر ممزوج بالحيرة ليرضح لعينها التي أقسمت على كل حرف ولم ينكر بقرارة نفسه ارتياحه لما سمع وما سمعه وهي تروي تفاصيل ما حدث على تلك الجارة الثرثرة زوجة

المحامي المغرور، كلما تخيلَ طوال الأسبوع الماضي أمكانية الرجوع ينتابه  
الاشمزاز والقرف للدرجة التي تجعله يحك جلده حتى يجرحه، يأنف تلك الحارة  
كما يشمئز من زوجة أباه فهي دوماً ما كانت تنتابه نوبات استفراغ متكررة،  
تطلع إلى عودتها لما تصنع من طعام ليغمض عيناه ورائحة الدجاج تلمس النار  
تفتح شهيته، هنيئاً له بالنظافة ونعيم الفراش المعطر برائحة النعناع المنعش عادة  
لم تسلاها رغم ما لاقتة من قذارة الأيام فإن كان والده نساء أو تتصل منه فمرحباً  
بذلك النسيان منذ متي وكان أباه متذكراً؟ هتف وعينه تتابع ما تفعل مختلفاً الكثير  
والكثير من الحوار بينهم "أخاف أن يتصرف عمر بغير لباقة في المدرسة  
الجديدة ماما" صاح من خلفه عمر يتمسك باللوح الإلكتروني الذي أهده له أدهم  
"تخلي عن مقنناتك أولاً ثم تحدث عني بعدها يا بيبك" رمقه مُحذراً في التمادي  
لتخدم النار تحت الطعام وتتوجه لهم وعينها تستكشف شجارهم، هتفت ترمقهم  
بشر "هاتوا ما عندكم" صاح عمر غاضباً "يتهمني دوماً بطول لساني!" صاح  
عامر به "يا بني آدم أخاف أن تنفقه بسبه جارحه رغم عنك" رمقه عمر بغيط  
وصرخ بوجه احمر غاضباً "وأنا أخاف أن تتعرض للحبس مجدداً من تلك التي  
تُدسها بأغراضك" هتفت متوجسة من خلف سور المطبخ "ما الأمر؟" تبادل  
الاثنان النظرات المتوعدة ليهتف عمر وهو يرمق أخاه نادماً "أبناك يخبي مطواة  
معه"

"ماذا؟" صرخت بها ليتابع عمر "ولا يخرج دونها" تركت المطبخ متوجة  
صوبهم كالرصاصة الطائشة تمسك بكتفه تسأل بخوف خض جسدها "هل حقاً  
ما سمعت؟" تلجلج وانزل أنظاره أرضاً ثم أغمض عينه وهمس بخزي "أجل"  
شهقت تضرب صدرها "لما حبيبي ما الهدف؟" همس بذات الخزي "حماية لا  
أكثر، حتى لا يتعرض أحدهم لهذا الجرد الأزعر" أنهى كلماته يشير للواقف  
أمامه مما دفع عمر لتوسع عينه ويقول صارخاً "أصبحت أنا السبب؟ لا يا  
حبيب الماما أنا أستطيع ذبح من أمامي بلساني فقط، هاو" صاح عامر بغيط  
"لملم لسانك الطويل هذا وإلا قطعته" أستفزه عمر صارخاً "وهل شاهدت  
طولاً، فقط أنتظر وأسمع ما يليق بك يا واشي" تقدمه عامر بطوله الفارع كما  
تقدمه عمر وما أن أوشكا على القتال صرخت بالمنتصف "يا أبناء الكلب"  
دارت نظرات الثلاثة فوق بعضهم البعض واحمر وجه الولدان كتماً للضحك،

ها هي أول من سب وشتم وها هي ألوان الحياة تنتشر مُجدداً، ثواني من الصمت والنظرات تدور بينهم حتى انفجروا بالضحك لتهتف من بين أنفاسها مُحذرة "لحظة جد! صرنا بين أناس قمة في الأدب وسترتادون مدارس غاية في الترف والفخامة فدعونا نلتزم الأدب" تطلعت لوجه الكبير وهمست بتوسل "عامر؟ تخلص من خوفك حبيبي ليس ما آت كما سبق" هز رأسه موافقاً لتهتف "وعد" عاجلها بالرد القاطع "وعد" التفتت للصغير تُنبهه لكنه عاجلها بإنجليزية صحيحة مئة بالمئة وهو يقف مفرد القامة يمتهن الرجولة قائلاً "عنوان الأخلاق والأدب أنا سيدتي" احتضنتهم تهمس لهم "كونوا سنداً لي ولا تكونوا خنجر أظعن به" عادت للمطبخ من جديد تهتف "هيا أحضر البلوة التي معك ودعنا نتخلص منها وأنت عمر حضر مائدة الطعام كي نتغدى"

\*\*\*\*

دخلت تتلفت بعينها وتتفحص المكان بحذر بعد أن وافقت على لقائه مُجبرة، ليس لشيء سوي لطبعه المباشر المتفهم، فبعد أن أخبرها أن لديه بعض المعلومات عن أختها هرولت تستطعم الطعم الذي القاه لها، انتبهت الي أشارته من خلف الطاولة لتتقدم والحذر يتملكها، تبسمت بتكلف واستقبلت سلامه الحار بفتور فرضه طبعها الهش وجلست أمامه دون أن تتجراً على قول كلمة حتى سألها وعينه تتفحصها "ماذا تشربي؟" همست بصوت مُضطرب بالكاد سمعه "لا شيء" تبسم للنادل قائلاً "قهوة مضبوط وعصير ليمون فرش" تطلع إليها بحذر وسأل "لما الاربتاك؟" رفعت عيونها البنية وهتفت ترتجي لحظة شجاعة "إذا سمحت أخبرني بما تعرف حتى أرحل سريعاً" رمقها بجدية يسأل بشفافية "ليس قبل أن تُخبريني ماذا حدث معها سابقاً"

"الجميع يعرف حكايتها" وافقها بهزه من رأسه وعقب مُستغرباً "ما حدث مُنافي لسيرتها، التحريات أثبتت أنها سيدة محترمة لذا فضلتُ سماع وجهة نظرك" زاغت أنظارها وأحجمت النظر إليه، هل يطلب وجهه نظرها؟ كيف تقيم وكيف تدلو بما لها؟، مسحت على وجهها وأعادت عينها له لتهتف "لا اعلم ما حدث، تفاجأت كما تفاجأ أهل الحارة" سألها وقد التقط اضطرابها "هل حضرت"

الوقعة؟ أعنى شهادتيها مُتلبسة؟" اختنقت بسؤاله لتهدف مُتسرة "لا، هي ذهبت لإعطاء الحاجة سُعاد الحُقنة، لينتني ما دفعتها على الذهاب لهذا البيت" استقبل أول الخيط بكلامها ولكنه افتعل عدم الانتباه وبخبرة المحامي حين يستمع لاحدهم هتف بخبث خبأه جيداً "بالأخير كانت مُمرضة، بما يعني اعتيادها على زيارة المرضى" هزت رأسها رافضةً وأقرت بيقين صادق "مُنذ أن امتهنت التمريض أمتنعت عن زيارة أحد مهما كانت حاجته كانت تُبرر رفضها بتلك النظرة التي تُخص الممرضات" تهربت من عينه المرتكزة على خاصيتها وأكملت والمغزى يصله "تعرف مُجتمعنا وما يتناقله عن الممرضات" خبأ دهشته وسأل محاولاً الفهم أكثر "غريب! فما الذي دفعها للذهاب إذن؟" تطلع إليها يستفز حذرها وقال يستدرج سذاجتها التي أستشعرها "إذن من أجل ذلك الرجل تنازلت" بكت بصمت وهتفت وعينها تراقب من حولها "لا تُقل هذا، أنت لا تعرفها، لو تعلم من سلمى ومدى اعتزازها بنفسها لن تتهمها أبداً" مسحت دموعها بسرعة وأكملت "مُستحيل أن تُذل نفسها، كما استحالة أن تنظر لرجل وخصوصاً لو كان حمو"

"حمو؟ من حمو؟"

"بلطجي الحارة والمنطقة، مُدمن وديلر ايضاً؟" نشبت السخونة بجسده مما يسمع ليسألها باهتمام حاصره "عُذراً سُها، لكن ماذا فعل زوجها بالرجل؟" تنهدت تمسح دموعها وقالت بصوت مُتأثر بالبكاء "لم نجد له أثر حتى سمعنا خبر القبض عليه ليلة الواقعة" حكّ جبينه وظفر بقوة لم يتخيل أن الموضوع هكذا، هناك عدة أسئلة تفرض نفسها، كل من حكي الواقعة قال زوجة ضبطها زوجها بالخيانة في فراش أحدهم! التفاصيل مُرعبة ويشوبها شيء يبدو لو هلة مُدبراً، انتبه يسأل باهتمام "ما أسم حمو يا سُها"

"لا اعرف له اسماً آخر ولكن لما السؤال" أجاب يدعوها لشرب العصير الذي لم يلحظ متي وضع فوق الطاولة "فضول فقط" نهضت تظن أن المقابلة لم تُثمر بشيء وانتابها أحساس أنها أسرفت في الحكي، علقت حقيبتها على كتفها وقالت "لا بد أن ارحل" نهض يلحق بهروبها بعد أن وضع النقود فوق الطاولة

ليلحقها وهو يهتف "دعيني أفلك حتى مسكنك" خرجت للشارع تبحث عن مواصلة وفتفت بصوت مهموم "لدي مُقابلة عمل، شكرًا" دعاها بكفه بأدب "أوصلك إذن" وافقت توفيراً للوقت وعناء البحث عن مواصلة وجوارها عقلاً يعمل كما الدينامو فيما سمع ليهدأ قليلاً مُقررًا عدم إخبار داود الشرس بما عرف مؤقتاً، فمنذ أن رافق سلمى وقد تلمس بتصرفاتها ما ينافي ما سمع وحين فكر في التحدث عن أمرها تفاجأ بشراسته التي باتت طبع جديد له، لا بد أن يُثبت ما يشعر به لذلك سوف يستجمع شجاعته أمام الوحش قبل أن يفتك بالجميلة.

\* \* \* \*

نفخت دُخان النرجيلة تتفحص تلك المواقع على الميديا، أكلتها الغيرة وهي تُشاهد المقاطع المُصورة لنساء تماثلت معها بالسن، تلك معلمة مقهى وهذه ملكة الذهب حتى فقيرة الحال تستعرض فقرها، ما يعني هذا الأسد؟ ونسر، صقر، وجوارح كُثر، تطلعت لانعكاسها في المرأة البعيدة وشردت في هيئتها التي تصغر سنها، رأت نفسها مكان إحداهن والكل يخطب ودها، هذا يضع لايك وتلك قلبٌ شديد الحُمة وأميرة عربية تُهديها أسد، أعجبت بنفسها وبذلك اللعبة وتساءلت لما لا؟ هي لحالها كاريزما مُهلكة! انتبهت لصوته يصيح من مكان لا تعرفه "مرحباً أحبائي اليوم أول لقاء مباشر لنا، معكم عابد وتلك زوجتي، رحبي بهم يا حُب" ضربت صدرها تُشاهده من خلف شاشة الهاتف عبر الغُرفة التي جددها، وما هذا؟ أهذا المقعد المرسوم عليه علامة التوك توك؟! فتفت تسحب روح النرجيلة لصدرها "يا ابن الكلب" تطلعت إلى نُهى وقد تخلت عن حجابها لتجدها خلفه تهتف وقد تزينت بملابس عصرية خالفت طبيعتها "نتنظر دعمكم ليوميات عابد الزاهد وحُب زوجته، ادعمونا" عوجت فمها بتهكم وقالت "أهذه المُفاجأة؟" شردت بعالم موازي وابتسمت بعدما طال الشرود لتُجري كفها على شعرها المصبوغ اصفر فاقع نزولاً بقوامها لتهتف ضاحكة "حلو، دعونا نتنافس على التوك توك إذن"

\* \* \* \*

وبالحي الراقي دق بابها بقرف وما أن فتحت مُرحبة به تسمر وهو يستمع لصوت ضحكات وكيل النيابة تأتي من الداخل، أرتفع حاجبيه وهو يرى زيتها الرياضي الذي تلبسه ليهتف دون وعي "كيف تستقبلي ببيتك رجل؟ ها، وكيف بتلك الملابس؟" نظرت له غير واعية لمقصده وتطلعت لملابسها تسأل "ما بها، حُلة رياضية فضفاضة!" عاجلها وسبابته تُشير للداخل "ماذا يفعل أدهم هنا؟" انتبهت لنبرته العدائية فضمت ذراعها إلى صدرها وهتفت بعناد بالغ "ليس من شأنك داود" جرى إبهامه على حاجبه ومال برأسه ينظر لأصابع قدميها التي طلت من خُفها المنزلي العصري ليهمس بغل "ليس من شأنِي؟ ها!" "ما الذي جاء بك أنت؟ ها" هل تُعيد سؤاله؟ احمر وجهه غيظاً وهتف يقترب منها حتى تجاوز نقطة الخطر، ليس هدفه الاقتراب ولكن فضولاً ليلمح على ماذا يقهقه ذلك اللزج، هرولت عينه لبهو البيت يلمح أدهم يلاعب عمر، رجعت بدورها خطوتين للوراء تتلمس بهم الأمان لتصيح بألم وقد اشتبك شعرها بأزرار معطفه "أه، داود انتبه؟" انتبه على التشابك الواقع بينهم وتطلع التصاق رأسها بصدره ليهمس بغضب "انتظري!" فك اشتباك شعرها على مهل لتتطلع لسواد عينه المتوسعة بالغضب، وبدوره هتف بتشنج وهو يرجع خطواته قائلاً "تجهزي غداً حتى نثُم خطتنا"

"خطتنا؟ أليست خطتي أنا؟" تركها راحلاً يمسح على وجهه بغضب ليتوقف لجزء من الثانية وهو يستقبل عطرها الذي علق بكفه، مزيجاً يجهله ضم نسيم النعناع مع دخان سجائرهما التي لا تتوقف عن حرقها، هرول بخطوات متعجلة يهمس بغيط "سافلة" ودون إرادة رفع كفه يشمه وصوت مجهول المصدر يُهسهس "مُذهلة"

\* \* \* \*

أغلقت باب بيتها بغضب وتوجهت صوب الجالس وقد انتابها أحساس بالخطأ حين لمح أنها تستقبل رجال غرباء في بيتها؟ الرجل جاء دون دعوة تفاجأت به يحمل بيده هواتف جديدة لها ولأبنائها، لا تنكر أنها طلبت منه ومن شهاب اصطحابها لاختار أبنائها، اليوم فوجئت به ومعه الهواتف كما فوجئت بأنه اشترى خطوط بأرقام مميزة بحكم مهنته، تطلعت إليه يتوسط أبنائها ويعلم كلاً منهم على الهواتف ومميزاتها، هتفت مملوءة بالذنب وقد سكن في نفسها عدم الارتياح للوضع "عامر، عُمر هيا، تأخر موعد نومكم!" تحرك الأبناء بطاعة ليهتف وهو ينهض من جلسته "لا تؤاخذيني إن أتيت دون موعد سابق سلمى" تخلت عن الذوق واللباقة متأثرة بكلمات الآخر وقالت بجدية شديدة "لا تؤاخذني سيد أدهم، بالنهاية أنا امرأة تسكن لحالها"

تبسم مُتفهم موقفها وأحجم عن ذكر ملاحظة تغيرها منذ زيارة داود، استأذن بلباقة وعدل قميصه العصري ولكن ليس قبل أن يقول لها بقصد دعمها "أقدر موقفك جيداً لكن لا بد وأن تتقي بنفسك أكثر سلمى، أنت قوية فلا تجعل أزمك الماضية سوط تجلدي روحك به" طأطأت رأسها وهمست وقد كتفت ذراعيها خلف ظهرها "أنت لا تعرف ما تلقيتُه من السنة الناس أدهم، يعلم الله الظلم الواقع على" تحرك صوب الباب ثم فتحه يهتف لمن لحقت به "وأنا معك كأخ حتى تثبت براءتك" التف إليها قبل أن تسحب كفه الباب وهتف "أدعي نفسك لا تنتظري دعماً من أحد" أشرقت ابتسامته وأكمل يسحب الباب الذي حال بينه وبينها "حقيقة واحده أعلمها جيداً، كل من ينظر بعين الاتهام سوف ينظر بعين الإعجاب ويسأل، من تلك الرائعة؟" أغلق الباب حلفه دون سماع رداً لترجع إلى صالة البيت وكلماته وكلمات داود يشغلاها واحد يراها بحق وأعلن نفسه أخ، وآخر يراها سافرة دون التحري قبل اتهامها، نهضت تتفقد الولدين وتستعد لغداً لا بد أن تظهر بمظهر القوة لما ستسمعه من اتهامات خلفتها سنوات البعد كما لا بد من مُجابهة نظرات الحي التي ستقتلها! لن تعتمد على داود سوى بالمنظر العام، وجوده حلية ستترى بها لفرض الهيمنة والسلطة لذا وجب عليها الاستعداد لتلك اللحظة التي ستفصل بين سلمى والمستسلمة وسلمى التي عادت لأخذ حقها بكل السبل سلمية أو عدوانية،



استلقت على فراشها الوثير أغمضت عينها علها تستطيع التغلب على النظرة التي يرمقها بها دائماً، رقدت على جانبها الأيمن مغمضة وهمست بصوت مُتهكم شديد الغيظ "وتصفه زوجته بالرجولة الطاغية!"

\* \* \* \*

من بين هدأة الليل هناك من أفتعل تيهاً أصحبه بالضجيج حتى صار السكون ثورة لقلب الموازين، قهقهه من فوق مقعده يصيح بجنون "حملة، هيا كبسوا، كبسوا يا أصدقاء" انقسمت الشاشة لثلاث واحدة تحوي بثّ مباشر له وأخرى لفئة ذات دلال مُصطنع تتناوب بالأفاظ نابية والثالثة لأخر لا يعلم كينونته أحد ولا يستطيع سوى من يعرفه أن يُجزم إن كان رجلاً أم امرأة! تبادل الثلاث النكات المُخلة وبدأ التنمر على ذلك المُخنث الغريب، أرقّت الضحكات سكون الليل مُدسنة قُديسيته بحقارة أفعالهم غريبة الأطوار ليتدفق عليه سيلاً من الإعجاب والدعم، فما كان منه سوى الصراخ مُهللاً عبر الشاشة الصغيرة "يسلم دعمك يا سمو الأميرة" أشارت إليهم تُتابع الموقع الخاص بها بعلامة النصر وهتفت بعدما أغلق صوت الهاتف "أسد، جاءني أسد يا حُب" صاح بالمقابل "من أول بثّ مباشر"

"كم سعره يا عابد؟" أجاب نشواناً كمن حقق نصراً "تقريباً خمسين ألف جنيه ولو لعب الحظ يُحسب بعملة بلدها" نظرت لُجُموع المُعلقين على الهاتف وصاحت "أفتح الصوت التفاعلات تأججت" فتح الصوت وأنضم للبث من جديد يهتف للمتابعين ببهاء "أيقظت حبيبتي تُشاركني الفرحه معكم" أشار بيده خلسه لنتقدم صوبه تُعدل بيجامتها البيئية وشعرها المُرتب تُهلل من خلف مقعده "مساء العسل نهى حُب وصل" امتد البث لبعد الفجر ليغلق الحاسوب ويصفق قائلاً "أنظري نهى تمت التحويلات لحساب البنك، مائة ألف في ليلة واحدة من أول بث" قهقهت بهستيريا وألقت نفسها بأحضانها قائلة "مرحباً بالثروة يا حُب" وبالأسفل توسعت عينها ورقدت بفراشها تُتابع ما يفعلون بغيرة، من بث واحد حققوا هذه الشهرة، كل هؤلاء مُعجبون؟، أغمضت عيناها تُنصب نفسها ملكة والجميع يطلبون ودها ويُمطرونها بحلو الكلام والهدايا النفيسة تُزخ عليها كالمطر! صاحت بعد انتهاء البث "يا أبناء الأبالسة؟ المال والشهرة بضربة واحدة" نهضت مُعتدلة تُسند جسدها للفراش

خلفها وبدأت تبحث عن الفيديوهات المولعة، لا تبغي المال والثروة فلديها المال ما لا يُعد هي تبتيغي المدح والثناء! تلك طريقة تُشبع غرورها وتُسكت صراخ الأنا بها!

\*\*\*\*

أرتدى ملابساً، بنطال أسود أتبعه بقميص من ذات اللون أعتدل يُغلق أزرار الصدرية على مهل ليسمعها تهتف بنعاس "أين تذهب؟ اليوم الجمعة وأنت تُفضل البقاء بمكتبك بالمنزل" مشط شعره القصير يتطلع لانعكاسها بالمرآة قائلاً "مشوار عمل مهم" لملت شعرها الأشقر في كعكة فوق رأسها ونهضت تتنأب وتسال "بيدو الأمر هاماً فعلاً! فما يُجبرك على كسر أجازتك يا ترى؟" التفت يُطالعها بغیظ وتقدم إليها ببطيء قائلاً "اليوم نهاية اتفاقي مع سلمى" دُهِشت لجديته والفرحة بعينه، ألهذا الحد يكرهها؟ تلك مُشكله كُبرى! هزت رأسها مُقررة مُباغتته قائلة "داود؟ أصدقني القول، هل يرضي ضميرك ترك من يحتاج إليك؟" تفرست وجهه المنكمش وأكملت وهي تعاود الجلوس طرف فراشها "ما بالك بامرأة ظلمت وأوصاك عليها صديقك؟" هتف بمثل يتقدمها بخطوات حادة "شاهدني بنفسك ما فعلت من أجلها؟"

"لم تفعل شيء! فقط أعطيتها ميراثها وبطريقة لا تليق بمروءة داود الرازي" أشار بسبابته نحو اللا شيء وهتف بعصبية طفيفة "وهل داود الرازي يستحق أن يُلزم تاريخه بتلك السافلة" هتفت بهدوء وروية "وماذا لو كانت غير ما ظننت؟" صاح بها يزداد عصبية "وما أعلمك؟" تنهدت ببراءة وهتفت بثبات تُتقنه "فقط استمعتُ لقصتها بعين العقل" كشر وجهه مُستغرباً ومال واضعاً عينه بعينها يسأل "لما يُساورني شعور بأنك كاذبة فيما تدعين؟ أليست تلك التي حرصتني على أكل ميراثها؟" اتسعت عيناها تدعي الدهشة وهتفت وما زالت تنظر داخل عينه "أنا كاذبة؟ أنا فقط جنبت الظن، واتخذت الأمر بعقلي بعد سماع ما حدث لها"

تأفف في وجهها وابتعد وهو يرمقها بغل ليهتف مُتحدياً "من الممكن أن أقص عليك رواية تجعلها مُجرمة، ذلك في غاية اليسر" نهضت صوبه وران صوتها بنبرة رجاء قائلة "حسناً ولكن أجب سؤالي وإذا سمحت نحي نقمك عليها جانباً"

"أي سؤال؟ ألا تلاحظين أن حياتنا أصبحت تدور في فلكها؟" فقط أجب"

تطلعت للاستفسار بعينيه وهتفت تنتهز أنتباهه لها "أليس من قواعد القانون أن المتهم برئ حتى تثبت إدانته؟ تعامل إذن من ذلك المنطلق!" صاح بها والجنون لاح بخلجات جسده "عن أي براءة تتحدثين؟ المرأة سُجنت وحُكم عليها دُرية؟" صاحت تبادله الحجة وقد ملت عقله اليابس "بقضية قرض لا قضية شرف؟" هز رأسه يستوعب ما قالت حتى عاجلته بالقول الفصل "كل ما قيل عنها مجرد سمع فعلى القليل أسمع من الطرفين" شرد قليلاً ثم هتف مُغمض عيناه "أغلقي ذلك الموضوع من فضلك وعوضاً ركزي في حياتنا دُرية، ألا تلاحظين أنك أباعد كثيراً بالأيام الماضية؟" تركها متوجه خارج الغرفة لتتطلع خروجه وتبتسم بمكر، منذ الأمس أمتنعت عنه ومنعته من الاقتراب منها تُركن السبب للتعب ونفسيته المتغيرة، لا بد أن تدفعه نحوها حتى تُصبح سلمى بكل ما تملك بينهم! هل ظن أنها سوف تستسلم وتترك هذا الكم من الثروة يذهب سُدى؟ توجهت للمرحاض الملحق بغرفتها وبدأت بروتينها اليومي، لم تدرس علم النفس سُدى صحيح وافقت أن تلتزم ببيتها ولا تُذل للعمل حين أمن داود حياة رغبة كانت تتطلع إليها لكن لم تتنازل عن مُزاولة عملها الذي طبقته على زوجها لتجعله يُلبى رغباتها، تارة تُشعره برجولته التي تفرض أشد أنواع الرعاية بأسرته وتارة أخرى تلعب على وتر الحرمان من مُزاولة مهنتها، وعدم انتسابه لعائلة فخمة تُضاهي أسم عائلتها مما يجعله يخضع لتلبية أوامرها، تلعب بحبه الجنوني لأبنته وبذكائها جعلته كما المُحارب المُتأهب حينما ينتصر يجد نفسه يحارب مُجدداً بميدان أشد ضراوة وقسوة، ليُصبح داود الرازي رُجل المُحامة الشهير من تُرج له ساحات القضاء، قاضياً لا يملك الحكم بالرافة على نفسه، ذلك ما جعله لا يجرؤ على المطالبة بأخ لأبنته حتى لا يُخفق بحياة طفل يتمني ميلاده! ترك البيت بأكمله لتجهيز السيارات ورجال الحراسة ذوي المظهر المُريب عبر شركة الحراسة التي يمتلكها مناصفةً بينه وبين يوسف المصري، توقف عن الحركة وتطلع للرجال شارداً، كيف غفل عن نصيبها في تلك الشركة؟ رد تحية شهاب وقد أقبل عليه يهتف "تم ما طلبت" هز رأسه موافقاً وأشار صوب بيتها قائلاً "أين هي؟" رفع الآخر هاتفه قائلاً "سوف أستعجل حضورها"

تقدمه يسأل وحاجبيه ارتفعا للسماء "أعطتك رقمها! ها، ما لبست الحصول عليه!" صاح من خلفه غير عابئاً بما سأل "هيا سلمى، جميعنا ننتظر" تنهد مُمتعض وقد بات الجميع برفع الألقاب عنها، أتخذ الرجال مواقعهم بجوار السيارات مُنتظرين أمر التحرك من رب عملهم لثقب عليهم ببنتال من الجينز التصق بجسدها وبلوزة بيضاء انتهت بمنتصف فخذها وحذاء رياضي بلون البلوزة دثرت كل ذلك تحت معطف بُني اللون أظهر قامتها الممشوقة، تهادت تتطلع الموكب المهيّب وخصلات شعرها تُشاكس عينها لتتظر له مُمتنة تزامناً مع نفخها تلك الخصلة التي تُداعب عينها! أشار للرجال بالاستعداد ليصرخ بهم ما إن لمح نظراتهم، صاح بجديه أرعدت الجميع وهي منهم "هيا لما لا تتحركوا؟" توقفت أمام سيارته تسأل بصوت مُضطرب "أين أركب؟" دعاها بسقم وقد أسّلم مكانه خلف مقود سيارته يهتف لمن جلست جواره "مُستعدة" هزت رأسها رافضة وهمست "خائفة حد الرُعب أفضل" سألها يُدير السيارة "هل تُفضلي تأجيل المواجهة" أمأنت بالرفض وهمست بإصرار وحقد "لا، لا بد أن أقتل خوفي من مواجهتهم وأمحو سلمى القديمة الضعيفة" رمقها بجانب عينه ليشعر بخوفها وارتعاش كفيها غير مُدرك لما حيّ به دون مشيئته، أعاد رأسه يتابع الطريق وطرفاً من صدقها وحرقتها يتسربُ له، نفخ ينفض عنه الشفقة التي استدرجتها ذرية ومعها مروءته، جزّ أسنانه والغضب يعتلي صدره والفكرة تنموا ماذا لو ظلمت؟ وكان الحق والباطل سوياً؟ دُهِش وهو يراها تنزلق بالمقعد الذي أحتوي كامل جسدها النحيل وكأنها قوتها الظاهرة تتوارى خوفاً لكنه دُهِش أكثر وهو يلاحظ تتبّعها لها وقراءة لغة جسدها، ضجّ بمروءته التي حركتها كلمات ذرية ولم يعي ماذا يفعل، وبالإحجام أجبر نفسه على عدم فعل شيء والتزام الصمت حتى ينتهوا من ذلك اليوم، أما عنها فخانتها الشجاعة وتبخر ما رتبت له لتُصبح خاويه العقل، شيء واحد تودّه بشدة وهو القوة المُغلّفة بقسوة القلب تلك قوة تجعل الإنسان مخلوق يهاب الجميع المثل أمامه، ودون شعور تحسست ندبة اختفت تحت خُصلات شعرها الناعمة كانت لها يوم دخلت السجن ولولا مُجابهتها لمن فعلوا بصلد حد التخلي عن الرحمة لأصبحت سنوات سجنها في وادي ويل، عدلت من غُرثها تُداري جرحها وشردت مُجدداً في حياتها للآن تشعر بالسجن، لا بد وان تُعيد بناء حياتها فقط

تنتهي من تلك المواجهة، ستلقي بهم لقلة الراحة لترتاح هي من همهم، تعلم علم اليقين أن مجرد ما يصلهم خبراً عنها لن يتركوا الراحة تدق أبوابها فالزاما عليها أن تبدأ بالمُباغاة، انتبهت لوقوف السيارة بأول الحي لتسأل وهي تعتدل بجلستها "لما توقفت؟" رفع هاتفه لتسمع الرد حيث هتفُ "شهاب أنتَ والسيارة الأولى والثانية أولاً وأعطني استطلاعاً ما إذا كان الكل مُجتمع، وأن لم يكن فافعل ما اتفقنا عليه" تركها لدهشتها الصامتة وترجل من السيارة وقد لمح محلاً للعصائر دقائق وعاد إليها يحمل كوباً ورقياً فارغاً وآخر أكبر منه بلاستيكيّاً مدّه إليها قائلاً "ليمون فريش" تطلعت للكوب بوجه لا يُفسر لتسحب محرمة ورقية تتناولهُ وقد أوشكت على النُكاء ما إن نظرت إليه، كيف تُخبرهُ بأنها تأنفُ ما لم تصنعه يداها، جلس جوارها يُراقب نظراتها بدهشة وقد فطنَ لحالها، وبدورها وضعت الكوب في الجزء الفاصل بينهم وهتفت "كوبك فاضي؟" لاحظت ابتسامته المُشرقة حيث مال ليلتقط حافظة سواكل من المقعد الخلفي يُفرغ قهوته الخاصة أمامها، صاحت بغيظ وهي ترى فعلته وقالت تُهدده "والله لن يشرب هذا السُم سواك!" قهقه بقوة وسبابته وإبهامه يستقران بين عيناه وهمس والضحك يتملكهُ "لامحك! يا الله"

تلمست وجهها وقد بدأ الضحك بعدوتها "ما به وجهي؟" أشار عليها بسبابته يجاهد الضحك ليُكشّر وهو يُقلدها حين أمسكت الكوب بقرف "يا الله، كيف وصفتيه بالسُم سلمى" انهى كلماته غارقاً في موجة ضحك عالية لتهتف وقد انتابها ما انتابه من ضحك "تخيلت صاحب المكان يصنعه" قلبت كفيها فوق وتحت بهستيريا وأكملت تسأل "هل غسل يده؟ أم حك جسده وفعل؟" دمعت عيناه من نوبة الضحك إثر كلماتها وتعبيرات وجهها ليمسح عيناه ساحبً نفس عميق علّه يُوقف تلك النوبة المُفاجئة، يُقر لأول مرة بشيء لصالحها ويعترف بخفة ظلها وردودها العفوية، صاحت بفم ملوي كطفل أطعمته والدته البروكلي "داود، من أجل خاطري تخلص من كوب الجراثيم هذا" علا صوت ضحكاته وتناول الكوب يهوي به من نافذة السيارة قائلاً "حسناً لا تبكي" ومن بين ضحكاتها تناولت كوب القهوة خاصته ترتشف منه تلقائياً وتهتف "هل ألقيت السُم بالطريق العام؟" أغمضت عينها بنشوة وطعم البُن يأسرها لتهتف مُجدداً غافلة عن نظراته "واو، من أين تشتري ذلك البُن" وضعت الكوب مكانه وصاحت مُتألّمة "شديد

السخونة" وبعد صمت التقط الكوب غافلاً عن مشاركتها له وبدأ في الشرب! وبعين تُراقب حركاتها العفوية تخشب جسده وخفت ابتسامته وهو يلاحظ ما فعل وصوتاً داخله عاوده يصرخ "هل أصبحت أحد رجالها؟"

وبالحارة صاح العم شحاتة وسط الجمع الذي احتواه مقهى الحاج متولي "هل رأيت زوج أبنتك يا سباك الحارة، صار مشهوراً ولا عبد المطلب في زمانه" أغمض علي السباك عينه بخزي يتذكر ما عرضه عليه شباب الحارة قبل صلاة الجمعة، لم يصدق عيناه وهو يُشاهد أبنته وزوجها عبر الهاتف وهم يعرضون أنفسهم بابتذال أورد الي نفسه اشمئزاً من الاثنين معاً، هتف الحاج متولي وهو يستفسر منه علّه يفهم "الم تكن تعلم بما أقدموا عليه يا علي؟" بسط ذراعيه أمامه بقلة حيلة قائلاً "والله تفاجأت مثلكم يا معلم! وكأن القيامة قامت وأنا لا أدري"

هتف شحاته يتقصد إهانته "سامحني يا سباك ولكن، يخلق من ظهر العالم فاسد، الكل يعرف تقواك وأبا عابد رحمه الله كان لا يُخير عنك، إذن من أين أتى فجر الأبناء لا أعلم" لم يقوى علي السباك على الرد والمُجابهة، كيف يُسكت لسان من يتحين عورات الناس وقد كشفت أبنته عورتها على مرأى ومسمع من أهل الحي بل البلد بأكملها؟ وبيد زوجها، من أول الأمر كان يرفض تلك الزيجة المشؤمة يعلم طباع عابد المُتعبة ألم تكن سلمى خيرٌ مثال لزوجة يمتص دماها ويستنزف روحها، لولا إصرار ابنته وأُمها وتهديد الأولي بالزواج شاء أم أبى لما تقبل الغضب مجبوراً بالرضى، ولكن ما فائدة الندم أصبح جيفة بغم الضباع الجائعة، أنتبه إلى صياح المعلم متولي لشحاتة ينهر "لملم فاهك يا شحاتة والتزم الصمت لا تُزيد النار اشتعالاً"

هتف شحاته ناهضاً وبعينه الشماتة "وهل قلت شيء؟ الحارة بأكملها تسأل، فلما تلوم علي؟" هتف متولي وقد رقّ لحال السباك "نهى خرجت من ذمته لزمة زوجها، هومن يُسأل، لذلك أصمت خيراً لك" صاح شحاتة محروق دمه "ديوث زوجها والكل يعرفه، كان ينام وزوجته الأولي تتلوى بين أحضان الرجال" تطلع لمن حوله وهتف مُجدداً "أجيبوا أنتم، أنا فقط أبصر الرجل" هم السباك بالتسابق معه لكن الجميع انتبه للسيارتين الكبيرتين يقتحما الحارة مُحدثتين بأبواقهم ضجيجاً مُلفت للنظر، تجمع أهل الحارة يتفقدون الموقف ليترجل شهاب بوجه

صارم يسأل "أين عابد درغام؟" تقدم شحاتة وبعقله ألف سيناريو وصاح "مالك به يا باشا؟" تحرك شهاب وقد أصطف خلفه أربعة رجال ذي هيئة مُرعبة وهتف بصلاية "الهانم ترُيده، أحضره قبل أن تأتي" تقدم صوب الواقف خلفه يسأل "أنت علي السباك حماة؟" سعد فتلة صبي القهوة سلّم بيت المعلمة قُطة بأقصى سرعته وتركزت دقاته على باب بيته ولم تنقطع حتى فتحت نهى تسبه ليهتف مقطوع النفس "ست نهى أين أخي عابد" صرخت والنوم يشملها "ما الأمر يا مُتخلف؟" النقط أنفاسه الهادرة وهتف بما ظنه "هناك أميرة خليجية جاءت لمُقابلته" هرولت نحو الغرفة فرحة "عابد! عابد أنهض وأنظر من أتى إليك يا حُب"

\* \* \* \*

حملت صحن كبير بين يديها وهتفت "هيا لينا دعينا نطمئن على أبناء طنط سلمى" هكذا سوف تجعله يتورط في عالمها أكثر وأكثر حين تربط نقطة ضعفه بنقاط ضعفها، تعلم صغيرتها ثَمائله الطبع باختلاف أنه لا يُجيد التعبير عما يُخالجه ولينا تُجيد استخدام تلك الملكة حتى انها تستغلها ما إن أرادت شيء منه وقابلته بالفرض، دوماً ما تُعلق صغيرتها بما ترغب حتى تتعامل الصغيرة بلسانها المُتكلم ورجائها الذي يستخلص منه الموافقة حتى لو لم يفتن! هتفت الصغيرة سعيدة تحمل لوحها الإلكتروني بين أحضانها "هل أحضرهم أبي لها؟" أمسكت الصحن بكف والثاني أمسك صغيرتها لتهمس إليها تتخذ خطواتها صوب البيت المجاور لهما "أجل لينا، والدك حنون مثلك وقد أوصاني بهم كي لا يشعروا بالوحدة" ضغطت على كفها تسأل "وأنت ما رأيك؟"

هتفت الصغيرة وقد التقطت الكلمات بقلب اخضر لم يمسه حقد "بلا أمي، نحن جوارهم، أحببت طنط سلمى وأكيد أبنائها طيبون مثلها" تبسمت بخُبث تتحسس رأس صغيرتها تُشجعها وقالت "دُقي جرس البيت إذن" ثواني وفتح عامر يسأل من لتهتف الصغيرة التي ثَمائل سن عُمر قائلة "أنا لينا داود الرازي، من أنت؟" تطلع الفتى لتلك الشقراء ذات الخُصل الذهبية وهتف بهم "مرحباً سيدة دُرية" اقتحمت باب البيت تهتف بمحبة "كيف حالك عامر أين عُمر؟" هتف عُمر من خلفها "عُمر هنا" تقدمت وسط البهو وخلفها لينا تهتف بحُب "أعلم أن سلمى

لديها مشواراً هام برفقة داود فقررت بعد إذنكم أن نفطر سوياً" كشفت عن صحن المعجنات الشهية فرحب الولدان بهما بمحبة وعامر يتفحص الصحن بعينه جيداً يدعوهم للجلوس بأدب "دعوني أصنع لكم مشروباً دافئاً" هتفت وعينها تتفقد أثاث البيت وتقيمه "هل تستطع؟" توجه للمطبخ يهتف مُرتبكاً "أجل" جلس عمر جوار لينا كلاً منهم يتفحص لوح الآخر وبدأت بينهم موجات الثرثرة ليهتف عامر يسأل "أنا وعمر نشرب الشاي بلبن ماذا عنكم؟" هتفت تتفقد اندماج من أمامها بعين مُنتصرة "لو أمكن نسكافية" نهضت مُتجه إليه "دعني أساعدك" وافق يُفسح لها مجال وهتف يسأل "وأنت يا! يا؟" صاحت تضحك له "أسمي لينا يا عامر، لا تنسي لينا" التفتت صوبه وأشهرت سبابتها في حركة ماثلت والدها وهتفت تسأل عُمر "هل الشاي بلبن هذا جيد" هتف عُمر وهو يهز رأسه "واحد شاي بلبن لأهل كايرو يا ولد يا عامر" قهقهت درية على طريقته لتنتبه لعامر الذي همس مُتأسفاً "أسف على طريقته السوقية سيدة ذرية، فلم نتأقلم مع الوضع الجديد فقط ما لبثنا سوى أسبوع أو اثنين بينكم" رمقته بدهشه من لباقتِه وهتفت وهي تتناول كوبها من ماكينة النسكافية قائلة "لا تعتذر" اتسعت ابتسامتها وفكرة خبيثة تطرُق عقلها لتهتف خلفه وهو يحمل الأكواب فوق صنيه صغيرة ويخرج إليهم "ما رأيكم؟ أعلمكم بعض الأمور تساعدكم في التأقلم، كما أن الدراسة اقتربت" تحمسا وأقرا بالموافقة لتسعد بدورها، فما أن تعامل معهم داود تقبلهم، صاحت تبدأ أول دروسها الأرستقراطية قائلة "هيا، نبدأ بالطعام كيف نتحدث والطعام بين أيدينا؟" بدأت تتعامل بطريقة نفسية تعلم نتائجها ووقعها لتتفاجأ من استيعابهم وكأنهم يسترجعون شيء بالأصل لديهم، همست وقد تلمست بطبعهم يُسرأ بغير عُسر وهمست داخلياً بتمني "هاك الله يا داود واسكن سلمى داخلك"

\* \* \* \*



شهقت تتطلع إلى رسالته وخرجت مهرولة من غرفتها إلى الأخرى دون هدف، هل حقاً جاءت سلمى؟ على ما تنوي؟ كيف ستواجه أهل الحي؟ متي خرجت؟ مازالت سيرتها حديث الناس ويُضرب بها المثل؟! ارتدت بنطال رياضي وبلوزة وجدتها مُلقاةً على جنب ودست قدمها في حذاءها الرياضي تتسارع مع الوقت تناولت مفتاح الشقة سريعاً حتى توقفت وهي تضرب صدرها وتهمس "أبنائها؟ أبنائها في السجن؟!" هرولت تقطع الطريق علها تصل إليها وتقاوت أسطول السيارات التي كادت تصدمها تطلب رقم شهاب دون رد، هرولت وقد أوشكت على الجري تهمس بأنفاس مُهدرة "رد أرجوك، لا يجب أن تتم تلك المواجهة" أعادت الاتصال ووقفت تلتقط أنفاسها وهمست يائسة من عدم أجابته "يا رب، لن تتحمل السنة الناس مُجدداً، سلمى ضعيفة وطيبة وأهل الحارة ازدادوا توحشاً" همت بالذهاب ولكنها توقفت وسؤال يُباغتها "هل لديك القدرة على قول كلمة الحق والمواجهة؟" جلست إلى الرصيف لا تقوى الحركة جزء منها يدفعها للوقوف خلف من غدر بها الزمن وجزء آخر يخاف الناس وسوء السمعة، غلبها الدمع والخوف وهي تلمح بعض الناس وشباب الحي يهرولون خلف السيارات يهتممون بما لم تستطع فهمه، نظرت الي السماء فوقها وأغمضت عينها تهمس "ماذا أفعل في الرعب الذي يشملني" وضعت وجهها بين كفيها وانخرطت بالبكاء تعلم ما يشمل نفسها من أنانية وضعف كعلمها أين الحق، لا تقوى إهدار سمعتها دون ذنب،

\* \* \* \*

هرول عابد ينزل الدرج يصيح وقد وجد قطعة تسبقه بكامل أناقتها ذات الألوان الفاقعة " نهى! صوري المقابلة من شرفة أمي هي أقرب للشارع ولا تنسي وضع العدسة على الهاتف ومكبر الصوت " صاح يتفادها "ماذا يا معلمة هل صيرتُ أحظى باهتمامك؟" خرج يُعدّل من هيئته وتقدم بقامته الطويلة يسأل "من يرُيدني؟" وقبل أن تنتهي كلماته اقتحمت سيارته الحارة وخلفها سيارتين حماية، ترجلت برقي وداود يفتح لها الباب وعينه تُشجعها، تقدمت تتفحص الوجوه من خلف نظارتها السوداء لتقف أمام الجميع قائلة بثبات "كيف أصبحتم؟" هلل مرحباً وهتف يتقدم لها ملهوفاً "مرحب بسيدتي وست الكل" ارتعش جسدها بقوة وكفها يرفع النظارة فوق رأسها لتتقدم بوجه ثابت مُعلق قائلة "أصبت، أنا سيدتك وتاج رأسك يا عابد درغام" ابتسمت بقوة وهتفت بتحدي تفتح ذراعيها مُستعرضة حضورها المُباغت "أين أبنائي يا ابن قطعة؟" شهق من شهق، وذُهل البعض، والهمس أتحد بكلمة "سلمى" همس شحاتة لمتولي وهو يعي لها "من تلك يا متولي؟ هل هي؟" همس متولي يتقدم خطوتين "بلا شك عادت لأجل أبنائها" أعاد شحاتة الهمس ولكن إلى علي "انظر يا سباك الحارة وملي عينيك أهذه من تُدافع عنها" عوج فمه مُتهكماً وأكمل "ظهر نعيم المال بما عملت، ويقول السباك بريئة" تفقدها بدهشة وعقلاً لا يدرك ليتقدم بصوتاً هارب وعيناً فضحها الحنين يسأل "سلمى؟"

\* \* \* \*

جلست تستقبل زيارة مدير أعمالها تسأل واضعة قدم فوق الأخرى مستفسرة  
"ما سر تلك الحراسة المشددة صُهيب؟"

أعنتلى وجهه الاهتمام وهتف بجدية "أوامر المحامي دهب هانم" أماعت موافقة  
وهتفت بصوتها الموقر "كُن معه، أنا أثق به" هتف يتفحص المكان كعادته  
كُلما زارها "وضعتُ المال في الإدارة كما طلبتي وأما عن موقف تلك الفتاة!"  
حك جبينه يتذكر أسمها لتهمس "رباب" وافقها متذكراً وعاود قائلاً "أجل  
رباب، زوجها اختفى وخروجها بعد شهر تقريباً" تنهدت قائلة "إذ لم أخرج  
حينها سوف تستقبلها عني، متى الجلسة المُقبلّة؟"

"أخبرني المتر انها في غضون الشهرين المُقبلين ولم يعطني أي كلمة تُفيد  
موقفنا سلباً أو إيجاباً" تطلع إليها ومال يسأل "هذا الرجل غامض وأنا قلق من  
طبعه هذا" قهقهت بروية وهتفت بأرستقراطية تليقُ بها "يعجبني أسلوبه، منذ  
أن تعرفت عليه في إحدى سفراتي، راقت لي طباعه الغامضة فتقصيت عنه،  
تخيل سمعته بالخارج فاقت تَخيلي، رجل من الطراز النادر صُهيب" هز راسه  
موافق وهمس "أعلم" أنتبه لندائها وأولاها انتباهه كاملاً لتهتف "هناك امرأة  
اسمها سلمى المصري، أبحث عنها وإن عجزت أؤكل أمرها للمتر داود" لاح  
الاستفسار على وجهه وسأل "مالك بها يا هانم؟" ابتسمت بمحبة وهتفت ناهضة  
وهي تسمع انتهاء الزيارة "لا أعلم ولكن حُبها أستقطع جزء من قلبي وكأنها  
أبنتي" وافقها فيما أمرت وهتف واقفاً "قاسم باشا الوكيل يرسلُ لكِ أحرّ السلام  
ويسأل هل ينفُصك شيءٌ" عدل من حُلته وأكمل "هذا الرجل يكن لكِ احترام  
دهب هانم، عظم عليه ما لقيتي من غدر" تحركت تهتف وصوتها يبتعد "حقاً،  
ابلغهُ تحياتي صُهيب وابلغهُ امتناني الشديد لما يفعل" خرج مُستغرب طلبها من  
سلمى التي تتعُثها أبنتي؟ يعلم ما تفعله منذ وطأت السجن من مساعدات كُثر  
فكل من وطأت جوارها كانت إما غارمه أو قتلها دين، فرجت كُربات البعض  
ولكن كونها تهب منزلة الأبنه شيءٌ جَل، يعلم حرمانها من نعمة الأمومة للأبد  
ولكن قوتها وذكائها لا يعترفان بالحنان من أول وهلة رغم سماحة طبعها، تظل  
جامدة لا تقدرُ أحداًهن على اختراقها، وصلَ سيارتهُ ليشير الي رجال الحراسة

المرافقين له بالتحرك ويهمس لأحدهم "كل معلومة عن سلمى المصري" تحرك  
مُسرعاً يهمس بطبعه الشكّاك "لنرى من أنتِ وكيف ملكتي تلك المكانة  
سيدتي!"

\* \* \* \*

تقدمت قطة تُنحي الصدمة جانباً وهتفت والدهشة تعتلي وجهها كما وصلوكاً  
تجراً على صفعها "من؟ الفاجرة؟" تلفتت حولها تنظر مهابة حضورها  
ورمشت بعينها والحدق يملكها والكثير من الغموض يشملها حتى هتفت "لك  
عين تجهري بمعصيتك ولا تحسبي حساباً لأحد، يا جرأتك؟" تطلعت إليها  
باحتمار لم تخبو ناره لتسمع صوت شحاتة يتسرب من بين المهممات يهتف  
"متى أفرجوا عنك؟" اهتزت مما تسمع، هل سيُعاد المشهد، لم تبرأ من الأولي  
لتجد الثانية، رمتها بنظرة مُتعالية وهتفت بقوة حركت جنبه "أخرس يا آفاق  
الحارة" تقدم إليها علي السباك يهتف "سلمى؟ حمداً على سلامتك بُنييتي" رمتها  
مُستغربة من رحمته وتذكرت حين ابلغها شهاب بأنه من وضع لها النقود  
بخزينة السجن، لتلين ملامحها وتهتف له رُغم فعله أبنته "شتان بينك وبين  
أبنتك يا عم على" سقطت نظرات الرجل أرضاً وما زال يساوره الشك تركته  
لتقف أمام عابد مُتجاوزة قطة بكبرياء حرق دُمها تسأل مُجدداً "أين أبنائي يا  
هذا؟" هم يقول شيء لكن قطة هتفت وما زالت تشملها بحقد "ليس لديك أبناء  
عندنا يا حلوة" أعادت سؤالها له وأحجمت عنها تعلم إهمالها سيوقد نار جنونها  
لتقف أمام عابد تنتظر رده لكنه سأل بعين تذكرت طيفها "كيف تغيرت هكذا؟"  
تدخلت قطة تلمح حينه لتقف أمامها تهتف "أبنائك طفشوا! لم يتحملوا فعلتك  
المُشينة والناس تنعتهم بأبناء الزانية، هرعوا للشوارع يتلمسوا شرف أهدرتة  
أهم الفاجرة" احمرت عيناها تتكبد الدمع بقوة ونظرت لجموع الناس بحسرة،  
دارت عين داود تحصد ما يسمع ويرى مُتعجب من عداوة المرأة غريبة  
الأطوار لها، كلماتها؟ تركت داخله شعوراً لم يستسيغه ولا يعلم كُنْته ولكنه شك  
للحظة بعدم الارتياح يُباغته، تقدم مُنتبهاً لكفي قطة وقد تمسكت بمقدمة  
ملابسها وقبل أن تتجرأ أكثر نفخ ذراعيها بقوة لا يعلم كيف وافته يصرخ بها  
وقد حال جسده بينهم "إياك ولمسيها" صرخت قطة تتمسك بإحدى ذراعيها  
تهتف "مؤكد أنك عشيقُ الفاجرة، صاحب المال وولي النعم" تماكنت أعصابها

تحاول دفع نفسها للرد بالسباب أو حتى الركل ولكن دون جدوى أين ذهب ما دربت نفسها عليه وهي تنتظر تلك المواجهة، كأنها تتلطي بالجمر دون الاستطاعة بلقطة ألم!، نظرت اليهم تتلمس أي معاونة حتى قابلت الدعم بعينه، تنفست بعمق وهتفت تدور حول نفسها مُستعرضة "سلمى اليوم ليست كما سلمى الأمس" رفعت نظراتها تُشر صوب نهى وغمرت قائلة "صوري جيداً ما يحدث صديقتي" انتبهت للجمع حولها تتذكر كلمات السيدة ذهب حين لمحت بأن هناك مكيدة مُدبرة لتهتف وأفكارها مُبعثرة "جئتُ لأجل أبنائي الذين تَحْفُونَهُمْ، وبما أنكم تريدون فتح الماضي" رفعت كتفها ببساطة وأكملت "هيا بنا" تقدمت نحو قطعة وهتفت بها "ما رأيك؟" رفعت أنظارها تُشير لمن تصور لتهتف "صديقتي المُقربة دوماً تُحرضني على حماتي وأفعالها أراها اليوم تتخذ مكاني، عجيبٌ أمرها!" تيسمت تتقدم شحاته "وأنت يا نمام الحارة أراك تركت شُرب الحشيش وتفرغت لمحرمات أكثر شغفاً" تطلعت في الجميع ثم قالت تستدعي جبروتاً اكتسبته من ضل سجنها "أنا لا أرجوا منكم إنصافاً بل إجابة سؤال واحد، كيف أختفي محمود ز غلول عزمي؟ الشهير بحمو؟ ألا يحق له أن يدلوه؟" تبادلت عينيها النظرات بين قطعة ونهى وأكملت تُربّع ذراعها الي صدرها "حمو أفشى بأسرار الحارة لي يا قطعة! لكن السؤال، لما أنا؟" زاعت عينٌ قطعة واهتز الهاتف بيد نهى وكلاً منهم يعي الحقيقة دون فهم مقصدها، تقدم إليها يهتف وهو يحك ذقنه قاطعاً المشهد "حمو اختفى منذ تلك الليلة فما أدرانا أنك لا تعرفين مكانه ونبهته لبيتعد"

تفرست الرجل وهتفت وجهها يبتسم بتهكم وقالت "مرحباً شيخ حازم، ما أخبار تقواك الكاذبة يا شيخنا"

صاح باضطراب في وجهها "تحشّمي يا امرأة" انتبه داود لذلك الرجل المُلتحي وهم يعتذر منه مُقرأ بإدانتها التي لم تُطمس لكنه توقف وهي تهتف قاصدة ذلك الشيخ "لما الاضطراب يا شيخ حازم، أولست من حرضني على ترك من لا يُقدر النعم" أشارت بازدراء لعابد ثم أكملت "هاتفنتي حين طردت من الحارة تُطيبُ خاطري وتزعم أن ما أقدمت عليه لن يحاسبني الله لأنني مُرغمة" اضطرب الرجل وتصيب عرقاً وهتف "ماذا تقصدين؟! هتفت في

أهل الحارة تُشير عليه "الشيخ حين سببته عبر الهاتف ظل يُرسل لي الرسائل والمواعظ ويُخبرني بأنني جُبرت على اتخاذ رجلاً آخر تحت وطأة ما ألاقيه من سوء المعاملة" صرخ يتقدم ينوي صفعها "كاذبة، كاذبة" تعلقت كفه وداود يدفعه عنها أمراً رجالة به، صرخت تتقدمه وسبابتها بوجهه "لو كنت املك هاتفي القديم ما تجرأت على تكذبي" لكمه داود ثم اعتدل صوبها يهتف "غداً سأستخرج سجل مكالماتك ورسائل هاتفك القديم" هتفت وعينها تدور بالجمع "الشيخ نصحني بحسن اختيار رجل تقي يقف جانبي" تقدمت له وهو مُكبل بين رجال داود وتمسكت بذقنه تشده حدّ الألم وتصيح بوجهه "أخبرهم كيف أردت مُساومتني، ولما أردت تسديد القرض عني؟" تقدم الحاج متولي وقد أوشكت النار تندلع بالحارة ليهتف بروية "صلوا على النبي يا جماعة وأهدأوا" لم تهدأ النفوس وظلت وأجلة يعلم متولي وأهل الحارة شاكلة الشيخ المُدعي حين صاحت أحدهن من نافذتها ذات يوم تسبه بأمه سبة نابية لمحنته يجلس بظلام الليل يتلصص على عُرفة أبنيتها، لمحنته حين أنار هاتفه فجأة وكانت ففضيحتهُ مدوية، وقفت وداود حذوها حتى قال أحد الشباب وهو يهتف بتعل "خالتي سلمى أنا وبعض شباب الحارة لم نستطيع ما حدث سابقاً وللأمانة كلما جاءت سيرتك ساورتنا بعض الأسئلة عجزنا عن حلها لذلك وضحي لما جئت ومن هؤلاء الذين معك" أجابت وقد ملأ نفسها الإحباط "أريد أبنائي ولن تروا وجهي مرة أخرى" هتف داود يوقف نزيف الإحباط الذي لاح على وجهها "أولاً، دعوني أوضح لكم الصورة كاملة" رفع حاجبيه وتفرس وجوههم المتسائلة وأكمل "أنا داود الرازي، محامي السيدة سلمى المصري ووكيل أعمالها" علت الهمهمات والكل يسأل ليهتف وقد خرست أفواههم "السيدة سلمى المصري الوريثة الوحيدة لعمها الملياردير يوسف المصري رحمة الله وصاحبة مكتب مُحاماه أديره أنا، جميع موكلية من زمرة وزراء وأكابر الوطن العربي بأكملهم، وشركة حراسة خاصة مسؤولة عن أهم شخصيات بالبلد وتأمين حراسة البنك المركزي" بُهتت وجوه الجميع وانكمت الأفواه الغاشمة ليهتف شحاتة الأفاق قائلاً "وهل داس أحدنا على طرفٍ لها؟" توجهت العيون المتوسعة صوبه ليكمل مُبتسم بسماجة "سلمى ابنتي، نحن بشر ما ذكرنا سوى ما رأينا، ولكن الحقيقة!" اخفض رأسه مُستغفراً ثم توجه الي قطة

التي مازالت تتألم من كتفها قائلاً "يا معلمة، ألم تصرخي يومها أنت وأبنك ونحن ما فعلنا سوى الاستماع لما حدث" نظر الي داود بخوف من منظرة وقد بات مجرماً وقال "سوف أرتضي بحُكمك!" حدّج داود بمعالمه الخبيثة وانتبه يسمعه ليهتف بغُلب تصنعه "ماذا لو كنت مكاني سمعت فقط، امرأة سحبها زوجها من فراش أحدهم! ما موقفك؟" تخشب جسده، هل يضعه أمام نفسه؟ من أين جاء بحُجة إبليس هذه؟ لم يرى ولم يسمع! فقط التقط ما تفوه به الخلق، اشتعل جسده بنار لم يعرف لها سبب وانتفخ شريان جبهته الأزرق ليصرخ في الرجل "حرقك الله في الدرك الأسفل" احتدم الموقف أكثر وعابد يتقدم إليها مُعاتب "سلمى أخبريني ما سبب ذهابك لبيت حمّو طالما أنت بريئة مما حدث؟" وقبل أن ترد تقدمت نهى تصرخ وسط الحارة "على ما تُبرر وقد أتضح أن أبنائها ليسوا من صُلبك؟" التفتت للخائنة ما إن سمعت اتهامها الجديد لتهوى على وجهها بلطمة أودعت بها ناراً تلتهمها واستدارت تهجم على قطة وتسبها بقوة

\* \* \* \*

وبأول الحارة أنزوى يطُلب رقمها للمرة العشرون حتى جاءه الرد بعد يأس منها "أين أنت؟ لما تتركين أختك في تلك المحنة؟" هتفت ببكاء استرعي استفهامه "أنا خائفة" صرخ من موقفها معاتباً والجنون يُذهب بعقله "من ماذا سُها؟" صرخت بالمقابل ليتلمّس خوفها "المواجهة، أهل الحارة لئام، لن يرحموا أحد، أنت لا تعلم شاكلتهم" صاح بها معاتباً ومحذراً "لا أفهم لضغفك سبباً سُها!" نهنهت عبر الهاتف وهتفت برجاء لم يتقبله "ليس بيدي ما أقدمه لها شهاب" تحير من ردة فعلها ليهتف بها وقد استبدت به الشفقة على سلمى وحلّ السخط على أختها "أنت خائنة سُها، لا تستحق سلمى منك موقف الخذلان هذا ابدأ" أغلق الهاتف بوجهها وعقله يدفع به لتفسيرات يابى تصديقها ليتطلع نحو سلمى الداهلة وداود الذي هتف في تلك المرأة التي لُطمت "وضحي، كيف ليسوا أبنائهم؟" تصدّرت قطة الموقف وتقدمت أمامهم تهتف بصوت ملأ الحارة لأخرها "أجربنا تحليل النسب وأخبرني المعمل اليوم أنهم ليسوا أبنائنا" أغمض داود عينه يتأرجح فوق حبال الحق والباطل ليصرخ بها

"أين نتيجة التحاليل؟" لوت قطة فمها مُتبرمة وصاحت به "سأستلمها غداً أو بعد غد" صرخت سلمى بها تتقدمها "يا أبنة الكلب، هل وصل بك الغل والكُره الي هُنا" دفعتها من كتفها كما فعل داود من قبل والذي حال بينهم لتصبح خلفه تسبهم وبدوره ومقتضيات مهنته قرأ الكذب بعينها الزائغة ليتوجه صوب عابد الجالس أرضاً وكفيه فوق رأسه مولولاً، سحبه يوقفه وهتف أمام الجميع مُبتسماً "أظن أنك موافق ولا حُجة لك" وبوجه شاحب وصوت مفقود سأل "أي موافقة" تركه متوجهاً نحو قطة وقد فطن انها الأمرة الناهية ولم تغفل نظراته نهى التي وقفت كتفاً بكتف لها تنوي الغدر والفتك بمن لطمتها فتبسم لهم بخبث المحامي قائلاً "الأبناء ونسبهم ليس لكم، إذن لا بد أن توقعوا على ما يُخلي ذمتكم منهم" دفعت نهى كتف قطة الذي خلع بقلق لتهتف الأخرى تُحذرهما بعينها "نمضي ونبصم لن نُربي نسلأً محرماً" تحركت السيارات بعد ساعة مُثيرة عاصفة ترابية خلفها بعدما جعلهم يوقعون على الأوراق التي بها تنازل عن أبنائهم وقد سلبهم الحق بضمهم حتى لو ثبت مع مرور الوقت صحة نسبهم، كما ادعي تفاجاه بما حدث للولدين وقد تبين أن الجميع لا يعبأ بهم، تطلع إليها والسيارة تنهب الطريق وهاله السكون التي تلبسها، هتف يسترعي ولو جزءاً من انتباهها "سلمى؟" أعاد النداء تحت وطأة سكونها المُقلق "سلمى! بالنهاية فعلنا ما جننا من أجله حصلتي على أبنائك للأبد" لا جواباً ولا رد، لا شيء ليصمت إذعاناً لحالتها وكفه تضغط على المذياع علّه يملأ ذبذبات الفراغ التي شملتهم بأي صوت، ارتقي الصوت والكلمات تجري بسمعهم وكأنها تتقصدها

دنيا راحتها تعب وياما شقتني

خلتني أبات في العراء لو عشت غلواني

طلبت أنول ودها سكنها شقتني

إن موت لا تنهزم لو عشت غلواني

والمتهم بالعشق عُمره ما يتبرى

فالجاهل اللي يَتمن النسوان من برا



اعتدلت بوجهها صوب النافذة تحاول استنشاق الهواء علّ صدرها ينفرج، لا تعلم هل أخطأت بذهابها أم تلك لحظة لا بد أن تمر بها، ظفرت نفس مُحمل بالآسي تُطالع حياتها الفائتة، كيف ستبدأ حياة جديدة ووصمة العار مازالت تلحق بها من نوافذ الغدر أم ستظل حبيسة بظلال الماضي، ماذا لو حرقت الأرض وما عليها، أشعلت سيجارتها الأولى تنفخ لهيباً مُماثل بلهيبها، ماذا لو تسللت ليلاً لتحرق الحارة وأهلها، ما أطعموها سوى الحنظل، ما إن علموا بكيوننتها الجديدة صار كل منهم يخلق لنفسه عذر ومُبرر مفاده هذا حال الدنيا! بل هي دنائه من فيها، انتبهت للساعات السيجارة التي طالت أصابعها فألقت بها من نافذة السيارة لتسمعه يهتف عله يجد استجابة "في الطريق العام التقيتها؟" لم تهتم لقوله حتى أنه اجزم أنها لم تسمعه، مازال سؤال شحاتة الأفق يضعه في خانة مُظلمة فبذلك سؤال أقتلع من ضميره جزءٌ يبدو عليه العطب، ماذا يفعل؟ بالأخير وصفوا له فتاةً وكأنها ملاك يحرس الأرض ومن عليها، لم يقل أحدهم أن عجالات الزمن سحقت روحها وقلبها وكل غريزة صحيحة بها، وهل تلك معادلة تحتاج لشرح أحدهم؟ ماذا كان هو؟ وماذا أصبح! كان شاباً طموح ومرح لا يعبأ بطبع الحياة بالآخر الكون له رباً يُسيره، لكنه أصبح مُهدد بهدم بيتاً أجتهد حتى أسسه، شتان بين الماضي والحاضر بينهم سعيراً لا تخبأ نارها وما من بشر سلم من شرارتها حتى تركت بثنايا روحه ندوباً لا تندمل، تملكه الغضب من نفسه وعقله الذي يُجبره على المرور بنقاط طالما تجنبها، تطلع بطرف عينه الي إشعالها سيجارتها الرابعة وهمس بينه وبين حاله "يا الله! وكأنني أتعاطف معها"، شعور مكروه بشدة تعاضم بتعاطفه معها فكيف ستُكمل حياتها؟

طال الوقت ومعهُ الصمت ليوقف السيارة بقوة دفعتها للانتباه تسأل "ماذا حدث؟ أين نحن؟" استدرجها مترجل ليقف بمقدمة السيارة والشمس تلوح بفراق احمر صبغ السماء، أشعل سيجارته ليحدها تتقدم جواره مُلتزمة السكون، عينها مُعلقة بالخلاء المُعبر، شعورها بأنها وحيدة يقتلها تعلم أن القادم رغم ترفها سيبقي أسوء وأسوء فمن سيبسمع عن فضيحتها ويعاملها كإنسانة؟ ستعامل وكأنها كلب ضال مما سيجعل كلاب الدنيا تنبح عليها ذاك بالشتم والطمع وأشبعهم سيركض بغريزته الشاذة إليها! التفت إليه تهتف بحسرة مدافعه عن نفسها "لستُ بكلبة" ارتفع حاجبيه بحركة تلقائية لا يعي ما تقصد لتأخذها تعابيره لسوء الفهم فتقدمت إليه تصيح بما يوجعها "كيف أجد الموت؟" تسربت دموعها وأكملت

"ليتهم قتلوني عوضاً عن قتل سمعتي" ضربت صدرها بقوة وهمست وكأن الموت خلفها "بحق الله ما فعلت شيء" انخرطت في البكاء بقوة وجهها بين كفيها والكلمات تنزلق دون وعي "خُذ روحي يا رب، لم أعد قادرة على تحمّل تلك الدنيا، ما عندك أفضل، لا أقوى على قتل نفسي يكفيني جحيم الأرض"

"سلمى؟"

"لا أريد جحيماً آخر بالآخرة"

"سلمى! "

"لما جعلت قتل النفس كُفر وهو رحمة "

"سلمى؟ انتبهي؟"

"أين مني الموت؟"

"ما تهذي به كُفر"

"تحملت فوق طاقتي يكفي، أي ذنباً أعاقب عليه؟"

"أسمه ابتلاء لا تقنّطي" رفعت وجهها إليه وهتفت ببكاء حار "عشرون سنة ابتلاء ينتهي بسمعتي؟ لما أنا؟ ماذا فعلت؟" أنهت كلماتها تضرب وجهها وصدرها حتى أوشكت على مزع خصلاتها الثائرة ليلقي سيجارته التي أحرقت أصابعه ويهجم عليها محاولاً ردعها عن الجنون "لن يمسسك أحد؟" لم تشعر بنفسها وهي تتمسك بملابسه تتوسل صدره عليها تختبئ كطفلة تائهة بغاية موحشة وجدت طيفاً همس بها لا تخافي ولا تحزني، تطلعت لعيناه وهمست بأنين صادق "أنا خائفة! مرعوبة! ألا يوجد من يسمعني؟ حجراً يترأف بحالي؟ أحدا يُزهقُ روحي علّ أرتاح من ظُلم الدنيا؟" بكت بحرقة وصرخت بين أحضانه غير واعي بكفيها التي تتمسك بقميصه وكأنه قميص يوسف، سكنت روحها لروحه فمالت داخله فراغاً لم يعلم وجوده، جاهد نفسه لعدم لمسها الي أن شهقت، ليحكم ذراعيه حولها بقوة مدثر رأسها بين ضلوع صدره ولسانه يُسبب الضعف وما يُخلفه، لا عنأ الشفقة التي استدرجته لسقوطها المدوي داخل صدره، مرّت لحظات

قصيرة الوقت، طويلة الأثر وكلاهما غائب عن رحيل الشمس وبزوغ القمر الذي عكس نوراً خافتاً لاح غصباً عنهما، سعل بعين متوسعة وعقله يردّ له وقد أوشك على تقبيل مفترق شعرها ليدفعها بقوة طفيفة يجز أسنانه ويهمس دون صوت "سافلة" أغمض عيناه يسحب جسدها المترaxي صوب السيارة حتى أراحها بهدوء ليلتف نحو مقعده وصوتٌ داخله يُعربد كالمارد صائحاً "مذهلة" أدار السيارة وتحرك عقله المجنون يسأل "لما يُعربد مارِد بداخلك كلما لمحها؟"

أمانة لو داق بك الحال شوف الناس وأطلع

أمانة لو داق بك الحال روح القبر وأطلع

تلقي الأسود رمم والعظم مطلع

يا مهملين المحبات عقدي انفرط منه حبات

وأبويا روح يا ناس وحنانة راح مني

كان الأمان والسند والنظرة تكفيني

وأخواتي يا هل ترى يكونوا رحمني

ولا القساوة في قلوبهم على وش تكفيني

\* \* \* \*

تركتُه نهى شاردا وركضت تقطع درجات السُّلم مُهرولة لتدخل وهي تصيح بغلّها الأسود "هل رأيتِ ما رأيتِ يا معلمة" نفخت دخان النرجيلة بغضب تسأل من أين جاءت بتلك الهيبة؟ ومن ذا الرجل الذي خلع كتفها لأجلها؟، انتبهت إلى الألم الذي عاودها وصاحت والغلّ يأكل أحشائها "غيري هذا الفحم فوراً" تطلعت إليها نهى بغضب مائل غضبها وصورة سلمي تنحرفها، طلعتها الواثقة وثباتها!، ثقتُها التي لم تُفتر مهما حدث لها وكأنها!، ابتلعت غضب أهل الحارة بلقمة واحدة؟، لا تُشبه أحد وكأنها سليلة الملوك والأمراء وهي لها نسل السباكين! نظرت لقطة بطرف عينها ولوت فمها ناقمة عيشتها وذلك النسب الذي حاربت من أجله، لا بد وأن تعلو فوق الأخرى مالاً وشكلاً ورفاهية، لا بد أن تُعامل وكأن

والدها ملك لا سباك الحارة والحي والمنطقة، نظرت لحماتها بقرف وأنزلت عينها بنفس النظرة إلى النرجيلة وقالت مُتمنعة "فحم ماذا؟ أنا أشعل فحم وغيري تُصبح هانم؟" انتبهت قطة لها ومالت تتفحص وجهها قائلة بنصف ابتسامة "رائحة الغيرة تفوح منك" هزت رأسها موافقة وهتفت "لست وحدي، هل تنكري ما يطل من عينيك؟" صرخت بها والغل ينضح عنها "أغار! أنا أغار يا زوجة أبني؟ الم تري كيف فضحتُها" رنت ضحكُها المُستهزئة وهتفت وقد مالت لها بوجهها "اصمتي حتى تسمعي ما يُقال بالحارة عنها" اعتذلت تُشير صوب الشُرفة وأكملت أمام عينها المتوسعة "شحاته صار يُبرر لها ويخلقُ الأعدار لما سبق، وشباب الحارة؟ ذلك الرجل الذي دافع عنها تعامل مع الشباب بحكمة حتى بات الجميع يضرب بأخلاقيها المثل مرة أخرى" ألقت قطة لِي النرجيلة بقوة تصيح غير مُصدقة "هل تهذين؟ شحاته يكرهها، وشباب الحارة لعنوها ما إن علموا بنسب أبنائها" تقدمت إليها تهتف من بين أسنانها بحرقة "شحاته لا يكره ولا يحب أحد، مُنافق لديه عدوى الثرثرة وحُب الفضائح، شباب الحارة ورجالها أعادوا التفكير فيما حدث، أفيقي يا معلمة الكل بات ينبش في قصتها ويسأل أين حمو؟"

"حمو؟"

"اجل لو ظهر حمو لن يصمت حتى يأتي بحقه وحقها" رفعت حاجبها ترمُقها بمغزى وسألت والشك يتسرب لها "وما حُجته يا نهى؟ غائب عن الوعي تهجم على امرأة!" اضطربت ملامحها وهتفت والخوف يتملكها "أنا فقط أفكر بصوت عالي، ماذا لو اكتشف انه مُتهم باغتصاب إحداهن؟!" خرسَ فمها ولكن عقلها لم يخرس لو وصل أهل الحارة إلى حمو سوف يُفضح كل شيء، خصوصاً وحمو يكن كل احترام لسلمي، كيف لا وهي ساعدته في الإقلاع عن ذلك السُم الأبيض الذي كان يُدمنه، لا بد أن يرد جميلها وقد سترته ولم تُخبر أحد، لولا تلك الحبوب التي وضعتها له نُهى بكوب الشاي ليلتها ما كانت الهلوسات تملكته ولا استطاعت أن توهمه أنها هي! تنبهت لصوت قطة تهتف "حمو لن يظهر! أنا أرسلت له مرسال يُخبره أن الحارة بأكملها تنترصده بعد ما وشى عليه الشيخ حازم بأنه ديلر المنطقة فبات الكل يرغب بتسليمه للشرطة خوفاً على أبنائهم"

لمعت عينها وهتفت تسأل لتطمئن "وهل أنظلت عليه الحيلة" تناولت ليّ النرجيلة من جديد وقد غيرت الفحم بذات الاشتعال السريع وهتفت "بالطبع، خصوصاً وأني استغلّيت موت الفتى سيد بن سعيد الوثش الذي مات من جرعة مخدرات زائدة وأبلغته أنهم ألصقوا التهمة به" تركتها بعدما أمنت جانب كان يُرعبها، وعزمت وصورة سلمى وتلك اللطمة التي تلقتها تُثير حقدّها، لا يجوز أن تصير أفضل منها لابد من تغيير حياتها بأكملها والأهم جعل عابد مثل ذلك المحامي الذي حضر معها، مُنق ورجولي والعز يفوح منه، دخلت شقتها تهتف على المُستلق فوق الأريكة كما خرقة بالية "أنهض عابد ها نحن تخلصنا من كل عقبات حياتنا" أشار بزراعته وهتف وهو يولي عنها وجهه "أتضح أنهم ليسوا أبنائي يا نهى!" بدأت باستخدام أسلحتها التي لا تصدأ نصالها لتُلقي بلوزتها من فوقها جانباً وتتقدم تدعي المؤازرة قائلة "دعك من الماضي يا حُب وأنظر أمامك، لدينا الكثير لنفعله حتى نعتلي دنيا المال والثروات كما باشوات هذا الزمن" افترست عيناه جسدها وواقع كلماتها يؤجج في نفسه نقصاً بات يحبو إليه مؤخراً، لما لا يصبح كهؤلاء الرجال أصحاب الحُلل السوداء والقصور والفيلات لا هو بالقليل وسامة ولا يريد أن يصير جزاراً مثل عائلته، لابد أن يرتدي ثوب الأكابر ويُجالس فطاحل البلد، حملها متوجهاً لغرفتهم وكلا منهم يتطلع لعالم ليس منه عازمين على الانتقال من نقطة الصفر لأرقام يعجز العقل للحاق بها، اثنان من الزوجان أصبحا وجهان لعملة واحدة، وأبنائه؟ مبدأه ومراده التخلص من مسؤوليتهم واليوم ساهمت الدنيا فيما يرغب فما المُعضلة إن كانوا له أو لغيره، حمداً لله على هم انزاح من صدره.

\* \* \* \*

تدثرت داخل فراشها ليسحب عامر أخاه عُمر وقد حزنا لذلك التعب الذي حل بها، أطفأ الكبير الضوء مُغلقين الباب على انتهاء هذا اليوم بأكمله، فما أن وصلت بملاحمها الغربية حتى أخبرهم داود ببعض الحمى التي أصابتها ساحباً زوجته التي ما زالت تمكث عندهم وهو يتأفف من فعلتها، هل قضت النهار بأكمله هنا، وبطبعها شديد البخل أكلت وشربت حتى كادت تُجهز على مؤن البيت لتخرج وييدها صحنها وقد ملأته ببعض الحلوى وآخر يكبره

وضعت فوق الأول بحذر ملأه عامر ببعض المكسرات التي اشترتها سلمى لعشق أبنائها لها! دفعها لداخل البيت يهتف بصدمه "هل أخذت الطعام من عندها" وضعت الأطباق من يدها وهتفت تدفع أبنيتها إلى غرفتها "عامر من أصر، مجرد امتنان لجلستي معهم" صاحت الصغيرة تتقدمها "لم يُعطيك شيء أنت من أخذتي ودون الأذن" نشب الشجار بينهم ليهتف عليها مُحذراً "إياك أن تُعيدي ما كُنّتي تفعلينه مع يوسف يا ذرية، هذا الإنذار الأول والأخير لك!" ومن بين اليقظة والنام أسترجع عقلها ما حدث لترى نفسها بين أحضانها في مشهد مُخزي لها لتستمع مرة أخرى لأخر كلماته التي ألقاها وهو يسندها بتحفظ الي باب بيتها "أتممت ما طلبت سلمى هذا أخر تعامل بيننا" بكت خزيّاً من فعلتها فبماذا سيظن بها بالأساس يراها بصورة مُخزية وقد أكدت له الصورة بل طبعتها كطابع بوسطة عتيق الطراز سيظل دوماً يتذكرها بهيئة سافرة، بكت حالها وضعفها لتهمس بخزي شملها "ماذا فعلت يا سلمى؟ ماذا فعلت؟!"

\* \* \* \*

دخلت بيتها وقد صارت السابعة صباحاً بعد أن قضت ساعة كاملة في المشي، هكذا بدأت حياتها الجديدة فمع بزوغ الفجر تصلي فرضها وتبدأ يومها وساعدها طبيعة الناس في ذلك المجمع السكني الفاخر فلكل أنسان هنا خصوصيته طالما لم يتجاوز خصوصية أحد، وها هم أولادها انتظموا بالدراسة وقد كثفت لهم دروسهم وتعهدت لإدارة المدرسة أن تضغط العام الدراسي بترم واحد، انخرطت بين الدراسة ومشاكل الأبناء حتى تناست مُجمل همومها وساعدها الولدان بالاجتهاد رافعة بها وهم يلاحظون حالتها النفسية المتداعية، صارت صامئة تتحين أي فرصة تنفرد بنفسها رغم هروبها من الوحدة التي تضعها أمام اللوم والشعور بالخزي مما حدث! صاحت تهتف على تلك التي تُحضر الفطور "رباب؟ هل استيقظ الأولاد؟" هتفت رباب وابتسامتها تسبقها "اجل حبيبتي، يتجهزون بغرفهم" سعدت سلم البيت الداخلي برشاقة وتوجهت تدق باب غرفتهم "عامر، عمر هيا، هل انتهيت؟" تحركت صوب غرفتها حتى تُغير ملابسها وهي تسمع صوتهم يطمئنهما، أخذت حمام سريعاً وارتدت ملابس رياضية فضفاضة لتتوجه الي النافذة تفتح ستائرهما، تراجع وتراها يخرج ويده ابنته واليد الأخرى حافظة القهوة خاصته، مرّ شهران ولم تلمح طيفه رغم علمها بموعد خروجه فهو يوصل صغيرته مدرستها مبكراً ثم يذهب لعمله، هكذا خبرتها ذرية التي تعمقت معها حتى صارت كما الأخت لها، هي الأخرى توصل أبنائها لذات المدرسة لكنها تُفضل النزول متأخراً حتى لا تلتقي به فقد وعدته آخر مرة انه لن يري وجهها حتى ولو صدفة، لو فقط تكف زوجته عن ملاحقتها بأخباره! هي الأخرى لا تكف عن الثرثرة يومياً لما أخبرتها عن قضية خطيرة يعمل عليها وأن اليوم جلسة النطق بالحكم؟، كما أبلغتها أن خصومه في القضية من حيتان البلد ولا يتفاهمون سوى بالدم، تنهدت من حضوره غصباً عنها وتساءلت لما صارت حياتها تُفرش أمامها دوماً، نزلت إلي الطابق الأرضي تسحب مفاتيح سيارتها الجديدة وتهتف وهي تعطي أبنائها السندوتشات التي أعدتها رباب لهم "هيا كي لا تتأخروا" تحركت بالسيارة متوجهة الي المدرسة وهي تمتن لأدهم الذي ساعدها على شرائها وقد أصبح صديقاً مقرباً من العائلة وتلك خطيبتها لذيدة طيبة القلب لا يُنغص حبهم سوى والدتها التي تتدخل بينهم بشكل مستفز فتلك

شكوة أدهم دوماً، توقفت وهي تهتف لهم "مستعدين؟" هتف عامر وهو يفتح بابه "أن شاء الله" ليتبعه عمر "كتفي الدعاء سلمتي، يوم الامتحان يُكرم عمر أو يُهان" تبسمت بيأس من مُشاكسته الدائمة وتحركت عائدة للبيت لا تعلم هل سيأتي شهاب كما طلب مُقابلتها أم سينشغل بقضية اليوم،

دخلت من باب منزلها لتجدهُ يجلس إلى طاولة الطعام يفطر بنهم فصاحت متوجة صوبه "رباب هيا الفطور سوف يبرد" جلست على رأس السفرة تهتف "هل قالوا لك هذا البيت ملجأ، فطار وغدا هُنا دوماً" تبسم ومازال يأكل وتهتف "جعل الله بيوت المُحسنين عمار يا سلمى" سحبت فنجان القهوة الذي وضعتهُ رباب جانباً وأشارت لها بالجلوس حتى تُقطر لتهتف وهي ترتشف القهوة "أليس لديك اليوم جلسة هامة" تبسم ينظرُ إليها باستفهام وتهتف "يا لا اهتمامك، كيف عرفت ذلك الأمر؟" انكمش وجهها وسألت رباب "هل غيرتي البُن" ثم التقت إلى شهاب تُجيبه "أخبرتني ذرية منذ يوم أو يومين" هتفت رباب والطعامُ بفمها "البُن الآخر خلص وطلبت بالأمس من ذرية هانم أن تُخبرني من أين تأتي به ولكنها راوغت" قاطعها شهاب يهتف بفم ملتوي "أقطع ذراعي بأنها طلبت نقود لتشتريه لك، طبعها وأنا أعرُفه جيداً" هزت رباب رأسها بنعم لتهتف سلمى وهي تُنحي الفنجان جانباً "أما زلت تكرهها؟" أجاب بطبعه الصريح "بخيلة وانتهازية، داود نفسه يُلاقي الويل من تصرفاتها لكنه كتوم لا يتحدث" لم تستطيع الدفاع عنها وقد تلمست ذلك الجانب بها فلم تنسي ذلك اليوم حين تركت أبنائها لتجدها أجهزت على طعام أسبوع كامل، حتى حين ذهبت لتساعدها على شراء بعض الأغراض لها ولأبنائها انتهزت الفرصة وتبضعت بالكثير على حسابها مُشددة بأن داود سيُحاسبها وبدورها لم تستطع طلب النقود امتناناً لوقتها ومع التكرار ظنت داوود مثلاً وتلك التصرفات بالاتفاق بينهم حتى صحح مفهومها ملاحظات شهاب التي لا تنتهي، هتفت تلتمسُ لها عُذر واهناً "يكفي رعايتها لأولادي، رغم تواجدها طوال اليوم معي وطلباتها التي لا تنتهي لكنها علمت أبنائي بعض السلوكيات التي ساعدتهم على الاندماج السريع مع ذويهم" التقطت قطعة من التوست المُقرمش الذي تعشقه ووضعت عليها القليل من المُربي وهتفت مُجدداً "ما دراستها؟ هل عندك خبر"

هتف بفم ملوي ينظرُ إليها "علم نفس وكانت متفوقة في جامعتها، ارتفع حاجبيها دهشة وهمس "ليست قليلة إذن" هز رأسه وأبتسم بسماجة لتهتف



تنفض يداها "لم تقل ما الذي أتى بك مبكراً" غص بالطعام فالتقط كوب الماء يشربه ثم هتف بصُلب الموضوع فهو لا يعترف بالمقدمات لدرجة اتهامه بقلة الذوق "سُها تسأل عليك باستمرار لكنها تخشى رفضك لها" نهضت متوجه لبهو الصالة الكبير تجلس على الأريكة تتفقد هاتفها وتهتف "شهران ويزيد منذ خروجي ومازالت تخاف مُقابلتي؟ ألم يحن قلبُها، مؤكد سمعت بيوم الحارة المشؤم!" تطلعت له وقد جلس بالمقعد المجاور لها لتتهتف باستفسار وغضب "كيف تواصلت معها؟" هتف دون موارد "لقائي الأول صُدفة ومع مرور الوقت صرنا نتحدث سوياً" رمقته بخطر تفهمه جيداً ليهتف مباشرة "ليس الأمر كما تظنين ولو أن هناك انشغالاً بها لكنه لم يرقى لموقع الإعجاب" عوجت فمها ترمقه بتفهم، تعرف أنه بعيد عن الكذب والادعاء وتذكرت حينما جاءها فائر الدم يشتكي داود وطبعه الجديد الذي صار يصاحبها، أشارت بكفها لباب بيتها وقد ضاقت من سيرته التي ما أنفك السكوت عنها حضرت أخباره غصباً، قالت بصوتٍ بدى حزناً لأبعد مدي "باب مفتوح لها، بالأخير أختي وقطعة مني أنا من ربيئها" أغمضت عينها وقد تذكرت ضعفها وهشاشتها لتهتف "بلغها تأتي بأقرب فرصة لزيارتي"

نهض مُبتسماً من طيبيتها فمهما ادعت القسوة التي طالتها حقاً لكن تظل يدها ممدودة لمن حولها وأقل مثلاً على طيبيتها ضم رباب إلى منزلها أخبرته يوم خروجها أن يُرسل من ينتظرها ويأتي بها على الفور لبيتها، لم تخشي قول قائل ولا تعللت بكون الفتاة ربيبة السجون، فقط احتوتها وأسكنتها ببيتها على وعد بالبحث عن عمل مناسب لها لكن رباب صممت على مرافقتها الدائمة تُراعي شئون منزلها ليس كونها خادمة ولكن محبة وامتنان لحسن معاملتها معها حتى بعد أن رزقها الله بتلك التركية،

نهض وقد شارفت الساعة العاشرة لتهتف خلفه وقد توجه خارجاً "أخبرها لا مانع من زيارتها، هل يوجد أم تلفظ بنتها؟!" خرج وقد سمع سؤالها الساخط مُتفهم موقفها فكيف لا تهول إليها حتى من باب الاطمئنان عليها، مُتفهم موقف الأخرى أيضاً رغم تحفظه وشكه في دوافعها بأن تظن سلمى تقربها لأجل الثروة التي المت بها وظناً أنها طامعة فيما تملك، هناك دوماً شعوراً يساوره بأن سُها لديها سراً هو السبب الرئيسي في موقفها، كيف لا تهرع لمن ربتها وترتكز لأسباب ليست مُقنعة؟ لكنه عاجز عن التقاط الخيط من أوله،

رد على هاتفه ليجد داود يستعجله فالיום جلسة النطق بالحكم في قضية دهب هانم الاخشيدي، أغلق الهاتف يتساءل عن مزاج ربّ عمله الذي بات لا يُطاق، كأنه بركان خامد وأنفجر ليلفظ حمم طالت كل من حوله، رغم ابتعاده عن مُحيط سلمى بات أكثر اشتعالاً، إن ذكر أسمها ينصت ويسمع بصمتاً غاضب وزوجته لا تكف عن ذكر أحوالها وتفاصيلها حتى أعتاد الأمر دون الرغبة منه، صف سيارته أمام الشركة وتوجه مُباشراً لمكتبه دخل مُلقي السلام يسأل "باشا، من أين تشتري البن خاصتك؟"

ترك داود ما بيده وتطلع له وإبهامه يجري على حاجبه يسأل "أهذا وقت بُن! ولما؟ لست من مُحبي القهوة" جلس بالمقابل له ورد بمباشرة "ليس لي بل سلمى" أرتفع حاجبيه في حركة تلقائية تُلازمه وهتف ببوارد غضب "هل عينتك خادم لديها؟" تفرس شهاب بوجهه وعلامات الاستفهام تمر بخاطره ليهتف بعد صمت "زوجتك تمدّها به وحين طلبت معرفة مكان المحال تمنعت وطلبت المال لتشتري" أنهى جُمْلته يتقصد إرسال المعلومة له فباتت تصرفات دُرية تتخذ مُنحنى خطر، لو تتعمد تعلق كلاً منهم بعضهم لن تفعل ما تفعل، يعرفها مُنذ زمن، كان جارها في تلك الدولة العربية فقد سافر في السادسة عشر مع والديه بعد قرار العمل خارجاً، فتاة فاتنة الجمال لكن مُجرد ما تكلمت طمست جمالها بثقل الدم، هكذا أجمع زُملاء المدرسة دُرية بخيلة ومتغترسة، انتهازية تتمتع بالكياسة بارعة في أخذ ما تُريد وهي تُشعر ضحيتها بالذنب والتقصير في حقها، كان سبب في معرفة داود بها حين توفي والده ليراها الآخر بالعزاء ويُفتن بجمالها، بعدها لحقت الأم بزوجها فكانت الثانية، والأخيرة كانت حين أُصيب بالزائدة الدودية ليُشمّله يوسف وداود بالرعاية وتأتي هي لزيارته في المشفى وتبدأ الحكاية.

منذ قرر داود الزواج من دُرية صارت العلاقة بينهم مُتحفظة وقد كان أقرب للصدقة الحقيقية منذ تحذيره من طبعها أتخذها داود بمحمل الغيرة ومع مرور الوقت أتضح صحة كلامه ليقف كلاً منهم عند ذلك الفاصل ولا يستطيع أحدهم تخطي سوء الفهم الذي أنهى تناغم بدأ بينهم، فقط مُنذ شهر لانت علاقتهم مُجدداً بلمحة من طيفاً مضى وهذا ما أسعده، همس داود وطيف الماضي يلسعه

"ليتنى أخذتُ بنصيحتك شهاب! ملعون الكبر!" تطلع له غير مُصدق ما سمع ليعاجله داود وقد أرتقت فوق وجهه ابتسامة مفادها الحسرة "أما زلتُ تحملها في نفسك؟" هز رأسه نافي بقوة وبصرachtة المعهودة قال مُباشرةً "أبدأً، فقط كُنت أُلوم نفسي على النصيحة وأراك لا تشتكى، كُنت مُتعسفاً ولكن!" سكت يستطلع وجهه ثم عاود قائلاً "سكوتك جعلني أشعر بالذنب سيد داود، بثُ مُتيقن بسابق معرفتي وعشرتي بك أنك كتوم للحد الذي جعل الجمود عنوانك" ارتفعا حاجبيه تهكماً وهُتف "سيد داود؟ إذن ما زلت تحملها بنفسك!" تطلع لساعته ونهض مُبتسم يهتف وعينه تلمع بمبادرته الغير متوقعة "هيا داوود وبعد الجلسة لنا حديثٌ لن ينتهي"

\* \* \* \*

عدّلت من طرحتها التي انتصفت بشعرها الأصفر المصبوغ وضبطت الهاتف فوق الحامل أمامها ثم أشعلت الضوء الأبيض الساطع لئير وجهها، تمسكت بليّ النرجيلة واتخذت وضعية نادية الجندي في فيلم السلخانة وهي بين صبيانها في محل الجزارة لتهتف بصوتها الجهوري "ولد يا عضمه عند الإشارة تبدأ" اليوم أول بث مُباشر، طوال شهرين منصرمين تتعلم البرنامج "التك توك" شاركت البعض في بثهم على سبيل الانتشار والتجربة، فبعد نجاح ابنها وزوجته وتحقيق انتشار ومكاسب طائلة دفعتها غيرتها وحب التملق لخوض التجربة، ولكنها لا تبغي مكاسب مالية فقط الشهرة والثناء المُبالغ فقط كنجوم السينما، ضغط زر الهاتف وتبسمت قائلة "حبايب قطة، اليوم أنا معكم من أحدي محلات الجزارة التي أمتلكها" أشارت بالعلامة المتفق عليها حتى هتف عضمه "العجلُ جاهز يا معلمة، سمي وكبري" ضحكت وهمت ناهضة تلملم أكمام عباءتها ذات اللون الأصفر الكناري تهتف وتصفق بكفيها "اللهم صلي على النبي، هيا يا حبايب قطة نذبح العجل معاً" التقطت الهاتف تتاوله لأحد صبيانها ومازالت الكاميرا عليها لتهتف "أمسك الهاتف جيداً" صاح الرجل بصوته الخشن العالي "أوامر يا معلمة" التقطت سكين بحجم متوسط ويدها الأخرى مسن وبدأت تصطكهم معاً بمهارة ضحكتها لم تخبو وهي ترى التفاعل تخطي الخمسون ألف لتهتف "أسحب يا عضمه" أتسع المشهد

تتوسطه والرجال يسحبون العجل يقيدوا كل ساقين معاً لتصيح بصوتٍ أرعد العجل نفسه "أسحب يا جدع" سحب الرجال الحبل ليخرّ العجل على جنبه فوقه اثنان آخرين تزامناً مع ميلتها لتذبح العجل بلمحة خاطفة، استقامت والسكين بكفها تقطّر دماً والرجال يهللون وقد شدوا الأحكام على المذبوح "عاش يا معلمة، شيخة الجزارين أباً عن جد" تطلعت لشاشة الهاتف وصاحت ضاحكة "ما رأيكم يا فنزات قطة"،

صرخت نهى تدق باب المرحاض على عابد وبيدها الهاتف "عابد أنظر ماذا أرسلت لك" خرج من المرحاض يُعدل بنطاله ويهتف حاقداً "هل رأيت كم التفاعل الذي حصدته في ساعة" هزت ساقها اليمين باضطراب وغلّ لتهتف وعينها على الهاتف "أربع أسود في عشر دقائق، فعلتها قطة وراحت علينا" صاح بحقد و غضب "كيف؟ هل ستُنافسنا!" تناولت منه الحقد وصاحت بغل "صدقت أن اختفائها طوال الشهر الماضي لم يكن بسبب وجع رُكبتيها؟" جلس فوق الأريكة ومازال يتفقد الفيديو ويصيح بغیظٍ "أي وجع؟ ذبحت العجل ولا أجدعها شاب" اعتدل بجلسته وهتف "فكري معي لابد أن نُشعل مواقع التواصل بشيء يمحو ما فعلت" التزم كلاهما الصمت لتهتف بحماس "وجدتها" اعتدلت صوبه وصاحت "إثارة الشجن والرومانسية لا تخبوا نارها" هتف وقد ضاق صدره "وضّحي؟"

"كأنك بضائقة ماليه بسبب الكافية الجديد وتسأل الجماهير أفكار لتدبير المبلغ وأنا أقدم بعلبة الذهب واعطيها لك على الهواء" شرد في الفكرة ليبتسم قائلاً والطمع بعينه يلمع "وهكذا يأتينا ألف دعم" صفقت وهتفت "هيا بنا" دفعها وهو ينهض متوجهاً لغرفة البث قائلاً "تجهزي وارتي البلوزة الزرقاء ذات الصدر الواسع"

\* \* \* \*

أنتصف النهار وقد أنهت تحضير الغداء حتى يأتي أبنائها، هتفت دُرية من خلف جلستها ببار المطبخ "دعيني أذوق قطعة لحم يا سلمى، رائحتها أثارت شهيتي" وضعت لها قطعة من اللحم قاربت حجم الكف ومعها بعض الأرز بالخلطة وقدمتها لها على مضد تهتف "بالهنا على قلبك دُرية" عادت تُغطي أواني الطعام تهمس لنفسها بسخط "ما بقي سوى أن تأكلني وتُحلي بأبنائي ايضا" نهمة لا تترك شيء إلا واستولت عليه حتى الملابس باتت تدهر غرفتها وتنثني كل جديد لم يُلبس بجرأة، لكل شيء حد و دُرية حدودها عُدمت، صباح كل يوم تأتيها مُتعبة تجلس لأخر اليوم ثم تذهب بعدما تأخذ حصة زوجها من الأكل والشرب، هل يعلم بما تفعل؟ وإن كان علم هل يرضى بأسلوب الشحاذة المنمق؟! ضاقت ذرعاً بطبعها منذ أن أتت بالمدرسين لأولادها بالبيت باتت تُقحم لينا معهم رغم إنها ليست بصف عُمر لكن دُرية لا تقوت فرصة حتى تُحسن استغلالها، لا يعينها ثمن الحصة الذي تخطى الخمسمائة جنية، تعلم مُساعدتها الكثيرة لكنها لو طلبت ثمن الخدمة أفضل من حرقه الدم، طامعة حقاً وبخيلة بشكل زاد عن الحد، انتبَته إليها تهتف "سامحك الله يا سلمى، بَتْ أخجل منك جداً" تناولت كيس البن الذي أحضرته لها تفتحه وتسال عاجزة عن المجاملة "ولما الخجل دُرية؟" دسّت قطعة من اللحم بفمها تأكلها بنهم وتُشر صوب كيس البن بعينها قائلة "تسعمائة جنية ثمن البن" ابتلعت ما بفمها ثم هتفت مرة أخرى "داود بات لا يُطيق طعامي، أصبح مُدمناً لطعامك حتى أنه يرجوك أن تأخذي ثمن الطعام وتجعلي له حصة ثابتة" رمشت بعينها واضطربت، هل قرأت أفكارها؟ وكيف يطلب داود مثل ذلك طلب؟ الرجل لا يُطيقها، ردت بصدق "ما هذا الكلام دُرية بالأخير مُجرد لُقْم، أخبريني فقط ما يشتهي وسوف أَعدهُ له" تصنّعت الدهشة وهتفت تدعي الخجل "لا سلمى، فقد تشاجرت معه كيف يُلزمك بأمر كهذا؟ لكل شيء حد" تناولت كوب الماء تُجهز عليه إثر الغصة التي أصابتها وأكملت بوجه يمتهن المسكنة "قولت له نحن أصبحنا ثقال الدم وسلمى سوف تكرهنا، وصدّقي! يرد لي كلمتي ويبتسم قائلاً سلمى إنسانة لن يجود الزمان بمثلها" تحرك شيء داخلها بجانب الدهشة، هل يمدحها؟ كيف وقد اشترط ألا تظهر له؟ ماذا يحدث؟! هتفت وكلام من أمامها يُشعرها بتأنيب الضمير والمسؤولية وتغاضت عن لمحة فرح مستها "أخبريني

فقط ماذا يُحب ويشتهي" لمعت عينها تُكمل طعامها بنهم وتهتف "سلمى! المحاشي بجميع أنواعها يحبها خصوصاً ورق العنب، الدجاج المشوي واللحم، الرقاق والبط ويعشق الموزة الضائي والفتة والحمام ال" قاطعتها مُستغربة "مهلاً! لما لا يظهر عليه آثار ذلك الطعام الدسم؟" زاغت عينها بأرجاء المطبخ حتى همست وكأنها تُلقي في البئر سر "الجيم؟ صالات الألعاب الرياضية حبيبتي! وداود جعل غرفة في بيتنا صالة ألعاب على أعلى مستوى" ضحكت بمحبة وهتفت تُشير على بيتها "تخلي! يُريد صنع مثلها لك ولأولادك، يقول هذا أكثر أماناً على عامر ثم عمر ولك أيضاً" توقفت يداها عما تفعل وهتفت مُتفاجئة "أنا؟ وما شأني؟" أهدتها ذرية اندهاشاً وهتفت معاتبة "سلمى؟ داود رجل شرقي غير أنه يغارُ على أهل بيته غيرة حارقة"

"يغار؟! بيته؟! هتفت بها مُستنكرة، لتهزّ الأخرى رأسها مؤكدة وتبتسم قائلة "صدقيني لن يسمح لك بالذهاب إلى صالات الرياضة أو يسمح بأن يتعامل معك رجل غريب، ما زلت لا تعرفين داود حق المعرفة" دفعت الصحن بعدما أنهته وأكملت "داود يعتبرك من العائلة، حتى أنني أفنعه بشق الأنفس أن يتركك لرياضة الصباح، فأذن لأجل خاطرك، وحتى لا تحزني"

رمقتها بشك وهمست لنفسها بجنون مما تسمع "خاطري؟! هل يخافُ أن أحزن؟" انتبهت صوب الباب وقد دقّ الجرس وعقلها غيرُ مستوعب ما سمعت، من يغارُ ومن يحزنُ هل تلك المجنونة واعية عما تتحدث! هتفت إلى رباب بصوت مُهتز وعقل غادرها "افتحي لو سمحتي رباب، من يا تُري" دقيقة حتى عادت رباب تهتف وعينها على ذرية بقلق "سلمى؟ سُها هُنا!" تحركت بعد برهة من استجماع نفسها المضطربة تستقبلها لتمسك ذرية بزراع رباب تضغطه وتهتف بتكبر "أسمها مدام سلمى أو سلمى هانم، لما تنسي نفسك دوماً وتتعاملني وكأنها صديقة لك!" دفعت كتفها تهتف "أعدي لي فنجان من الشاي الأخضر!"

\* \* \* \*

خرج داود من قاعة المحكمة يبتسم بعدما ربح القضية الخاصة بالسيدة ذهب بعد أن قَدِم مُرافعة تُدرس، تبسم لصُهيب الذي رافقه قائلاً "أذهب مع شهاب حتى تستلم حُكم البراءة وتُنتم الإجراءات بسرعة" تطلع له صُهيب بإعجاب وتحرك يهتف سعيداً بغير تصديق "أنتَ أسطورة، بل داهية مُتحركة تُسمى داود الرازي" ابتسم منتشاً بما حققه فقد تكتم على الشهودِ لآخر الوقت وفاجئ الجميع بما أعده مُسبقاً بعدما أتى بصُنّاع الذهب الحقيقي في مواجهة صنّاع الذهب المُقلد ليثبت بالدليل القاطع المُلعوب الذي دُبر، ودّ لو رأي وجهه قاسم الوكيل الآن وما ردة فعله بعد أن أوهمه بالتضامن معه، نظر في ساعته وهمس "مؤكد وصله خبر البراءة" انتبه مُتذكر القاضي الذي أشاد بدهائه وتفاجأ بوكيل النيابة حين وجد أدهم الصاوي بنفسه وقد حُولت القضية إلى حيازته، تساءل هل قاسم له سلطة بهذا التحول؟ كان طلبه عندما شكك في نزاهة وكيل النيابة السابق حينما حاول الضغط على ذهب لتغيير أقوالها لاستشعار الخطأ والمواربة!، انتبه لصوته يتقدم صوبه "حقاً أحسنت داود باشا"

تحرك يرمقه بغير راحة وهتف "من بعض ما عندكم أدهم بيك" أستاذن منه بحُجة إتمام الإجراءات فقد بات يكرهه كُلما لمح سيارته أمام منزل الأخرى، شاهده ذات مرة يتعشى في حديقة منزلها وبصحبه خطيبته التي صارت صديقته، تعزم الكُرة الأرضية وترسل له الطعام كالبائس مع زوجته ورسالة باتت ماسخة مفادها اعتذار وامتنان لوقفته معها، سرح عقله وتساءل، هل تشكره على المؤازرة أم تعتذر عما حدث بتلك الليلة؟! لليوم لا يبرح عقله الحُزن المؤرّق وكُلما أعاد عقله المشهد شعر وكأنها التصقت بضلوعه للأبد، نفذ رأسه علها تتركه وترحم عقله الذي يستحضر هيئتها دوماً فرغم إجبار نفسه على التلهي بكل شيء دونها والمُكافحة لنسيانها يجد من أقمها مُجدداً داخل خياله، أغمض عينه للحظة وعطرها يداعب حواسه، للآن لا يعلم من أين تأتي بهذا العبقِ الممزوج بالنعناع والدخان وبينهم شذا عطر أنثوي حد اللعنة عجز عن كشف هويته، رفع هاتفه عاجزاً عن معرفة سبب تغييره واضطرابه المفاجئ ليسأل "هل انتهيت شهاب؟ هيا ودع صُهيب يُكمل" مرّت ساعة وهو يجوب الطريق بلا هدى جواره شهاب ينظر شروده بين الفنية والأخرى حتى سأل "داود؟ ماذا بك يا صاحبي؟" تنهد عاجزاً عن التعبير

وكلمة صاحبي تُثير به شجن ليهتف برغبة حقيقية في إزالة الهم الجاسم على صدره "لا أعلم شهاب، دون مقدمات وجدت نفسي اركض بنفس المكان والأنفاس مقطوعة بصدري" حكَّ شهاب ما بين عينيه وهتف بطبع الصدق الذي يملكه "أتفهمك، يبدو أنك وصلت لأعلى درجات التحمل، نفذت طاقتك" سأل بجدية "تُرى ما السبب؟ ولما الآن؟ عشرُ سنوات غير مُبالي فماذا حدث؟" أحجم عن ذكر الواقع بينه وبين زوجته فكيف يشكو تمنعها عنه الذي أهان رجولته وما زاد النار اشتعالاً حين واجها لتهتف ببجاجة لم يراها عليها من قبل تدّعي عدم رغبتها بذلك الأمر منه! هل يُهين رجولته ويشكو نشوز طبعها بأكملها، إهمالها ازداد حد المأكّل والملبس وبذات الوقت يجدُ من ينعتها بالسافلة تحنو رغم كُرها لها، تُداعب ما يفتقده من اهتمام زوجته دون دراية بما تفعل، بالأمس أهدته عِطراً جديداً شديداً الروعة، أرسلته مع ذرية تركن السبب لسرعة تسلّمها ميراثها، زوجة تبعد قاصدة وغريبة تقترب دون قصدٍ منها! وهو بات لا يملك لنفسه رادع كيف يقتل طيفها الذي لا يتركه، ظمأن قتلته العطش وما إن تزوق مائها قتلته الظمأ أكثر ليعودَ بئرها فيجده مُعكراً .

تمسك شهاب بالصمت لفترة وعقله يُثير الكثير من اللغط ليهتف بما أراد التحدث به منذ فترة ويترك أمر تفسير حيرته للأيام القادمة "سلمى؟" قاطعه يصيحُ بحدة غير متوقعة "ما بها؟ ها! أنا لا أضعها بمقارنة مع ذرية"

طاف الصمت الذاهل بينهم، شهاب يلتقط خيطاً رفيعاً من انفعاله وداود يلعن نفسه بما تفوه لسانه! سؤال صامت هو ما أشرتكم بينهم مفاده "بماذا نطقت؟" سئل شهاب وقد التقط ذلته فقال يتصنع عدم الملاحظة بمهارة "سلمى بريئة داود! هناك الكثير والكثير من الأدلة تدعم براءتها" صمت ولم يُعقب كعادته والمارد داخله يتمنى أمل، كلما أسترجع ما حدث بالحارة شعر بشيء خاطئ، تشجع شهاب وأكمل ينتهز صمته، أنا أجريت تحليل DNA لأبناء سلمى وثبت صحة نسبهم لأبيهم مئة بالمئة" التقت نحوه مُتفاجئ وسأل وحاجبيه تلمسا السحاب "كيف فعلتها؟" تمسكت كفه بمقبض الباب المرتفع ورجع بذاكرته لذلك اليوم يفصّ عليه وكأن المشهد يتجدد أمامه،



وَقَعَ عابد الأوراق التي دفعها شهاب أمامه حتى أَسْتَلَمَ نسخته ليلمح شهاب شعرة من رأسه سكنت كتفه تستقرُّ فوق تيشرتُه أبيض اللون، فافتعل أنه يُطِيب خاطره أثر المصيبة التي ألمت به ثم مد كفه على كتفه قائلاً "تجلدُ أعلم أن الأمر من وراء العقل" أنزل عابد رأسه أرضاً تزامناً مع سحب شهاب كفه مُلتقطاً الشعرة بين أصابعه ليتركه متوجهاً صوب سيارته وكفه مُخبأ في جيبه، مال يلتقط محرمة ورقية وأخرج كفه الحُر يدسُ الشعرة بين المحرمة بحذر، بصباح اليوم التالي كان يفطر مع أبنائها ليفتعل مُزاحاً خشن مع الصبيين حتى حصل على شعرتين ليتوجه لمعمل تحاليل مُتخصص بهذا الشأن، أَسْتَلَمَ التحليل بعد عشرين يوماً ليجد النتيجة مُطابقة مئة بالمئة.

توفت السيارة أمام مكتب وداود تزامناً مع توقف الحكي ليهتف إليه "خبيث أنت يا شهاب"

\* \* \* \*

جلست ببهو البيت الفاره تتطلع حولها بصمت، تغبطها على ما أصبحت عليه من نعيم وبذات الوقت سَعدت مُقتنعة بأن ذلك الترف عوض الله على ما تكبدته من ظلم، امتد الصمت وكلاً منهُن عاجزة عن البدء لتنتهز الفرصة وتتوجه إلى دُرية بنظرٍها وقد فرضت نفسها بينهم بجرأة باتت تخنقها، هتفت بوجهه جامد "دُرية؟ هل ممكن أن تُحضري الأبناء من المدرسة" نهضت تستغل الفرصة تهتف "طبعاً، طبعاً توجهت يمين البهو تُحضر حقيبتها وما أن فتحتها هتفت تدعي الخجل ومالت تهمس بصوت التقطه جميع من حولها "عذراً سلمى تركتُ محفظتي بالبيت فهل لديك بعض الفكة لسيارة الأجرة؟" وارت سلمى دهشتها من ذلك الطبع وهتفت "رباب؟ حقيبتني من فضلك" أقبلت عليها تبكي لينكمش وجه سلمى تسأل دون سؤال ماذا بها، قاطعت دُرية الموقف تهتف وكأنها وجدت فكرة المَعية "ولما النقود! أعطني مفتاح سيارتك أفضل!"

"وأين سيارتك دُرية؟" سألت سلمى ترمقها بحذر لتتوجه صوب مفتاح السيارة فور أن لمحتَه ثم التقطته ذاهبة لتهتف "فارغة، ليس بها بنزين" خرجت مُسرعة مُغلقة أذنها عن السمع، سوف ترتاد سيارتها الفارغة أليست تستحق السيارة عوض عن الممرضة! همست سُها أخيراً ولا تعلم لما ذكّرتها دُرية

بنهى "أختي؟ من تلك المرأة الجريئة؟" تطلعت لها وردّت بطبيعية يشوبها الحدة "هل أخذت سيارتي؟" أغضت عينها يائسة ثم تنهدت قائلة بغضب ارق من أمامها "ضاقت نفسي منها! صارت مُستغلة جداً" تنبّهت على الموقف البارد الذي افتعلته ذرية رغم سخونة اللقاء الذي لم يبدأ لتهتف سلمى مُعاتبة من أمامها بحدة "وأنت؟ أخيراً تذكرتي أن لكي أخت؟" رقت دموع سُها واعتلاها أحساس بالذنب لم يخبو حتى همست تبكي "خجلت أن أتِي إليك" صاحت بها غاضبة "ولما يا سُها! لما؟!" أشد البكاء عليها وهمست بصدق "ليس لي عين، لفظت أبنائك، ولم أهتم بالسؤال عنك، فكيف أفعلها يا سلمى؟" هزت رأسها وأغضت عينها تمنع حقدّها المتصاعد تتذكر ما قصه عُمر لها، رغم أنها أفهمته بأنها لا تملك حتى قوت يومها وبالأخير تعيش على إيراد البيت المتهاك الذي تركه المعلم سعدون لها وبعض فرص العمل حصلت عليها ما بين شركة ومصنع ومكتب محاسبة رغم حصولها على شهادة جامعية فهي خريجة كلية التجارة بالقاهرة لكن حالها كما حال جيل بأكملها، كذاً ودراسة دون فرص عمل لكنها مازالت ناقمة من إهمالها لأبنائها كان يكفيها سؤالٌ ولو على مضض، تنهدت بسخط وقالت بمغزى "عُمر أخبرني ولكن أعذارك لم تُفنعني سُها" نشجت بالبكاء الحار وشعورها بالذنب يرتقي مرتبة أعلى لتهتف سلمى وقد رقت لحالها رغم الجليد بينهم "أتفهم تخوفك كلام الناس سُها وهوسك المرضي بأن يفوتك قطار الزواج بسببي وبسبب سُمعتي التي تلطخت" نهضت سها جوارها تستسمحها بقلب ملثاع "سامحيني سلمى، عادات المُجتمع قاسية، أنا لم اسلم مما تعرّضت له بات الجميع يتجنبني" مسحت دموعها وأكملت بأنفاس مُهدر "من هاب شيء بُليّ به! وبلائي طباع الناس فجُبرت على موقعي" نهضت تمسح دموعها وتستخلص ابتسامة من روحها المهملة وقالت وهي تنتظر لعين من تُطالعها "لك كل الحق في كُرهي سلمى" ترددت ولاح على وجهها الحيرة لنتبّت بوقفها وتهمس بتردد "تقدم لي عريس" لاح الإحباط في عينها تُكمل "سأستخير الله حتى أقرر" سحبتها بعنف من ذراعها تجلسها مُجدداً وهتفت بتسلط تسأل "عريس! هل هو زميلٌ لك بالعمل؟" حرّكت رأسها بالرفض وهمست وغصّة البكاء تكتم أنفاسها "أنت تعرفيه، بن الست نعيمة

صاحبة محل البقالة والتموين" ارتفع حاجبها ترمقها بفزع لتضرب صدرها صارخة "نهارك أسود، سمس!"

تركتها تهدأ بعد توبيخ ساخن وتوجهت صوب رباب الباكية تتفقدها وما أن علمت بفعلة ثرية صرخت بقوة "إياك أن تصمّتي لها مرة أخرى؟ ها أنا أقولها، مثلما نُعاملِك عاملِها"

صاحت مُجدداً تجلس بالصالة غاضبة وقد باغتها الطبع الشعبي "على رأي المثل، سكتنا له دخل بجماره" رمقتهم وقد علا بُكائهم لتصرخ وقد فاض النكد بها "كفا بكاء، أنتن قنبلة نكد، ما هذا اليوم يا ربي"

\* \* \* \*

جلسا بالمكتب والذكريات القديمة تتدفق بينهم لينسحب عُكار الماضي رويداً رويداً تارك دفي العشرة وعيق اللحظات التي لا تُنسي وسيرة يوسف المصري تحضرهم، دخل العامل بالقهوة ليسأل داود مهتماً "كم الساعة؟" رد شهاب مستغرب حماسه المُفاجئ "الخامسة والنصف" نهض يُشير باتباعه يلتقط جاكث خلته ليصيح شهاب خلفه "ماذا حدث؟" وبسرة لم يعلم فحواها أحدهم كان يُدير سيارته وشهاب مازال يستفسر ليتحرك هاتفاً "الم تَقُلْ ترىْدُ البُن؟" رمقه شهاب مُستفهماً يتذكر حديثهم بالصباح ليسأل بوجه مقلوب والسيارة تُسرّع "هل ستشتريه بنفسك؟" أجاب ببساطة لم تكن له "من باب الشكر، يكفي الطعام الذي تُرسله يومياً" سأل شهاب مذهول وقد اختلط عليه الأمر "من يُطعم من؟ هل تُخرّف أم عقلك جن؟" أنتبه لما تقوه وهتف مراوغاً وقد فطن لأسرفه بالحكي "ها، لا أفهمك، وضح مقصدك"

"نعم؟!" صاح بها شهاب وقد تشوّشت أفكاره ليصيح معترضاً "أنا من بات لا يعي ولا يفهم، تارة تُثور وتغضب وتارة تلعن ذكرها والان تُفاجئني بتصرفك" رمقه بجانب عينه يسأل بفضول مُتعجب "ثم ما أمر الطعام هذا وما علاقته بها وبنا وبالأمرِ برمته، طار عقلي وبتُ تائهاً يا جدع" احمرّ وجه داود من شدة كتمان الضحك ليقهقه وقد صف السيارة أمام محل البُن، ترَجَل تاركه للحيرة تعصف به ليتطرق عقله لللمحة فرضت نفسها تضرب أفكاره المبعثرة، أنفتح

فأه على وسعه وعيناه أوشكت ترك محجرها ينظر نحو الذي تسلم كيس ورقى كبيراً وكأنه أبتاع محل البن بأكملة ليهمس مصعوقاً وهو يري خطواته العائدة "داود؟ سلمى؟ متي؟ لا يمكن!" فتح داود الباب الخلفي للسيارة يضع الكيس الورقي تحت عين شهاب الذي التف بكامل جسده يتابعه بقلق ليهمس داود يُطالعه تحت نور السيارة الداخلي مُشاكساً في سابقة لم تحدث من قبل "أنظر أمامك يا ولد" تفحصت عين شهاب الذاهلة ملامحه ومال مُعاند يفتح الكيس قليلاً ليهمس ومازال يُكذب نفسه "بن وشكولاتة بطعم البن، حلوى وكاندي، بسكوت ايضاً" رفع أنظاره لمن يدفع يده بقوه وسأل مُباشرةً "داود هل انصهرت الكلمة واختفت بين ضجيج السيارات وأبواقها بإزعاج لإحياء زفة عرسان ظهرت من عدم، صرخ برعب لا يعلم ماذا يحدث وأذنه تلتقط دوي طلقات نارية من بين ضجيج الأبواق والموسيقى، أنتفض بالألم وسكن جسده فوق السيارة

\* \* \* \*

أنتهى الدرس وغادر المُدرّس يُثنّي على مجهود أبنائها بعد لفت انتباه ذرية لمستوى أبنائها المتداع، نهضت سُها تنظر ساعتها وقالت "الوقت تأخر، لا بد أن اذهب سلمى" تطلعت إليها مطولاً لتهتف سلمى بأمر غير قابل للمناقشة "لا رجوع لتلك الحارة"

لم تفهم مقصدها جيداً لتهتف مرة أخرى "لا أحب العودة مُتأخرة، تعرفين أهل الحارة وألسنتهم" سحبتها بقوة حتى وقعت جوارها ومالت إليها تهمس بغضب خشية سماع ذرية التي تُركز معهم "لن تعيشي بعد اليوم وحدك وموضوع سمسّم ونعيمة يُحذف من رأسك لن أعيد كلامي مرة أخرى" ارتعبت سُها من تصلُّتها والجبروت الذي لاح بعينها كما سعدت أيضاً باهتمامها وتمسُّكها بها لتهمس بصدق نية "يكفيكِ أختي، أضعت شبابكِ في رعايتي فلا تُشعريني بأني ما زلتُ عباً عليكِ"

رق قلبها وتذكرتها صغيرة تتعلق بجلبابها تبكي، لا تصمّت إلا وهي تحملها فوق كتفها تُهدّدها، همست تكتّم الدمع بعينها "من يومك ملكة الدراما سُها، السيدة أمينة رزق بجلالة قدرها" أرتفع كفها يمسح دموعها وقالت وعينها تُشير صوب أبنائها "فكري كيف تسترضيهم خصوصاً عُمر لأنكِ لن تُغادري هذا البيت أبداً، موضوع منتهي" همست وعينها تُتابع أبناء أختها بندم "عامر ألقى على سلام فاتراً وعُمر رمقني بغضب" تبسمت ثم قالت وعينها مازالت صوبهم "لا تحزني مازال صغير لذا دعي الأمر للأيام تتكفل به" قاطعتهم ذرية وقد التقطت حديثهم بخبث طبعها، أحرقتها الغيرة من فكرة بقاء سُها جوارها، وبنظرة لهيئتها البسيطة وملابسها شديدة التواضع علمت ما ستفعله سلمى من شراء الملابس وتلبية كافة احتياجاتها لذا تبسمت بلؤم وهتفت بحنان زائف "هل أنتِ راحلة؟ هيا دعيني أوصلك" تحرّجت سُها وشعرت بنُقل نفسها وشعور بارد بالغربة مسها وذرية تُلهمها بأنها الأقرب لسلمى عنها لتهتف بقلّة حيلة كعادتها السلبيّة تستعد للرحيل فوراً انتفضت وسلمى تصيح بغضب "ماذا سُها، ألن تحترمي كلمتي!" نهضت تُكمل هتافها بتسلط مُفرط "كلمتي أمر تجرّني على كسره"

"ماذا سلمى! ليست صغيرة تحتجزينها لديك؟" قالتها ذرية بغيرة وغل لتهتف بها "ليس من شأنكِ ذرية، ألزمي حدك، وأجل سوف أسجنها لدي" رمقتها

مُحذرة وصاحت بعلو دون اهتمامٍ لها "عامر؟ خذ خالتك لغرفتها المجاورة لكم"

لملمت دُرية غيرتها وتقدمت بتحفظ صَوَّب سُها تهمس "لن يضرُ بقائك لليوم وبالصباح أذهبي حيثما أردت" لمحت عُمَر يرمق خالته بلوم ويتقدم مُسرِعاً ليهتف "ماما هاتفك يرن" التقطت الهاتف تُرَدُّ بغضب لتجد شهاب يصرخ "دُرية لديك! أين تلك المريضة النفسية؟" هتفت باستفسار تتوجه إلى الباب تفتحه لتسمع صراخ شهاب "داود مُصاب وأنا على باب بيته ولا أجد أحد" صاحت بفزع وقد لمحت أمام الباب "أحضره شهاب دُرية هُنا" لم تُكمل كلماتها وشهاب يقتحم بوابة منزلها يحمل داود المُغرق بدمه ويصرخ "أفسحوا، أفسحوا" وضعه بأول أريكة قابلته والتف يصرخ بدُرية يُخرج بها خوفه "لما لا تجلسي ببينتك مثل أي زوجة؟ الرجل يموت وأنت هُنا" طالعتها بحقد وهتفت "كيف تتحدثُ معي هكذا؟ أنسيْتُ نفسك!" صرخت سلمى بهم بتوتر "ليس وقتكم، دعك منها شهاب وتعال ساعدني" هرول إليها لتهتف مرة أخرى "رباب، غُلبة الإسعافات بدولابي أحضرها فوراً" وثب عامر ينهب السُّلم كل درجتين معاً ويهتف "سوف أحضرها أنا" تقدمت دُرية تستفسر بثبات أدهشهم "ما به شهاب وما هذا الدم الذي لا يتوقف؟" تبادل شهاب النظر مع سلمى التي طلبت استفساراً صامتاً ليهتف بتهكم وعينه على دُرية "كان يصطاد الإوز من ناصية الشارع، أما الدم فجميع خلق الله لديها دماء عدائِك يا منبع الاستفزاز" دفعها بغضب جانباً وهم بمساعدة سلمى يهمس لها "لا أعلم؟" مر زفاف جوارنا وعلا الصُخب ودون مقدمات وجدنا طلاقات نارية تستهدُفنا" مالت تفك أضرار الصدرية التي يلبسها لتشهق قائلة "طلق ناري؟ ساعدني سريعاً لأخلع عنه ملابسهُ" ناولها عامر صندوق الإسعافات، فتحتهُ بهمجية وتناولت المقص تشق الصدرية وأتبعته بالقميص الأسود وما أن شقت الجانب الأيمن حتى هتفت بفزع "رصاصتين؟" هتفت دُرية تلتقط هاتف سلمى "ما كلمة السر، سأتصل بالشرطة"

"لا" قالها شهاب يسترجع الموقف بأكمله ليسحب منها الهاتف مُردفاً "انتظري عسى الأمر مُدبر!" صاحت دُرية تسأل بثبات "هل أصحاب قضية اليوم؟" قاطعتها سلمى بأعصاب مُضطربة تصيح بهم "دعونا نُنقذه أولاً وبعدها نُقرر"

ما نفعل" بدأت التعامل مع الرصاصتين وحمدت الله أن واحدة منهم مجرد شظية بأعلى كتفه لتُخرج الثانية التي استقرت قُرب الصدر بالجانب الأيمن ولم تُصيب قلبه، التقطت بأذنها مهمات بُكاء الصغيرة لينا لتلتفت صوب آخر البهو لتجدها منزوية تنتحب بقوة، صاحت بصوت جعلته قدر استطاعتها طبيعياً "عمر؟" رفعت عينها وأشارت بصمت له فهرول الصغير إليها وقد سبقه عامر يهمس لها "لا تخافي لينا تعالي لا تبكي" هتفت سلمى متعجبة من ثباتها وما زال تركيزها معه "ذرية أبنتك تبكي؟" تنهدت ذرية بملل وغمغت متأففة وقد توجهت تصيح بوجهها "أخرسي لينا، هل مات حتى تنتحبي؟" تبادلت رباب النظرات مع سها إثر كلماتها الفجة كما تبادل شهاب وسلمى ليستغفر بغضب هامساً "سأضربها" بادلتها الهمس بدورها وقد بدأت في تقطيب ذراعها "أقسم أنا من سيفعلها!" همس النائم بين يديها بصوت مُتعب "ذرية كُفي عن الغباء مع البنات" مالت تهمس له واعية بنقطة ضعفه "لا تخف داود الأولاد معها" مال شهاب يتحسس جبهته ويسأل "داود أنتَ واعي أم تُخرف" فتح عين واحدة بتعب وهمس "أخبرني أنتَ ما أخبار الإوز القابع بناصية الشارع" همست وقد تغضن وجهه بالألم "انتهيت، لا تخف" رمقها من بين أهدابه الكثيفة عن كتب وهمس للواقف جوارها "شهاب؟ تحرك سريعاً وأدخل سيارتي المرأب الخلفي" وعن بُعد طفيف أخفى عامر لينا وراء ظهره وقال لوالدتها بأدب "أهدأي حضرتك هي فقط خائفة، والدها ينزف فما عساها تفعل غير البكاء" تطلع للصغيرة مُبتسم ومال لها يهمس "لا تقلقي، تعالِ نُشاهد التلفاز" غمز لُعرم ليسحبها برفق "تعالِ نُشاهد بيتر بان ولا تخافي هكذا" جلست تنتظر زوجها وقد أغمض عينه بتعب مُجدداً، مُنذ متى وداود لديه أعداء؟ هناك أمرٌ جلل وتبدوا قضية اليوم هي السبب، داود لن يُخبرها بشيء وشهاب لا يعلم فمن روايته لمُلابسات الحادث يبدو أنه مُدبر! نهضت متوجه نحوهم تتفحص بعينها نومته، كيف تخلق عُذر لتذهب لبيتها في ذلك وقت، عليها أن تبحث بمكتب المنزل عن كل ما يخص القضية فهو يحتفظ بنسخة من جميع الأوراق مختومة بختم طبق الأصل، أنقذها شهاب من الحيرة يسأل "ذرية أين مفتاح المرأب الخلفي لبيتكم" اعتذرت مُغادرة معه لبيتها لتعود بعد دقيقة تناوله المفتاح وتهتف "أسبقني، سأحضر ملابس نظيفة له والحق بك"

توجهت مُسرعة للمكتب تُفتش بين الملفات المكدمة حتي وجدت ملف مدون عليه تاريخ اليوم وعنوانه "ذهب الاخشيدي" انتهت لدقات الباب الخافتة ثواني وكانت تفتح لشهاب الذي ناولها المفتاح بعد أن انتهى، ناولته الملابس الخاصة بزوجها تهمس "نسيْتُ ملابس ليِنا سوف أحضرها والحق بك" عاد شهاب يضرب كف بكف يتمم "ملابس ماذا التي تأخرها عن زوجها؟ ثم هل ستقيم عند سلمي؟" أوقفته سلمي تناوله ورقة متوسطة الحجم قائلة "عذراً شهاب، هل يمكنك أحضار هذا الدواء" توجه خارجاً بعدما أعطته مفتاح سيارتها لتعود أدراجها تهتف بإرهاق "رباب، سُها هيا لُعرفكم فقط أطمئنوا على الأولاد" خلت الصالة دونهما فخفضت الضوء حتى لا يكثرُ عليه الصداق وتقدمت تتحسس جبهته لُفاجئ وعيناهُ بمواجهتها، سألت ومازالت مائلةً نحوه "كيف تشعُر؟"

لم يُجب سؤالها فقط عيناهُ تشملها وكأنهُ يطمئن عليها، شهران كاملان مُنذ تلك الليلة لم يسمع صوتها فقط يلمحها ليصاب برأفة لا يعرف سببها كمثُل الغموض الذي يكسوه ما إن مر طيفها، أغمضَ عينيه ورائحتها الممزوجة بالنعناع والدخان تُشد من أسره، تأوه يعتدل ليهرع كفها فوق صدره توقفه "تمهل داود، جُرحك حي" همس يتذوق أسمهُ وقد أشتاق طريقة نطقها "أريدُ ماء" هرولت وعينهُ تتبعها دون إرادته لتعود بكوب الماء الذي طلبه، تأوه بقوة يعتدل لتجلس بطرف الأريكة العريضة تُساعدهُ، ذراعها اليسرى يدعم ظهرهُ بترفع تدفعه وكامل جسدها مرتكز ليدها واليد الحرة توجه الكوب لفمه، هل هو من بأحضانها هذه المرة؟ سؤال فرض وجودهُ على كليهما ليتمسك بتلك اللحظة ويتلأأ بشُرب الماء قاصداً، يعلم فحوى حركته الصببانية جيداً لُيرحب بمراقة لم يطرق بابها قُبلا، أراحته مُجدداً لتنهض وقد انتابها أحساس مُزعج عجزت عن تفسيره لتسأل بما جال بخاطرِها "هل حقاً إصابتك مُدبرة" أجاب وقد أحتدت نظراته بقوة "يبدو هكذا" أشعلت سيجارتها وهتفت بخوف "من فعلها؟" هز راسهُ بلا صامته وهمس بتعب "أريد النوم" غطته بغطاء خفيف تعي تكتمه للأمر، مرت ساعة وقد انتهت من تعليق المحلول له ليهتف شهاب يسأل "هل أحملك إلى البيت"



تطلع إليها وهي تلملم بعض الضماد المغمق بدمائه ليُريح رأسه للوراء قائلاً بتعب "البيت خطر شهاب، أبحث لي عن منزل آخر؟! هتف شهاب "لدي، أنا أعيش وحدي" همس وحاجبيه يرتفعا "بيتك أبيض خطر، مؤكد ستكون مُراقب" أنكمش وجه شهاب يسأل "إذن تعلم من فعلها" تبسم بألم وهمس "ليس غيره قاسم الوكيل، عرض عليّ رشوة مقابل سجن دهب"

"هل تصنعت الموافقة؟" تنهد بألم وحاول الاعتدال دون جدوى حتى قال مُتهكماً "وطالبتُ بزيادة المبلغ واليوم بالمحكمة حصلت على براءتها" لاحت المفاجئة فوق وجه شهاب الذي سأل بريية "وما مصلحته، أنت لم تُشاركني تفاصيل تلك القضية" تطلع إليها تنهذى تُعيد ترتيب الصالة من حولهم لينتبه لما ترتدي، بنطال توقف حدّ ثلث ساقِها وبلوزة قصيرة تكشف عن رقبته بسخاء، لما لا تلملم شعرها الناعم المُموج؟ تطلع بطرف عينه نحو الجالس أمامه شارداً ليصيح بصوت كبلة التعب "أرحل شهاب هيا أرحل" تابع شهاب حركة عيناه التي تلاحقها ليهتف بعنادٍ وقد بات مُتيقن مما يُخالج صدره "لا سوف أبيتُ معك هنا" أنهى كلماته يُلقي وسادة أرضاً جوار الأريكة التي ينام عليها ليهتف داود بغضب "ألن تبحث عن شقة؟" تهكم شهاب قائلاً "هل سأبحث بالواحدة صباحاً عن شُقق، ثم أنا مُراقب" خرجت من المطبخ تضع الطعام أمامهم قائلة "سوف تبقي هنا، هذا آخر مكان يخطر ببالهم" تركتهم متوجة للطابق الأعلى وشهاب يهمس بذات مغزى "صدرت الأوامر العليا أم أبحث عن شقة؟"

\* \* \* \*

طل نور الفجر ومازالت تقرأ أوراق القضية بتمهل، إذن قاسم الوكيل كان صديق زوج ذهب! أشتري كلا منهم قطعة أرض منذ عشرون سنة ليتمسك قاسم بموقع على البحر جعله مُستقبلياً أكبر مُنتجع سياحي في المنطقة وتمسك الآخر بموقع بحضن الجبل مُقرر جعله قصر يسكن إليه ويستجم به وزوجته ولكن أمر الله أتى وتوفى زوج ذهب هانم دون تحقيق حلمه لتبقى الأرض لم يقرّبها أحد حتى أن ذهب ظننتها فال شؤم وتجنبتها بينما حقق قاسم حلمه بأكبر قرية سياحية، منذ عامين أنتشر خبر أن المنطقة بها بعض المناجم للذهب وقد قام بعض النشطاء على الميدان بمحاورة بعض سُكان المنطقة من البدو لتحفيز السياحة وقد أقرّوا بالأمر حيث كانوا يعملون مع بعض العلماء الأجانب الذين استعانوا بهم لمعرفة طبيعة الأراضي الوعرة بحكم نشاطهم، لتتحرك السيدة ذهب تُنقب عن الحقيقة مستعينة بصديق زوجها الذي يعلم المنطقة وأهلها جيداً، ثبت الأمر لينتشر كالنار الممسكة بالقطن لتُصبح ذهب سيدة الذهب الأولى بالمنطقة العربية بأكملها فهي منذ وعت على الدنيا تنتمي لعائلة الاخشيدي ملوك الصاغة والذهب،

توقفت عن قراءة الملف وقد شعرت بالتعب لتُعيد كل شيء لطبيعته وتتوجه لغرفتها وقد أشرق ضوء النهار بتألق، ألقت بجسدها فوق الفراش تهمس وابتناسمتها تنسج "أنت في خطر داود!"

\* \* \* \*

أسبوع كامل مر على الحادث وكأنه تبخر مكتبه يعمل كما الساعة وما إن سأل عميلاً عنه يتفرق الجواب بين ترهات الإجابة، مرة خرج منذ قليل وأخرى لديه اجتماع، ذهب لمقابلة النائب العام! شبح لا يراه أحد رغم وجوده على أرض الواقع، حتى زوجته تتحرك بطبيعية دونما لمسة حزن! أمعقول زوجة يتعرض زوجها لمحاولة قتل وتغدوا كالفراشة من غصن إلى غصن؟ أو أنها بغير علم! ثارت أعصابه حد التلف فألقى ما فوق المكتب صارخ برجاله "أين اختفى؟ ألا يوجد خبر عنه؟" لم يلقى جواب وبات الكل مطأطأ رأسه من بطشه يعلمون تلك الهيئة جيداً فهذا وجهه الآخر يواريه خلف هيئته المنمقة،

رجُل السياحة الأول وعضو مجلس الشعب الراقي يمتلك شخصية مُجرمة، تطلع إليهم وصاح يسأل "ما أخبار أبنة الاخشيدي؟" هتف أحدهم بخوف "تستجم في قرينك السياحية" أشار لهم بالانصراف وجلس خلف مكتبه المحطم يفكر، هل أحد خبرها بما حدث؟ أم وجودها هُناك مجرد صدفة؟ يعلمُ مكرها، ثعلبة تتستر خلف وجه حمل، "داود الرازي!" همس بها مغلولاً كيف اختفى منذ تلك الليلة وكيف جَرَّوْ على التلاعب به، الأغرب أن مُساعدهُ يعيش حياته وكأن شيء لم يكن!

تملكته الحيرة حد الجنون بين إتمام الخطة وفشلها، عضّ شفته يسب رجاله الأغبياء فكيف يهربون قبل أن يتبينوا أصابته من عدمها أم الغباء كان له ليفتعل زفافا وضجيج كي يقتله، كان الشارع خاوي مُهياً لقتصه بكاتم صوت دون تلك الورطة،

نفخ والغيط يكوِي داخله كيف خانهُ ذكائه ليفتعل زفاف شعبي في حي راقى أفراده تنتهي بغروب الشمس دون إثارة حفيظة أحد، رفع هاتفه حتى جائهُ صوتها "لا تَقُلْ أنك عرفت مكاني قاسم" تحكم بنبرته بمهارة وهتف "أشرقت الأنوار ذهب هانم، كان إزاماً عليك أخباري لأهتم براحتك" تنهدت قائلة بمحبة "لم تُقصر يكفي ما فعلته حيالي، مُمتنة بشدة لك" تحير بكلماتها التي تحمل معنيين ليهتف علّه يستنبط دواخلها "لا بد أن ترتاحي قدر المستطاع يا ذهب، وإذا ما أردت شيء أنا جوارك" أردفت عبر الأثير بامتنان "فقط بعض الوقت أسترُد هِدوئي وسلامي النفسي لأبدأ الخطوة القادمة" هتف بفصول لم يستطع تحجيمه "إذن هناك مشاريع تستعدين لها؟" أجابت بهدوئها القائل "بالطبع، لا مجال للكسل" أنهى الحديث خشية إثارة أُنْبَاهِها يعلم طبعها الخبيث فهي لا تُفصح عن شيء تُوهمك بشيء وتفعل أشياء لا تجوب العقل،

سيلتزم الصمت مُجبراً حتى يتبين الموقف بأكمله، النقط هاتفه يتفقد رسالة واردة لينتفض وهو يرى الفيديو المُسجل له، جز أسنانه واضطربت خلايا جسده ليهمس والمشهد يخنقه "داود الرازي؟ أم ذهب؟!" من يقوى على تهديده؟، طوال الأيام الماضية يستقبل رسائل تهديد عشوائية تنم عن ابتزاز أحدهم، بالأمس أُستقبل مُكالمة لا يعرف رجُل أم امرأة فكان الصوت لأحدى

البرامج المتخصصة، طلب منه عشرة ملايين دفعة واحدة مقابل تسليمه فيديو يجمعه مع داود الرازي بمكتبه! حائر فيما بينهم أم صار فريسة لكلاهما معاً، تطلع للمقطع مجدداً والأفكار تُناجزه، هناك من بدأ محاربتة ولو أفتضح ضاع قاسم الوكيل للأبد،

\* \* \* \*

وضعت كوبي الشاي فوق الطاولة الصغيرة وجلست تفتح الهدايا المرسلة تُتمتم "أصبح الأمر هدايا فقط عابد، الدعم قليل جداً" تطلع إليها بجانب عينه ثم أكمل تفحص الساعة باهظة الثمن التي أرسلت له وقال بغیظ "قطة تربعت على عرش الميديا لا تتوقف عن بث مغامرتها بين الذبح والسلخ" جرت أسنانها وهمست لنفسها "هل تذكرت الجزارة ومحلاتها الآن؟، رحم الله الأيام الخوالي حين كانت تتظاهر بكونها ملكة متوجة لا يصح أن تعمل بيدها!" هتفت ومازالت تتابع ما تفعله حماتها عبر الميديا "لا بد من حل" تناول كوبه يرتشف الشاي على مهل لتهتف بعين شاردة "ماذا نفعل؟ الكافية مازال يحتاج الكثير من المال حتى نفتحهُ" همس بمزاج مُعكر "فكري إذن في مواقف جديدة تجذب الناس" رمقته بحذر وتقدمت منه رويداً تهمس "عابد؟" نفخ بسقم "خيراً، هاتي ما عندك، منذ ذلك الشاي وأنا أنتظر ما تصيبين إليه" أشعلت له سيجارة محشوة بما يُذهب العقل وسألت بكل ما تملك من حذر "ألم يأتيك خبر عن أبنائك؟"

تخشب جسده والتف إليها مصعوق ليهتف وهو يتطلع لُخبث ملامحها بحقد "هل تعابيريني بهم؟" ضربت صدرها وقالت "أنا يا حُب! كيف تفكر هكذا؟" تناولت كوبها واعتدلت صوبه تهمس وكأنها تُمليه سراً "فكر معي! سلمى صارت مليونيرة، فما يمنع إذ ساعدتنا" ألقى بالكوب فوق الطاولة حتى كاد ينقلب وامتدت كفه تتحسس جبينها يسأل "هل أنتِ محمومة" صاح بوجهها والغضب يُداعبه "سلمى من التي ستساعدنا، وأبنائي؟ هل نسيِتِ ماهية نسبهم؟" طالعتهُ بمكر والكوب على فمها وما أن أنزلته غمرت قائلة "أسمعني فقط وإن لم يُعجبك حديثي أقذفهُ البحر" سردت ما تُفكر به أمام عينيه التي أوشت على الخروج من محجرها ورسمت خُطتها المتقنة لتتظر لشروده

الذي طال عن الحد حتى قال بصوت هارب "لكني وقّعت أوراق التنازل لها كيف ابتزها وبالأصل الأبناء ليسوا أبنائي" أراحت جسدها على الأريكة بكسل واضعه ساقيها فوق فخذية وأحجمت عن التفسير وإبداء الرأي تاركة للطمع فرصة إقناعه، تعلم من لمعة عينيه أنه وافق لكن طبع الخوف هو ما يربط لسانه، بعض التهديدات والمناوشة كفيلة بدفع سلمى نحو المساومة إما شرفها أو صمت له ثمن وورقة النسب رابحة ينقصها فضيحة شرف عنوانها النسب، هتفت بصوت تعلم تأثيره عليه "لا تشغل بالك سنجعل الأمر امرأة لامرأة ومن الصباح سأخطو أول خطواتي لها" هزّ رأسه بغير رفض أو موافقة والشرود يشمله لتهتف متخوفة "فقط أدع أن لا تتدخل قطة في الأمر ونُفسده" رمقها بطرف عينه وهي تُتابع الميديا بنهم غير واعية لنظرة التيه التي أعتلت وجهه، متي وكيف أصبحت زوجته؟ وما الذي يُجبره على البقاء معها؟ يعلم ذهاب النعيم الذي كان يتمرغ به حين كانت سلمى تُبني وتكد في البيت كي تمر به وبأولاده مضيقاً خلف مضيق دون اليأس من بلادة طبعه، رُبان سفينة واجهت أمواج الحياة وكتفها تحملهم بكد، يدفعها كفان صغيران رُغم وهن الدفع ليبقى هو حملاً ثقيلاً حملته غصبا حتى غرقت في مُحيط الغدر،

سؤال واحد لا يفارقه هل حقاً عامر وعمر ليس من صُلبه؟ يقيناً يبصم بأن دمائهم دمائه لكن الرغبة في التخلص منهم تطمس ضميره، يعلم قُدرة والدته على تزييف شروق الشمس لتقنعك أنها القمر، لو لديها نصف شك أنهم نبْتُ الحرام لما تركت به وبهم نفس غيورة الطبع وحب الذات مرضها، نرجسية للدرجة التي دفعته لكره من فوقها، طبعها ويعلمه فهو الوريث الوحيد لها فما الذي يدفعه لما يفعل غير ميراثاً عطب؟،

رفع هاتفه يشاهدها تُشقيّ خروف بعدما ذبحته، منذ القدم وهي قوية، جبارة، تتقبل النصيحة وكأنها سُبّة نابيه زينت جبينها، صاحت والهاتف بيد عضمه يصورها "حبايب قطة أين الشير والمتابعة"

\* \* \* \*

## الرابعة عَصراً

نزل من الطابق العلوي بعد أسبوع من احتلال بيتها مُتعمداً بكل ما يحمل من قناعة وشغف، فنتش البهو بعين تتفقد أثرها ليجدها تجلس على طاولة الطعام وعُمر ولينا يمينها ويسارها تستذكر دروسهم وعامر يتخذ مقعداً جوار أخاه مُنخرط فيما يفعل، مد رقبته صوب المطبخ ليجد رباب وسُها مُنخرطتان في حديث جانبي دون الانتباه لأحد، وعجباً! أين ذرية؟ وكأن ليس لها زوج تهتم به، كثر انشغالها وخروجها المُتكرر، هاتفها بات لا يُفارق يدها، أنتبه لتصفيق كفيها تتمايل بدلال راقص وتصيح مُشجعة "ممتاز يا لي لي أحسنت يا قمر" أخرجت الصغيرة لسانها تُكيد عُمر وتصيح بفرح "صرتُ أسطر منك" هتف الصغير ضاحكاً "هاو، أنا تركتُ لك المجال لارتاح من بُكاءك يا نكد" صاحت بهم تكتُم الضحك كما تكتُمهُ هو "بنت، ولد" نهضت واقفة تُشير على الكتاب أمامهم "معكم نصف ساعة ويُحل هذا الامتحان" هتف عُمر "ومن يحصل على الدرجة النهائية سلمتي؟" داعبت عُمرته وقبلت لينا قائلة "له ما يطلب يا قلب سلمى" تقدمت تلف ذراعها حول كتف عامر ومالت تُشر إلى كتابه قائلة "ذلك القانون خطأ، راجعها مرة أخرى" استقامت تشدُّ أذنه برحمة وتضحك "ركز يا بطل" توجهت للمطبخ غافلة عن من يراقب ظلها، أسبوع يرتع بجنتها دون الشعور بذرة ملل، طعامها ونظافتها المبالغة، الحالة التي تفرضها على الجميع ما إن شعرت بملهم، اهتمامها به وبدوائه وبكل ما يخصه وكأنه أحد أبنائها، والأروع حين تكون وحدها وتتمايل على أنغام الموسيقى التي تعشقها لو فقط تترك ذلك المُطرب الذي أعلنت حُبها له، باب بيتها كارثة مجرد شق لكن يُدخله بحالة جنون لم يمسه في نفسه سابقاً فمع كل شروق للشمس لا يتوقف عن الدق ورغم استسلامه للبقاء في بيتها واستدامته على نعتها بالسافلة لم يُنكر ما تعظم في صدره نحوها، مجاهل مُغلقة بروحه ما إن مرت بها رسمت خريطتها بطبيعتها المتوهجة، تمعن في صغيرته كيف تأمنُ جلستها وتسطع ضحكتها وهي تراقب أبنائها، كان متخوف من طبيعتهم بعد إمامه بظروف نشأتهم وصولاً للسجن الذي كاد يقضي على مُستقبلهم لكنه تيقن وأذعن بأن من جاور جنتها ينعم بها وخير دليل راحة أبنته التي لم يمسه يوماً مع أمها، ليته يعرف سر كينونتها التي تجذب كل مارٍ بسبيلها، هل تواضع شخصيتها

المختلطة بالين والجمود معاً أم عقلها المتفهم لطبيعة غيرُها، قلبها؟ ماذا يحمل ذلك الجزء لهُ؟ كُرهاً تفنن بكلماته في صنعه أم خيط مودة نسجتُه كما الشرقة حتى بدا كخيط العنكبوت فولاذي الطبيعة رغم الوهن، وماذا عن قلبه؟! ذلك النائم مُنذُ أذل، لما يلتبس بدقاته خلل يصاحبها كلما مرّت منه؟، أرتفع حاجبيه وجرى إبهامه على أحدهما لينهض من جلسته على السلم الداخلي يُعدّل من ذراعهِ المعلق برقبته يهمس "ما بك داود؟ ها؟ ماذا يحدث معك؟ يكفي كُرهاً، المرأة ساعدتك!"

صاحت الصغيرة تلمحه مُقبل عليهم "بابا" تبسم لها مُقبلاً مفرق شعرها الذهبي وانتقلت كفه تُداعب موضع كفها بشعر عُمر ليهمس لهم غامزاً "ذاكروا" تطلع إلى عامر المتحفظ من جانبه ليبتم بمحبة ويميل هامساً "إذا علامات امتحانك فوق الخمسة والتسعون بالمئة لك عندي مُفاجئة" النقط بأذنيه القوية شرودها تترنم بكلمات الأغنية التي صدحت من مُسجلها الصغير بمطبخها "أكرهها وأشتهي وصلها وإنني أحبُّ كرهى لها أحب هذا اللوم في عينيها وزورها إن زورت قولها أكرهها"

انتفضت مُفاجئة وهي تنتبه لحضوره لتتهف وعينيها تتفحصه "كيف حالك اليوم؟" أنشراح صدره بذلك سؤال ولا يعلم لحالته سبب ليهتف بصوته العميق "زال الألم" اعترضت بهزة من رأسها وتقدمت صوبه تُعدّل من رابطة ذراعهِ بدافع مهنتها قائلة "لا تغتر بمفعول المسكن، جُرحك غائر ومؤلم"

"مرت بسلام" لملمت شعرها أمام نظراته في كعكة عالية وسألت بخفوت "لما أمتنعت عن الذهاب للمشفى؟ أمر الشرطة وتفهمته" كاد يُجيبها لكنه انتبه كما الجميع إلى دُرية التي فتحت باب البيت تدس هاتفها في جيبها لتسألها سلمى بترقب خطر "هل معك مفتاح البيت؟" تبسمت بسماجة ورفعت كتفها ترد ببرود تام "أعطاني إياه عمر" صاح عُمر من موقعه بجرأة "قبل أن ترمُقيني بالنظرات النارية هي من أخذته دون موافقتي" تبسم في وجه دُرية بسماجة يُقلدها وأكمل "أليس ذلك ما حدث! يا طنط باربي" تقدمت صوب المطبخ وعين داود تشمل الجميع وهتفت ضاحكة بلامبالاة "لا يُمكن خفة دم أبْنك سلمى" دارت النظرات بين سُها ورباب يراقبون جرأتها وبدورها بادلتهم النظرات

بازدراء وهي تتأفف وجودهما، عوجت رباب فمها يميناً ويساراً وهمست وكأن الكلمات موجه إلى سَها "الإحساس نعمة"

قلّبت سلمى عينها غير قادرة على كبح طبعها فقد ضاق الجميع بها، طوال الأسبوع المنصرم لا تُلقِي بالاً بزوجها المختبئ حتى أبنيتها اتصلت من مسؤوليتها ولم تهتم سوى بنفسها لا أحد يعلم أين تذهب، لم تجلس معهم على مائدة فقط حين ينتهي طهو الطعام تأكل دون اعتبار لأحد لا تهتم من أكل ومن جاع، الوحيدة التي ضربت بتعليمات داود وشهاب عرض الحائط فقد أكد الرجال بل شددوا على عدم خروج أحد من البيت لدواعي أمنية حَثَ عليها أدهم حين تفاجأ بالحادث يوم زيارته لهم، ملابس صاحبة البيت صارت لها، البيت بكامل ما يحوي تحت تصرفها الجميع يشعرون بأنهم في ضيافتها، ترتاد سيارة سلمى في اليوم ألف مرة وحُجَّتْها حتى لا يعرف طريقهم أحد! أجج غضب وسخط الجميع طريقة التعامل المرضية حيث تُشعرهم بالدونية والاحتقار، وكلما شعرت بإثارة غضبهم هادنت وطلت بوجهها البريء وادعاء أن لا فارق بينهم، تحفرت سلمى ولاح على وجهها الخطر وهمت بالتفوه لكن تقدمه بينهم وصياحه بوجهها أوقفها "ذرية؟ أستعدي لنذهب بيتنا" تقدمت تنأظره بقلق وهتفت "ما زال الوضع خطر عليك داود" التفت برأسها صوب عمر تمد ذراعها قائلة ببرود "عمر حبيبي، مفتاحك ها هو" توسعت عيون الجميع أثر طريقتهما في تحويل الأزمة لاشيء مُستعرضة سلامة نيتها ببراءة طفل، هتف داود مُصرأً وقد عكّرت مزاجه "نصف ساعة ونرحل" رمقت بعين الثعلب خاصتها نظرة سلمى له وتابعت بنفس العين الضيق الذي أعتلى وجهه، يبدو أن ما خططت له شرع في البدء واندلعت بينهم نار أشعلتها بنفسها، لبست وجه الحَمَل لتهدف تدعي الاعتذار والندم وعقلها يُخطط باقي مكيدتها "ماذا حدث؟" سلطت أنظارها صوب سلمى تسأل بلطف "هل أزعجتك سلمى إلى هذا الحد! لم أقصد شيء!" تقدمت تتفحص وجهه قائلة "ما زال وجهك مُتعب، مُصفر وظهورك خطر، هل نسيت الرجل الذي سأل عليك بالأمس؟!"

تحسّن كتفه المعلق بألم وهتف عاجز عن فهم أفعالها "لا يهم، الأمر يُخْصني وحدي، أستعدي" نظر إليها مطولاً وأكمل وحاجبيه يرتفع بمغزى أرقها



"يكفي استغلال للبيت وصاحبتة" صاحت لا تعلم ماذا تفعل في تلك الورطة "تأكل أولاً وبعدها يحلها المولى" هم الجميع بالحركة رباب وسُها يُحضران ما أعدت من طعام والأولاد لملموا كُتبهم وقد أستبد بهم الجوع ليهمس عامر إليها خلسة وهو يراها شاردة "يا رب ترحل، أنا لا أُطيقُها" رمقته بقلة حيلة وعتاب رَغَم الرغبة في رحيلها لكن كيف سترحل دونهُ، سرقت نظرة مُسرعة نحوه لتصطدم بعينه المراقبة لها فأنزلت عينها سريعاً وفكرة رحيله تؤلمها، أنها الشفقة! هل تلك المُستغلة ستهتم به! تنهدت مخنوقة دون سبب وتوجهت للمطبخ وعامر خلفها لتهمس له بحزن "أشفق على ذلك الرجل" أكملت بين ذاتها "رغم سوء معاملته" أرقتها مواقفه المتناقضة ساعة إعجاب لم يخفى عليها وساعات يأمر وينهي، دائم النقد لطبيعتها المتواضعة، هز الفتى رأسه يتناول من يدها طبق السلطة وهمس يُشير بعينه "ماما؟ هذه المرأة مُستفزة" دفعته أمامها تسمع همسه "دعينا نتكلم فيما بعد" جلس الجميع إلى السفرة ودرية بينهم تأكل للمرة الثالثة ليتفقد داود سكون الجميع وتجهُم وجوههم يلعن طبعها الذي أحرجه، طالع الطعام ثم هتف "لما تُصرين تناول الجميع الطعام في وقت واحد، الأطفال ماتوا جوعاً سلمى" ردت مباشرة "قوانين العائلة" هتف عُمر مقاطع لها "غير مسموح باختراقها" هز رأسه والتزم الصمت أدباً لحلاوة طعامها وتطلع نحو ذرية التي سحبت صحن الدجاج أمامها تأكل بشراهة لم يلاحظها سابقاً، بدا منظرها غريباً مُقززاً له، ألها كانت تتجنب تناول الطعام معه سقطت عينه على التي تأكل وتُأكل صغيرته وصغيرها بطبيعية ورقي لا يعلم أين تعلمته، تنهد يُأنب نفسه فقد بات بالأيام الأخيرة لا يطيق رؤيتها بل بات مُركز في كل خلجة من خلجاتها وبالأخير يحكم بما ليس في صالحها،

أنتهى الغداء وشرب الشاي ليهتف داود بقوة "هيا ذرية وجب رحيلنا"

\*\*\*\*

أوشكت على شق بلوزتها العصرية الجديدة وهي تهتف "ما هذا الحظ؟" صاحت والدتها ترتبُع فوق الأريكة المتهالكة "لم يذهب عن بالي أسطول السيارات الذي كان يَقلُّها، سُجنت وتلوثت سُمعتها وبعد الطرد عادت هائم وصاحبة ثروة بحجم الدنيا" قبضت كفيها الهواء بغیظ وصاحت "أه يا أُمي محروق دمي ماذا ستفعل بكل الأموال الطائلة؟ هل رأيت ذلك الرَجُل؟ المحامي الذي خلع ذراع المضروبة قطة" حركت كفها بالصحن الواسع تلتقط حصوة صغيرة من بين حبات الأرز وقالت تُلقيها خلفها لأبعد مدى "كيف حالها معك؟ هل رأيتِ عباؤها التي صورت بها آخر فيديو؟ ولونها؟ يجنن؟" لوت فمها بتهكُّم ثم اقتربت منها تهمس "دعكِ من قُطة وموائها وخبريني ما رأيكِ؟" ركنت الصحن جانباً ومالت وذراعيها تستند فوق رُكبتيها الهشة قائلة "هل جُننتِ يا نهى؟ بالأمس فُضحتِ المرأة وسودتي عيشة أبنائها واليوم تتطلّعي لمالها؟ ثم ليست ساذجة لتخال عليها خطة كهذه" تكدرت ملامحها وهتفت بعصبية "ماذا؟ سوف أذهب إليها وأدعي الشفقة بها وأخبرها أن قطة زورت تحليل النسب وعابد كما تعلم وافق مُرغماً وأطلب المال مُقابل بيانات المعمل وأشهد معها لإثبات نسب أبنائها" ضغطت الست هنية رُكبة أبنيتها بقوة وحذرتها بعينها قائلة "احذري يا نهى، سلمى التي نعرفها ماتت وضيقي لعقلك ذلك الرَجُل الذي معها، لن يترك لك ولا لزوجك مجالاً، ها أنا حذرتك" صرخت بوجهها "لما تُخوفيني؟ ستخاف الفضيحة على نفسها وأبنائها"

"بدأتِ تعي! دعيها تأتي إليك عوضاً عن ذهابكِ لها" رمقت أمها بطرف عينها وقالت تسأل "وضحي يا هنية" "كم تدفعين؟" لوت فمها وهمست "لك من الحب جانب، أفصحي!" تمسكت هنية بكف أبنيتها تضغطه بقوة وأخذت تشرح ما عليها فعلة فخير الفعل المُساومة المُستترة، رغبة سلمى بأبنائها ستدفعها لمحو صفحة عابد من حياتها والضغط بفضيحة جديدة سيجعلها تأتي مهرولة تُلقي بالمال تحت أقدامهم كي لا يُفضح أبنائها!

خرجت من بيت والدتها بذهن شارد يُدبر ويخطط ولم تسمع العم شحاته الذي صاح ما أن مرّت به "يا مرأحِب بنجوم الميديا"

\* \* \* \*

تحركت بحديقة منزلها برشاقة وخفة تُسقي الزروع والورود خاصتها وجوارها عامر يساعدها ويتبادلان الكلمات والضحك غافلة عن عينه التي تُتابع سكناتها من خلف زجاج الصالة الداخلية المُظلة عليها، أغلقت محبس المياه ثم جلست تتلمس الراحة وتبعها عامر بالجلوس يسألها "ماما، ما رأيك بالسيدة ذرية؟" تطلعت لكفيها وتركت المحرمة جانباً والتفتت صوبه تجاوبه بحيرة "ينطبق عليها المثل الشائع تعرف فلان؟ نعم، عاشرتة؟ لا، إذن لا تعرفه" رفع عامر قدمه مائلاً وكفه مُمسكة بركبته والكف الأخرى تنفض بعض العشب اليابس العالق بها أنظاره تتفقد المكان حوله قائلاً "ماما، يُساورني شك تجاهها" نظر إلى عينها وأكمل "هناك أمرٌ حدث" وتحت أنظارها المتسائلة قص ما حدث بالأمس، كان يلعب مع لينا وعمر تلك اللعبة ذات الأسماء والجماد والحيوانات وقد تجمعوا عند مرأب السيارات الخلفي التي جعلته مخزن لوضع ألعابهم مثل دراجة هوائية أشتريتها لهم، خرج عامر تارك عمر ولينا الذين قررا اللعب بالدراجة وتفقدوها ليلمح خلف السور القصير الفاصل بين البيتين ذرية تتحدث في الهاتف وبدا عليها الاضطراب والقلق، تقدم يجلس القُرفصاء خلف السور لسمع صوتها تُسجل رسالة صوتية مفادها جملة أو جملتين لم يتمكن عامر من سماعهم أثر الضجيج والضحك الصادر من لينا و عمر فقط سمع "لا تسمح للوقت يفضحك" تطلع إلى ملامحها المُفكرة ليهتف "هل نُخبر السيد داود؟" هزت رأسها بغير علم وقالت "لا أجد فيما قُلت ريبة" اعتدل صوبها وهمس "لا أعلم ولكن تصرفاتها مُريبة، أشعر بشيء لا أتمكن من وصفه" تحيرت في الأمر وزاغت عينها بشرود حتى قالت "لن أنكر الريبة اتجاهها، تركها زوجها وهروبها من المسؤولية، كأنها مُتعمة" نظرت للسماء برجاء ومسحت وجهها تنبهه "عامر؟ دعنا نراقب الوضع حتى لا نظلمها أو نظلم أنفسنا فأمر ما أرجوه التورط مع أحد" تفهم وجهة نظرها فمُنذ أن حكي له عمر ما سمعه عن لسان نهى سابقاً وعى على الظلم الذي تكبدته لكنه أمتنع عن فتح الأمر معها لمخافة في نفسه، مازال منظرها بملابسها المُمزقة وفضيحتها تؤلمه فكلما تذكر الحادثة أختلج الحق بالباطل داخل عقله جزء يُقر ببراءتها وأخر يُعادلُه القسمة في إدانتها هو بحدثة سنه يميل للجزأين معاً لعدم خبرته بَدُنِيا الظلم ومكاندُها!

أنتبها كلاهما لبعض الرجال الذين دخلوا من الباب الرئيسي للبيت لتهتف بفزع متوجة صوبهم وعامر إلى جوارها "من ترك الباب دون غلق؟" هرولت إلى أن وصلت باب البيت تسأل "من أنتم وكيف دخلتم البيت؟"

تفحص أحد الرجال الثلاث المنزل بعينه وهتف الآخر بأدب "أسف سيدة سلمى الباب بالفعل كان مفتوح، نحنُ عمال شركة الغاز أبلغ أحدُهم عن تسريب بالمنطقة فلزأماً علينا فحص البيوت بأكملها" تطلعت إليهم بخوف والتفتت تعمر له ليتفهم الغمزة دون احتياج للفهم، هتفت بثبات وقوة "بني أسبق وأبلغ النساء يستتروا" دفعته نحو باب البيت الداخلي وسرقت خطوتين خلفه تهمس بحذر "أسرع بني" هرول عامر مُسرِعاً لتلتف للرجال وعلى وجهها ابتسامة بلاستيكية لم تصل عيناها فكيف عرفوا أسمها وما زال البيت باسم عمها؟!!

"دقيقة فجميع من بالبيت نساء" قالتها وقد القت بطعمها ليلتقطه ثالثهما المتجهم قائلاً "كيف وقد دخل البيت رجل من ساعة" اتسعت ابتسامتها رغم الرعب لترفع حاجباً مُنمق وتساءل "هل أنا مُراقبة" تبادل الرجال نظرات القلق ليهتف أحدهم يتقدم أمامها "ما عاذ الله، أثناء دخولنا البيت المجاور رأينا من دخل" هتف عامر من خلفها "ماما" تقدمت تدعوهم قائلة "تفضلوا!!"

\* \* \* \*

جلست خلف الشاشة بكامل أناقتها ترسم ملامح الصدمة فوق وجهها ليبدأ المتابعين بالأسئلة "لما الحزن نهى؟"  
"هل تبكي؟"

"فضفضي نحن معك أخوه" عَجَّ الموقع بالأسئلة وهي تتابع التفاعل عن كثب لتهتف ومازالت تبكي "ماذا لو أراد أحدهم المكر بكم؟" بدأت الردود كالنار الساخنة "لا تصمتي مادام الحق معك" "تكلمي نحنُ بظهرك" "هل صارت الأرض غابة" "تكلمي حتى نحكم بالعدل" مسحت دموعها تُلقي مادتها سريعة الاشتعال قائلة "ليس لي عزيزاً غيركم لهذا أريد رأيكم" مسحت وجهها وسحبت نفس قوي والكل متأهب لسماعها "طليقة زوجي عابد خرجت من السجن لتنتقم مِنّا!" انتحبت أمامهم وأكملت "بعد سجنها بعامين كاملين خرجت لنجدها أمامنا امرأة ذات سلطة وثروة، أخذت الأولاد بعد تهديدنا" تطلعت لسيل الأسئلة التي أمطرت صفحتها لتُجيب وهي تُداري فرحتها "كيف خرجت؟"  
"ما تُهمتها"

"من أين تلك الثروة نهى"

"هل البلد أصبحت للأقوى" أجابت تفتعل الخوف والصدمة "لم نعرف كيف خرجت من السجن فقط وجدناها مع رجل ذو نفوذ وقوة، وأجبرت عابد على توقيع أوراق التخلي عن أبنائه تحت مرأي ومسمع" مسحت دموعها وسألت "أشعر وكأنني بكابوس مُظلم! أفتقد الأولاد حد الجنون!" تطلعت إلى التعليقات الملتهبة والميديا المُشتعلة تسب غرمتها وتلعن شرفها، الكل يصطنع لها رواية مُقززة "طليقة عابد درغام البلطجية" هتفت مُجدداً بوجه حمل "رجائي لكم لا تسألوا عن تُهمتها فهي امرأة مثلي ولا بد أن أتقي الله فيها وفي نفسي" تنهدت وابتسمت بانكسار "سترنا الله فوق الأرض فنزاتي"

سمعت دق الباب فهتت تغلق البث قائلة ببكاء "لا بد أن أغلق، سامحوني لا أستطيع التحدث، دعواكم لي ولعابد الرجل مُحطم" هتف عابد وقد هاله بُكائُها "ماذا حدث؟ لما تبكين؟" رنت ضحكتها وصرخت بجنون تُشير إليه بالتقدم قائلة "سبعة عشر أسد وأحد عشر فيل وخمسة حيتان في ساعة واحدة" أقبل

عليها مهرولاً وبدأ بتفقد التعليقات يسأل "كيف؟ ماذا فعلتي يا حُب؟" دفعته تهتف "اجلس وأسمع جيداً" قصت ما فعلت وشرحت الأمر ليصرخ بها "هذه فضيحة! ماذا لو علمت سلمى؟" تبسمت تخلع بلوزتها لتُبقي على التي شرت ذو الصدر المفتوح أمامه وهتفت وهي تنظر مُبتسمة "لم أُنْفوه باسمها، ادعيت أنها أخذت الأولاد بالقوة وأوقفت تجهيزات المطعم"

"مطعم؟ الكافية أصبحَ مطعم؟"

"اجل، دعنا نتوسع" قالتها وهي ترفع شاشة الهاتف أمام عينه قائلة "تحصلنا على ثروة، أنظر عدد المشاهدات، نصفُ مليون خلال نصف ساعة فقط" تأفف بقلق وهتف متخوفاً "إذن لهُنا وكفى نهى، سلمى أصبحت تمتلك القوة وأخشى انتقامها" ألقت الهاتف بغضب وهتفت صارخة "أي قوة وأي انتقام؟ من أين ستعرف؟" نفخت خديها وأكملت بمهادنة "يا حُب؟ أنا لم أذكر أي معلومة عنها، سلمى تكرهه الميديا" حك جبينه بتوتر وهمس لها "لستُ مطمئن لتلك الكارثة" تدللت أمامه بطريقة تعلم آخرها ومالت له تهمس "طمئن قلبك، المُهم، لا تظهر على الميديا الأيام القادمة أبداً" تفحص مفاتها بجوع وهمس "لما؟"

همست تقترب بدلال "الجميع يعلم بأنك مُكْتَنَب، حزين مما صار معك" تفحصت وجهه وقالت "أترك لحيتك وشعرك ينمو" غمرت باسمه تتحس ذقنه "عابد" طالعها دون حيله يهمس "عقلك يُعْج بالسم" سحبها ل صدره فهمست بخفوت حار "الترياقُ معي يا حُب"

\*\*\*\*

دخلت أمامهم وقلْبُها يتخبط بين ساقِها لتتفقد المكان بعينها وتسأل شهاب الجالس بالمقعد المجاور لُسُها "أين رباب؟" دخل الرجالُ بهيئتهم الغربية تزامناً مع تقدمه منهم يهتف وعينه عليهم "ذهبت تتفقد عُمر بالأعلى، لا تقلقي!" أُنْتَبه للرجال قائلاً "من أنتم؟" تحرك اثنان صوب المطبخ وقال الواقفُ أمامه "أنا حسن وذلك سعيد ومن معه أحمد من عُمال الغاز، سوف نتفقد الأمر بعد إذنك" هزَّ رأسه موافق وعينه تتبعهم وهم يتجولون بالمطبخ وعيونهم تتناثرُ هُنا وهناك ليهتف سعيد المُقبل عليهم "أريد تفقد حمامات الغُرف" أوقفه

شهاب بكفه يهتف "سخانات الحمامات كهرباء، الغاز بالمطبخ فقط" رد حسن وقد تعكر وجهه "لا بد أن أتأكد سيدي؟" وضع شهاب ذراعيه بخصره وتأهب قائلاً "تتأكد! كيف؟ المفروض معكم بيانات شاملة، ثم نظام المنازل مطابق لبعضها مما يعني أنكم على علم بذلك" سعل حسن وتبادل النظرات مع من معه ليتقدم إلى الطاولة الجانبية يمسك الضماد الملوث بقطرات الدم الخثرة قائلاً "سلامة مصابكم" اضطرب شهاب وسلمى، وانزلت سها تدفن نفسها إثر الخوف بمقعدها ليسحب شهاب الرجل من ذراعه ينوي العراك معه لكن صوت رباب نبههم، تطلع الجميع إلى السلم الداخلي ليجدوا رباب تتقدم عامر يسندُ عمر ويهتف "ماما، فك الرباط من قدمي" هرولت تدعي القلق وأسندته حتى جلس أمامهم لتهتف بما جال برأسها "ليت ما اشتريت الدراجة لك، هذا ما حصدناه منها" رفع عمر قدمه إلى الطاولة وقد ظهر الشاش المغرق بالدم ملتف على مقدمتها ليهتف ببكاء وعويل الأطفال المزعج "أه يا قدمي، هل سوف تقطعونها؟ قدمي يا خالي شهاب، قدمي يا خالتي، الألم يقتلني يا أخي" صرخ محدثاً ضوضاء مزعجة "أغيثوا صغيراً يا عالم، أين الطبيب يا أمي" سكت الجميع يدعون الحزن وشهاب وسها ومعهم رباب يكتمون الضحك حتى ظن الرجال أنهم على وشك البكاء من أجله، جلست الأم مع الأخ جواره لتهتف "سامحني أنا السبب ليت ما اشتريتها" تبعها عامر يدعي البكاء "لا أنا السبب أنا من تركته يتعلم وحده"

أنزعج الرجال من شدة بكاء الصبي ليهمس حسن لهم وهو يحك أذنيه "دعونا نخرج، صراخ الولد كبوق قطار طائش" وافقه أحمد وسعيد الذين لاذوا بالخروج سريعاً وحسن يهتف "لا بأس عليه، أسمحوا لنا بالمغادرة" ظل عمر يصرخ ويصرخ وشهاب يراقب خروجهم من النافذة وعامر معهم حتى أغلق الباب الرئيسي وعاد راكضاً يهتف "رحلوا"

سكن الجميع والصمت يكتم أنفاسهم وقد نزل داود إليهم يتطلع المشهد حتى انفجروا جميعاً بموجة ضحك كادت تزهق أنفاسهم، لم ترى عيناه غيرها، ضحكاتها العالية تأجج الفرح ب صدره ومارده يرتع سعيداً وهو يراها تجلس أرضاً تتلوى من الضحكات بفتنة لم تسبقها إحداهن لها! صرخ عمر وهو يثب فوق الأريكة كالقرد "هاؤ، الحبر صار دم" هدا الجو ليجلس شهاب جوار داود والجد علا وجوهم ليسأل شهاب بجدية "الوضع بات خطر داود، ماذا

ستفعل؟" نظر وقفته في المطبخ وهمس له "أطلب السيدة دهب، تلك أول خطوة" أقبلت عليهم وبيدها القهوة لتضعها أمامهم متحضرة "داود؟ هل من الممكن شرح الموقف كاملاً" تطلع لوقفته المستفزة وتفقد شهاب الذي يجري مكالمة جانباً ليهتف وسبابته صوبها "أذهبي وأرتدي شيء فضفاض أولاً، ثم ما هذه الوقفة يا مُحترمة!" تفقدت ملابسها بنطال جينز وبلوزة تُغطي لما قبل ركبتها بقليل، حدجته بدهوة وصاحت بعناد "وما شأنك؟ ثم ملابس ليست ضيقة" طالعة بغضب تُشهر سبابتها "لا تتجاوز حدودك يا متر فأنا محترمة رغم انفك" اعتدل يُسند ذراعه المُعلقة وجرى إبهامه على حاجبه وهتف "ليست ضيقة ها؟ والبنطال!، هل كنتِ تقفين به أمام الرجال" أرتفع حاجبيه في حركة لازمته وأكمل "البلوزة الشفافة ها؟ وشعرك!" قاطعته وسبابتها كادت تخترق وجهه "ما أمرك؟ لما الاستفزاز، دوماً كلامك مُعصب وكأني أُثير حفيظتك!" تطلعت نحو شهاب وعادت تهتف بحذر أن يسمعها "انتقاد، انتقاد! ملابسك، شعرك، صوتك ضحكك، ماذا؟ ما دخلك؟" تبسم ببرود وهتف "تسعين بنظرات الرجال حولك ها؟ يسعدك الأمر؟!" حدجته بنار عينها وهتفت بصلاية "أخرس، كيف تراني؟ تختبئ في بيتي وتنعم أنت وزوجتك وبالأخير تتهمني بقلة الأدب" مال ومازالت عينه بعينها فتأفف قائلاً ببرود "لم أتهمك بشيء، فقط أُنبهك" تعلق الدمع بعينها تُطالع بروده القاتل لتهتف بتحدي "لم تتهمني؟!" لفت تمسح دمه خائنة وتُكمل "ظننت العشرة القليلة أثمرت" التقت إليه مُجدداً وصاحت بقوة تكتم دموعها "عهدٌ على يوم كشف الظلم عني لن أغفر لأحد" تطلع إليها يلوم نفسه على إراقة دمعها، كيف أخذ الحديث بينهم ذلك المُعطف؟ كاد يشكرها على وقفته معه يُفجع ولسانه ينطق بما حرق دمه، ظفر بقوة وتناول فنجان القهوة من فوق الطاولة الفاصلة بينهم ليهتف بضجر "لم أقصد، ها قُلْت لم أقصد يا سلمى" تبسمت باستفزاز وهتفت مُتهكمة "أو تقصد سيد داود لن يفرق"

تقدم شهاب إليهم يُلاحظ دموعها ويستشعر توترهم ليسأل وعينه حائرة بينهم "ماذا حدث؟ لما الجميل بيكي؟ تركتكم والضحك معكم؟" توجهت صوب المطبخ لينظر إلى داود ويهز رأسه "ماذا فعلت؟" همس بغضب وكاد صوته يعلو "لم أقصد، هكذا خرج الكلام من فمي" قصّ عليه ما تفوه به وبدا للسامع أنه يلوم نفسه، فتهكم شهاب قائلاً "حقاً لا أفهمك! مالك أنت؟ لما تتدخل؟"



سكت حين لمحها تعود إليهم بطبقٍ ملى بالطعام الشهى ليهمس بنفسه "يا لا سواد الأيام القادمة لو ثبتت ظني" هتفت "تفضل الطعام؟" سحب الطبق قائلاً بمجاملة "يا سعدي، لو أمي، ما اهتمت بي كما تهتمين يا سولي" أشرقت ابتسامتها لمشاكسته وهتفت تُبدله المشاكسة "ألف هنا يا شاهي!" علت الضحكات وكفوفهم تُضرب ببعض غافلين عن المُتربص بينهم، فُزع الاثنين وثالثهم يصرُخ "كفا قلة أدب!" فصاح الاثنين معاً "ما أدخلك!" جُن عقله وقد أوشكا على الضحك والثرثرة مجدداً دون اعتبار له ليسحب الصحن من أمام شهاب بغضب يأمره بإصرار لا رجعة له "أرحل فوراً" اتسعت ابتسامته شهاب يرمقه بخبث ليهتف مُغيراً الموضوع برمته "وصُهب! أنت حتى لم تسأل ما حدث؟" ضغط ما بين عيناه وهتف غاضباً "أرحل شهاب ولا تُعصبي" نهض يرمقه بقرف وتوجه صوب باب البيت قائلاً "ذاهب! لكن صُهب سوف يأتي بها هُنا لتُقابلك" عاد بعدما قطع خطوتين أثر ندائها لتمد يدها ببعض السندوتشات قائلة "كُل في الطريق وتوخى الحذر" قهقه وعينه ترمق داود جانباً وهتف ومازال الضحك منه يشع "قلبي الضعيف لا يحتمل" صاح بها ومارده حضر "سلمي؟" طالعته بغیظ بعدما أحضرت دوائه لتجلس أمامه قائلة بحنق "تناول طعامك حتى تأخذ الدواء" ظفر ينظر في الاتجاه الآخر لترفع يدها بأحد اللقم وتهتف متوعدة "تفضل" النقط الساندويتش يعضغه بغیظ تحت أنظارها الناقمة لتسأل بروية وصوت هادئ نسبياً "هل من الممكن أن تُفهمني ما يحدث؟ أنا قلقة عليك" أعتدل صوبها ونظرة عينه تخترقها بلطف أسعدها كسعاده قتلك أول مرة يغزوه الاهتمام من أحدهم بل الأولى التي يشعر بمن ينتابه الخوف من أجله، لحظة لفحتهم كالنسمة الباردة في ليل صيفي حارق وكان سكون الليل يعجّ بدقات قلبهم، تشاركاً في الجهر بالكره ليظل المستتر لغزاً لا تُفك شفرته،

ناولته الدواء تهتف تحت أنظاره التي أرقّت شيء بها "داود، وضح لي الأمر كاملاً" وافقها بحاضر صامته وأراح جسده فوق الأريكة يسأل بحذر "هناك صوت" هتفت ببأس من كتمانها "داود! أنه الراديو خاصتي" تبسم وعينه بعينها وهمس "حسناً اقتربي لتسمعي جيداً" القت بوسادة كبرة أرضاً لتجلس براحة تحت أنظاره المستعربة لتهمس مُفسرة "جلستي المُفضلة، تفضل الميكرفون

معك، احكي" طالعها بوجل وقص الأمر برمته بدءاً من قضية الذهب وصولاً لرجال قاسم وبدورها شاركتها الأمر تارة بالإنصات وتارة بإبداء الرأي، ومن بين ذبذبات الهمس ترنمت الألحان تشاركهم السهرة وتُحرك ساكن أصم بنغماتها

"من أجل عينيك عشقتُ الهوى، بعد زمانٍ كنتُ فيه الخلي، وأصبحت عيني بعد الكرى، تقولُ للتسويد لا ترحل، يا فاتناً لولاهُ ما هزني وجدٌ، ولا طعمُ الهوى طاب لي، هذا فؤادي فامتلك أمره، واطلمه إن أحببت أو فاعدل"

شرد كلاهما بالأخر لتعي على شرودها الذي طال وتسأل بما خطر ببالها "هل موكلتك تُدعي ذهب الاخشيدي؟" أرتفع حاجبيه بدهشة وسأل "تعرفينها؟"

أراحت ظهرها إلى المقعد المجاور للأريكة وقد تجاوز الليل منتصف وهمست والنوم يُداعبها "الوحيدة بالكوكب التي دعمتني في عز ضعفي" نظرت إليه ورأسها يرتاح للخلف تهمس وعقلها يسترجع ليالي السجن "دوري بالحكي إذن"

\* \* \* \*

أنهت رباب ركعتي الفجر تتحمد الله، لوما سلمى لما كانت بتلك النعم، بيت وأسرة وأناس يتعاملون معها بأدمية، تخوفت موقعها بالمجتمع فمجرد لقب مسجونة كفيل بنفيها عن البشر لعنة من العار وُشمت بها فدوماً سجن النساء مقروناً بقلة الحياء، ويذكي ذلك مهن أأخذها البعض ستار، وهي نشأت على مهنة زوجها سمير الذي يملك صالون تجميل للنساء، ومع الاستدانة والسلف من أجل التطوير وقّعت ضامنة لما أقترض ليهرب تاركها للديون التي أودعتها سجن النساء، رقدت على الفراش تتطلع لمن تُجاورها فقد تأخى معاً دون شرط أو ادعاء، هكذا وجدت الاثنان أنفسهن وكل منهن تُفسح مجالاً للثانية كقطعة بازل تُكمل غيرها، لهج لسانها بالدعاء والابتهال لها، سلمى؟ تلك الحنون التي عرضت عليها أن تفتح لها باب رزقٍ خاص بها يُعولها ويُعينها على الزمن، صالون تجميل خاص بها وقد وعت على مهارتها لترفض باقتناع تام وتكتفي بجوارها حتى لو خادمة، تعلم كعلمها شروق الشمس أن لا مكان لها بين المجتمع وذلك أمراً عظيماً ورغم أنها تمتلك من القوة النفسية وصلابة الشخصية ما يُجابه شرور الناس لكن مكنم الجسارة دفعها لتقبل وضعها، همست وهي تلمح تَلْبَسُ سُها "هل أنتِ نائمة" اعتدلت هامسة بكسل "جفاني النوم من كثرة الخوف" اعتدلت صوبها تتفقدّها "أنا أيضاً ارتعبت، لكن عُمر!" ضحكت مُتذكّرة ما حدث وأكملت "خفيف الظل، ربي يحرسه" هزت رأسها بتأكيد ليظهر الحزن على وجه سُها التي همست "تحمل وأخاه عذاب عظيم، وأنا تخليت عنهم" تهتدت رباب تجلس مُتربعة وتهفت إليها "سها؟ كفى لوماً لنفسك قدر الله وما شاء فعل" مسحت دموعها وهمست بحسرة "خزلتها، تعبت عليّ يا رباب، ليتني ما!" سكنت تعض شفيتها بقوة قبل أن يزل لسانها لتسألها رباب بريية "سُها، أعلم أن العلاقة بيننا ليست بالقوة الكافية ولكن لما أشعر وكأنك تلومين نفسك على شيء عظيم؟" هزت رأسها موافقة وتهفت بتردد "كلماتك ككلمات شهاب وسأرد كما رددتُ عليه، دعوني ليوم أصرخ به عما بداخلي" تفهمت وضعها وأحجمت عن الضغط عليها لتهتف لها بابتسامتها المشرقة "بمناسبة شهاب؟" غمزت وأكملت بمشاكسة "أشعر وكأن هناك نظرات مُواربة" هزت رأسها نافية وهمست "شهاب؟ صحيح شجعتني على مُقابلة سلمى والاعتذار لها، كما أنه رجولي وخفيف الظل لكن أين أنا وأين هو؟" تهفت

مُستكرة "لما تُقللي من نفسك هكذا؟ ثم أنا لاحظت نظراته نحوك وإلا ما سألت"

أفرجت عن نصف ابتسامة وقالت وقلبها يتمني الضد "لا تتوهمي رباب هو فقط أنسان ليس كما باقي البشر "اتسعت ابتسامتها بفرح وصفقت قائلة "تمدحينه؟ إذن رأيت به ما لم تريه بأحد؟ لا تُنكري" حاولت مُدارة ابتسامتها وهمست بخجل "رباب، ماذا تقصدين؟" غمزت بشقاوة وهمست ضاحكة "أقصدي؟ أقصد إعجاب يلوح في الأفق، اعترفي سرّك في بئر" تهكّمت على نفسها تُداري هشاشتها "وماذا يُفيد؟ وهل سينظر لمثلي أنا؟" رمقتها رباب بلومٍ وعتاب وصاحت بها "يا لا طبعك الكئيب، فقط أحلمي! ثم أنا رأيت نظراته لك"

"توقفي رباب، تفاؤلك زائد أصمتي ولا تدفعيني للحلم لأفق على واقع مُحبط" جلست على حافة الفراش أمامها وهمست بخوف أن يسمعها أحد "لو تعلمي ماذا علّق على مشروع خطبتك من ذلك السمسم لن يكون حلمك مُحبط" دُهشت وصاحت فزعة "سمسم؟ من أين عرفتني وكيف علم؟" أشارت على فمها بالسكوت وهمست "أصمتي، سوف تفضحيني وتظن سلمي أنني أتلصص عليهم"

"أحكي يا رباب ألسنا أصدقاء؟ وأقسم لن يعرف أحد" تبسمت تراوغها قليلاً حتى همست تحت وطأة رجائها "أسمعي سيدتي"

جلس شهاب أمامها حد بار المطبخ وهي تُعد الغداء لئبثني على تقبلها سُها فهي تستطع احتوائها ورعايتها، كما أعرب عن نفوره من سلبيتها ونصحها بالبدء في التعامل كونها ذات رأي وكيان لا بد أن تُعبر عنه فلا بقي على وجه الأرض فتاة ضعيفة شخصية كما تملك سُها، أكدت سلمي على حديثه تُعرب عن قلق مس قلبها وهتفت "المجنونة كادت تورط نفسها في زيجة الله وحده أعلم بها" أفسّس عن تلك الزيجة معترضاً لعدم ذكر سُها له لتهتف الأخرى قائلة "جارتها تقدمت بطلب يدها لأبنها سمسم وما أدراك ما سمسم"

"سمسم؟" قالها ضاحكاً قبل أن تتغير ملامحه للصدمة حين أردفت بالقول الفاتر "أتضحك؟" هزت رأسها بحزن وأكملت "سمسم تخطي الأربعون عام، جسم مارد وعقل يُصفر به الهواء"

"ضعيف الشخصية مقصِدك؟" تنهدت بلا صامته وشرحت له كينونته التي انحصرت بين جسم رجل وطبع النساء ليهتف والصدمة تمتلك وجهه "تَرتِر؟ خسارة الرجال" ضحكت ولم يتبعها بالضحك ليهتف بوجه احمر شديد التجهّم "ذلك أدعي لعدم تركك لها سلمى" تطلعت إليه بخبث وقد تنبّهت لتعكر دمه "سؤال وجواب عليه بينك وبين نفسك شهاب، ما الذي يُجبر فتاه بالثامنة والعشرين أن تقبل زيجة من رجل مُخنث؟" صمت مُفكراً بعمق غير واعي لنظراتها الخبيثة حتى دفع طبق الطعام من أمامه وقد تلاشت شهيته التي لا تفترّ ليهمس بحزن "ما الذي مس روحها حتى تقبل تلك المهانة والظلم؟"

هتفت سُها الي رباب التي توقفت عن الحكي وقد نكّنت السيرة جرحها "مجرد شفقة على بانسة مثلي، أنت من تُضخمين الأمر برومنسيتك" اكتفت بما سمعت لتتفقد الساعة قائلة "السادسة، هيا نوقظ الأولاد فالיום آخر امتحان لهم" خرجا ومازال الحديث بينهم لئشير رباب على فمها بالسكوت وهي تسمع همهمات تأتي من الطابق الأسفل، عادت وعيونها تلمع بعدما اختلست النظرات لأسفل تهمس دون حساب للكلمات "يبدو أن السيد داود وسلمى جفاهم النوم" تلمست قلبها وهمست مرة أخرى "لو يغرقوا سوياً بالحُب" دفعتهَا سُها أمامها توبخها بقوة "هل جُن عقلك؟ الرجل متزوج!" توجهَا لغرفة عامر وعُمر وتوقفت رباب ترد بجدية "بربك هل تلك باربي زوجة؟ الرجل واضح عليه النفور منها وضوح الشمس" تعجبت سُها وهتفت بغير رضا "لا رباب، يجب تنبيه سلمى، لا ينقُصها أن تُتهم بخطف الرجال" تنهدت وأعدت حديثها بغضب "لا تفتحي بكلامك أبواب الريح، داود يكره سلمى، يطيقُ العماء ولا يُطيقها" فتحت الباب توقظ الأولاد والفكرة التي طرحتها رباب لا تلقى قبولا بنفسها، فلا سلمى تقرُّهُ ولا هو يستسيغها!

تحيرت كيف لها فتح تلك السيرة معها لا هي بالمُتحدثة اللبقة ولا تعلم كيف ستتقبل الأخرى تلك وجهة النظر، لا يوجد غيره، شهاب ذو الأفق الأبعد فهي تلمست بشخصيته مرونة ولطف تُجبر من أمامه على التحدث دون القلق،

أنتهى الفُطور وخرج الأبناء بصحبة ذرية التي مازالت تسطو على سيارتها لُترسل من هاتفها رسالة لهُ مفادها "أريد التحدث معك في شيء خطير" طالعت سلمى تتقدم صوبهُ تتاوله الدواء وهي تسأل بطبيعية "متى سيأتي ضيوفك اليوم" دقت بنظراته التي شملتها لتستشعر الخطر فهتفت بين نفسها "وكأنني أشعر بالنار تشتعل" استفاقت وضميرها يضحك بشدة ويهمس لها "لا مناص من غيرتك، ماذا ستفعلين تلك المرة!"

\*\*\*\*

التاسعة صباح اليوم

نظرت في المرأة تتفقد وجهها ثم تناولت الهاتف تكتب رسالتها "هل قررت؟، العشرة مليون أو أنشر الفيديو على الملأ" تركت الهاتف وتبسمت لانعكاسها وبعثرت شعرها تهمس "عشرة مليون، مبلغ يستحق المجازفة" ابتسمت وأصابها تلعب بخصلة من شعرها وعقلها يهمس "يكفي سجن خلف أسوار الحياة، سُحقاً لرجل أحتكر طموحي وسجنني باسم الزوجية" تهتت لتهمس مجدداً "سُحقاً معشر الرجال، لا يأتي من ورائكم غير الهم"

\*\*\*\*

لهجت أنفاسها بقوة تضع الأكياس التي تحملهم أرضاً ورباب تتلقاهم عنها لتبدأ بإدخالهم المطبخ، أنزلت الحقيبة المُعلقة على كتفها وتوجهت لبهو الصالة الجانبية وما أن رأتها عيناه صرخ بها "أين كُنت؟" أنكمش وجهها من عداوته ومَدّت ذراعها تُناوله الحقيبة قائلة بحاجب مرتفع "حقيبتك! ولا تطلب أن أذهب بيتك مرة أخرى وزوجتك ليست به؟" ألتقط الحقيبة بعنف وأعاد سؤالهُ بصيغة أخرى "كل هذا الوقت تجلبين حقيبة من منزل مجاور لك؟" تأففت واستغفرت محاولة قدر استطاعتها ترويض غضبها، ماذا فعلت؟ دخلت كما طلب إلى بيته حيث باب الخاص المرأب ولملمت أشيائه وهو معها على

الهاتف لحظة بلحظة فقط استقطعت ساعة ذهبت بها للمتجر تشتري مؤن البيت التي أوشكت على النفاد، ضغطت على طرف شفتها السفلي ثم صاحت به "إياك والصراخ بوجهي" أستشعر طبعها الصلب الذي يأسره وأخفي إعجابه بقوة وهتف ومازال صوته عالياً "ساعة واثنين وثلاثون دقيقة تستغربينهم بالعودة؟"

"هل أصبحت مُبِه؟"

"أنتِ من تأخرتِ" مسحت على وجهها وأفسحت تُشير خلفها صائحة غافلة عن رباب التي وكزت سُها هامسة "ماذا يحدث؟" انتفضت كلتاها إثر صراخها "تسوقت خزين البيت، فماذا حدث؟ هل اشتريتنِي!" هاجت أعصابه وصاح بها "ألم أنبه بعدم خروجك من البيت؟"

رمقته باستفسار مُتهكم وسألت متوعدة "أهذا ما عندك؟" خلعت جاكيتها والقت به بطول ذراعها وتقدمت من جلسته خطوة واحدة تهتف غاضبة "ماذا أفعل؟ رباب وسُها لا يستطيعان شراء بيضة، وزوجتك أخذت السيارة ولم تأتي حتى هاتفها مُغلقة! ماذا أفعل؟" نفخت خريها وشدت شعرها من طبعه الغليظ وأكملت "ثم لما لا تُحاسب زوجتك وتتركني وشأني؟" أرتفع حاجبيه ببرود وهتف "وأين شهاب؟ تسوقي إلكترونيًا؟" صرخت بغيط "الرجل لديه عمل، ليس خادم عندي داود، وأي إلكتروني سينتقي اللحم والدجاج والخُضار الذي يلزمُنِي؟ لا أثقُ فيمن يتلمس طعامي؟ أقرء! ثم أنا حرة أفعل ما يحلو لي تشطر أنتِ على زوجتك" وعي طبعها الأنف وتذكر طبعها الموسوس طوال الأسبوع بأكمله تشمُ كفيها كل ثانية وتشم الملاعق والشوك وأرهقت الأولاد وهي تصيح مُنبهة تحموا، اغتسلوا قصوا أظافرهم، حتى هو مُنذ يومين أعطته مِقص ومُقلّم أظافر أشتريته خصيصةً له، حتى المناشف تكتب على كل واحدة أسم صاحبها! أُنْتبه واضع ساق فوق الأخرى بعد طول شرود يستفزها ليكمل استفزازه ببرود أعصابه قائلاً "هو يرتضي" هتفت من بين أسنانها "كفى برود يا بارد" صرخت بها وقد انفلتت أعصابها لتُكمل "لم أعتاد طلب شيء من أحد! صعب! عظيم الأمر على نفسي" لاحظ ارتعاش جسدها إثر الغضب فرق لها ولم تهن عليه ليهتف بمهادنة "حسناً أجلسي" رمقته بملل

حتى هتف "سلمى! قدوم هؤلاء الناس يعني شكهم بوجودي هنا" هدأت نظراتها نسبياً ومالت للتركيز تسأل بخوف "هل مجيء ذرية كل يوم أوفد لهم شكاً؟" أرتفع حاجبيه بعجز الرد وقال "لا أعرف، يجوز وربما مجيء شهاب، ولكن المؤكد أن هناك شيء لفت أنْتباههم لك"

"أنا؟" تبادلوا النظرات والخوف بينهم يلعب لتسأل بقرارة نفسها هل سيصيبه أذى؟! كما سأل هو هل ورطها معه؟! الظاهر من الباطن لهم أن كلاً منهم يخاف على نفسه! جرى إبهامه على حاجبه مُقرر الخروج من هذا البيت ليس لسلامته ولكن كلما تخيل أنها تُسحب لعالمه تحرك شيء داخله ملوحاً بالخوف، تطلع إليها وسؤال باغته "هل يخاف عليها؟" تلمس ذراعهُ المُعلق الي صدره وعجز عن الإجابة التي هزته ليُجزم أنه يخاف توريط أي شخص وليست هي فقط فليس من الشهامة توريط أحد بمشاكله، أرتاح لذلك سبب ونهض من مكانه مُنتبه إلى اختفائها ليُجدها بالمطبخ تُفرغ ما أشتريت كما تُفرغ غيظها في سها التي شردت في هاتفها غير عابئة بالمساعدة، هتف ويدهُ الحرة في جيب بنطاله "كم ثمن تلك الأشياء حتى أدفعها؟"

تخشب جسدها لتغلق باب المُبرد بقوة وتلتف له بكل ما تحمل من غضب وتهتف "أنت مُستفز حقاً"

"أنا أأكل وأشرب! فلما الغضب"

"حين أقلب البيت فندق سوف أوافيك بالحساب حتى تدفع" قالتها وعينها تتوعدة ليكنتم الضحك على مظهرها، كأنها تُحايل طفل نظير أن يصمت ويحل عنها، راقته لهُ اللعبة فهم باستفزازها لكن قاطعه دخول الأولاد العاصف عامر ملابسه مُبعثرة وعمر يركض خلفه صارخاً بكلمات لم يتبين فحواها، صاحت عليهم دون جدوى لتجد لينا أمامها وذرية تهتف بسلام مُتعجل وتغدو راحلة بسرعة ليست من شيمها، تبادلوا الأنظار الصامتة معه ليستمعوا إلى رباب تسأل وقد تحفزت سها "ماذا حدث يا لينا؟" ألقت حقيبتها جانباً وببرود مائل والدها هتفت "لا أعلم، عامر صرخ عندما رأى هاتف صديقه وعمر تبعه هو الآخر قائلاً -امرأة قذرة -وسألهم صاحب عامر هل تعرفون هذه



المرأة فهم عامر يضربه لكن دفعه عمر وخرجنا من المدرسة نهروا، ولكني لا أعلم شيء" صدم داود مما سمع وهتف وعينه على سلمى التي هرولت خلف أبنائها "كل هذا ولا تعرفي؟ ها؟ أنا من يعرف؟!" دخلت غرفتهم كالنمر الشرس تنوي بهم فعلاً حذرتهم من الهمجية والطبع السوقي ألف مرة لتتوقف وعقلها يستوعب ما تسمعه لتصرخ بكل صوتها وهي تنهار أرضاً "لا، بالله ليس مُجدداً"

\* \* \* \*

تحرير شهاب وهو يُشاهد الرابط الذي أرسلته سُها علي هاتفه ووقف أمام صُهيّب شاردأ هل يُلغي ذلك الميعاد أم يذهب به وبالسيدة ذهب إليهم؟ تطلع لخروج ذهب من بيتها الذي تفاجأ بوجوده داخل المُجمع السكني كما تفاجأ بمعرفتها سلمى، والأكثر مفاجئة أن صُهيّب كان يبحثُ عنها كما أمرته السيدة ذهب، وتحت وطأة الموقف اضطر لاصطحابهم ليرسل رسالة إلى سُها يُنبئها أن تلتزم الصمت، رحب بها ودعاها لسيارته لتهتف بكلماتها المُمنقة "دعني أتبعك بسيارتني، من أجل الرجعة" أنهى الموقف على باب بيت سلمى بعد أن أخبرهما بأن الفارق بينهم شارعين فقط كما وجب ترك السيارة مخافة المُراقبة، تقدمهما مُرحباً يُدق باب البيت الذي فُتح لیتفاجأ الجميع بصوت الصراخ المُفزع، نظر إلى سُها الباكية ليندفع وذهب مع صُهيّب خلفه قائلاً بغضب "لما خبرتها؟" أفسحت مجالاً للضيوف وهتفت "لم أفعل شهاب، لم أجرو" هتفت ذهب بقلق شمل جسدها وصوتها معاً "هي من تصرخ" لم تلقي جواباً حتى هتفت "صوتها! صراخها كما كانت بالسجن" تجرأت وولجت حتى منتصف البيت وهتفت بعصبية "أين هي؟"

وبالطابق العلوي وقف الولدان بعجز أمام انهيارها عامر يرتعب من عودة الماضي وفضائحه وعُمر بيكي بحرقه متوسل لها أن تهدأ أما رباب جلست أرضاً تحتضن انهيارها بعجز تام كَتَفها عن حُسن التصرف في عودة نوبات هلعها،

أما هو؟ تمزق وهو يرى خوفها الذي فاق الضعف والانهيار، داخله مارد غاضب ما إن شاهد المقطع وتلك الساقطة تذكرها وتذكر ما حدث يوم الحارة بالكذب والافتراء، هل قرر حرق الحارة بمن عليها؟ أم أتخذ قرار بجعل تلك الساقطة والديوث زوجها عبرة لمن فكر بذكر أسمها؟! قرأ التعليقات التي تزداد بالشتم والسباب على لسان الفارغين وعاطلين الميديا، تلك المذبلة الاجتماعية المخصصة لتفريغ السموم والأمراض النفسية، قرأ بعين قُدت من نار المجوس والكُفر تعليقات شواذ الأخلاق والضمير لينتبه لذكر أسمها وأسم أبنائها، كل تفصيله عنها بدأ من نشأتها بالحارة بعُمر العشر سنوات وصولاً للفضيحة وسجنها، حتى إرثها لم يخفى عنهم! بدأ التشكيك بها في التعليقات لتبدأ جولة الاتهامات السافرة القدرة ما بين اتهامها بمرافقة رجال الأعمال

وبين المهنة التي تُدر عليها ثروة بلمح البصر! اليوم فقط علم معنى الخذلان الممزوج بالألم، أغمض عيناه وصراخها يقتله "لما تفتحون أبواب الماضي مرة أخرى" شقت صدرها وقد خارت عنها القوة تهتف بأنفاس لاهجه "لم أنسى، لم ابرأ، تعهدتُ بترك كل شيء، أقسمتُ على ترك الماضي" أشارت على أبنائها وصرخت تضربُ وجهها "حتى القسم لم يبرد في فمي؟! "صاح بقلب مقبوض وعقلاً متمرّد "سلمى؟ أنا هنا؟ إياك والبكاء؟!" طالعته بعين متورمة تستقبل كلماته كما يُخالف قلبه، لتشهق وغصة كُرهُه لها تخنقها "أجل، أنتَ هنا؟ لتكتمل صورة السافلة أمامك" نهضت تدفع رباب بقوة ووقفت وعينها تتحدى عينه المُشتعلة تهتف بقهر تملكها "أنظر؟ دقق في السافلة؟ أنظر الزانية بلا شرف؟" شهقت تبتلع دموعها وتتقدمه بهمجية "أجني أولاً بما يحوي صدرك من ضمير يا مِتر؟" لكمت صدره الذي يتهاف لضميها لتهمس بقهر "أقمت ببيني أسبوع وأكثر" استعرضت قوائمها الفارع ومقدمة صدرها التي ظهرت بسخاء بعد شقّ ملابسها وأكملت "هل وجدت سفور؟ هل راودتك عن نفسك أو راودتُ أحدا؟ هل تعاملت بلا شرف بلا أخلاق؟" صرخت أمام وجهه "أجني داود باشا"

شهقت بألم وتمسكت بتلابيبه تهتف بجنون "ألا بكم ضمير ينظر لكلبة أكلها الضباع عنوه؟" تشبّثت بتلابيبه بكفين مرتعشين، ملقيةً بثقل رجائها أمام قلبه المُلتاع "لستُ باغيه؟ لما الظلم إذن؟" خار جسدها مهدد بالوقوع ليدعمها كفه الحر والأخرى تتمسك بكفيها العالقين بصدرة يهمس تزامناً مع صراخ أبنائها "قسماً بشر فكِ سلمى ليدفع الجميع ثمن دموعك دماً"

اقتحمت ذهب المكان وخلفها سُها تحاول منع طفلها لتهتف رباب بدهشة "سيده ذهب؟ جنّت بوقتِك" ألقي عُمر نفسه في أحضانها يصرخ "بالله لا تبكي، أنا وعامر سنحرق أبنه السباك لأجلِك" تسلمتها ذهب من أحضانه ليلحظ الجميع خروج عامر مندفعاً بملاحم مُجرم دافع شهاب وصُهب بقوة وداود يهرول خلفه بعد أن همست له "أتوسل إليك أدركه" صاح وقد ألقي بحامل يده أرضاً "شهاب؟ لا أريد رجل بذلك الطابق" أغمض شهاب عينه يشير لصُهب الواقف بأول درجات السلم أن يسبقه وتهف إلى سُها المترددة "لما لستَ معها؟ أذهبي"

سأله صُهيبي بهدوء "ما به داود؟" ليهتف وهو ينزل السلم خلفه "بُركان  
وأنفجر، أقرأ على الجميع الفاتحة"

\* \* \* \*

رمقتها بحدة وغضب، مجنونة لا تعلم أي مسلك سلكت بفعلتها السوداء، سلمى  
أخذت أبنائها واختفت بلا رجعة، فلما تُحضّر عفريت لن تستطع حرقه؟!  
صاحت والنجيلة تشتعل أمامها "يا أبنّة السباك، يا خائبة الرجاء هل تعرفين  
ماذا فعلت؟" جرت أسنانها وصرخت بصمت "متى تُغير أسمك يا أبي" رفعت  
عينها صوب قطعة تهتف بغباء "لم أذكر أسمها ثم ماذا ستفعل؟ هل تخوفيني  
بها؟" قلبت قطعة عينها بسقم وصرخت بوجهها "لن تُفيدك الغيرة يا نُهى،  
سلمى صارت قوية وليس المال فقط، تذكرني الحراسة والسيارات التي سدت  
الحارة وطوقت الحي بأكمله" سحبت نفس وعينها ترمقها بحقد على ما حققت  
من مكاسب وتفاعلات بهذا البث الذي لم تخبو ناره وقالت تلفظ الدخان في  
وجهها "كل رجل منهم لو غطس بالحارة لجعل من فيها يطير لسابع سما"  
أستعت ابتسامتها الخبيثة تقرأ الغيرة بمن أمامها وقد أقرت بنجاح البث  
وتحقيق أعلى مشاهدة، سيبدأ إذن النزال بينهم فمن يا تري سيتفوق ويُصبح  
صاحب أعلى بث ومشاهدة، فردت ذراعها فوق ظهر الأريكة والأخرى  
تهزها بالأساور الذهبية الجديدة وقالت تستعرض أكتافها "أعلى ما بخيلها  
تركبة! تبحث أولاً عن أبنائها ثم تأتي وتقف أمامي إن استطاعت" رنت  
ضحكتها وتلاعبت بحاجبها تغيظ قطعة وأكملت "ستجد ما يُخرس فمها" مالت  
تسحب لى النرجيلة وشدت نفس وعينها تُراوغ، سددت بوجهها سحابة الدخان  
على مهل وهتفت "يا معلمة قطعة يا ست الكل، هل افترقنا عن بعضنا البعض"  
تلوّت قطعة بمقعدها من نار الكيد التي أوقدتها نُهى وهتفت بغیظ "ماذا بجعبتك  
يا عنيا؟"

"نتقاسم سلمى! والبث معاً؟" رنت ضحكة قطعة تلك المرة وراقصت حاجبيها  
تُعيد لها الكرة وقالت تسحب لى النرجيلة كما كان لها "يُحزن، على الله يا ابنة  
السباك" جرت أسنانها تهتف بصمت "متى ستُغير أسمك يا أبي؟" نهضت تُلقى

على رأسها طرحة لا تُثمن ولا تُغني من ستر وهتفت بجديّة "اعقلي الأمر يا معلّمة، سلمى ستأتي لتتفاوض على شرفها، ها نحن أكلنا الطّعم وتركنا الأولاد دون ثمن وكل ما فعلناه جاء بصالحها فلما لا نقتنص الفرصة" هتفت قطة بترفع "لدي مال الدنيا ولست طامعة بمالها"

"وهل المال ما أبغي؟ شاهدتي بنفسك جبروتها الذي رجّ الحارة بمن فيها، أهذه سلمى؟ القطة المُغمضة؟" صاحت قطة والكلمات تلعب بعقلها "فسري يا بلوى بلّيت بها نفسي" حملت حقيبتها تهتف وعينها بعين المعلّمة "بث واحد ربحت مالا طائلاً، فما بال العشرة، العشرون؟ ألف يا قطة؟، الشهرة والنجومية" أسهبت ترى وجه من أمامها أشرق بالمدح لتُكمل "الكل يطلب ودك، تلك تمدح عباءتك وتلك تلتقط صور بعد إذنك والسلطة؟! كبار البلد يتوددون لأكبر معلّمة في البلد! المعلّمة قطة، شيخة الجزائريين بنت البلد"

"أنا معك يا داهية" قالتها دون تفكير وتقدير لتهتف نُهى وقد حال بينهم باب الشقة الموارد "أنتِ أفعلي ما تفعلي ونحن أيضاً، لكن سنجتمع في البث المشترك ونلعب ونتسابق بالجولات أما الجمهور؟" غمزت بعينها بمغزى تفهمته قطة وغزى شغفها لأقصى درجة وقبل أن تشردّ مُجدداً صاحت بصوتها الجهوري "بنت يا نُهى" طلّت برأسها من الباب الموارد وهتفت "أوامر يا معلّمة"

"هل سنخبر المُتابعين بصلّة القرابة بيننا" غمزت قائلة "تلك حلقة سوف تُجني ذهب" شدت الباب وأجابت راحلة "كل شيء بمعاذه احلى" خرجت إلى الحارة وقد أنقلب وجهها للقسوة المُفرطة تتوعد سلمى بويلات لن تستطع مواجهتها، تلمست وجنتها تتحسس اللطمة الفائتة وتُقسم أن تدفع ثمنها من كرامتها حين تزلّها، رفعت رأسها بكبرياء زائف وتمايلت بمشيتها بقلب الحارة تنتظر بتعالى للشيخ حازم الذي رمقها بقرف، ألقت السلام على متولي وشحاتة الذي صاح من خلفها "مرحب وألف مرحب بنجوم الميديا" كان لا بد أن تكسب قطة بصفها تعلمها وتعلم كيدها، حبها للمدح والتملق مرضها، تخاف أن تتخذ سلمى ذلك الجانب الأعرج وحينها ستقف معها ضد أبنها، دوماً ما كانت تحثها وتُفهمها طبعها ولكن المُغفلة تتعف وتُخبرها التملق والكذب نفاق وقلة شرف

وأبنة المصري لا تُهين كرامتها وتبيع نفسها بالبخس، تبسّمت بغل وهمست "أين الآن الشرف والكرامة يا صاحبة السمو" بثقت أمامها وهرولت بخطواتها وهي تلمح والدها عليّ السباك مُتجهاً صوب المقهى فأخر ما ترجوه نصائحهُ البالية، لا تدري بأنهُ لمحها ولكنه أفتعل عدم رؤيتها، منذ أن قرر التحدّث وردعها عما تفعل حتى تدخلت أمها تُحذره بأن لها زوج يُحاسب عنها، عليّ القليل لم تخون زوجها بل تظهر أمام الجميع بصدق ولا يعيبها ما عاب صديقُها، أنتبه لكلمات الشيخ حازم المار من أمام المقهى يصيح بجرأة "أصبحت الحارة دون رجال، نساؤها فتحت عُرف نومها على الهواءِ مُباشرةً" حمله في عليّ السباك وكفه تفر المسبحة بين أصابعه وسأل بفم معوج "أليس كذلك يا سباك المنطقة يا مُلوّث؟" هب رجال الحارة باستنفار وكف السباك يصفع وجهه حازم بقوة ويصرخ به "أخرس يا مُدعي الدين يا تاجر البانجو" حال متولي بينهم وقد أوشك حازم على ضربه ليهتف متولي وهو يجذب عليّ "صلوا على النبي يا جماعة" سحبه يسأل "ما الأمر يا عليّ" هتف شحاته بطبعه الحشري غير مُتضامن مع أحد "بما استفزته يا شيخ حازم؟" صاح فتلة بوجه الشيخ مُتحفراً "زودتها يا جدع، هل نسيت ما كُنْتُ سابقاً"

صاح الشيخ بالجميع يحك ذقنه متوتراً "أليس منكم رجل راشد؟ السباك ترك أبنته تتعري وتتلوى على مواقع التواصل ويتهمني ببيع الممنوعات أمامكم، آمن تاب كما أرتدّ يا كفرة؟" دفعه شحاته بصدرة يسحب عليّ السباك بعكس اتجاهه وهتف "ما دخلك يا منافق؟ الرجل حُر بأبنته هل سألك رزق؟ داقت في وجه الجميع والكلّ بات يبحث عن باب يُرزق منه" صاح السباك يتملص من شحاته الذي حرق بالكلمات دمه "رزقُ ماذا؟ أليس لها زوج يُحاسب عنها؟" رمقه شحاته بابتسامة شماتة وصاح قاصداً إشعال ناره "قلنا هذا سابقاً يا عم عليّ" هتف الحاج متولي بعدما أمر فتلة وبعض شباب الحارة بصرف حازم "كفى لغط، هيا كلّ لحاله" ألقت يُحدج شحاته مُحذراً بالتمادي وجذب عليّ إلى داخل المقهى يُطيب خاطره "صلي على النبي يا رجل يا طيب، لا تعتب على الشيخ حازم يا عليّ جميعنا نعرف أنه مُدعي" أخفض عليّ رأسه يمسحها بكفه وهمس "الله الأمر يا متولي، فضحتني أبنتي"

ومن شُرفت منزلها شاهدت ما حدث وعيُنُها تتوعد حازم بتحدي، ذلك الذي لا تعرف متي وكيف أصبح شيخ يدّعي الوَفَّار، رفعت هاتفها إلى أذنها وفتفت والخبث على وجهها يضحك "سامح! كيف حال البثِّ ومتابعيك؟" أملتُه ما خططت لتغلّق الهاتف وتدخل غرفَتها تستعدُّ لجولاتِ الميديا تهمس "حلوة علاقات الميديا، يبدو أننا بدأنا في عالم الوساطة والسلطة"

\* \* \* \*

تحرك قاسم متوجهاً لسيارته يتابع رجاله الذين أبلغوه بأن السيدة ذهب لم تخرج من غرفتها فهم بالاتصال بها ليجد هاتفها مغلق ولكن أحد رجاله شاهد من تُشبهُها تُغادر قبل بزوغ الفجر ولم تعود مرة أخرى، صاح بالرجل مُتَبَهِّاً "أرسل خدمة الغُرف تتقصي الأمر" أتى صوت الرجل "تركت علامة عدم الإزعاج خارج باب الغرفة و" صاح به "لما توأوأ يا جحش" تأفّف الرجل يبتعد عن غرفتها وقد ضاق بالغرور والغطرسة "بابُها يُفتح يا باشا" أنتظر بصمت والرجل يتابع مراقبة الغرفة ليعاود الهمس "أخرجت عربية الطعام جانباً" ظفر قاسم نفس كاد يحرق الجو وأعطى أوامره مُلزم الرجل بالمُراقبة وتوجه بسيارته صوب مكتبه لابد أن يعرف هوية صاحب الرقم الذي يهدده، بالأمس تفقد رجاله ذلك البيت الذي يتردد عليه كلاً من شهاب وزوجة داود ولم يتوصل لشيء كل ما قيل لهُ أنها جارة جديدة بالمدينة السكنية وبمراجعة مُلاك الفلل تبين أن الفيلا باسم يوسف المصري وقد وافقته المنية، لا يعلم هل زوجته أم قريبته، ربما مُستأجرة من الباطن؟ تأفّف وهو يتذكر الحُجة الخائبة التي تصنّعها رجاله لكن كيف كان سيدخل منزلها ويتجول براحة لوما تلك الحُجة، سوف يذهب إليها بنفسه وينظر أمرها وجهاً لوجه والحُجة معه، قانوناً ممنوع تأجير الوحدات السكنية من الباطن وبصفته مالك الكوم باوند لابد أن يتحرى، توقفت السيارة أمام مدخل قصره المُتطرف بالمدينة لتستقبله ذات الدلال والجمال المذهل هاتفه "قاسم باشا أفتقد طلتك" سحبها من خصرها ودخل للبهو يضحك والسيجار بين أصابعه قائلاً "جنان دورك بالمُسلسل الجديد يا حسناء"

\* \* \* \*

جاهد ألا يصل صوته لداخل البيت ليهتف أمام غباؤها "هل جُننتِ يا سُها؟  
تترُكيها في هذا الهم لحالها مرة أخرى؟" تحيرت بالرد وقالت تبكي "لم أقصد  
ما فهمت" أغمض عينه قرفاً منها ومن ضعف شخصيتها وجلس بمقعد  
الحديقة غاضباً، بات لا يعلم هل هي هشة النفس أم أنانية تنى بنفسها وقت  
الخطر، ألتمس لها العذر حين تنصلت من مسؤوليتها أول مرة وركن ضعفها  
لوحدتها وقلة حيلتها مع الفقر، أما اليوم لا يعلم إلى ما يُركنها؟، زال الفقر  
وابتعدت عن أوباش الحارة بل ما يزيد حيرته موقف سلمى التي احتوتها دون  
العتاب واللوم، تقدمت تجلس جواره لا تعلم كيف تفوهت بما قالت، لا تنوي  
تركها أو البعد بل تُريد أن تعوض فعلتها القديمة بتقديم الدعم والمؤازرة لها  
ولأبنائها علّ ضميرها يرتاح من كثرة الدق، تطلعت له وهمست ببكاء "أقسم  
لك شهاب لم أقصد ما فهمت" هز رأسه دون النظر إليها وهتف "ما قصدك؟"

"أنا حائرة شهاب! تائهة كبالون فر من يد طفل حتى طاح به الهواء لا هو  
بالتقل الذي يسمح له بالهبوط ولا هو في مأمن يحميه من الانفجار" ظفر غير  
مُقتنع يراها تدفن وجهها بين كفيها وتنخرط بالبكاء ليعتدل صوبها ويتكلم  
مباشرةً بطبعه الصريح "حسناً سُها دعينا نبدأ الحديث بيننا من جديد" رفعت  
أنظارها تمسح الدمع ليكمل قائلاً "كان سؤالك تفسيراً عن ماذا تفعلين؟ وذكرت  
حلّين أولهم البقاء وثانيهما الرحيل" قاطعته تهتف "لم أقصد الرحيل خوفاً من  
الفضائح بل قصدتُ الرحيل كي لا أزيد أعبائها و" قاطعها يلتقط آخر كلماتها  
وهتف "و ماذا سُها؟ لابد أن تعي بأنك لستِ عباً والأهم سلمى ليست ساذجة  
كي تُكبل نفسها بأحد سلمى عاشت بالسجن عامين كاملين وتلك تجربة تجعل  
من الزاهد العابد سفاح يقتل ضميره بيده وبدم بارد دون الندم" هزت رأسها  
موافقة وأضافت "تأكدتُ بنفسني من جمودٍ يضربُ أوصالها حتى أنني تخوفت  
منها"

"حسناً أعطني سبباً مُقنعاً لفكرة هروبك لأنني لم أقتنع بأسبابك الواهية" دارت  
عينها بالمكان بغير هُدى وهمست وأصابعها تشابكت مع بعضها "هل؟ هل؟"  
صاح بفراغ صبر "سُهااا؟ تكلمي؟"



"هل تشعر بأن هناك ما يحدث مع داود وسلمى" أنكمش وجهه ورد دون انتباه لما تقصد "أي شيء؟ وماذا يحدث؟"

"أشعر وكأن بينهم إعجاب" هتف واعي لما تقصد "وما دخلك؟" تلجلجت تسأل بخوف "شهاب ماذا تقصد، لو كان الأمر صحيح فتلك مُصيبة وفضيحة أخرى سلمى في غنى عنها" تأهبت حواسه يضرب مقدمة رأسه بقوة، كيف غفل عن تلك الحقيقة الواضحة أم سعد من أجل سعادة داود الذي يكتوي بنار ذرية، ذرية؟ ماذا لو الأمر حقيقياً وأتضح حقاً أن داود يكن لسلمى عاطفة؟ ذرية لن تصمت بل ستحرق سلمى وتُشهر بسمعتها، رغم عدم اهتمامها بداود كرجل لكنها لن تترك خزنتها البنكية، يعرفها أنانية واستغلالية قبلت شرط داود بكامل إيراداتها ليصبح ما بينهم مجرد صفقة، امرأة ارتضت الزواج برجل للتو ترك الفقر، دون عائلة مرموقة فلزماً عليه تعويضها بالمال، وبذكاؤها الخبيث أشعرته بأنها منّت عليه بوجودها وقدر عائلتها ليصبح دون دراية يلهث خلف أبواب الثراء لتلبية طموحها الشرس، لذا وجب عليه مُفاتيح داود في الأمر فهو ليس بغر ساذج حتى لا يلاحظ الحرب القائمة بين عقله الواعي والباطن الأول يكرهها ويجهر بذلك والآخر وصل لمراحل الغيرة التي لم يُجربها يوماً، هتف وقد بدا الهم مُزينا صوتاً "دعي الموضوع لي يا سها، واعلمي أن ما ذكرتيه ليس مُبرراً" نهضت تهز رأسها موافقة ولكنها توقفت قائلة "أنا لن أتركها مهما حدث شهاب" اشتعلت عيناها ببريق لمحّة لأول مرة لتتحرك من أمامه قائلة "فقط ظل جواربي! فأنا خائفة من القادم جداً" تنهد يتطلع غيابها وهمس حيران "لو تمنحي نفسك بعض الثقة" أنتفض وصُهب يهتف من خلفه بجدية "بيدك" أستقام بجلسته وسأل بتحفظ "هل سمعت حديثنا؟"

"لم أقصد فقط كنت جواركم أجري بعض المُكالمات" نفخ باضطراب ثم قال مُحذراً "هل يجب أن أنبهك بحفظ السر" تبسم صُهب وهتف "حقك! فأنت لا تعرف من صُهب" رمقه شهاب بعين الدهشة والإعجاب وصافحه "مرحباً بالرجال" تبسما وجلسا مُتجاورين ليهمس صُهب يريح ظهره للخلف "لو ظنك وظنها صحيح فوفر عليك المعاناة" وافقه شهاب تمام الرأي وهمس وهو يميل بجذعه للأمام "تخيل؟ داود الرازي يقع بالحب! تلك أعجوبة من أعاجيب الزمن" نهض صُهب واقفاً يهتف "أصعب شيء على الرجل اقتلاعه جبراً من

جنةً وجدها على الأرض! أعان الله صاحبنا" هزّ شهاب رأسه ينظر رحيله ويهمس "كُنْتُمْ مع برنامجكم قال الفيلسوف"

نهض يُفتش عن داود الذي اختفى هو وعامر غريب الأطوار ليلمح رباب التي لا تختفي ابتسامتها ليسأل بصوت عالي "يا ذات البسمات رغم الأزمان هل لمحتي داود"

ومن رُكن المَرَّاب الخلفي أنزوى يجلس أرضاً يُصلح الدراجة التي دفعها تحت وطأة الغضب "إذا شعرت بالضغط يمكنك الأفراج عما يختلج صدرك، أنا أسمعك" ناظره الفتى ببُغض وهمس معاتب "أنت تكرهها"  
 "وماذا لو كنت أحبها؟ أنتفض الفتى وهتف "عن أي حب تتكلم؟"  
 "أحبها مثلك! أم أنت لا تحبها؟"

"هي أمي!"

"وأنا رجل وهي امرأة"

"لكن سُمعتها مُلطخة بالفضيحة والعار"

"أنا أثق من براءتها! ماذا عنك عامر؟" صمت والحيرة تُغرقه لينتشله داود سائلاً "قل لي، تثقك بها أكثر أم تثقك بنفسك؟" رمقه عاجزاً عن الرد والاستيعاب ليهتف بما وعى "سؤالك غامض لكني أثق بها كما أثق بنفسي" تبسم داود وترك ما بيده وتوجه بالجلوس أمامه قائلاً "سأتمنك على سر" تحفز عامر والثقة تدب في دمه قائلاً "في بئر" ليكمل داود وابتسامته تتسع "حين تقصيت وعلمت بحكايتها كرهتها بل كدتُ أكره يوسف عمها" حثه عامر للاستفاضة ليكمل الآخر "يوم الحارة! حينها دققتُ النظر فيما حولها مُرغماً لكنني كابت وتغاضيت عن صوت داخلي يلومني فيها ثم اضطرت على المكوث لديكم بالبيت" هتف عامر يستجدي التكملة "بما شعرت؟ أما زلت على موقفك" جرى إبهامه على حاجبه وهز رأسه رافضاً وهمس "لا، لأنني دققت النظر برغبتي لأجد التناقض يضربني بمنتصف جبهتي" أنكمش وجهه عامر وهتف بغضب "أنا لا أفهمُ كلام المُحامين، إما أن تُفسر أو تتركني لحالي وهي" اتسعت ضحكة داود وهتف "يا ولد؟ المقصد أن تنظر إلى الصورة"

كاملة وتُنحي كل الافتراضات سواء فرضها عقلك أو فرضها المُجتمع، حتى ما رأتُه عينك" نفخ وهْتَف "تحمل غبائي ووضح أكثر" هْتَف به بجدية وقد تلاشت ابتسامته "لا ثقتك بنفسك تخولك للحكم عليها ولا نضوجك المجتمعي أكتمل ليُكسبك الخبرة" رمقه عامر بتحدي وهْتَف يلومه "أنت أكبر مني ولديك ثقة كاملة وحكمت عليها وكرهت أيضا" رفع حاجبيه بإعجاب وأجاب يضعه أمام نفسه كما يفعل بحاله "هذا هو! أنا خَدَعني الكلام ولم أعرف سوى ما سمعت، أما عنك فحكمت فيمن عاشرتها وتعرفها بالإعدام حيه!" رفع سبابته مُنبهاً "وقبل أن تُبرر أفصل علاقة الرحم بينكم" سحب نفس وظفره بقوه يسأل بتروي وعينه بعين الصبي "امرأة عاشرتها، تعلم طبعها ككف يدك، تناولتها الألسن وشاهدت موقف يُدينها، فما حُكمك المجرد من المشاعر تجاهها؟" هْتَف مباشرةً ودون تفكير "أتأكد مما رأيت، العينُ خادعة، تُعجب بالطعام حتى يلمسه الفم وعندها تلعي النفس قرافاً"

"أصبت، وهُنا المغذي بُني! هُنا وجب العدل، كما نظرنا نحو سلمى دعنا ننظر في أمر الساقطة نُهي؟" شرد عامر يتذكر ما قصه عُمر ليعتدل صوب قائلاً "لدي سر" ارتفع حاجبيه وهمس سعيد بتلك الخطوة "في بئر عميق" نزع عامر الهم وسرد ما تكبده خلال سنتين من مكوثه معها ليقراً الآخر بروح المُحامي المُخضرم ما خُفي بين الأسطر ويعي أن هُناك من دبر للفتك بها، لا يُمكر بالمرأة سوى امرأة مثُلها هكذا أعظم غدر سطرته كُتب الحياة، هكذا الخذلان ناراً تندلع وباطنها الألم، نهض داود يسحب بكفه كف الصبي ليخرجا من المكان وبينهما اتفاق بلا اتفاق مفاده حمايتها ورد اعتبارها وحق من خذل سلمى حد الألم، توقف عامر ونظر إليه يسأل بغيرة واضحة "هل ذكرت أنك تُحبها؟" قهقهه داود وسبقه بخطوة قائلاً "وماذا لو كُنت أحبها؟" صاح خلفه غاضباً "وزوجتك؟ أبنتك؟ حياتك بأكملها؟ وهي؟ فُكر بموقفها؟ لن أسمح بأن تُصبح كما نُهي؟"

تركه عامر أمام الحقيقة العارية مُتوقف الأنفاس والكأبة تُحاولته، رفع نظره للسماء يهمس مُبتسم بهكم "من وجد الجنة لا يتركها إلا مُجبراً! أبانا آدم طُرد منها لكنه لم يترك يد أمنا حواء!" دخل بهو البيت حيث أجمع الكل ليَجدها تحرق سجائرها وقد علت ملامحها صلابة لم يشهدها من قبل، ألتقط صوتها

المبحوح من البكاء تهتف "البادي أظلم! ولن أترك على الأرض ظالم دون الحرق"

\* \* \* \*

ومن أمام حاسوبها الشخصي تفقدت موقع نُهى وزوجها، تُشاهد البث للمرة الألف وقد وعت على ذكر أسم سلمى وحياتها بين التعليقات، أنتابها الشرود والتفكير لتهمس "أشفق عليك يا سلمى، كيف ستردعين سهام الغادرين" يجب الذهاب لمواساتها فذلك وقت لا ينبغي عليها الابتعاد فلن تسمح أن يهد داود ما شيدته، بدلت ملابسها وتحركت تاركة مُفتاح سيارتها، سوف تعمل على جبر سلمى لعدم السؤال عنها، خرجت متوجة إليها تتلمس بطنها وتهمس "تُرى هل طبخت اليوم أم الحزن منعها؟!"

\* \* \* \*

استمعت ذهب الي ما قصه داود فتبسمت تضع قدماً فوق الأخرى مُثيرة دهشة الجميع من عدم تفاجئها، بالأصل كانت تحمل نحو قاسم شكّ فما سر تودده وقد عَرَض عليها شراء الأرض مُسبقاً وحين رفضت أرسل من يشتريها من الباطن، وهنا أنتابها الشك تزامناً مع ظهوره الوافر، لكن الأحداث مرت مُسرعة لتجد نفسها أمام قضايا نصب ليدق ناقوس العقل بالفهم، حينها وُكّلت داود المحامي القانوني بشركاتها وكتمت شكّها، هكذا تتحرك أنثى الثعلب بقدرتها الفائقة على التكيف والتنبؤ بعدوها حتى تجعله فريستها التي تُجهز عليها في مخبئها، هتفت وفنجان القهوة مُستقر بين أصابعها براحة "خطوتنا الأولى الانتظار" تعجب داود مُبدي اعتراضه لتسبقه بالإجابة قائلة "نقاط ضعف قاسم التسرع ومن هنا سننتظر خطوته المُتعبة" أكمل صُهيّب حديثها قائلاً "تسرع سيحدث به خلاً ومنه نتوغل لعالمه" أقرّح شهاب قائلاً "معنا تسجيل له بالصوت والصورة" ليرُد داود "دون إذن النيابة باطل يا متر شهاب" أستمقام شهاب بجلسته قائلاً "معنا أدهم وكيل نيابة"

وضعت ذهب فنجالها بهدوء فوق الطاولة وهتفت "لا تنسى الحصانة شهاب بالأخير قاسم ليس برجل عادي" هتفت سلمى ومازالت تحت تأثير الصدمة

وقد اشتعلت غريزة الانتقام بها "حلّ واحد" انتبهت العيون صوبها ليقاطعها داود يسأل باهتمام بالغ "أحب أن أسمع" لمحت ذهب نظراته لتهتف سلمى بصلاية دون اهتمام له "ذهب تُخبر قاسم أنها غيرت المحامي داود بعد شكها بنواياه" هم يُقاطعون مُعترض لتعتدل تُشعل سيجارتها وترمقه قائلة "أنتظر حتي تعي" تابع صوتها بعين لامعه لتهتف "قبل دخولك المباشر للجلسة بُغت بقرارها وأنها تكتمت الخبر مع المحامي الجديد بعما علّمت بعلاقتك بوكيل النيابة أدهم" سكت مُفكراً كما سكت الجميع حتي أردفت مجدداً "أنت تفاجأت ثم وقع حادث اغتيال الذي ستتهم ذهب وقاسم به" ألقت طرف الخيط منها ليُكمل عنها "ردة الفعل؟! أدعي انتقامي منه ومن ذهب، ليبدأ طبعُ التسرع في تقلد الأمر" أضافت ذهب مُعجبة بالخطّة "أدهم يكون معك لإرباك قاسم" نفخت دُخان سيجارتها بنشوة وهتفت "أبلغوا النائب العام للحصول على إذن بكل خطوة لمواجهته بالأخير وإسقاط الحصانة" أنخرط الجميع بالحديث والفكرة تختمر بعقولهم وعين ذهب الحاذقة تلمح نظراته لها، وعنها فهي شاردة في عالم آخر، الحسرة تملؤها لتهمس والدخان يحتوي دمعها داخله "أحرق عدوك قبل أن يحرقك، ذلك قانون العدل القادم" قطع الجلسة دخول دُرية المُتأخر تهتف متوجهة صوب سلمى "سولي كيف حالك يا قلبي؟ لا تشغلي بالك بمن يغارُ منك!" ألقت سيجارتها المُحترقة في المنفضة بإهمال وخيطُ الدخان يتصاعد مُحترقاً لتهتف بقوة "أين مفتاح سيارتي دُرية؟" تقدمت تجلسُ أمامها تهتف وقد حيت ذهب وصُهب برأسها "سيارة الشؤم، من يوم شرائها وكانت وجهُ الخراب عليك" تناولت قطعه من الكيك الموضوع أمامهم أكملت "لو مكانك لاشتريت غيرها فوراً" ضحكت ذهب بكل صوتها تسأل "من أنتِ دُرية" نفضت كفيها ببعض تُشير صوبه "زوجة داود الرازي، ومن أنتِ يا هانم" فههكت بقوه قائلة "ذهب الاخشيدي صديقة سلمى المُقرّبة" لاحت الحسرة والغيرة بعينها وهتفت تجز أسنانها "تشرفت يا هانم" نهضت متوجهة إلي المطبخ بشهية فيل جائع لتهتف مرة أخرى ما إن وصلت "عُذراً فأنا أموت جوعاً" رمقتها ذهب مندهشة ومالت له تهمس "بربك كيف تتحملها داود؟" صاحت سلمى بقوة أسكنت الجميع صدمة "دُرية؟ أحضري مفتاح سيارتي! حالاً! واتركي مطبخي وإلى بيتك فوراً" سحبت سيجارة جديدة

وأشعلتها تهتف بتجبرُ أمام الجميع "بيتي له حُرْمه ومن اليوم فصاعد ألتزمي حدود الضيف"

\* \* \* \*

وبالأعلى تربع عُمر يشاهد البث السابق لوالدهُ وزوجتهُ حتى جدتهُ ليهتف إلى عامر قائلاً "سوف أحاربهم" صاح عامر به "أرحمني" ألقى اللوح الإلكتروني من يده قائلاً "نحاربهم بسلاحهم هم ينشرون الكذب عن أُمي ونحن نلعب بهم" هتف عامر مُحذراً "ماما لن تسمح لك" نظر إليه بتحدي والتقط اللوح يجلس جواره يقرأ التعليقات "أنتِ راقيةُ نهى حاربي من أجل بيتك" كتب عمر باسم وهوية أخرى "صحيح نُهي، هل والدك سباك المهنة أم الاسم المُقرف هذا لقب؟" ضحك والتعليقات تشتعل ليهتف عُمر "أدفعُ نصف عمري وأرى وجهها حين تقرأ التعليق" همس عامر بانتقام يقرأ التعليقات المُشينة "قسماً بالله موتك على يدي نهى" تناول اللوح الإلكتروني بغل وكتب تعليقه بذات الاسم "هل حقاً كنتِ صديقة سلمى المقربة؟ كيف تزوجتِ زوجها؟" أكمل والألم يتعاضم بصدرة "ماذا فعلتِ بأبنائها؟ والأهم أين حمو؟ يُقال إنكم أصحاب"

\* \* \* \*

بدأ البث الساخن لسامح فانقسمت الشاشة ثلاث جمعت سامح وحسنا المُمثلة والثالثة المعلمة قطة تعالت النكات والضحكات بينهم لتهتف حسناء مُرحبة "معلمة قطة! يا لا سعادتي" هتف سامح بمجاملة وافرة "واو المعلمة قطة تُنير البث، اليوم عيد رحبوا بست الكل يا شباب" انتفخت بالغرور وصاحت وليُ النرجيلة مُعلق بطرف شفتيها الملونة بالأحمر الصارخ "لدي مُفاجئة يا فنذاي" تركت الجميع يسأل بفضول وهي تنتقل بالحديث من موضوع لموضوع وتُشعل البث بخفة دمها وتبادلها الأحكام مع حسناء وسامح مما جعل التفاعل يصل لأعلى الدرجات والكل يدعمها مُعجب بطبعها الشعبي وشكلها الغريب، هتفت حسناء ترجوها الأفراج عن المفاجأة وسامح يطالب الجميع بدعمها ليستمعوا لصوت زئير أسد أهداهُ ثري عربي لها على الهواء، هتفت تُحييه ضاحكة "طال عُمرُك يا أمير" تنهدت وابتمست منتشيه بكم المُجاملات التي أمطرتها كزخات شتاء عاصف وقالت متأهبة لردة الفعل الكُبرى "أحباب قطة قريباً سأفتح مطعمي الكبير وكل أحبابي مدعوون أول يومان" علت التهليلات والتبريكات والكل يطُلب أكثر من يومين لتختفي حسناء مؤقتاً من البث حتى أنتبه إليها الجميع وما أن ظهرت بعد خمس دقائق التقطت بهم الأنفاس هتفت تغمز للجمهور "انتظروا، انتظروا لدينا ضيف سوف أدخله" هتف قطة "منْ يا حسناء؟" قهقهت تغمز لها "مُفاجئة غير متوقعة" أصر سامح على المعرفة حتى قالت بمكر "شيخ يريد هدايتي وسأجعله على الهواء دون أن يدري" تحمس الجميع وهتفت قطة "أرينا ذلك المفصوح؟ يهديك إذن؟" عدلت حسناء بلوزتها لتكشف صدرها بسخاء وأمسكت بقلم الحُمره تُعدل تبرجها ثم نظرت عبر الشاشة تهتف "أنظروا كيف يجلس وماذا يلبس؟" ترقب الجميع في صمت حل محل الضجيج لتضغط على زر الانضمام وتهمس بصوت ناعم ذو دلال "عفواً شيخ حازم أنقطع الاتصال" تركزت عينه على صدرها الفائر وهمس بنية السوء "ألم أطلب الرحمة وعدم ارتداء هذه الأشياء" غمزت للمُتابعين وقد كتمت أصواتهم لتجعل البث وكأنه خاص بهما فقط، همست تتحسس صدرها بسخونة "ما به يا شيخ زوما" أصابه الحول وهو يسمع أسمه المُدلل وتنهد بحرارة الأربعين يسأل "هل خضعتي للحقن؟" لاعبت حاجبيها وقالت "أنت جري هذا الدرس الذي وعدتني به"

أبتلع ريقه وقال بشبه همس "تراجعت، لما لا تكوني أنتِ المعلمة وأنا التلميذ؟" ضحكت بذلال خطف الدم من وجهه ليهتف وجبينه يتفصد عرقاً "حسناً؟ أريني ما تحت البلوزة و" أنتفض والشاشة تنقسم إلى أربعة لتهتف قطعة تُنغم كلماتها وتضرب صدرها "شيخ حازم؟ ماذا تفعل يا مضروب؟" لم يعي ما حدث ليلتقط قميصه يرتديه بسرعة ويُعدل من وضعيته يهتف "كيف اخترقتِ الدرس؟ كيف؟" أصدرت صوت خوار من أنفها وعلت ضحكاتهما تصيح به "درس؟ درس ماذا يا شيخ زوما؟" هتف بالمقابل وقد بدا بالاستيعاب "الأخت حسناء تطوق للهداية يا معلمة" نفخت الدخان بوجهه لتهتف والجميع يصرخ من شدة الضحك "تُهديها أم تُرقّوها يا!" أغلق حازم وقد سبته بسُبة نابية لتتناوله الميديا وتتناول فعلته وينتهي البث تاركاً فضيحة خططت لها نهى التي هتفت "الله عليك يا قطعة" صاحت تضحك بقوة قائلة "معلمة" وبالحارة ركض الصغار يهللون بالفضيحة "الشيخ زوما يا فيسبوك، الشيخ زوما يا تيك توك"

\* \* \* \*



تَجهز لمغادرة بيتها وقد لملت أشياءه الخاصة مُرفقة بمتعلقات ابنته، يومان مرا تتجنب الحديث مع أحد تُقلب كلمات ذهب التي أفنعتها بشقّ الأنفس أن تتخذ الصمت رفيقاً لها فإن قررت النزال والرد على أعدائها ستجد الكثير من الاقتراء والكذب، تلك أفه صارت عنوان المجتمع، والانتقام نار إن أحرقت أحرقتها وأبنائها أولاً، وهذا ما أكده عُمر حين أبلغها وعد عامر بقتل نُهي إن لزم الأمر، رمقت ابنها يتبادل النظرات مع ضيفها الراحل لتهتف عليه "عامر، أحمل الحقائق حتي منزله" تحرك الفتى دون التفوه بشيء ليهمس داود له "انتظرني بالخارج" تنهد والتف إليها يهتف بهدوء "سلمى؟ شكراً على استضافتك لي" تحركت وشعور بالحزن يملكها لتتناول كيس من فوق الطاولة مدته له قائلة "دوائك، أحرص على ميعاده جيداً" تبسم وقال مُمتن "شكراً سلمى" طالعتة بصدمه أثر نظراته الغريبة لتسأل "هل أنت بخير؟" تنهد يتحرك من أمامها يهتف "جداً وسوف أتي يومياً لتناول قهوتي معك" خرج من بيتها بعد اتفاق مع الولدين على التواصل بعد تهديد عامر وتعليقات عمر علي الميديا ليقرر تتبّع قطة ونهى زوجها الذي أختفى، أملى تعليماته الصارمة وقد بدأ باحتواء عامر والتعامل معه كرجل ليُحجّم فورة شبابه، وعن عُمر فقد باغته الصغير بطبعه المرح ليلاحظ عليه تفهماً غير مشروط للأوضاع من حوله، يمتلكا طبعها فرغم ظروفها تتكبد الصعب إذعاناً، كل وضع يُفاجئها تتفهمه وتستقبله بمزاح وبذات الوقت تُصبح كما عامر واقفة بالمنتصف ليست قادرة على الرجوع أو التقدم، دخل بيته ليستقبله الفراغ والبرودة ليتساءل بهمس "أين اختفيتِ دُرية؟"

\* \* \* \*

أنتهى من البث الخاص به، لن يُفرط فيما حققه من شهرة على الميديا لذا بدأ في تغيير حياته كما يتمنى، بالأمس أبتاع الملابس العصرية والحُلل الفارحة وصار يختالُ بقده الفارع وجسده العريض المعضل، بدا لنفسه نجم سينمائي ينافس بوسامته أحمد عز خصوصاً مع تهافت النساء عليه ومُغازلته عبر الميديا، تحرك داخل بيته بروح طاووس ملون ليجدها تقرض أظافرهما بغل والهاتف أمام وجهها، تعجب منظرها وتعكر مزاجها، للتو انتقمت من الشيخ حازم وفضحته بلا رحمه، وتعاونها مع قطعة أثر وأينع هي بالمكاسب والدعم ووالدته ضربت الأنا في ألف وحصلت على الشهرة، سألها أسباب الغضب لتهتف والغيط يُعربد بكيانها "الباردة لم تهتم للحملة التي صوبتها نحوها" "وكأنك لا تعرفيها" أنهى جُمْلته يجلس مقابلها واضع ساق فوق الأخرى مستعرض أناقته وكأنه ترعرع بأسرة مُترفة صاحبت بصوتها الرفيع تُوْنِبُهُ "لما استعجلت في الظهور يا عابد؟ لو تسمع حديثي وتعقله؟! " عدل ياقة التي شرت الأبيض الناصع وهتف باقتناع لن يتنازل عنه "أنا خارج لعبتك يا نُهى" تنبّهت له ترمقه بغرابة ثم سألت بتوعد "لم يكن هذا اتفاقنا" ركز نظراته عليها وسأل غير عابئ "وهل اتفقنا؟ حذرتك وأنت المُصممة على تلك المنافسة" ذهشت لجديته تتعجب كيف صار فجأة صاحب رأي وشخصية أم بنفسه شيء؟ صرخت بصوتها الرفيع المُزعج "وهل نُهى ستُنافس ربيبة السجون هذه" ضحك برواق وهتف ناهضاً "صحيح، ما الذي يدفع ابنة السباك لتُجابه ابنة المصري" جرّت أسنانها تهمس "متى ستُغير أسمك يا أبي" صاحبت خلفه والغيط يكتُم أنفاسها "ماذا؟ بن قطعة صار بن أسد" عضت لسانها تمنعه من نعته بالكلمة الأخرى لتجده يعود إليها مُبتسم يهتف "أوشك المطعم على الانتهاء، أخر بث حقق أرقام مذهلة" تركها لنار حقدّها مُقرر العيش بسلام دون عناء الأبناء والزوجة، سلمى وتحصلت على أبنائها ونُهى وجدت بالجو الجديد ملهاة لها، فلينظر لما يريد ويتمنى، فليموت عابد القديم ضعيف الشخصية سيخلق عابد آخر يتمنى الكل مجاورته وتباً للنساءِ بدأ من قطعة المتصايبة مروراً بحقد نُهى وآخرهم وأولهم سلمى تلك العصفورة التي هربت من أسرهِ ، هتف عبر الهاتف وهو يتحرك بسيارته "هيا شباب اليوم سوف نذهب لمكان ساحر

انتظروا عودتي" همست وهي تراه عبر البث المباشر "أصبحت ذو قدر يا عابد دُرغام وهذا ليس في صالحِي"

\* \* \* \*

أغلقت هاتفها متوجهة لِمكان المُقابلة وما إن دخلت أمرت صاحبةً مسرعةً "هيا سمير" هتف يناولها الملابس المتفق عليها "تفضلي، كما طلبتي بالضبط" ارتدت النقاب سريعاً وعملت على إخفاء كل شيء بها حتى عيناها وما أن انتهت أكدت على اتقاقها الذي أبرمته مع صاحب المكان لاستغلاله لبعض الوقت قبل أن يهم بفتحه مُنتهزه وقت التنظيف الذي يستغرق الساعتين قبل وفود الزبائن وتُنهي الأمر برُمته دون أن تُقحم نفسها في مكانٍ عام تُفضح به، التقطت هاتفها الذي رنّ ليهتف قاسم مُستغرباً "أنا أمام المبنى" هتفت تدعوه للدخول وهي تسأل "هل الأموال معك" تطلع للحقيبة بيده وقال بقرف "معي" دخل المبنى المكون من طابقين راقبين يتفحصه بقرف هل أجبرته على لقائها في صالون تجميل؟ نهب الخطوات حتى تخطى الباب الموارب ليجد المكان فارغ والصمت يستقبله بالسكون المُبهم، تمالك نفسه وهو يرى شبهاً أسود يرحب به هاتفاً "مرحباً سيد قاسم" توجه صوبها حتى جلس واضع الحقيبة أمام مقعده وهتف "تتخفين وراء نقاب!" عجز عن قراءة تعبيرات وجهها لكنه أنتبه لصوتها الذي أجزم أنها تلاعبت بنبرته حيث هتفت "دواعي أمنيهِ" تطلع للمكان قائلاً باستخفاف "وهل الأمان دخول رجل بحجمي صالون تجميل للنساء"

□ "أنهُ للرجال والنساء معاً لا تقلق" هز رأسه يأمرها "أعطني الفلاشة وتأكدي من المال" تناولت حقيبتها تُفتش بها دون جدوى حتى قامت بقلب ما بها أرضاً ليهتف بغضب "هل نلعب؟" اعتدلت تهتف وعقلها ليس بمحلٍ "أرني المال أولاً" فتح الحقيبة ثم أدارها إليها لُتُشاهد الأموال بعينها لكنها صُدمت لعدم وجود الفلاشة بحقيبتها لتجمع شتاتها وتهتف بثبات "عُذراً كان لابد من اختبار حُسن النية" صرخ بها وتتبع صوته صده "أنتِ تُهينين قدرِي!" هتفت باضطراب وخوف من هيئته "ولِمَا أفعل، جئتُ بنفسِي ولكن

أُمر كتلك لابد من أخذ الاحتياطات اللازمة" نهض وقد أغلق الحقيبة يصيح بها "حين تتجهزي لن أحضر بنفسى أنتِ من ستأتين وبشروطي" خرج تحت أنظارها غاضباً لترفع النقاب تهمس بشديد الغضب "كيف حدث؟ أين اختفت من حقيبتى" هرولت بعد أن نَبَته صاحب المكان بعدم ذكر ما حدث مع تهديدها الصريح له بأن تُرسله إلى جهنم وتغلق له الصالون أثر فضيحة مدوية، أدارت السيارة تخرج من الحي بأكمله حتى دخلت مرأب ذو عدة أبواب مُتفرقة خاص بمجمع تجاري مشهور لتخلع النقاب بالمصعد الداخلي وتخرج بهيئتها تتسوق وتبتاع، مرت الساعات حتى عادت أدراجها بملابس جديدة وهيئة مُختلفة تسب نفسها فعلى ما يبدوانها تركت الفلاشة بإحدى حقائبها التي تُبدل بينهم، انتبهت للطريق أمامها وكل تركيزها على الأموال والخطوة القادمة

\* \* \* \*

حل المساء وهي تجلس بالحديقة الخارجية بعدما انتهت من ترتيب البيت بأكمله وقد خوى عليها وعلى أبنائها، تُفكر كيف تبدأ حياتها الجديدة وكيف تعمل على التأقلم مع الوضع الجديد وذلك المُجتمع الذي لم تطرُق أبوابه من قبل، يوماً بعد يوم تتسع دائرة معارفها وتجد نفسها تُجاور أصحاب النفوذ والمال وذلك شيء تخشاه وتتجنبه فلا قبل لها بمعاشرة الناس وقد وقع في نفسها خوف من التعامل مع المُجتمع بأكمله فقد أحرقتها النار وهي بين البُسطاء فكيف نار الأغنياء ومجتمعهم؟، نظرت حولها تتفحص كل شيء وعقلها يُنبهها لوضعها ووضع أبنائها، انتهت فترة الدراسة لهذه السنة ومن نعم الله انشغالها تُلمم ما فاتهم كما انشغلت بمشاكل غيرها لكن الآن؟ فراغ يشملها بقوة رغم صخب المشاكل التي تُهدد حياتها، كيف ستتعرف مع نُهى؟ سؤال باغتها بغير حساب حتى عجزت عن إيجاد جواب له لذا قررت واقتنعت بأن تُشغل حياتها بالعمل ثم العمل فلن تدع دقيقة تمر عليها وهي تحت وطأة التفكير فيما يحدث، تذكرت عرض الطبيب العجوز لها فما المانع أن ترجع لمزاولة عملها كممرضة؟! طالعت سُها التي قاطعت خلوتها وهي

تهتف بحذر "أين ذهبت؟ ظننتكِ نائمة؟" تبسّمت وتطلعت إليها قائلة "ليس وقتُ النوم، تعالي وأجلسي" جلست جوارها وتبسّمت قائلة "أخيراً خَلَى البيت" نظرت للبيت والهدوء قائلة بتأكيد "لم أصدق الهدوء الذي حلّ بنا، وكأني كُنْتُ بعالمٍ موازي سَهاً"

"اجل، أنا أيضاً أشعر بصفير الهدوء الذي يصرخ بعد الصخب"

"أين الأولاد؟"

"مُنشغلون بهواتهم" نهضت من مكانها واهتفت بمفاجئة "ما رأيك أن نخرج ونتسوّق؟ هيا أبلغِ الجميع أن يتجهز" تطلعت لحماسها المفاجئ بإحباط تعي اضطرارها لتلك الحُجة، يبدو أن عليها إشغال الجميع لا نفسها فقط كي لا يخضعوا لما تفعل تلك الساقطة نُهى ويُجبرون دون شعور منهم على التفاعل معها،

توجهت للداخل تسرق نظرة سريعة نحو بيته لابد وأن زوجته تهتم به وبراحته، عساهُ بخير فلا داعي للقلق! مرت نصفُ ساعة لتتوجه الي المرأب والجميع يتبعُها بشوق لأول خروجه تجمعهم لتضغط على مفتاح سيارتها وما أن همت بفتح بابها حتى تخسّبت بصدمة وهي تري داخل السيارة الذي أصبح يعُج بالقمامة ومُخلفات مُتفرقة، زُجاجات مشروبات غازية، أكواب ورقية مُتعفنة والكثير من القذارة أصابتها بنوبة هلع، تحرك الجميع يُلملم القذارة عداها وعامر الذي هتف "ليس غيرُها، باربي زوجة المحامي" تطلع لوقفها وهتف مُعاتباً "أنتِ المخطئة ماما لما تركتي السيارة لها؟ ولما لم تتفقيديها حين تركتها عصراً؟" همست وهي تري الجميع يحاول أصلح الأمر "أقسم بربي تلك المرأة مريضة نفسية"

\* \* \* \*

انهى قاسم مكالمته أخذاً وعداً بأن تكون كل البيانات بين يده مع شروق شمس اليوم المُقبل، كلف رجاله يتتبعوا من سيخرج من صالون التجميل خلفه وقد قسمهم الي كتائب، ولكن لم تخرج غيرُ المنتقبة لیتبعها رجاله إلى أن اختفت داخل المرأب وكأنها إبرة سقطت في بحرٍ مُظلم، يكفيه رقم السيارة الذي أملاه لاحد رجال المرور مُبتعداً عن معارفه من رجال المباحث والشرطة، اليوم مُحمل بالأخبار فيها هي ذهب تركت القرية السياحية وأنهت فترة نقاهتها المزعومة عائدة لعالم الأعمال، عليه أن يعرف نواياها وهل علمت بما حدث لذلك المُختفي داود أم لا؟ ضرب على يد المقعد الذي يجلس إليه بمنزله وعقله حائر باختفاء داود الذي يمتلك روح القِطط! تفقد هاتفه وهو يتابع خليلته حسناء وما تفعله على مواقع التواصل ورغم انشغاله ضحك يشاهدها تفضح ذلك الشيخ على الهواء، كم يُحب تلك المواقع وما يحدث بها! عاود هاتفه يدق برقم غير ذي أسم ليهمس بغیظ "ذات النقاب الأسود؟" رفع الهاتف يُجيب بغير حذر "نعم يا ذات الرداء الأسود هل وجدتي الأمانة" أرتفع حاجبيه ينظر للمجاور له وهتف "يبدو أن هناك من تَشغل بالك قاسم بیک؟" أرتبك مُنتفضاً بجلسته وقد وعى صوته ليهتف مُتفاجئ "داود الرازي؟ المُخل باتفاقنا؟" صاح داود غاضباً "إذن أنت من فعلها يا قاسم وليست ذهب؟" ضربته الظنون وأرتبك عقله فما دخل ذهب! وماذا يقصد؟ ليهتف بغير فهم "ماذا تقصد؟ ألم تربح القضية بعد الاتفاق بيننا؟" هدر به داود بمزيد من العصبية "لا تُراوغ يا قاسم مؤكد لديك علم بما حدث؟"

"وماذا حدث؟" سأل باضطراب وأكمل صائحاً "طلبت خمسة ملايين وأنا وافقت لأجذك بالنهاية تسطع بالمحكمة وتتفاخر بالفوز، من المُرأوغ يا متر؟" أشار أدهم وهمس دون صوت "أدخل بصُلب الموضوع داود" ليهتف عبر الأثير باثناً به الرعب "ألم تعرف أن ذهب وكلت محامي غيري ولضيق الوقت أجبرتني بعد التهديد بأن أترافع بما الزمنى به محاميها الجديد؟"

اتسعت عين قاسم وهب واقفاً يهتف بصدمة "بماذا تهزي؟ أنا لا أفهم شيء" ران السكون على الجانبين حتى صاح قاسم بغير صبر "أسمع داود دعنا نلتقي لن يُجدي الحديث عبر الهاتف" أغلق الهاتف ليجري مكالمه يأمر أحد رجاله بالتقصي عما إذا كانت ذهب وكلت محامي آخر أم داود يكذب، وعلى رغم

تفاجئه لكنه لم يستغرب يعلمُ خُبثُ ذهب وعقلها، دوماً تتعامل مع الحياة وكأنها لعبة شطرنج تُحرك الحصان حتى تأكله الطابية لتُفسح المجال لعسكري صغير تجعله يهدد عرش الملك، ثعلبة من فصيلة الثعالب الملكية ومؤكد علم رجالها بزيارته لمكتب داود الرازي، لعبت به وبالمحامي، ذكية ذهب تضعُ الكُل نصب عينها الحاذقة، دوماً تُبهر عقله بذكاؤها، لكنه مُجبر على تقديم سبب مُقنع لزيارته مكتب داود الرازي فإن صدق كلامه فهذا يعني شكها به وتلك نقطة لو وصل لها لأكله أصغر عسكري في لعبتها،

\* \* \* \*

تركت السيارة بالمغسلة ليتم تنظيفها وتحركت أمامها أبنائها وجوارها سُها ورباب يشاهدون المحال الفخمة ويبدأوا حملة تسوق واسعة، تفقدت رباب وسها وهتفت وسبابتها تُنشر على المحل الذي رافقها إليه ذات مره "ها هو؟ هيا نطلق وكل واحدة تنتقي ما يحلو لها" تقدمتهم بخطوة لتجدهم محلهم فعادت خطواتها مُحذرة وقد تفهمت خجلهم وتحفظهم "أنتقوا ما يعجبكم عوضاً عن تنقيتي أنا، سنتم أم أبيتم سنشتري" مرت الساعات وهم ينتقون ويجربون الملابس والإكسسوار، الأحذية والحقائب وقد ملئ طرف المحل بما أنتقوا من أشياء لتدفع مبلغ مُحترم وتخرج وهي تهمس إلى عامر جانباً "أذهب مع الرجلين لتضعوا الأكياس بالسيارة" ثم سألت بخفوت مرة أخرى "هل معك المال حتى تُحاسب المغسلة وتراضي الرجال" تحرك من أمامها وعُمر معه لتسأل رباب وعينها عليهم "هل ستبقى السيارة بالمغسلة أكثر من ذلك الوقت؟" توجهت معهم إلى مطعم قريب تهتف "لا تقلقي عامر س يضعها في المرأب" جلست وأكملت لهن "عامر كان يقودُ سيارة والده ليس الأمر صعب" وبالجانب الآخر بدأ البث يحتسي فنجان الشاي قائلاً "ها أنا بالمول الذي طلبتم التصوير منه" دارت كاميرة الهاتف في لمحة سريعة بالمكان يستعرضه لتستقر بالأخير عليه ويهتف "جميل وراقي، أعجبنني" غمز للمتابعين له وقد بدأت البنات في محادثته بالجِد تارة والهزل تارة وهو غافل بمن جلست على بُعد منه،

أنتهي عامر وعمر من المهمة الشاقة ليتوقف الأول يهتف بمفاجئة "عمر أهدا عابد أبي؟" دقق عُمر النظر وارتفعت عينه لمن تجلس باخر المطعم ليهتف بخوف وفزع "ما العمل عامر، كارثية تلك المواجهة أخي!" أوشت الضحكات على قتلهم ورباب تُقلد ذرية وتندرد لتندمج سلمى نسبياً تُعدّل ملابسها باختيال تقلدها، هتفت تُعدّل شعرها مثلها وأعوج فمها بنبرة صوت مطابقة لها "لينا؟ صُدمت من رأي المستر، هل ابنتي لا تقدر على حل مُعادلة تافه؟ انتبهي من فضلك؟" قهقهت تهتف بطبيعتها "سُحقاً للتربية الإيجابية" هتفت سُها "ثقيلة الدم ومُتعالية بشكل، سامحني يا رب" مالت رباب إليهم قائلة "بالله كُنت أخافها وهي تأكل، شعرت ذات مرة أنها ستقتلنا" اعتدلت تأكل من المثلجات وعادت قائلة "صدقاً لا تشبع والغريب لا تظهر عليها السمنة" عقت سُها تضع كوب العصير فوق الطاولة "كثرة الغل والطمع تحرق سُعراتها الحرارية" سألت سلمى تنظر لساعتها "تأخر الأولاد؟" ردت رباب تلثم المثلجات "لا تقلقي المكان مُزدحم مؤكد يبحثون عن مكان لصف السيارة"

هتف عامر عبر الأثير متوتراً "أجل أماننا ولم ينتبه علينا"

"لا تقلق عامر ولو أنتبه لكم تعاملوا بطبيعية لا تنسي البث مُباشر!"

"حسناً عمي سنذهب ونجلس دون قول شيء لوالدتي لكن أرجوك لا تتأخر أخاف أن يحتك بها أو يصورها"

"بالطريق يا بطل لا تقلق"

هتفت سُها تلومها وهي تُشعل سيجارتها "لما سلمى؟ والغريب أنك تأنفي؟" نظرت للسيجارة ورفعت كتفها قائلة "أفرغ بها همي، بالأول أُجبرت عليها حتى يهابني مُجرمات السجن" تبسمت تتذكر الأيام الأوائل لتكمل "اتخذتها قناع كي أظهر من خلاله قوة ليست بي وشيء فشيء صارت عادة غير قادرة على تركها" نفخت الدخان في الهواء وقالت تضحك "صارت بمثابة صديقتي تواسيني وقت المَحَن" تبادلت رباب وسها النظرات المشفقة لأول مرة تسمعها سُها تتحدث عن تلك الحِقة القاسية ليتبين لها مدى المُعانة التي لاقتها، مالت



إليها رباب تهمس راجية "أتركها سها أنت لا تعلمي شيء، فقط سمعتي الذكرى بعد انتهاء الملحمة" سألت تهمس بدورها "أخافُ مظهرها أمام الناس يا رباب" تطلعت لعينها وهمست بشر يظهر لأول مره بملامحها "وهل رحمتها الناس سابقاً؟ صدقيني أنتِ على البر لن يخطر ببالك كيف أمواج بحر! دعيها تفعل ما بدا لها أختك تعذبت بما يكفي"

سحب عامر عمر مُتجهين نحو سلمى والأخر مشغول بنقل الأجواء عبر هاتفه ليُصدم وهو يراهم يمرون من خلف الكاميرا ليهتف دون إرادته "عامر، عمر!" صاح عمر عبر الضوضاء المُحيطة بهم "شاهدنا! شاهدنا، ما العمل؟" ضغط عامر كتفه يدفعه أمامه مُحذراً "أمامي، لم نسمع شيء" ترك الهاتف مُعلق على الحامل وتوجه صوبهم مُسرعاً يهتف وكأنهم ليسوا أبناءه "عامر، عمر كيف حالكم!" فتور حف الولدان رغم الترحيب بهم ليهتف عمر مُتجاوز الخوف بتحدي "بأحسن حال، كما ترى" تبسم ورفع عينه للكبير يسأل "وأنت؟ ما جاء بك هنا؟" سبق عامر الصغير بالرد قائلاً "ليس من شأنك" شعر عابد بعداوته فوضع كفه بجيبه وهتف بتعالي "أمكم معكم أم تركتكم حتى تختلي بنفسها؟"

صاحت رباب تُشير صوبهم "ها هم أتوا كفا قلق وتوتر" نظرت نحوهم لتهب مصعوقة وتتوجه صوبهم كرصاصة خرجت من بُندقية مُعمّرة وخلفها سها تهتف "عابد! يا لا الصدفة السوداء" ثواني وكانت تهتف وهي تقف أمامهم بحماية "ماذا تريد منهم يا عابد، أما وقد انتهينا؟" سلط أنظاره عليها يشملها بتفحص حتى قال مُبتسم "سلمى! مرحب بأولادي؟" استقبلت ابتسامته الخبيثة وفحواها فمن غيرها يعلم دواخله وشره المتواري خلف ضعفه، انتهاز طامع لو وجد اللحم بين أنياب الكلب ينتظر حتى يُلملم من خلفه البواقي، تطلعت حولها بريية لتهتف بتحدي وصوت جبار قائله "سها، رباب أسبقوني وخذوا الأولاد معكم" جلست إلى طاولته بعد أن طلبت التحدث معه لتهتف مباشرة "ماذا تريد أنتِ وزوجتك؟ وما مقصدكم بما تفعلون عابد؟" أراح جسده إلى المقعد خلفه وهتف بسماجة "ليس لي دخل فيما تفعل" لطمته بنظراتها الحادة قائلة "على القليل كنت منعتها" هتف غير عابئ "تفاجأت مثلك" تفرست خُبته لثريخ جلستها وتُشعل سيجارتها تهتف تحت أنظاره

اللامعة "وإذا طلبت منك منعها!" اتسعت ابتسامته إعجاباً بهيئتها الجديدة، شرسة، عصرية، وكأنها نشأت بين الطبقة المُخملية، لو كانت للان زوجته لحقق بطلتها الساحرة ما ينقصه من مظهر يطوق له، سأل نفسه وماذا عن نهي؟ لجيب فوراً، شعبية لا ترتقي مهما فعلت؟ رد وعينه تتفحصها من اتجاه مختلف عما سبق "تعرفين نهي أكثر مني سلمى، أليست صديقتك" قهقهت بدورها بترفع ورفعت حاجباً منمق تهتف بتعالى يليق بها "معك حق، من عاشر قرد يعرف رقصه، لكن أنتم لم تعرفوا سلمى المصري بعد" شعر بالتحدي من جانبها ليعتدل وما زالت تركز بعينها عليه فهتف بمهادنة "ليس من شأني سلمى، أبنائك وقد حصلتني عليهم" رمقها مُنتبهاً ليسأل "صحيح، كيف خرجوا من السجن؟" طالعه بازدراء وهتفت ودخان سيجارتها يحول بينهم "هل أنت أب؟ تتنصل منهم وتتركهم هكذا دون حتى الهلع عليهم؟" أحتدت نظراته ومال إليها يهمس بغضب "لا لست أب" اعتدل يبادلها ازدراء نظراتها قائلاً "هل تعرفين صحة نسبهم أم أخطأ عليك الأمر؟" عوج فمه بابتسامة تهكم وقد بدا أمامها وكأنه سمس بن نعيمة البقالة مما دفعها لتهتف ببرود وثقة "أمامك الطّب بأكمله" رفعت أنفها وعينها تهزأ منه لتهتف مُجدداً "أم خلّو البال أفضل" أشعلت السيجارة الثانية ببطيء حطم أعصابه وأكملت ببرود "أفعلها إن استطعت! لكنك أقل شأن من تحمل المسؤولية" تقرس ملامحها نزولاً لجسدها وعقله ينسج خيالات وافرة ليهمس إليها مُسبلاً عينيه "تمني علي سلمى وأنا لكي مُلبي" تسلمت نظراته التي تعرفها جيداً فذلك شيء كان يُثير اشمزازها منه كرجُل لتهتف بقوة وقد لَعَت نفسها بالقرف "أمنية واحدة أطوق تحقيقها، أرى عجائب الله في انتقامه منك وكل من ظلمني" نهضت ليهتف إليها "دعك من الظلم، وخبريني ما مُقابل سكوت نهي وتمحو ذكرك من عالمها؟" ذاقَت الأمل فتمسكت بقشة ألقاها خسيس لها تتلمس بها نجاة وتهتف برجاء "كم تُريد أن أدفع؟"

"أريدك أنت" غرقت من جديد تواجه أمواجه العاتية تشرب ملح بحرهُ لتجهر بالسباب تهتف بغضب "يا لا حقارتك" دست عُلبة سجاثرها بجيبها لتقذف عليه ما بيدها بحركة تُجيدها ونهضت تصيح به "لا تدعني أراك ثانياً وأما عن زوجتك! أنا كفيله بردعها" هب واقفاً ينفذ السيجارة التي حرقت قميصه

وبلمح البصر جذب معصمها يضغطة ليسحبها بقوة قائلاً "لن أتركك" وقبل أن  
تعي وتصرخ انتفضت وهو يقع أثر اللكمة التي استقرت في عينه وصوت  
خوار ثور يصرخ "أتركها يا بن الكلب"

\*\*\*\*

صاح شحاته يضرب كفاً بكف بعد مُشاهدة فضيحة الشيخ حازم "بن الكلب،  
وكلما يراني يُبلغني أنه شاهدني بالمنام أعتمر" قهقه الرجال حوله حتى الحاج  
متولي يُشاهد الغيظ الذي تملكه ليهتف له يستقره "لكنه يُحبك يا شحاته، لا  
تُنكر" هتف بعدما أرتشف من كوب الحلبة أمامه "حبه بُرص، مُدعي كما  
وصفته سلمي" رشف آخر ما تبقي بالكوب دفعةً واحدة وهتف وقد جُن من  
فعلته "اليوم صدقتها تراه هذا النجس تحرش بها كما قالت"

صاح علي السباك يوبخه "يا شحاته سلمي لم تُقل ما فهمته، الناس ستفهم  
خطأ" ذلك فخذة عدة مرات يهتف مغلولاً "دمي محروق يا سباك، يُعطني  
مواعظ كلما لمخني ويلهو مع النساء خفاءً، الفاجر بن الفاجرة" رفع ذراعيه  
يتمايل للأمام والخلف ويدعو برتابة "سخطك الله كلب أجرب يا شيخ حازم"  
ضحك الرجال على هيئته ليهتف علي السباك بينهم "أختلط الأمر حتى أصبح  
الشيخ سفيهاً والمُحصنة بفضيحة" هتف شحاته ومازال يندب حاله "صدقت،  
أشهد أنها تكاد تكون مظلومة" صاح أحد الشباب يهم بالرحيل مع رفقائه "لو  
نعثر على حمو تُحل المسألة" هتف خلفه شحاته بعلو صوته "أبحثوا عن هذا  
الولد، كان يعلم خبايا الحارة وخبايا أهلها"

\*\*\*\*

سحبها خلفه بقوة كادت تُقعها ليخرج من المكان يجرها بسرعه، صرخت تنفض يدها من بين قبضته "توقف! سوف أنكفئ" شملها بنظراته النارية ليتقدم إليها يهتف من بين أسنانه والجنون يشمله "لما جلستي معه؟ ها! لما؟" دلكت معصمها وتقدمت تأخذ حقيبتها من سها وتهتف دون الرد عليه "دعونا نرحل من هنا! ها" أعترض طريقها مُعاتباً ألم نتفق على عدم الالتفاف لهم؟ لماذا جلستي معه يا سلمى؟ ها!" سحبت نفس قوياً عليها تلمم شتات نفسها من المفاجئة الشرسة وهمست وعينها ترجوه "رجاءً داود أخرجني من هنا" وافقها مُجبراً ليتبعها وأدهم جواره يهمس عبر هاتفه "أين اختفيت شهاب؟" هتف شهاب يلحمهم مُقبلون عليه "أمامك أدهم" أغلق الهاتف وهو يلمحه عن بُعد ليتقدم تارك داود الذي توجه إليها يهتف "عامر؟" تراجع عامر عدة خطوات ليهمس له "أنت رجل البيت، هل تسمح أن نلحق بكم لنتكلم لبعض الوقت؟" تحرك بسيارته خلفها ما إن تحركت لينظر الي شهاب عبر المرأة الأمامية يسأل "هل فعلت؟" مال شهاب يتوسط المقعدين الأماميين ويرفع هاتفاً بيده قائلاً "لم يلحظ أحد، ولكن كاميرات المطعم؟!" هتف يلتقط الهاتف ويدسه بجيب معطفه "لو فعلت ما أملتية عليك فهناك ثغرة" أراح شهاب ظهره للخلف يقص على أدهم الذي سأل يستفسر عما حدث فبعد مكالمة عامر أمره داود بأن يحصل على هاتف عابد مهما كلفه الأمر، منذ أذاعت نهي البث قام بتكليف فريق كامل بمكتبه بمتابعة حساباتهم على الميديا وإلحاقه بتقرير كل ساعة عنهم ليعلم بالبث الذي كان يُذيعه طليقها وقد ظهر الولدان حين تحرك نحوهم تارك الكاميرا مشغلة ليتدخل أحد أفراد الفريق تبعه يُهكَر هاتفه لينقطع البث وهنا تدخل شهاب ليُمِر بجانب طاولته دافع الحامل بما عليه ليسقط ويميل يعدله مُلنقط هاتفه يضعه بجيبه، صاح أدهم وعينه حائرة بينهم "سرقة؟" رفع حاجبيه عالياً وقال بهدوء "لست أنا بل هو"

خرج الثلاثة رجال من السيارة يتوجهون صوب بيتها وأدهم يهمس إلي شهاب بمرح "قُل لي يا بابا أن شعوري خاطئ" دفعه شهاب ليباعد برفق وهو يسخر "نقطيني بسكاتك يا خالتي" وبالدخل نظرت له بغیظ وهو يُناطحها وقد أشعرتة كلمات داود بالمسؤولية والرجولة "هم ضيوفي والأصول استقبلهم ماما؟" اندهشت من دخولهم البسيط مُلقين السلام وكلاً منهم يفترش مكاناً له ويطلب مشروبه المفضل من رباب، لتهتف له

وما زالت الصدمة تُحاكي عقلها "هل رحلت بالصباح حتى تعود ليلاً" تبسم  
بسمجة قائلاً "أجلسي" جلست بعد مُجاهدة تُقْص ما حدث ليهتف عليها  
مُحذرها "لا تتعاملي معهم مهما حدث! ها!"

"لِمَا تُهددني؟ ولما تتدخل في شأني؟" رمقها بنظرة باردة وقال مُريحاً جسده  
للمقعد "ليس من أجلك! من أجل عامر وعُمر" مسحت على وجهها بيأس  
تُطالع شهاب وأدهم تسألهم المُعانة لتهتف بغضب "كل المصائب تقع فوق  
رأسي؟ وهذا البارد، المُتعجرف ماذا يفعل؟" نفخت خديها بيأس وقد ترك  
الجلسة وأنضم لأبنائها بركن الصالة يتهايمسون دون الانتباه لأحد لنترك  
الجميع متوجهة لغُرفتها عل اليوم ينتهي تاركة أبنائها معهم دون الخوف، لن  
تُتكر إعجابها بتعامله مع عامر مما جعله يشعر برجولته ويبدأ يتعامل بالعقل  
مُتخلي عن الغضب، يكفي تحاوره معه في أمور عجزت عن فتحها، وبدوره  
تفهم ما يُخالج الصبي وكنتم أمر تشكيك النسب حتى لا يؤثر بهم سلباً وأنهى  
حديثه بالثناء على حُسن تصرفه وشدّد على عدم التعامل مع أحد دون الرجوع  
إليه،

نهض شهاب متوجهاً نحو المطبخ يلمحُها به ليهمس ما إن وصل أمامها "سُها،  
هل لديكم شيء يؤكل؟" نظرت نحو داود وعادت بعينها صوبهُ تهمس "طالما  
لم تُباغتتنا زوجته فالخير باقي" كنتم الضحكات وهو يُشاهدها تُعد له من طعام  
الغداء ليسأل بجدية "ما أخبارك؟ ما زلتِ تريدين الرحيل من هنا؟" وضعت  
الطعام أمامه وهزّت رأسها بالرفض "اتخذتُ قرارِي" توقف عن المضغ  
يرمُقها بحذر لتهمس "سوف أبيع بيت الحارة، وأبحث عن عمل هذا أولاً" هزّ  
رأسه بثناءً على ما تفوهت وسأل بتشجيع "وثانياً؟"

"لن أترك جوار سلمى مهما حدث" أدام النظر بالصحن وأخذ يتلاعب بالأكل  
ليسأل "ما الذي مُمكن أن يحدث؟" تنهدت وقالت بجدية شملها الخوف "لا أعلم  
قلبي غير مُطمئن وكراهية نُهي لها زادت عن الحد لكني مُتيقنة من ظهور  
براءتها ذات يوم" رفع عيناه بتساؤل غير مقتنع بتلك الإجابة لتُكمل تتحاشى  
النظر إليه "لا بد أن أُرُد الدين الذي في رقبتي لها! لا بد أن أقهر خوفي من  
المُجتمع، ولن يحدث ذلك دون وجودي بهذا البيت"

تطلع إليها مُعجب بكلماتها وطريقة دقّها لنفسها لتتجاوز مخاوفها رغم بُطء خطواتها، ترك الشوكة من يده وشكرها على حُسن الطعام ليسأل ضاحكاً "والعريس؟ هل عدّلتى عن الفكرة؟" ضحكت قائلة "لا للزواج، كل المشاكل تأتي من الرجال أنظر حولك!"

"أنتن السبب"

"وأنتم الأبرياء!"

"نحن كما الأطفال لا نريد سوى الحنان" ضحكت وقالت تُلمم الأطباق "أجل، حنان وسهام وسحر والكثير من بنات حواء الحسان" تحسس مؤخرة رأسه وهتف ضاحكاً "لا يَمُكر بالمرأة سوى امرأة مثُها" تحركت للخارج تهمس باسمه "أخذنا الحديث وتركنا السيد أدهم وحده"

\* \* \* \*

دخل البيت متأخراً ليجدها تصيح بجولة على الميديا ليهتف بغضب عليها "نهي أحضري قالب ثلج" خرجت من البث تنوي مُهاجمته، كيف يصيحُ وهي على الهواء صُدمت من تورم عينه واللون الداكن الذي أحاط بها لتسأل عما حدث؟ أخبرها بتعرضه لحادث بسيط فقد على إثره هاتفه، قامت بعمل الكمادات الباردة له وبالأخير وضعت بعض الدهان الطبي لتتركه قائلة "سوف أعود للبث الذي قطعته" تركته دون سماع الرد تسبه بين نفسها، الغبي لم ينتبه على نفسه حين ظهر في الشاشة مع أبنائه، هل كان مواعدها ليُجدد العهد بينهم؟ يبدو سيلعب وحده، تغييره المفاجئ واهتمامه بمظهره، طريقته الجديدة التي بدأ التعامل بها وخصوصاً على الميديا كل هذا ينم عن شيء! عادت للبث تنوي فتح الموضوع بطريقة تستقر بها صمتها، أخطأت حين أخبرته عن نواياها فما هو يسبقها بتجديد الود لينول الرضا والثروة وحده! هتفت والجميع يسأل عن غيابها "ساعدوني أحبابي" تأهب الجميع وكثرت الاستفسارات والتكهنات لتهتف "طليقة زوجي؟ أجرت بعض البلطجية وأعتدوا على عابد بالضرب"

أشتعل البث والكل يواسيها ويسأل لما فعلت؟ لتُلقي ما في جوفها دفعة واحدة  
قائلة "عابد أكتشف أن الولدين ليس أبنائه بعد إجراء تحليل النسب!"

\* \* \* \*

أنبلج الصباح ومازال الثلاث رجال مُستيقظين، مُنذ اشتعال الميديا ليلاً، توجه  
إلى مكتبه لمتابعة الأمر وإحداثياته فقد خُصص الطابق الأخير للمجموعة التي  
كلّفها بمتابعة الميديا بكافة حساباتها ليعلم من زاهر فتي الهاكر أنه تمكن من  
إخفاء البث بعد انتهائه من عدة مواقع ولكن رَغم ذلك يعود وينتشر مما جعله  
مؤقتاً يصيبه بتشوش طفيف حتى لا يفتضح أمرهم فالكثيرُ بات يعلمُ ويعي في  
أمر الميديا بأكملها، ومع ذلك أستطاع أن يصيبَ حسابات نُهي على جميع  
المواقع بالحظر والتوقف، تطلع بنظرة سريعة للتعليقات القذرة التي تناولت  
سيرتها وقد تركوا سيرة أبنائها مؤقتاً، أُنْتبه الي بث على الشاشة الأخرى ليجد  
رجلين وامرأتين اجتمعوا معاً وأحدهم يذكر شركة الحراسة خاصتهم ليهتف  
الي زاهر "من أين يأتوا بتلك المعلومات؟ حاول أن توقف البث يا زاهر"  
ضغط زاهر على نظارته الطبية وهتف "البث خارجي! من دولة عربية"  
ضرب فوق الطاولة المستطيلة التي تحتوي الأجهزة بعنف وصرخ بهم "ماذا  
يحدث، أحد يوقف هذا القرف؟" تدخل أدهم الذي يُتابع في صمت رغم  
الضجيج الذي يشمله "الوضع يخرج عن السيطرة داود" صاح بما يحمله من  
قلق "الخوف أن تُشاهد ما يحدث أو أن يشاهده الولدان" تحير الرجلان وهم  
يتابعان الشاشة وفتاة من الأربع تضحك بدلالٍ مُقرّز وتتقوه بالألفاظ  
والإيحاءات المقرزة ليصرخ داود بالكل وقد بات عاجزاً عن اللحاق بوتيرتهم  
"ألا منكم من يوقف هذا القرف؟" تدخل شهاب الذي كان منخرطاً بهاتفه  
ليجلس جوار زاهر قائلاً "أعطني حساب من الحسابات الوهمية وأدخلني ذلك  
البث فوراً" التف الي داود يهتف "تنحي أنت وأدهم جانباً" أمر اثنين من  
الرجال وزاهر يتعامل سريعاً "أحملوا معي تلك الأريكة لنضعها تحت النافذة"  
أكمل موجهاً حديثه لزاهر "هل انتهيت؟" جلس و زاهر يضبطُ له الهاتف الذي  
سُيّم منه المداخلة ليرتدي كاب على رأسه أخفى عينيه بعدما كتب شيء على

هاتفه ثم تركه لينظر للشاشة مُبتسماً وهو يرى انعكاسه، اختفى أحد الأربعة ليظهر هو مكانه "مرحباً بكم يا أهل الميديا" ردّ الثلاث بالتوالي لتسأل الفتاة الباقية "من الحلو" غمز لها قائلاً "أنا العو" شد داود شعره الى الخلف يُشير عليه بيأس سائلاً "بالله ماذا يفعل؟" جائه الردّ وقد أندمج شهاب معهم بعد أن تمالك صدمته حين علم أن الفتاة رجُل! فبدء يُدس الفتنة بينهم وبين نُهى على طريقتهم إلى أن قال لهم "ألم تُخبركم أنها ابنة سباك المنطقة؟"

رد أحد الشباب يستقصر عن المهنة ليضحك شهاب وهو يشرح له ليس استهزاء بالرجل ومهنته ولكن لجذب انتباههم لها، هتف أحدهم مُصراً على تعريف نفسه بالاسم ليشدّد من الكاب فوق رأسه ويبتسم ابتسامة القرش قائلاً "أنا محمود زغلول عزمي، الشهير بحمو" أشار اليهم بالسلام وأكمل "بلغوا نُهى السباك أني هُنا، مُشتاقٌ وفي قلبي لوعة" أغلق البث يتقلّ عليهم ويُلقي بالكاب لأبعد مدى يتذكر مكالمته سها بعد أن خرجوا من بيت سلمي بساعة واحدة تُبلغه بما أنتشر ببكاء أدمي قلبه ليتوجه الرجال فوراً لمكتب الحمامة لكنه عاد لها بعد أن تركهم لاضطرارها قطع النت عن البيت لسهر عامر وعُمر، لذا عاد يحمل اليهم بعض الحلوى التي أخذها حُجة للرجوع ثانياً وتعتمد السهر معهم حتى يجد داود وأدهم حلاً لتمتد السهرة مع الولدين وكلاً من رباب وسها، جلس يُثرثر مع عُمر ليتطرّق الحديث بينهم ويُخبره الصبي ما سمعه علي لسان قطة ونهى سابقاً، سأل أدهم بشخصية وكيل النيابة الحذق "هل تعني أن نُهى من دبرت لتلك الفضيحة؟"

"هذا كلام عُمر سمع نُهى تُبلغ جدته وحينها حدث ما حدث"

"لما تُقدّم على فعل ذلك؟ لا أفهم" مسح شهاب وجهه بقوة وهتف "الغيرة تفعل أكثر من ذلك أدهم"

"أيّ غيرة؟ أهنّاك غيرة بتلك البشاعة؟ لا أُصدق" هتف داود بصوت صلب "صدّق أدهم، فما كان دافع أخوة يوسف؟ الغيرة! فما بال بامرأة غارت من امرأة!" أشار بسبابته الي شهاب أمراً "لا بُد من إيجاد حَمو حتى لو في سابع أرض" وافقه شهاب قائلاً "هذا ما أعملُ عليه" رفع هاتفه أمام أنظارهم وأكمل



"كما أنني أججت الحارة وبعثت من بدأ التعامل مع شبابها حتى يبدأ كلاً منهم في التقصي عنه" جلس أدهم مقابله يسأل "كيف وصلت إليهم؟ ثم لما انتحلت شخصية الرجل" قص له نشأته بالقرب من ذلك الحي، كان صغيراً يلعب ويعدو مع أهله الي أن قرر أبويه السفر بلا رجعة لكنه أستطاع التواصل مع بعض الأصدقاء القدامى وقد تذكروه و والده مُعلم الحي وقد بحث عنهم على الفيس بوك ليبدأ بالأسئلة حتى وعي أنهم على علم بحكاية سلمى كما لاحظ أن منهم من تملكه الشك والريبة فيما هو مُدبر، لذا أنتحل شخصية حمو كي يُربك نُهى حتى تُخطئ، وبذات الوقت يستفز حمو ليظهر ويُنفى انتحال شخصيته، تبادل أدهم مع داود النظرات وكلاهما أثنى على فكرته ليدق هاتف داود ويهتف بملل "ليس وقتك؟" تطلع أدهم لشاشة الهاتف وقال "لا بد أن تجيب اتصاله" وافقه على مضض يفتح الخط قائلاً "مرحباً قاسم بيك، كيف حالك"

\* \* \* \*

وبالجانب الآخر تابعت ذهب هانم سير الخطة المتفق عليها بتعاون كبار رجال الدولة طواعية وبمحببة خالصة حيث إنهاء توكيل المحامي داود بشكل ظاهري وتاريخ يسبق يوم جلستها، تعلم أن قاسم سوف يتقصى عن الأمر كما أذاعت بشكل غير مُعلن أن سبب إقصاء داود يرجع لغموضه المُبالغ وغروره في التعامل فكيف تركها بالسجن لأكثر من عام دون الإفراج عن خطواته أو سؤلها في ما يخصها لذلك مع اقتراب ميعاد جلستها قررت إنهاء مهمته وقد أستطاع محامي آخر الوصول لبراءتها، تطلعت نحو صُهيبي تسأله "ماذا فعلت في المحامي الذي سنقدمه أمام قاسم؟" رد وهو يتابع ما يُذاع على الميديا "عرفني داود عليه، أحد محامي مكتبه يثق به ورتبنا الأمر كي يبدو وكأنه خيانة"

"خيانة؟" رفع أنظاره إليها قائلاً "محامي طموح علم بما توصل له رب عمله فأتى إليك يعرضه مع أضافة بسيطة وهي علاقة داود بأدهم، ولكي تأمني شره وعدم تلاعبه ضدك قررت الاكتفاء بتغييره والاحتفاظ بمعلومة أدهم حتى

لو فكّر في الغدر أو المساومة" هزّت رأسها موافقة ليرفع الهاتف أمامها يُريها آخر تطورات سلّمي قائلاً "أعتقد لابد من زيارتها"

\* \* \* \*

أنهى اتصاله مع داود بعدما اتفقا على ميعاد للتلاقي ليلاً وقد شعر بالاضطراب من صوته الغامض، لأن هو المتهم الوحيد الذي لديه الدافع لقتله وبالوقت نفسه داود الوحيد الذي لديه الدافع لابتزازه، الحيرة ستقتله فما دافع ذهب لتستغني عنه! رغم أنه دليل على صدق ما حدث بالمحكمة، عليه أن يتوخى الحذر ويحجم عن ذكر الفيديو وصاحبته حتى يعلم هويتها أولاً، أستمع لصوت حسناء تلوكُ عبر حسابها سيرة إحداهن ليبتسم على تلك المفارقة، هل لأنها بغير زوج مسموح لها مرافقة الرجال؟ تتشدد بقبج ما تفعل دون النظر لذاتها! أم تلك مصلحة تتربح من خلفها؟ أعتدل على رنين هاتفه ليرد مُتلهفاً "لمن رقم السيارة؟" أغلق الهاتف مُتعباً وملامح وجهه مُغلقة ليهمس بالاسم سائلاً تزامناً مع صياح حسناء عبر البث قائلة "الفاجرة سلّمي المصري!"

\* \* \* \*

انتهت من صلاة الظهر لتجلس فوق سجادتها عاجزة حتى عن الدعاء، كلما جال بعقلها ما يحدث مسها الجنون، باتت تُفَشِّش بذاكرتها عن ذنبٍ ثمنه سمعتها؟ لا بد أنه اختبار لصبرها! أو ابتلاء كما نبهها هو، أولم تُخْتَبَر؟! أولم تصبر؟! أهذه عقوبتها على اندفاعها للتخلص من مسؤوليتها اتجاه سُها حين وافقت على عابد زوجاً لها؟! لن تُنكر اندفاعها بصغر سنّها لتبني بيت هادئ وتستقر كأي فتاة دون ملجأ، لكنها تُقسم أنها ما أهملت أختها لأخر لحظة، بكت بقلة حيلة وابتهلت بالدمع خالقها تهمس "وَأَيُّوبُ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ"

انتبهت للباب الذي فُتِحَ وذهب تهنف "سَلْمَى، بُنَيْتِي" ناظرتها ودموعها تنهمر لتهمس "فُضِحت! فُضِح أبنائي يا ذهب، بتُّ عاجزة عن دريِّ السوء عنهم وعني" سحبتها ذهب من جلستها لتحضنها بأومئة تهمس وقد شاركتها البُكاء "أَبْكِي بُنَيْتِي، أفرغي همك" وبالغرفة المقابلة لغرفتها أحتاج عامر وقبل أن ينفعل بحماقة صرخ عُمر ينبه "ظهر؟ حمّو العوّ ظهر!"

\* \* \* \*

هرولت تصعد درجات السلم وتصرخ "نُهي، يا نُهي" وضعت كفها على جرس البيت بإصرار ويدها الأخرى تدق الباب بقوة حتى فتحت لها وهي تهتف صارخة "ماذا يا قطة هل قامت القيامة" لطمت قطة وجهها وصاحت "نائمة؟ أشعلت النار حتى طالتنا يا ابنة سباك الحارة" جرّت أسنانها وهمست "متي ستغير أسمك يا أبي؟" مسحت وجهها أثر النوم وسألت "ماذا فعلت لكل هذه الجلبة" "أين عابد؟"

"نائم" سحبتها خارج الشقة من تلايبيها وهمست وعينها تتفقد الداخل لتُلصقها بالحنّاط كالفأر في مصيدة "أَدْخَلَكَ اللهُ سَابِعَ جَحِيمٍ بِهِمْ، ألا تدري ماذا فعلتي؟" دفعتها بقوة وهتفت والغدرُ بعينها "كفا مواء ويدك دعيها جوارك يا معلمة" أحتدت نظرات قطة وتطلعت تقبّلها تهتف بشماتة "حمو ظهر يا صاحبة الكرامة" أكملت تحت أنظارها المصدومة "أشترك باللبث الذي صنعه

صديقك المُخنث ومن معه" أرتعش جسدها بقوة وزاغت أنظارها تهمس بصوت هارب "ألم تُبلغني عنه؟ متى خرج؟" لطمت قطة خديها تعي أنها بنفس الخانة "لا أعلم، يبدو انتهت مدة عقوبته، ماذا سنفعل يا بومة؟" أنتبها لصوت عابد الذي صاح عليها فلاذت قطة مُسرعة صوب شفتها تهمس "أذهبي وحين تفرغي تعالي حتى نعلم ماذا سنفعل" أغلقت الباب تهمس "أسترها يا رب"

\* \* \* \*

صرخ بها مُهدداً يسألها عن سَلَمَى المصري التي تلاعبت به في سابقة لم تحدث من قبل، فقد صُدم حين علم أنها من تسكن البيت الذي تتردد عليه زوجة داود الرازي كما علم بقرابتها للمرحوم يوسف المصري، مُذ أن طلب مُقابلتها أتت فوراً لمنزله ظناً أنه اشتاق لها لتُكن المُفاجئة رغبته بمعرفة كل ما يخص الفاجرة، قَصَّت عليه ما أخبرتها به نُهى حين قابلتها في المطعم الخاص ليتفقا على بث مُباشر يجمعهم كنوع من الدعاية لهم، سألتها لما تُهاجمها بهذا الشكل الغريب وتعمدها فضحها بتلك الطريقة والتشهير بأبنائها، لتخبرها نُهى بغرام عابد وحين قررت الإفصاح له بعد سجن سَلَمَى وقع في حُبها وتزوجها لتأتي جارتها وصديقتها وتبدأ انتقامها وعرضت عليها الفيديو الذي صورته بالحارة وسَلَمَى تستعرض فرض سيطرتها بدءاً من التعالي والكبر وصولاً الي الغيرة باتهام كل امرأة بالطمع بزوجها! فما وجدت نُهى طريقة للدفاع عن بيتها سوى فضح عرضها علها تُصلح دواخل زوجها التي حطمها تعالي سلمى حين ظهرت بجوار رجل شديد الجاذبية والسلطة مُهددة بالانتقام لها، أشار قاسم لها بالتوقف يقرأ ما بين حديثها ليهتف "كفى ثرثرة! الأمر كيدُ نساء فارغ! تلك نُهى ليست سهلة" التصقت به وأمتد كفها يَدلك صدره لتهمس "ماذا تُريد يا باشا؟ مُرني حتى أنفذ" أزاح كفها بمزاج مُعكر وهتف "دبري معاد مع نُهى" رمقها مُحذراً حدّ الرعب وأكمل "ولا تعرف سبب المقابلة" ابتلعت رمقها ونهضت واقفة "كما تأمر" أشار بالرحيل يُحذرها "لا تتحدثي فقط أخبريها بأن هناك عمل لحملة إعلانية" هَزَّت رأسها بطاعة تعلم أن رجال الأعمال باتوا يلجئون لمشاهير الميديا حتى يستغلوا شهرتهم التي انتشرت، خرجت والخوف حليفها لترفع الهاتف قائلة "نُهى فُتحت لك طاقة القدر لذا اسمعي جيداً" وبالدخل تفقد ساعته يستعد للقاء داود ومن معه

ويهتف "جيد تأخروا" هتف داود يسأل "على ما تُدقق النظر؟ هيا تأخرنا!"  
همس يهرول بالخطوات إليه ولأدهم "أليست تلك حسناء المُمتلة؟"  
رحب بهم قاسم بحذر ليتوقف أمام داود الذي أمتنع عن مدّ كفه يسأل "أنت من فعلتها؟" جاوبه قاسم يفتعل الجهل "فعلتُ ماذا؟"

### "حادث اغتياي"

"ماذا؟! قالها مُتفاجئ وعينه تتفحصه مدّعي الصدمة ليهتف بإنكار كاد داود يصدقهُ "بما تهذي؟ لو فعلتها أدعوك لبيتي؟" أشار لهم بالجلوس ليسبقهم مُعاتباً "ما جئت بك هنا حتى تتهمني! على العكس داود، أنا من لهُ عتاباً عليك أنسيت أُنفاقنا المُبرم" أراح داود ذراعيه فوق فخذه ومال يرمقه مُهدداً "مؤكد تقصيت الأمر وعلمت أن ذهب سحبت التوكيل عن مكتبي" قاطعه يسأل "متى حدث بالضبط؟" أعتدل يضغط ما بين عينيه مُجيباً "قبل الجلسة بساعة" ظفر لهيب النار المُحرقة وأكمل "تلك المرأة غدرت بي! وكَلت محامي يتدرب بمكتبي، ذهب إليها بالمعلومات وأخبرها أن وكيل النيابة صديقي لذا شكّت ووضعتني بخبثها وسط حجري راحتها" شرد يُفند ما يسمع ليسأل مستفهماً "هل تعرف وكيل النيابة؟" صاح أدهم به تلك المرة "أصدقاء مُقربين كما ترى، وكنا نُرتب للأمر سوياً" هتف قاسم مُرتاب "هل كنت تعلم بالأمر؟" وبخه قائلاً "بعقلك هل يقدر داود على ذهب وحده؟ القضية يُتابعها القُطر العربي وذهب الاخشيدي ليست قليلة، داود تقدم بطلب عزل وكيل النيابة الأول ليرشحن ضمن عدة أسماء حتى استلمت القضية، ورتبنا ما سنفعل وجاءت تلك الخبيثة هدت ما بنيناه بلحظة" صاح يبتلع الطعم حتى شبع "لئيمة وخُبث الثعالب دمه، طبعها وأعلمه منذ كانت صغيرة تتعلق بجلباب والدها في الصاغة" هتف داود يُطالعه ويدّعي الريبة "ما الضمان بأنك لم تنفق معها؟" صاح بصدق "أتفق مع من وأنا جئتُ أتفق معك!" هتف داود يستقرهُ "إذن أنت من فعلها!" أجاب مراوفاً وعينه تهتز بينه وبين أدهم "ولما أنا؟" مؤكداً هي علمت باتفاقكم فحاولت قتلَك" سكت داود يدّعي التفكير ليهتف أدهم "تلك وجهة نظرك؟ فما حُجتك؟" تحير كيف يُلحق التهمة بها فأخر ما يرجوه عداوة داود ومن معه ليهتف بعد طول صمت "مؤكد هي!" شعر عدم اقتناعهم

بالأمر ليهتف والخوف يتملكه مما سيُلقِيه عليهم "هناك ما حدث" هزّ داود رأسه مُستفهماً "أفصح" أبتلع ريقه وما زالت عينه تدور بينهم حتى قال بتردد "هناك من يهددني! ويملك فيديو الاتفاق الذي تم بمكتبك" هتف ووجهه مطبوع بالصدمة "أي فيديو يا مخبول؟"

"تسجيل لنا بمكتبك نتفق على الخمسة مليون جنية" حلت الصدمة بالصمت عليهم وداود يسأل "بما تهذي يا حمار؟"

"ولما الغلط وأنت القائل هناك خائن بمكتبك" تبادل داود وأدهم النظرات هل كذبوا ليجدوها حق؟ تدخل شهاب الصامت منذ أن حضر يسأل "هل علمت هوية ذلك الشخص؟" هزّ رأسه بنعم وهتف بالصاعقة الكبرى "امرأة تُدعي سلّمي المصري"

\*\*\*\*

"امرأة تُدعي سلّمي المصري" انتفضت السيدة ذهب تُعيد سماع الهاتف لأذنها لتُكمل سماع المُقابلة من الهاتف الذي سلمته لشهاب لتحضر المُقابلة معهم، سمعت أدهم يُلقي سلام فاتر لينقطع الى هنا الاتصال بينهم، هرولت باتجاه النافذة التي تطل على الحديقة لتجدّها لم تُغير جلستها، هزّت رأسها رافضة لما سمعت فمن أدخلها المُعادلة؟ كيف فعلها قاسم؟ أين يعرفها؟ هل علمت بذلك التسجيل والاتفاق المُبرم؟ ولو تعلم! كيف ستحصل عليه؟ لم تطأ مكتب داود ولا بيته! صرخت داخلها تلعن قاسم ألف مرة كيف تشك في سلّمي، هناك خطب لابد كشفه!

\*\*\*\*

فعل حساباته على التطبيقات مُجدداً بعد شراء هاتف جديد وجهاز حاسوب شخصي ليبدأ متابعة ما فاتّه ممتنع عن الظهور بسبب الكدمة التي احتلت وجهه، تابع ما نشرته نُهى ليزداد سخطه هكذا ستظن سلّمي أن هذا ردّه ويتفاهم الأمر بينهم، شرد فيها وفي هيئتها، مظهر أبنائه المنمق، كيف ينعم بذلك مظهر كلما أرتدى ما يرتديه الباشوات ظلّت صورته بالمرآة صدئة

باهتة قليل الشأن رغم التجديد والإحلال لكامل مظهره؟ ليته كما عامر لديه حضور ومهابه، ركز بالفيديو المُعاد أمامه يسمع أسمع حمو لينكمش وجهه ويسأل "متى ظهر؟" لم يعطي بالاً فما حدث أنتهى ومرّ بل أنتقع به فلا بد أن يُركز في حاضره ويعمل على وضعه الاجتماعي وذلك لن يحدث سوى عن طريقها!

\*\*\*\*

ومن مكتبه بقصره الفاخر جلس حائر نادم، لم يكن عليه أن يتقوه بكلمة مما صدر من فمه، كان لزاماً عليه تكتم الأمر حتى يعلم ما إن كانت سلمي تعمل لصالحها أم فخ نصبه داود وذهب، دقت كفه سطح مكتبه برتابة يعلم جيداً أن ذهب ما إن وضعت شخص مكانه العدو تدفعه لقتل نفسه مُقتنع بما يفعل، لكن مكن القلق في صدمة داود ما إن سمع أسمها وأدهم! احتوي صدمته حين كاد داود يهتف بشيء، ضغط رأسه ووجهه بكفيه الكبيرين وعقله يصرخ لما تعجلت بنطق أسمها؟ نهض بغير هدى يلف بالغرفة كأسد وقع في أسر الضباع سهواً! توقف عن الدوران يكتم غيظه، عليه أن يتأكد أن داود وذهب ليسا على علاقة بهذه سلمي! رفع هاتفه وانتظر ردها حتى هتف "حسناً أريد نهي في أقرب وقت ممكن"

\*\*\*\*

صدم بما يسمع لم يهتم بتلك التطبيقات مُسبقاً وقد انشغل في تحقيق حلم حياته أن يُصبح مُطرب مشهور كمن يراهم على الساحة، دعاه شاب يتعلم الموسيقى معه لتسجيل مقاطع بصوته ويقوم بنشرها عبر حساب له حتى يتعرف عليه الجمهور ويتابعه، علمه أصدقائه الجدد أصول اللعبة ليقرر خوض التجربة ليكتشف عالم غاب عنه لسنوات لولا تشجيعها وإثائها على طلاوة صوته ما كان كد في التعلم واللف على أعرق مُدرسي الموسيقى القدامى في البلد، فبعد أن تحصّل على مبلغ مُحترم نظر لحياته بتقييم مُفصل ليقرر استغلال ما وهبه الله والعمل بنصيحتها، لولا وقفها جواره لكان صرصور يُدهس تحت أقدام الخلائق، لذا قرر تقصّي الأمر صحيح أأخذ عهداً بترك الماضي لكن كما

ستره الله وجعلها سبب الآن صار سبب لسترها حتى لو كان ذلك الستر سيفضحه ويُنهى مُستقبل لم يبدأ به خطواته، طالعَ مرأة منزله المتواضع يلحظ تغيير ملامحه كاد ينسى هيئته القديمة أبتسم لانعكاسه قائلاً بصوت وقور "مرحباً بأيام الشقاوة" هرش شعره الناعم وهو يتذكر ما حدث سابقاً ليهمس "مُجدداً" صدق من قال دبور وزن على خراب عشه" التقط الهاتف باسمه ليصيح بصوته الجميل قائلاً "نعم أمي" هرع إليها يُدندن "ست الحبايب يا حبيبة" ضحكت بحنان قائلة "أعطني كوب ماء بُني"

\* \* \* \*

أوقف شهاب السيارة بمكان خلي دونهم لينزل ثلاثتهم والصدمة تُجهز على عقولهم، الصمت يشملهم فقط عقلان يُفكران بصخب وثالث يتلقفه الجنون بآلم، هتف شهاب بحذر "هناك شيء خطأ" وافقه أدهم الرأي يمسح على وجهه قائلاً "ما الذي جمع بين قاسم وسلّمي؟ مستحيل أن تفعلها، مُستحيل" □ "ولما العجب؟ ها لما!" قالها داود بغضب فاق الغضب يتذكر حين أرسلها تُجلب أوراق القضية من بيته وتأخرت، رمقه كلاهما وصدمتهم تخطت الأولى ليهتف أدهم عتاب شديد "نعم؟ هل سنكذب ونصدق الكذبة؟" صرخ به وقد أعماه الشك "أليست هي صاحبة الفكرة؟ لم يسأل أحداً لما تدخلت؟ حتى ذهب بذكايتها وخبرتها أنظلت عليها اللعبة"

"كيف تتهمها وبالصبح سخرت جيشاً للدفاع عنها؟ هل جُن عقلك داود؟ أفق! الكلب يتلاعب بك؟" صاح أدهم وقد وقف مباشر له يوشك بالتهجم عليه ليقطع داود الخطوة الفاصلة بينهم يصرخ بوجهه "ليست سوي سافلة! عاهرة تبيع شرفها وها قد باعتني" دفعه أدهم بقوة يسأل بحسرة أثر تغييره المفاجئ "أين عقلك؟ أجب! أين عقلك يا غبي؟" تقدم شهاب يزجره بلهب يسأل هازناً "يختل العقل أمام الصدمة يا صاحبي! دعني أسأل مباشرة؟! ماذا عن قلبك داود؟" أندش مما سمعه ليُكمل شهاب وعيناه تتهمه "أنت تُحبها داود! بل غارق بها حد الموت" جلس الثلاثة مُتفرقين شهاب يلوم نفسه على ما تفوه به وأدهم مصدوم رغم شكه السابق، وعنه! إحساس لم يشعر بمثله سابقاً وكأنه كفيف



أعتاد الظلام ليأتي مُبصراً وقد صار كهل، لا جزع لا انتفاض، الألوان والأشكال يعرفها عزّ المعرفة، تطلع لعيونهم المثبتة عليه، لماذا لا يُنكر؟ لما النّية مع الهدى؟، الخنقة مع البراح، همسَ لنفسه "أصرخ! انكر! أرفع عنك التهم!" أستجمع نفسه المُهلّلة وهتف مخنوق بغصة مُنكرة "وهم، أنا زوج لذي امرأة!" رد شهاب بندم "لذا أنبهك، كفا توغل بجنة سلّمي" هزّ رأسه بلا معنى يهذي مُتهكماً "أتوغل؟ ليس توغلاً! بل غرق، موت، ليست النساء سوى وجهها، الهواء صار النعناع المُغمس بدُخانها" تهدلت أكتافه وغارت عيناهُ رضاً ومارد جبار يُعربد داخله، كلما أشهر كُرّها هب عاصفاً بكيانه وأوقد لهيب حُبها،

نهض أدهم ينفض ثيابه ويهمس "كُنْتُ أشعر بتلك العاطفة!" توجه له شهاب يسحبه لينهض يعلم ما يتكبدُه من ألم، لذا هتف "لا تكذب يا صاحبي" طالعه يضع كفه بالأيدي الممدودة وهَمّ واقفاً يهتف بخفوت وعقله يرحل "أرسلتها تُحضر أوراق القضية يا شهاب، أمنتها وتغاضيت عن سفالتها" ظفر أدهم وعلت أنفاسه اعتراضاً يرمُق شهاب بعجز أمام عينه الدامعة بقهر، همس خائرُ القوي، جسداً بلا روح "أنا أُحب سلّمي؟!، أُحب خائنة؟!"

\*\*\*\*

## العاشرة ليلاً

أنزوت سَها بغرفتها تقرأ رسالة شهاب لُتْهاتفه على الفور تسأل "ماذا شهاب لم أفهم شيء؟" أشار لأدهم أن يوقف السيارة جانباً وفتح مُكبر الصوت قائلاً "هل خرجت سلمى طوال الأسبوع المنصرم"

"لما تسأل؟" نظر لأدهم الذي شجعه على المتابعة ليتهف "هناك محضر مقدم ضد امرأة تعدت على أحدهم بالسباب والضرب فظنتها إحداهن على الميديا، فخشيتُ أن تكون هي" هتفت خائفة "لا، لا سلمى لم تخرج سوى مرتين، الأولى حين ابتاعت طلبات البيت والثانية كُنا معاً" تنفس أكسير الحياة وأكمل يستدرجها "الحمد لله، ظننتها تورطت خصوصاً ومواصفات السيارة تُشبه خاصتها" ضحكت بركة لم تقصدها وهتفت "وهل المسكينة ارتادت سيارتها سوى بالأمس؟" أغلق مُكبر الصوت ما إن سمع ضحكُها وأخبرها أنهم صوبهم ليُغلق المكالمة يلتف للصامت في الخلف قائلاً "سمعت؟" تبسم بتهكم ورد بعصبية مُفرطة "مؤكد أخذت احتياطها، ليست غبية يا متر" سكت ولم يُصف شيء يعلم قول يا متر بمثابة سُبّه وأنه وصل حدود الجنون، تتحنح أدهم الذي شارف بيتها "أما زلت ترغب في المواجهة؟" ترحل من السيارة يصفعُ بابها متوجهً لجنتها يضغط الجرس دون صبر

وبالداخل هتفت بمزاج عكر لمن تجلسُ بالحديقة معها "ماذا ذهب؟ وكأن هناك ما تخشين قوله؟" تفحصت وجهها بريبه، تلوم اتهامها رغم يقين براءتها، اتخذت قرارها بسرود ما حدث بطريقتها اللبقة وبدماتة خُلقها، لكنه باغتها يصيح من خلفها يهد المعبد برعونة ليسألها "ما أسم صالون التجميل الذي تذهبين له؟" طالعته مُتعجبة لتهتف "الناس تُلقِي السلام أولاً؟ ماذا حدث؟" "أجبي فقط" نهضت متوجهة إليه تسأل وقلْبُها يدقُ بعنف من مظهره "صالون ماذا داود؟ أنا لا أذهب لتلك الأماكن" أرتفع حاجبيه يُطالعها بخبث وسأل "من سمير الحلاق؟" هتفت بعصبية "أي حلاق ولما سأذهب لحلاق عُمر أقص شعره بنفسِي وعامر موسوس يذهب لواحد فقط وطبيعي لن أصحبه" تحير من صديق ملامحها وأجزم بنكرانها ليتهف مُجدداً "هناك صالون بالحي للنساء والرجال معاً" تطلعت حولها وقد قرأت على وجهي أدهم وشهاب النفور

المُستتر لتصبح بعصبية استفزّت المُقابل لها "لا أعرف؟ ثم أنا لا أخرج بأمرك يا جناب اللورد" التقطت أنفاسها وتقدمت خطوة واحدة تُركز عينها بعينه السوداء تهتف "هل تُراوغي؟ تكلم بما جئت من أجله يا متر" صرخ بوجهها "سافلة، خائنة" قطع الخطوة الأخيرة بينهم يُمسك ذراعها يضغطة بشدة "قليلٌ ما يُفعل بك، أنتِ تستحقين الرجم" نفضت ذراعها غير مُهتمة بالألم فهناك الأشد وأوعر يشق صدرها لتدفعه بكفيها بقوة تصرخ بوجهه "انتهازي كما زوجتك، أهذا رد الجميل؟ أخرج من بيتي، لا تُرني قبح وجهك مرة أخرى، أنت لست برجل" موجة من الهرج شملتهم وذهب تسحبها جانباً تصرخ "أهدأوا" جرّه شهاب وأدهم بقوة والأخير يهمس "أخطأت يا رجل!" دفعهم عنه بقوة وعاد بالخطوات لها بخطوة واحدة يسحبها من مُقدمة شعرها يهتف "أنا لست رجل؟ دعيني أعرفكِ الرجولة، قذرة مثلك تستحق مُخنث فاقد الشرف يا عديمة الشرف" صرخت والألم يذبّحها لا تعي هل من كلماته أم من تلك النُدبة بجانب مُفترق رأسها وبدوره أقشعر وهو يُلاحظها بارزة لعينه بقوة؟ نتوء فارغ الشعر شديد البروز يُنم عن جرح قديم قُطِب ببشاعة، لانت قبضته دون أن يدري وشهاب وأدهم يسحبان جسده الخائر خارج المنزل وصوت صرختها خلفه يَرُج قلبه "ستندم يا داود ولن أغفر لك! أكرهك! هل سمعت أكرهك من كل قلبي داود، أكرهك" صرخت تدفع عنها ذهب حين استمعت منها ما حدث، نفسها تنزف خيبة الأمل والحسرة لتهمس بارتعاش الصدمة "كنتِ تعلمي؟! صدقتيهم يا ذهب؟ وسلمي! أبنتك؟" نهتد أنفاسها بصعوبة قائلة "أخرجوا من حياتي لهناء وكفى! كفى خزلان يا عالم، كفى ألم"

\* \* \* \*

بعد أسبوع

تحركت جوار حسناء تنظر للقصر وروعتُ عينها متوسعة لم تُشاهد مثل هذا سوى بالسينما، ماذا لو المنزل لها! ستُصبح كفاتن حمامة سيدة القصر نُهي علي السباك هانم، أنكمش وجهها تجز أسنانها وتهمس "متي تغير أسمك يا علي؟" وصلت بهو القصر لتنتبه لفخامته وصوته الرخيم يرحبُ بها، تملكها

الخوف وحسناء تختفي فتقدمت تدعي الشجاعة هاتفة "قاسم باشا شخصياً يا ألف مرحب" سحب نفس من سيجاره وأشار لها بالجلوس هاتفاً وعينه بعينها "سلمى المصري؟" أنكمش وجهها وتدفق الحقد داخلها، تراه سيمنعها من ذكر أسمها! أل هذا الحد صارت علاقاتها يُدافع عنها غول السياحة بالبلد؟ هتفت والغضب والغيرة يحرقان دُمها "لن أتركها مهما حدث؟" قهقهه يرمقها بطرف عينه مُعجباً بقالبيها الشعبي وقال بهدوء حذر "ما سر العداء بينكم" همت بالحديث لتوقفها كفه ويميل لها هامساً "دونَ الكذب تاريخك عندي؟" بلغت رَمَقها واختلجت أنفاسها خوفاً شخص بقدره يعلم ويعلم لتَهتف والغل لم يبرحها "أكرهها كما تكره النار الماء" أماء برأسه وبخبرته تأكد أن الأمر كيد تخطى المدى ليَهتف سائلاً "هل تعرفين داود الرازي؟" رفعت حاجباً واحد والاسم يرن بعقلها، تتبعت أخباره عبر الميديا لتَهتف ثُوهمُ بجهالتها "مُحاميتها سلمها أرث عمها، كان أعزُ أصدقائه"

"ما مدي علاقتهم؟" تذكرت دفاعه عنها بالحارة كما تذكرت نظراته، تعلم تلك اللهفة، هتفت دون الكذب "دافع عنها بشراسة لا يملكها سوى عاشق رَغَم الكُره أيضاً" رَمَقها غير مصدق آخر كلماتها لتَهتف وهي تُخرج هاتفها "تأكد بنفسك، أثنين بواحد، عاشق حاقِد" عرضت صورته سابقاً ليتأكد من تحليلها غافلاً معها عن بداية اضطرابه يتأمل خُصلة من شعرها تدلت تُداعب عينها بجرأة وحميمية، تيبس وعيناهُ تتبُعها عبر الهاتف ليهمس يتلمس صورتها "خُصلة قليلة الأدب تحتاج التروض!" سعل قائل "أريد فضيحة جديدة تشمله وتشمّلها" غمزت عينها قائلة "والمُقابل؟" قهقهه لطمعها يَهتف "مليون تكفي؟" برمت شفتيها الغليظة وقالت باسمه "مليون دولار وسيارة أحدث مُوديل؟" نهض يهز رأسه موافقاً "ثلاث مصري وسيارة أو ترحلي" هتفت بفرح "أملي على الخُطة وشاهد!" رفع كفه والسيجار بأصابعه "لكن! زوجك يُشارك!" رفعت كتفيها وهتفت تُراقص حاجب واحد "غصباً عن أمه يا باشا" ألمتها عضلات وجهها من شدة الابتسام لتلمح حسناء تنتظرها عند السيارة تسأل بطبيعية "على ما اتفقتم؟" تطلعت إليها بإهمال لترد بترفع وغرور "ليس من شأنك حسناء هل ستدخلين في شؤن الكبار!" صُغت حسناء من تحولها المُفاجئ كانت قبل دخولها تتمتع بالطيبة والمروءة، ابنة بلد جدعة لكن باتت

بلحظة مغرورة أفاقه، أمتنعت عن محادثتها طوال الطريق لتتحرك ما إن رحلت من سيارتها قائلة "الأصل غلاب كما قال السلف وأصلك واطي لسابع أرض نُهى"

\*\*\*\*

أنخرط بالعمل بعدما أصدر فرمان بعدم ذكرها حتى بيته تجنب الذهاب له كي لا تُجبره عيناه للمحها، فعل خاصية المنع لهاتف أبنائها لمانع التواصل معهم، أنكشف مستور قلبه وبات لا يقدر على النكران والتجاهل، مسح وجهه بإحباط هامساً "يا لا هلاكك يا بن الرازي" أسبوع مر ومازال يأبى سماع ذكرها حتى الطابق الأعلى بمكتبه كاد يُغلقه ويصرف من عينهم ولكن شهاب وأدهم تمسكا به حتى كادت تنشب بينهم معركة مفادها الفراق الحتمي، تطلع لأوراق القضية التي يعمل عليها ليجدها تطل بعينها العسلية تلقي سلاماً حارق مُرفقاً بقبلة أوجبت سخطه، كلما ألزم نفسه بالنسيان لكمه القلب بقوة، محصوراً بين زاوية يسارها خيانتها ويمينها عشقها الدامي! أما الأمام منطق يلاعب بحرفية، مقسوم الفؤاد والنصل تلم ومفاد الألم لا رجعه! دخل شهاب مفزوغ الملامح يصرخ "داود مصيبة! كارثة!"

\*\*\*\*

دفع باب الغرفة مُندفع صوبها يسحبها من خلف الشاشة بعنف مغلقاً البث، سحبها يصرخ بوجهها "ماذا فعلت؟" دفعته تسببه وتسب أمه "لن أرحمهما! لن تهناً ما دُمت حية" ناظرها بعدم فهم وصاح يسأل "لما؟ ماذا فعلت لك؟" ارتعشت بالغضب وهسهست "أكرهها، كل ذرة بدمي تكرهها، أبغض أسمها" هتف يُذكرها "كانت صديقتك! جارتك؟ أين كان ذلك الكره حينها؟" زجرته بغضب لتجلس فوق الأريكة تُللم شعرها النافر بغل حتى كادت تقتلعه وقالت وجسدها يلفظ غيرته السامة "مُذ وعيت والكل يترنم سلمى! جدعة، حنونة، ذكية، أم أختها! سلمى ذهبت سلمى فعلت، تحملت، تزوجت، ربت" صرخت بقهر "ماذا؟ ألا بالعالم غيرها؟" نهضت أمامه تُكمل بجنون "أنت! بطولك

وعرضك ونسائك تقع بها؟" هاله احمرار وجهها وانتفاضة الغضب الذي تلبسها ليسأل برهبة "كل ذلك بداخلك؟"

"وأكثر!" صرخت بها ليسألها بجهل التصرف "تمام، أهْدأي، فعلت ما يُشفي غليلك فما رأيك نكتفي؟" طالعتُه بغضب وعوجت رأسها تسأل بخلل "أُتدافع عنها؟" زاغت عيناه بالغرفة لتهتف تشد وجهه نحوها "أسمع!" ضغطت فكهُ وتابعت "أعلم أن ثرائها أصابك بالطمع" أصدرت صوت طقطقة بالنفي وأكملت "بين يدك مهنة تُأكلك الشهد، تجلب الترف؟ الهالة الاجتماعية لمُعدم مثلك" دفعت وجهه وكلامها يُلامس الصدق في نفسه لتُجهز على ما بقي منه قائلة "أعي ما تتمنى! وسنحققه معاً" تطلع إليها بسؤال لاح بعينيهِ لتبتسم بمكر مؤكدة وتهمس "طُلب رأسها والمُقابل نعيم بجوار الملوك" قصّت عليه مُقابلتها مع قاسم وما جنّته من الاتفاق معه، أرسل إليها دعوة بتمضية وقت مفتوح بإحدى القرى السياحية التي يمتلكها، أسهبت في الوصف والتمجيد وبنّت له قصور الذهب، فرشت له بُساط مُخملي الملمس بمجرد أن يخطو فوقهُ يجد نفسه من زُمرة كبار البلد حتى أنها تنازلت عن السيارة الجديدة له لكي يُكمل هيئته وارتضت بالقديمة لها! عدل لها الهاتف وضبطهُ جيداً ليجلس جوارها وتبدأ جولاتهم لتهتف بدلال مُقرّر "عُدنا لكم" وبانتصار الأفاعي تألقا معاً هو يُدلّلها لحصد الدعم غافلاً عن نظرتها المُحتقرة له، صورة ذلك المحامي مازالت تحرقها فعابدها غر ساذج أمام هيئته، ملابسه التي جمعت بين الحداثة والكلاسيكية الفاتنة، ملامحه الرجولية وبالأخص تلكم الشعيرات البيضاء التي تكوّمت بمقدمة رأسه في شكل ثعلبية، همست بنفسها تُفصل التصاقها عن زوجها "رجولة طاغية، أرجل مثل هذا يُجاورُ سلّمي وأنا لي عابده بن قطة الجزارة؟!"

\*\*\*\*

دفعتها بقوة أوقعتها أرضاً وصرخت بوجهها "أختقي عن وجهي" الصغيرة تسأل عن والدها فبات لا يذهب للبيت سوى سويقات قليلة ليخرج منه مُسرِعاً كأن عفريناً يترصده، شملها الغضب وهي ترى محاولاته لاسترضائها فتمنعت عنه قاصدة، لو تعلم سر الخلاف بينه وبين سلمى لتواصلت معها، هل فطن كلاهما لفعلتها لهذا تفرقا، عدم وجوده بالبيت قطع عنها كافة الأخبار الهامة! فتحت هاتفها تاركة لينا تبكي بصمت تتفقد الأخبار التي أرسلتها صديقتها تستفسر عما أذيع بالميديا وعلاقة زوجها بإحداهن، أنشراح داخلها وهي ترى وتسمع عن حكاية عشق سلمى المصري والمحامي داود الرازي التي تصدرت الترنند بقوة كما تفقدت بعض الصور المركبة بخبر يلف أقطار الميديا، ارتبكت غير واعية للصدق من الكذب فإذا كان بينهم هذا العشق لما الخصام إذن؟ ألقت الهاتف عليها إيجاد ما تكسر به ذلك الجمود الذي طالهم وبنفس الوقت تقترب ثانياً منها، تلك فرصة لن تتكرر مرة أخرى وعليها استغلالها كما أن انشغالهم ببعضهم البعض سترك لها الحرية بالحركة دون أن يلاحظ أحداً، توجهت لغرفة مكتبه غير واعية إلى لينا التي خرجت من باب البيت تبكي وقد بات خروجها متكرراً دون ملاحظة أحد!

\* \* \* \*

وبالطابق الأخير بمكتبه وقف أمام الشاشات المتراسة جوار بعضها ليُشاهد تلك المهزلة، صوراً تفرقت تشملها وتشمله والأخريات تجمعهم معاً، إحداهن تجلس ملتصقة به وأخرى يحتضنها بحميمية والكثير من الصور أجبت مارده، سأل شهاب بصوت بالكاد سمعه "نهي من فعلتها؟" هز شهاب رأسه بنعم وأضاف وعينه تتفقد الشاشات بتركيز "وأنضم إليها زوجها" أشار شهاب مُنْتَبهاً لأحدى الشاشات وهتف "داود! أليست تلك الممثلة التي كانت ببيت قاسم؟" تمالك غضبه يدقق بالشاشة قائلاً "أريد مُقابلتها شهاب" أنتبها لعامل المكتب يستأذن للدخول ليبلغه بأن هناك من تنتظره بالطابق الخاص بمكتبه، تطلع الاثنان الي بعضهما وتحركا صوب من جاءت الي مُقابلتهم.

\* \* \* \*

لطمت سُها وجهها وهي تُشاهد ما أنتشر والتفت الي رباب التي أغلقت الباب سريعاً وتقدمت إليها تهتفُ بحذر "هل شاهدتِ المصيبة" تركت الهاتف صارخة "وأي مصيبة! فضحوها وأتهموها زوراً مرة أخرى؟" لطمت صدرها ووجهها وهتفت والجنونُ بعينها "أنا السبب! أنا السبب!" لحقتها رباب تُمسكُ كفيها وسألت تستفسر "أنتِ السبب؟ ماذا فعلتي؟" سكنت وعينها متوسعة تهز رأسها بلا صامطة لتهتف رباب بحذر "ماذا فعلتِ؟ تكلمي؟ علناً نجدُ ما يُبرأ ساحتها؟" تملكها الصمت والتردد ملأ كيائها لكنها مع تشجيع رباب قررت تُلْفِظ عذابها علها ترتاح، تمسكت بكفوفِ رباب تضغط عليها وبدأت بقصّ ما فعلت مع وعد بالكتمان والتفهم، بكت بحرقة تهتف "لم أكن على علم بما خططت يا رباب" شهقت بقوة وتابعت "فقط دفعنتي لإقناعها بالذهاب لتلك المريضة وأنا فعلت و"، قاطعتها رباب تسأل بلامح باهتة، لا تعلم تُشفق عليها أم تسبها ولكن بعقلها الواعي وروحها المُتفهمة علمت أنها كانت تحت ضغطٍ ما، همست تستدعي هدوءها "أهدأي وجاوبيني كي أفهم وأصدقيني القول سُها، هل كان لديك شك فيما خُطط" هتفت تردُ بسرعة وضميرُها يقرصُها "أقسم بالله ما كان لدي أي شك ولا أعلم بما خططت! ظننتُ الأمرَ غيرَ نساء سُتُسفرُ عن شجار بينهم أو على أسوء تقدير تخطفُ زوجها" هتفت رباب تلومها "عذراً سُها! ما الذي دفعك لهذا؟ ولما سكتِ على فضيحتيها؟" أنزلت عينها خزيًا وهمست "أعمتني الغيرة يا رباب، وكانت نُهي دائماً تفاضل بيننا" "الغيرة؟! أي غيرة جعلتك تغدري ولديك شك فيما يُحاكُ لها يا سُها؟ ولما لم تُقري بأن تلك الكلبة منْ دفعتك؟"

"لم أكن أعلم بما سيحدث" نهضت ترتعش وصاحت بحرقة "جَبُنْتُ؟ تملكني الخوف أن تطالني الفضيحة وتُهدر سمعتي، خِفْتُ العُنوسة وعواقبها" تقدمت إليها لا تعلم تلومها وتركلُ مؤخرتها أم تحتضنها وتترأفُ بهشاشة نفسها! ففعلت ما أملتُهُ عليها طبيعتها المُتفهمة لتحتضنها وبذاتِ الوقت تلومها قائلة "يا سُها لو كنتِ دافعتي عنها وأخبرتِ الناس بما حدث ما كانت ظُلمت بل كان الجميع تفهم أنكِ تملكي من القوة ما يجعلك عزيزة النفس قوية، ظلمتي نفسك بظلمكِ لها وبجُبنِ طبعك" بادلتها الاحتضان مُمتنة لتترك نفسها لموجة البكاء الشاقة لتهتف بعد برهة وكفيها تمسح وجهها وتهمسُ "ماذا أفعل لأُكفر عن



ذنبي يا رباب؟ والله مُستعدة لقتل نفسي فداءً لها" وضعت رباب كفيها بوسطها وتطلّعت إليها كما لو أنها تُحاكي شبح لتَهْتَف وكفها يحك جانب شعرها "أسمعي" انتبهت مُستسلمة "معك، قولي ما عندك" جلست لتبدأ رباب بذكر ما قاله داود سابقاً عن ذلك صالون التجميل وصاحبه ليبرم اتفاق بينهم تقوده رباب التي أقسمت أن تُتمم خطتها لأخر سطر بها، همست بأخر كلماتها قائلة أسمعي! لا مجال للجبن معي!"

\* \* \* \*

رفع هاتفه يستفسر من أحد رجاله عن أخبار السيدة ذهب ليرفع صورتها بين يديه يتفقد ملامحها جيداً، أستمم التقرير الذي أملاه عليه أحد رجاله وقد عجز عن معرفة شيء يخصها وإذا ما كانت ببيتها أم لا، ذكراً أنها كما الشبح، صُهِيب فقط من يظهر في الصورة كاملة وهي مُختفية حتى بات الرجال المراقبين لها عاجزين عن معرفة وجودها من عدمه، ترك الهاتف حيراناً فيما تُخطط تلك الثعلبة؟ سكونها واختفاؤها لا يدل سوى عن قنبلة موقوتة ستنفجر حتماً حتى تجعل كل المشاكل وكأنها لم تكن، بل على العكس سوف تجعل منها خنجراً يقتل به نفسه، دقق في الصورة بين كفه ورفعها صوب عينه وكفه الثاني يتلمسُ خصلات شعره الشائبة يهمس "أعلم ضعف المرأة حين تُلاقي ما وجدت! كل ما تحتاجه حناناً يشملها، رجل يُدافع باستماتة عنها" رفع سماعة الهاتف الداخلية يهتف "جهزوا سيارتي" نهض يُتمم على هيئته ويدس صورتها داخل الخزانة مُتخذاً طريقه صوب ما يبغي، ركب سيارته هاتفاً لقائدها "بيت سلمى المصري"

\* \* \* \*

نظرت بتقزز وارتجفت تُشاهد صورها معه، ألقت بهاتفها والرعب حدها  
لتلمح انعكاسها في المرأة أمامها، نهضت تنظر خيالها بقرف وتهمس "لما  
تصرين على العيش بهذه الدنيا؟"

أجابت: الله حكمته فيما يحدث

قالت: لوبك خير لكان الله معك

أجابت: يكفي انه رد لي أبنائي

قالت: وأنتِ قابلتي الرد بفضيحتك لهم

أجابت: هكذا حكم الله وإرادته

قالت: الله ليس بظالم سلمى أنظري ما فعتي

أجابت: لم أفعل شيء

قالت: سيمر العمر والفضيحة تُلاحقك فما فائدة العيش بتلك الحالة؟! مالت  
للرأة تُدقق بملامحها جيداً والنفس تسألها من أنتِ وما أهميتك بالحياة؟ بئسة  
كل خطوة تخطوها فضيحة مُتجددة! زانية! سافلة! لو امرأة غيرك كانت أكلت  
كبد عدوها أو أسلمت روحها لله لُنْتهى متاعب غيرها! ابتعدت واليأس يملؤها،  
عالقة بين الخذلان والألم دون مخرج، انسابت دموعها بسخاء تصرخ  
صرخة واحدة وقبضتها تُرشق بالمرأة تُحطمها وتهوى أرضاً تهمس والدماء  
تُغرقها "الموت يأتي مرة واحدة سلمى وتلك حقيقة ليس معها جدال فلما  
الموت كُفراً أو الموت شرفاً" اعتدلت إثر دخول رباب وسُها وخلفهم أولادها  
وقد لاح على وجه الجميع الفزع ليهرع إليها عامر يتفقد جُرها وعمر يُحضر  
حقيقية الإسعافات ليهمس لها الأول بحسرة والأخريات يُلملن شطايا الزُجاج  
"أصبري لحكم ربك يا أمي فلن يُضيعنا"

بادلته النظرات وقد أوقد نضوجه وثبات عقله بها الأمل، حضر عمر لتجلس  
بالمقابل لهم تهتف بياس تملك روحها "لا أعلم ماذا سيحدث غداً لذا!" بلعت  
رمقها وسبقها الدمع حتى قالت بروح تذهب عنها "لكم حرية الاختيار، إما  
البقاء معي أو الذهاب حيثما أردتم، لن أقوى على لومكم" أرتمى الاثنان  
بأحضانها وعمر يهتف "أنا باقي حيثما بقيت ماما" ليهتف الكبير مُعاتباً بشدة  
"قاسية أنتِ يا سلمى" هتفت رباب من خلفها "لن نترككِ سلمى" لتهتف سُها

تتقدم إليها والذنب يقتلها "سُحاربُ معاً أختي" تطلعت إليهم بعجز الإجابة  
لهذا الدعم الغير مُتوقع لتهمس إليهم "لا أملك من أمري شيء والقرار لكم"  
بكت وأبكت جميع من حولها لتتحرك رباب تهتف بنزق "جرس الباب" ثواني  
وكانت تسأل ليجيبها يُعدّل من حُلته "قاسم الوكيل"

\* \* \* \*

أنتهى من التحقيق في القضية المكلف بها ليُخرج هاتفه يعدّل من وضعيته الصامتة واجداً شهاب قد اتصل به لأكثر من عشر مرات رفع الهاتف الي أذنه متوجساً ليجد الآخر يُخبره باخر ما حدث دون حتى إلقاء السلام، تعجب مما سمع ليُغلق مُتجهاً إليهم بمكتب المُحامة ولكنه ألقى نظرة على الميديا التي عَجّت بأخبارها، مرّت ساعة حتى أصبح بالمكتب شهاب ينتظره كما وجد ذهب هانم وداود معاً، جلس الأربعة بمكتبه وذهب تسأل "ماذا فعلت أدهم مع النائب العام؟" رد والجميع منتبه له "عرضتُ عليه الفيديو وأخذتُ الأذن بالموافقة، أتضح أن قاسم هذا حوله تساؤلاتٍ عدة وهناك اتهامات موجهة إليه بالتلاعب بالسوق السوداء لكن الحصانة تُأمنه" سأل داود "عملة الدولار؟ هناك شك أنه يُهرب الذهب والعملة وهو أحد الأقطاب التي ساعدت في الأزمة الحالية" استقامت ذهب بجلستها تتناول فنجال القهوة خاصتها لترتشف منه القليل قائلة "انتبهوا جيداً، لا بد أن نتأكد انه أبتلع الطعم وشبع" شرد داود قليلاً ثم سأل "أشعر بحلقة مفقودة! هناك خطأ" رمقته بعتب وتركت قهقهتها تعتدل صوبه تسأله "بظنك ماذا داود؟" أرتفع حاجبيه والتعب مرسومٌ على وجهه وقال شارداً "لا أعلم؟ ولكن لما الآن؟ وفي هذا الوقت قامت نُهي بما تفعل؟ وما المقصد من جمعي بها؟" مالت إليه تهتف وعينها بعينه "أشعر أن تلك الحركات ورائها قاسم بنفسه" تنبه شهاب لا اعتراض داود الذي هتف "ولما؟" تبسمت بخبت قائلة "تلك هي المُعضلة! غريب الربط بينك وبينها؟" اتسعت ابتسامتها الخبيثة وأكملت "كُل شيء له وجهان" صاح أدهم يُلفت انتباههم "قاسم أخبرنا أنها هددته فلما يفعل؟"

"لنأتأكد أنها لا تتبع داود" قالها شهاب الذي نهض واقفاً يحوم حولهم برؤية ليُكمل بتركيز "أو تتبع السيدة ذهب، أو كلاهما معاً" هتفت ذهب "ممكن! هناك من تلاعبت به وورطت سلمى" تطلع إليهم شهاب كلاً على حدي يهتف بتحدي "تلك لعبتي! أعرف من سيحل الشفرة المُعقدة" سأل الجميع كلاً بطريقته "من؟" لجيب مُبتسماً "حسناً المُثلة" نهضت ذهب تستعد للرحيل لتسأل "هل ستقدّر أم نتركها لصُهيبي؟" ضحك يودعها "لعبتي المُفضلة" نهض

الثلاث رجال ليدفع أدهم وشهاب داود للذهاب إلى بيته يطمئن على من به ويغير ملايسه وقد قرروا تغيير بعض الجو عوضاً عن حالته المكتنبة وقد بدا مظهره كرجال الكهف، هائم على وجهه لا يعلم أي مذبذبة أم استغلت ثقته التي وُدت في مهدها مُعادلتها صعبة فما أن شعر ببراءتها يُفاجأ بإدانتها مُجدداً، أي امرأة نادرة أم فتاة ليل ونصّابة مُحترفة؟ ليتها قادر على تجديد الكره لها، وكأنها زمزم مكية كلما أفرغ بئرُها فاضت بماء أصفى من ذي قبل، لا بئرُها يجف ولا قلبه يبرأ من العطش!

\* \* \* \*

صافحته بكفها الملفوفة بالضُماد عينها العسلية ترمقه بترقب حتى هتفت تدعوه لصحن البيت مُجبرة "مرحباً سيد قاسم" قبل كفها ببطيء أثار حفيظتها وتبسم قائلاً "سلامة كفا! ماذا حدث؟" طالعته بدهشة من أسلوبه اللزج وجرأته لتهتف بصلاية "ضربت أحدهم" فهقه وقد جلس بثقة وعينه تنفذ البيت قائلاً "أحرقني ملا يُعجبك ولكن مهلاً على سلامتك" تلبكت من طريقته الفجة بالرد لكنها سارعت تهتف بشر "كيف تتهمني بأنني ساومتك؟" أكلتها عيناه ترسم جسدها بينطال جينز قصير نسبياً وبلوزتها الرمادية الفضفاضة، لتتجول نظراته بجرأة فوقها قائلاً "قهوتي سادة إذا سمحتي" استشاطت من بروده اللاذع لتجلس بتعالى وتهتف بتحدي "لا يشرب قهوتي عدوي!" اعتدلت وذراعها تستند لفخذها بجلستها الرجولية المعتادة وهتفت تُنذره "ماذا تريد قاسم؟" أفنتن بقوتها يُشاهد ثغرها ينفخ تلك الخصلة عن وجهها وهي تُشعل سيجارتها ليهتف بصوت رخيم "جئتُ لأجل هذا المنزل وليس من أجل ما فعلتي"

"أي منزل؟ تتهمني بتهديدك بالفلاشة وأنا لا أعرفك ثم تقول منزل!" فهقه يُشعل سيجاره الفاخر ويسأل "من أين عرفتني أمر الفلاشة؟" سحبت نفس من سيجارتها وهتفت بثقة "المترو داود، جاء منزلي واتهمني" رفع حاجباً وسأل بلوم "داود؟ إذن تعرفيه؟" صاحت وهمت واقفة "أسمع يا قاسم الغم لا تستهنُ بربيبية سجون لستُ من مُحبي المُواغة" تطلع شرارتها وشيء فشيء يأسره لتُكمل تحت

نظراته المُعجبة "داود الزفت ليس سوى محامي سلمني أرثي من عمي يوسف المصري وبالمناسبة ورثتُ ذلك البيتِ عنه" مال يُلقي رماد السيجار بالمنفضة مُتعمداً حين وجدها تُطفئُ سيجارَتهَا لتحثكُ كفهُ بأطرافِ أصابعها المجروحة، سحبت كفهَا مُتوجسةً ليهتف وابتسامةً واسعةً تغتلي وجهه "لما الغضب؟ أنا صاحب المُجمع السكني لابد التأكد كونك مالكة لا مؤجرة" رمقتهُ بقرف لُقبح نظراته وهتفت باشمئزاز "ها تأكدت، وعن داود المغرور فسحقاً له ولك! أخرجوا من حياتي وإلا حرقنكم معاً" أستفزها بالرد ذائباً في غضبها الطاغى "ومساومتك لي يا سلمى المصري! كيف أخطاها؟" صرخت بوجهه وقد فاض بها الكيل "ملعون أباك أنت ومحامي النحس! أذهبوا وابتحثوا عن المرأة التي تتلاعب بكُم ليست سلمى المصري من تغدر بأحد" أشارت للباب وهتفت بتحدى نظراتها كالرصاين إليه "إلى الخارج" قهقه وقلبه يُخرّ لها وهتف يسمع دقات هاتفه "شرسة أنت ومتهورة" همّت بسبه لكنها توقفت وهو يرفع الهاتف يستمع للقائلة "لا تنسى أتفاقنا، حَضِر المال حتى أحدد مكان لقائنا" نظر للهاتف بعدما أغلقت يتطلع إليها بصدمة، زحفت عيناه صوب هاتفها الساكن فوق الطاولة ربما لديها من يُساعدها؟ وبدورها قرأت اضطرابه لتعتقد أن مصدره قوتها لتهتف من جديد تُشير نحو الباب بجسارة "لستُ شرسة بل مجنونة يائسة من العالم، هيا أخرج قبل أن يمسسك جنوني" نهض يهتف بعين الإعجاب "أنتِ امرأة يصادفها المحظوظ مرة بحياته سلمى وأنا ذلك المحظوظ لذا سنلتقي مُجدداً ولكن" قاطعته تهتف بثقة رغم الخوف الذي كبلها "لا تتجاوز الحديث معي، ولن نتقابل قاسم" توجه يفتح الباب ثم التفت إليها قائلاً "جاهلة! ليس قاسم الوكيل من يُدير للحظ ظهره سلمى" ترك الباب راجعاً إليها يهمس بصوت تخين "عربون محبتي لك رفعُ هامتك أمام العالم، من مثلك لا تخون ولا تغدر حبيبتي" خرج تاركها لصدمتها القاتلة ليركب سيارتهُ أمراً السائق بالانطلاق وخلفه داود يصرخ "السافلة! تستقبله ببيتها وتتحداني"

جلست جوار رباب تسأل بجنون "هل سمعتم ما قال؟ تعهد ببراءتي؟ أزرني من لا يعرفني؟" تطلعت رباب لُسها تُحرك شفاهها وتتنظر ساعتها هامسة "متي؟" انتبهت كلاً منهن إلى سلمى التي نهضت تسحبُ مُفتاح سيارتها لتخرج من المنزل صامتة، نهضت رباب وعينها على من ذهبت قائلة "لابد

أن نتحرك سُها، صباحاً نبدأ خِطُّتنا!" توسعت عين سها وهتفت برعب قائلة  
 "رباب! الرجل نعتها بحبيبتي! يا ويلي"

\* \* \* \*

حل المساء لتبدأ جولاتهم عبر الميديا وقد أعلنت نُهى عن صلة القرابة التي  
 تجمعُها مع قطة مما أشعل البث وجميع التعليقات تُمجد علاقة زوجة الابن  
 وحمايتها وبدورها دفعتهم نُهى بمهارة للثناء على قطة التي بدأت في ذكر  
 محاسنها تُقارن بينها وبين سلمى طليقة ابنها، لتبدأ من جديد جولة على سيرتها  
 وقطة تعرضُ بعض الصور المركبة لها مع المحامي داود وتذكر ما حدث  
 بالحارة وما فعلهُ من أجلها، هتفت تدعي الغرابية "الرجُل مغرم بها! يا بخت من  
 تجد لها حبيباً يُدَلِّلها كما يفعل، حُظوظ! أنظروا نظرة عيناهُ لها!" صخباً عارم  
 أجتاح المواقع الاجتماعية وعوض عن سبها والخوض في سيرتها أنقلب  
 الموقف للرومانسية الكل يترنم بعشق داود الرازي لسلمى المصري! اكتفت  
 حسناء بالاستماع وعدم المشاركة بتلك المهزلة عقلها ساخط يفرض الأسئلة،  
 سألتها قطة بأسلوبها الشعبي ما بها لتدعي أنها مريضة! لم يكن بها شيء ولكنها  
 فضلت المراقبة فَمُنذ أن لمحت تغير نُهى ودناءة طبعها ساورها الشك فيما تفعل  
 لذلك قررت الصمت فمن تمتلك القُدرة على الغدر لا تُؤتمن، كتبت على حسابه  
 الخاص "مرحباً حمو أريد التحدث معك" انتبهت لهتاف قطة التي غشى الدخان  
 وجهها "كانت مُجرد ممرضة ترتاد البيوت بالسر، الآن تفتحُ منزلها لرجال  
 المُجتمع المخملي" خرجت من البث تدخل حسابه الشخصي تكتب له "أريد  
 مُقابلتك في أقرب فرصة، الموضوع في غاية الأهمية"

\* \* \* \*

حل الليل والجميع يسعي مسعاهُ قاسم مُتيم بها للحد الذي جعله يأمر نُهي  
وزوجُها بزيادة الوتيرة حتى يضغط أعصابها ويكون بالحظة الأخيرة ملاذها  
فُتْجبر على الثقة به!

قطة التي تتمرغُ بفراشها نصفُها سعيد بما حققتهُ من تآلق وشهرة ونصفُها الآخر  
خائف من ظهور حمو وما سيعقبه!

أما نُهي وعابد زوجُها صارا أشهر من نار على علم وقد بدأ بثهم يتطرقُ لمناطق  
مُحرمة أولها الألفاظ النابية وإيحاءات جنسية مصحوبة بالتصرفات المُشينة  
وكأنهم رفعوا حجابَ الستِ بِكمالِ الرضا وصولاً إلى الترحيب بالمخنثين  
أصحاب التحولاتِ الشاذة شكلاً ووصفاً غافلين عما يحرصون له،

أما ذهب فقد وأنتها الفكرة لتُبلغ صُهييب بالاستعداد والتحضير لحفل كبير سوف  
تدعو إليه كبار البلد،

شهاب الذي جلس مُفكراً كيف يبدأ التعارف مع حسناء الممثلة حتى فوجئ بها  
تُراسله،

وأدهم الذي بدأ في التنسيق مع رجال الأموال العامة لوضع الخُطة التي  
ستوقع قاسم وتكشف وجههُ الآخر،

أما هي؟ فقد قررت المواجهة! علّها تُثبت براءتها، لن تعتمد على ذلك الرجل  
الذي زار بيتها رغم الثقة الملموسة في حديثه وهيبته، بالأخير هو عدو داود  
وتخشى أن تكونَ هي القشة التي قسمت ظهره، ابتاعت ما سوف تحتاجه بالأيام  
القادمة كي تُجابه من خلفه ما يفعلون، تعلم أن خطوتها القادمة شائكة تتوغل في  
وادي الأفاعي دون ترياقٍ يُجابه سُمهم، ما بقي لها شيء يُردعها عما تريد فعله،  
رغم ابتعادها فُرض عليها العبور وتحمل السُم فلا بد أن تستعد لنصب الفخاخ  
لهم! تناولت هاتفها الذي يرنّ بالحاح لتجد سُها القلقة لتُخبرها أنها بالطريق لهم  
غافلة عن ذلك الذي يتتبعها مُنذ أن تحركت من بيتها!

هو الآخر بات بمعركة مع المارد داخله، يوماً بعد يوم يتأكد أنه مُتيم بها لكنه  
يعي أن ذلك الحُب مبتورُ الطرف، فمن ذا الذي يقدرُ على مُعايشة امرأة



خائنة! أغلق عينه ليفتحها على صورتها حينما جلست جواره تتندر على بائع  
العصير بالحارة، شهية، عينها بها شقاوة أسرته، امتد به الخيال ليتوغل  
بمنطقة مُلغمة لمجاورتها وأرتشف السعادة من بين بسماتها ليراها تُشاركه بيتاً  
صغيراً يقف بمفرده بقلب جزيرة ملكاً لهم هي تتدلل وتتمايل على أنغام  
الموسيقى التي تعشّقها تُحضر له طعامها الشهي وتتعامل بطبيعتها المبهرة،  
امتدت كف شهاب المجاور له يُعلّي صوت المذيع ويأجج مارده العاصي،  
يورد على خاطري.... كل اللي بينا أُنقال ويعيش معاك فكري مهما غيابك طال  
... كله في حبك يهون.... واحشني وأنت قصاد عيني.... وشاغلني وأنت بعيد،  
بعيد عني،

أفاق من تلك الحالة العصية على سيارتها تتوقف أمام منزلها ليهرع إليها  
والاشتياق يسبقه، لكن أدهم حذرهُ "كفي داود! أتركها بحالها" أوقفه شهاب  
قائلاً بعدما تأكد من ابتعاده "دعه! ودع العتاب يأخذ مجراه أدهم" تنقده أدهم  
بعين متوسعة يسأله "أشعر وكأن موقفك تَغَيَّر؟" هزّ رأسه نافياً وقال "بلا ما  
زلتُ على موقفي لأنه متزوج ولكن ألا ترى حالته" سحب نفساً ثم ظفّره بقوة  
وأكمل "داود مُتيم بها! اعترافه دون إرادته جعلني أشفقُ عليه، داود يتعذب  
وشعوره بالذنب تجاه زوجته يذبحه فدع الأيام تضعه مع سلمى وجهاً لوجه  
كما ستضعه مع ذرية" أراح أدهم جسده لمقعد السيارة وهتف "حيرتني! أأنت  
موافق أم رافض؟" أجاب مُتتهداً "هناك أشياء ليست بإرادتنا أولها الحياة  
وأوسطها الحب وآخرها الموت يا صاحبي" فهم الصمت والاثنان يتطلعان  
له وهو يهتف عليها "سلمى"

توقفت خطواتها وقد وعت لصوته لتغمض عينها تهتف بغل "أرحل داود ولا  
تُريني وجهك" قطع الخطوات الباقية وكفه يُديرها ليهتف بغضب وعينه تنقدها  
بلهفة "لن أرحل" صدم من هيئتها الذابلة وعينها المختومة بختم الحزن ليهتف  
بكبر والغيرة تقتله "لما جاء ذلك الكلب هنا" تفرقت نظراتها بين كفه التي تضغط  
ذراعها بلطف وعيناه السوداوين لتهتف وكفه تتعمق بالضغط "أذهب وأسأله  
بنفسك يا متر"

"أنظري سلمى! هل تتحديني لدرجة أنك تستضيفينه ببيتك؟" أزاحت كفه بفشل لتسحب ذراعها لكن وهن جسدها عاندها لتهمس بضعف وعين خاملة "يكفي داود؟ أنا لا أتحدى أحد، فقط أتركوني جميعاً فأنا لا أريد شيئاً من أحد" تطلع هيئتها الذابلة بقلق وسأل "ما به كُفك؟" لاحظ انتفاضة جسدها الطفيفة التي انتابتها وارتعاش كُفها بين كفه ليتقدم وكفه يجس جبهتها وهامساً "حرارتك مُرتفعة" دفعته بوهن تتوجه لباب منزلها مترنحة "أرحل ولا تعود ثانياً، انتهينا داود" تطلع لمشيتها الغير مُتزنة لِيُتابع التقدم خلفها قلبه يلتاع عليها ويحرق من كلماتها، دست المُفتاح بالقفل لتتوقف تسند برأسها إليه تدق دقات خافته وتهمس "أفتحوا" سقط المفتاح كما سقطت الحقائق الأخرى لتضغط صدرها بقوة وتهمس وجسدها يهوى "عامر، عُمر" قطع الخطوات بوحدة يتلقفها صارخاً "سلمى، ماذا بك؟"

\*\*\*\*

بدأت صلاة الفجر والجميع أمام المولى كلاً يبتهل ويدعو الله جواب طلبه بعقل فطن ولسان فصيح مُلح وقلوب وَّجَله من قُدرة الله رغم السواد والحدق، تمشى بالحارة الهادئة وقد ألبسها الليلُ ستائر السكون حَاجِبَ عنها الصَّخَبَ لبعض الوقت، تفقد بعينه البيوت والطُرقات التي ترعرع بها وكل رُكن يفرض عليه ذكرى ليتوقف تحت شُرُفتها وعلى وجهه ابتسامة نكرا تحرك مُتستراً بالليل وقد شعر بأحدهم ليهمس راحلاً "عُدنا والعود أحمد"

\*\*\*\*

صاح عامر بعناد وغضب وهو يقفُ أمامهم يحتضن أخاه "أرحلوا لا نريد منكم أحد" تقدم إليه أدهم مُتفهماً موقفه يهمس له "لا تخف ستكون بخير" أمتنع عن الرد وعينه تُعَاتِبُهُ ليصُرخ بهم عُمر "أنتم السبب، أنا أكرهكم يا أبناء الكلب" تقدمت سُهّا إليه تُحاول تهدئته "أهدأ حبيبي" تقدم إليها في مواجهة تحدث لأول مرة بينهم "ماذا خالتي أليست من تركتي أبناءها، اليوم أصبحت تخافين عليها" دفعها وعينه تنفقد الجميع أمامه وأكمل "وأنتم؟ ها هي تموت، ستترك لكم الدنيا يا أبناء الكلاب، ارتاحوا أُمي لا تحتاج لأحد" هم يكمل السباب لكن كف عامر سدت فمه ليهمس "أحترم نفسك عمر" نفَضَ كفه وخرج من تحت ذراعه يصيحُ

دون لباقة يُظهر طابعه الشعبي " وهل أحترمها أحد؟ ظننتم أنها وحيدة بغير رجال خلفها" صرخ وقد أستبد به الخوف عليها "عامر؟ أشهر مطواتك في وجوههم أخي أم نسيت الرجولة تحت وطأة الرفاهية؟" تقدم شهاب يضع كفه على رأسه برحمة ولكن قبل أن يتقوه بكلمة نفضها عُمر صائحاً "كفا زيف لن يضحك أحدكم على تلك الحركات الخائبة، ماتت طفولتنا وقتلنا الهَم فلن نسبح كلاب مثلكم نهش لحمها" تقدم داود يقف أمامه بتحدى، الجميع متأهب ردة فعله الغاشمة ليسحب عُمر بقوة أرعبتهم يُخبأه بأحضانهِ رغم مقاومته وذراعهُ الحر ضم عامر إلى صدره هامساً وكأن صوته يبكي "أنا أسف عُمر سامحني عامر الأمر ليس بيدي" أحتفظ عامر بوجهه الغاضب ولكن فضحه كفه التي تمسكت بقميص داود من الخلف بقوة أما عُمر فظل يلكمه في بطنه يبكي خوفاً "ماذا حدث؟ بماذا أتهمتها أنت ايضاً؟ ظنننتُ فيك العوض ولكنك بن كلب مثلهم" تبسم إثر السُبة الذي نالها موقناً بأنه أخطأ في حق الصبيين بقوة، كان لا بُد من احتوائهم بالأخير هم ضحية الجميع بلا ذنب، طال مكوث الطبيب لديها والكل لا يعلم ما بها ودادود يجلس أمام غُرفتها وجواره أبنائها، شرح لهم سبب الشجار كاملاً ولم يُخبئ شيء لينهض والطبيب يخرج من عندها وكف عُمر تتمسك بكفه وخلفه الجميع متأهب تاركين عامر الذي شرد! شهقت رباب والطبيب يهتف "للأسف ذبحة صدرية" لطمت سُها وجهها تتخرط بالبكاء الدامي، وتقدم هو الطبيب بقلب خائف وصوتٍ مفقود يسأل "ذبحة صدرية؟" أبتسم الطبيب بهدوء وسأل "أين زوجها؟" لم يلقى رد ليهتف مُستغرباً "حسناً من المسؤول عنها أو يُلازمها صاح به بغير صبر "تكلم! كيف هي؟" أرتفع حاجبي الطبيب حتى عاجله صارخاً "تكلم ولا تتطلع بنا هكذا" رفع الطبيب كفيه مُستسلماً وقال برزانة "الأمر نفسي من الدرجة الأولى يبدو أن هناك ما يضغط أعصابها" ترك الطبيب الجميع في حالة سكون فاترة بعدما منع الزيارة عنها خشية انفعالها أو إثارة أعصابها فشدة الضغط النفسي كادت تُضيق شرايين القلب مما أشعرها بالوهن وبألم مُبرح في صدرها، نهض داود كالأسد المُفترس يفتح غُرفتها ضارب تعليمات الطبيب بعرض الحائط واعتراض الجميع له، ومن المقعد المجاور لفراش مرضها مدّ سبابته المترددة لكفها في محاولة للمساها، تراجع والذنب يقتله فكيف سمح للمرض أن يسكن جسدها؟ كانت رغم ما تمر به صامدة

ليأتي هو ويُكمل عليها بشكهِ وأسلوبه المتعجرف تطلع ذبولٍ ملامحها ورقديتها التي سحبت من وجهها الحياة ليميل جسده مستنداً لساقيه هامساً "أه يا سلمى ماذا فعلت؟ أغلقت باب هنائي بكامل إرادتي فمن أين جئت بمفتاح الحياة والأمل؟"

\*\*\*\*

الحادية عشر صباح يومٍ جديد

تحرك قاسم من خلف مكتبه يصرخ برجاله كيف لم يُخبروه أحدا بمرضها؟ وداود؟ لما يلتصقُ بها؟ ما الذي يدفع محامي يكرهُها للمكوثِ معها كل هذا الوقت؟، دفعهم إلى الخارج وعقله حائر هل يذهب إليها أم يكتفي بالورود فقط، رفع هاتفه يأمر سكرتيره بإرسال باقة ورد احمر وأغلق الهاتف مُقرراً زيارتها، أنتبه لأحد رجاله يدخل خائفاً ليخبره بأن ذهب ظهرت والان بطريقها لزيارة السيدة سلمى المصري! تأهبت حواسه وبدأ الربطُ بين ذهب وداود وسلمى كيف اجتمعوا معاً؟ لابد أن يحضر تلك المُقابلة حتى يعلم ما طبيعةُ العلاقة بينهم، فإذا كان داود محامي عمها فما يربطُ ذهب بها؟!

\*\*\*\*

أنار هاتفه برسالة صامتة، سحبته سُها من الشاحن جوارها لتلمح أسم حسناء وقد كتبت له "دعنا نلتقي اليوم سأكون بانتظار ردك" تناوله مُستغرب تدقيقها يسأل "هل هذا هاتفي؟" هزت رأسها بنعم "حسناء أرسلت لك" قالتها تُدقق النظر إليه ليلتقطه ويختفي مُسرعاً، همست رباب وعينها تلتقط الموقف برُمته "كُفي عن المُكابرة" هزت رأسها رافضة ونهضت تهتف بحزن "دعينا نطمئن عليها وعلى ذلك المعتوه النائم بغرفتها" تبعثها رباب تستقبل ذهب التي تهتفت مُعاتبته "أين هي؟"

وبالداخل تململت تفتح عينها لتعي موقعها، فُرعت وهي تجده يتطلعُ إليها لتغمضَ عينها وتهمس بسقم "حتى بالآخرة تتبُعني أذهب لحال سبياك واتركني" جري إبهامه على حاجبيه وهمس يتفقدها "لن تتخلصي مني!" دفعت ذهب باب العُرفة تهتف بقوة شخصيتها "هل استسلمت؟ لم يكن هذا ظني بك!" اعتذلت تستند لكفه التي دعمتها بتلقائية تهتف بوهن "دعي الظن وشأنه يا

ذهب هانم، لما أتيتي؟، يمكنك الرحيل وخذي هذا المغرور بيدك" هتفت ذهب تجلسُ وقد دفعت داود النزق عنها "سمعتُ عن زيارة قاسم لك" أحتدت نظراتها فأجابت بتهكم "ماذا فيها، كنا نتفق علانية فما الداعي للتخفي" غمرت ذهب بإعجاب تعي ارتداد عقلها لتُكمل ونظراتها مصوبة فوق داود "على عينك يا تاجر والشاطر من يفوز بالجولة" لحقتها بالقول المستنقز لها وله "على رسلك ذهب، قاسم تعهد بدعمي، أقسم على إبراء ذمتي وإعلاء براءتي أمّا الجميع" صاح غاضباً والغيرة تتملكه "تعترفين! ها؟" صاحت غير عابئة بألم صدرها "أنت آخر من يتكلم! أغرب عن وجهي يا بارد" تفرقت نظراته بينها وبين ذهب ليصبح بتهور "اعترفي! كيف تعهد لك دون سابق معرفة؟ لا تدفعيني للجنون سلمى" طالعتُه بتحدى قائلة "تباً لك ولجنونك وظنك، الحيط أمامك أضرب بها رأسك عليك تهدأ" صرخ وقد استنقزته بقوة "لما جاء الحمار بينك" قطع شجارهم دخول قاسم إليهم يهتف ببروده اللاذع "ألف لا بأس عليك سلمى" أعوجّ فمها بابتسامة تهكم وهتفت بعصبية "اكتملت"

وبحديقة المشفى الجانبية سحب شهاب حسناء جانباً يُنبهها لوجود قاسم فهتفت خائفة "حين يرحل أبلغني لا بد أن التقى بها شهاب هناك ما يُحاك في الخفاء لها" رحلت مُسرعة وقد اصطدمت بإحداهن مُعتذرة لتَهتف إليه مُتربعة "هل تلك حبيبتيك؟" عضت داخل فمها على تهوورها وهمت بالرحيل والخجل حليفها ليهتف "سها، انتظري، يا بنت!"

رحبت ذهب بقاسم تُعرفه على سلمى وتشرح طبيعة العلاقة بينهم وهي تُثني عليها وتنعّنها بابتها ليهداً باله مؤقتاً وقد وعي على أصل معرفتهم ليسأل بخبث عله يرتاح "حقاً وكلتي محامي غير داود يا ذهب؟" هتفت بقوة دون خجل "أجل، وشرحتُ موقفك له وتفهم" غام وجهه بالاستفهام حتى أردفت "ظننت لطول فترة مكوثي بالسجن أنه باع قضيتي لأحد أعدائي يا قاسم" بلغ ريقه وقد لاح عليه الاضطراب لتُكمل "لكني كنت مُخطئة؟" رفع وجهه إليها مفزوعاً من صراحتها المطلقة وقد أربكت حساباته ليسأل "عذراً، ولكن كيف تأكدت من حسن نواياه يا ذهب؟" تبسّمت كما تبسم والخُبثُ بينهما حائرٌ لترفع ساقٍ فوق الأخرى بوجهه قائلة "سببان لا ثالث لهما، الأول حادثة إطلاق النار

عليه! فليس ذلك اللعب القدر مني، الثاني" تطلعت صوب داود الذي تفاجأ بما تفعل لتهتف بعد اعتذار مُنمّق له "جندتُ أحد مُحامييه حتى أتأكد من موقفه" خُرس الجميع تحت وقع كلامها، ثعلبة والمكر مبدأها هدمت كل ما بنوه من خُطط بلحظة لتهتف بوجه الجميع كش ملك، هتف قاسم مرتبكاً وقد تخلي عنه الحذر "كانَ ذي سابق معرفة بوكيل النيابة أليس ذلك مُقلق؟" قهقهت وقد أوقعته في شركها، فمجرد سؤاله اعتراف بما خُطط له، قالت تُشير علي أدهم الصامت من وقع الصدمة "أعرفك! أدهم باشا صديق سلمى، جمعتهم الصداقة حين كان يُحقق في قضية تُخص أبنائها يا قاسم وطبيعي أن يتعاونوا كمحامي ووكيل نيابة!" أنزلت قدمها براحة ومالت تسأله "لكن قل لي أنت؟" أراحت ظهرها للمقعد بكسل تلعب بأعصابه باحترافية ومهارة لتسأل بابتسامة لئيمة تُتقنها "أراك مُلم بقضيتي؟ فهل هذا من باب الصداقة أم لكِ مئاربُ أخرى؟" تعرّق جبينه وكومة من السباب خُشرت بحلقه، بنت الأبالسة دفعته للقدوم لها بقدمه لتضع حبل المشنقة بين يده، مواجهة لم تخطر بباله ولا حسب حسابها، هتفت تسأل ببرود عظم توتره "من أين لكِ بمعرفة سلمى قاسم بيك؟" تبسم باضطراب يُفتش عن جواب سؤالها، إذا ذكر أمر التهديد فهو يعترف باتفاقه مع داود واغتياله! صرخ داخله بقوة "بنت الأبالسة!" سعل قائلاً بما طراً على عقله يستوعب مراقبتها له "كنتُ بزيارتها أمس كي أعلم هل هي مالكة البيت أم مؤجرة" تنحج ينوي شرح الموقف لترفع حاجبها المنمق تسأل "بنفسك؟!" نهض بوجهاً احمر كاد أن ينفجر من الغيظ ليقدم باقة الزهور للمريضة ويستأذن يسب ذهب وكل نسلها! أغلق الباب عليهم وأخفي، رمت سلمى بترفع تهتف بغرور يليقُ بها "تعلمي! الدنيا لن ترحم ضعفك ولن تعترف بطيب قلبك!" تطلعت الي باقة الورد الحمراء وهتفت قاصدة "زوقه بالورود جميل، قاسم يُجيد التعبير حين يتخلى عن الحذر" أبتم داود لها بإشراق وهز رأسه موافقها ليحمل الباقة الحمراء مُلقياها من الشباك "التعبير ها؟ التعبير! ها نحن نُعبر!"

وبمصعد المشفى دارى ابتسامته يسألها بهمس "لما تسألني عنها سُها؟" تلبكت واحمرت وجنتيها ليسأل من مُجدداً "لحقتي بي أم مُصادفة؟" تطلعت لعينه اللامعة وودت لو تتشق الأرض وتبتلعها، يا لا رباب ونصائحها المورطة،

أغمضت عينها تستشعر عاطفة هزّتها فهمست بخجل "الباب فتح" هرولت تجمع شتاتها ليخرج خلفها يمسح مؤخرة رأسه مبتسماً، استوقفته رباب بغمزة ضاحكة فقال مضيق عينه "لست بقليلة يا ذات البسمات" قهقهت تحاول اللحاق بخطواته وهمست "يتمنعن وهن الراغبات يا متر" أشارت بعينها نحوها وهمست "أطرق الحديد ساخن ولا تدع حلو اللحظة يُهدر منك"

\* \* \* \*

صاح شحاته بخوف يجلس بين الشباب "صدقوني رأيت شبح قبل صلاة الفجر؟ هرولت للحاق بالإقامة فظهر الشبح يتفقد البيوت بيتاً بيتاً! "ضحك الشباب ليهتف أحدهم يرفع الهاتف أمامهم "هل سنظل صامتين على تلك المهزلة؟ وبنت حارتنا تُفصح؟" صاح شحاته يرمق السباك خلسة وهتف "وهل نحن السبب؟ أباه لا يقدر عليها فما عسانا نفعل معها؟" التفت علي السباك يصيح بوجهه والقهر والمذلة تقتله "ليست بنتي، وها أنا أشهد الحارة بأكملها، علي السباك براء من نسلها وسوف أخذ عزائها بيدي" هب واقفاً مقهوراً بما تفعل ليتوجه لبيتها مباشرة يتبعه المعلم متولي وشحاته فيبدو أن الرجل وصل الي نهايته، نهض الجالس بأخر المقهى يخرج من بينهم دون ملاحظته يهمس بصوت خافت لم يلتقطه أحد "أخيراً تحركت مرأجلك يا رجل يا طيب!"

دفعها ما إن فتحت بابها يصرخ بوجه لم تراه من قبل "إما أن توقي الشذوذ الذي نمى بك أو تنسي أن لك أب يا نهي" طالعه بقرف تصيح به "مالك أنت، أنا بعصمة رجل مسؤول عني" تقدم إليها يصرخ مجدداً "جاوبيني نهي! هل لك يد فيما حدث لسلمي سابقاً؟" صاحت بوجهه "هل جُننت؟ هل شملك الكبر؟ تتهمني بتلك الزانية! أفق أنا ابنتك" اهتزت ساقى علي وأرتج كيانه، والعمر يُعاد أمامه، أهذه من ألبسها ثوب العيد بكفوف الشقي؟! تفرح وتتباهى بين أطفال الحارة؟ هل تعي لمن تصرخ؟ مُستحيل تقصداً، بلل شفثيه اليابسة وهتف يلهج أنفاسه بوجهاً مُصفر "تأدبي! أنا والدك يا نونو" تقدمته تحت أنظار متولي الذاهلة وهمهمات شحاته الذي أشفق على الرجل لتهتف بغل "أبنتك؟ أبنتك من أُلصقت بها مهنتك المُقرفة! نهي بنت سباك الحارة! ألا

تستحي مما فعلته بي وبسمعتي" صرخ شحاته بها وقد حَرَقَتْ دمه "هو من رباك يا قليلة الحياء، تستعرين من مهنته؟ ستقتلين الرجل بحماقتك؟" سبته بقذارة لتعود للميت أمامها تصرخ "تُعَايرِنِي وتتهْمُنِي بشرفي؟!" رفعت حاجباً وتقدمت أمامه تهذر "علي يا سباك الحارة! معايرة بمعايرة! أنتَ لست الأب الذي رجوته طوال حياتي" تمسكت بأطراف أصبعها كُم جلبابه وصرخت بوجهه "لا تُحَاسِبْنِي! أذهب لتلك الساقطة وأخذها ابنة ما دُمت تدافع عنها" همس وعينه بعينها "نهى" أخرج من جيبه قطعة نوجا يمدّها لها "بالبنديق كما تُحبّينها" دمعت عينه وأرتد واقعاً وهي تضرب ما بيده ليلحقه متولي وشحاته الذي صرخ "حسبي الله ونعم الوكيل فيك وفي زوجك الهامل" طالع على قطعه الحلوى المُهدرة وأستند بجسد خائر إلى متولي يهتف بوهن "عليك غضب الله يا نهى" تقدمت تصرخ بوجهه "أدعو على!" طالعها كارهاً ولسانهُ يهمس "فضح الله عرضك كما فضحتي سلمى، فضح الله عرضك وأسكنك سجن الحياة أمد الدهر" خرج للحارة يستند إلى شحاته ومتولي يتطلع لأهلها هاتفً بصوت الحسرة "أشهدُ الله ورسوله سلمى بريئة مما طُعنْتَ به، أبنتي من دبرت وخطط" تحشرج أنفاسه وثقل جسده ليهتف بهم "ابحثوا عن حمّو الحقيقة معه، سلمى بريئة أبنتي ظالمة" خر وسط الحارة وأنفاسه مُتقطعة ليصرخ شحاته باكياً "طبيب يا خلق، طبيب يا عالم، الرجل يُسلم الروح!" خرج من الحارة مُتِعِجاً وأخذ قراره، إلى هنا وكفى لا بد أن يرد الحق لأصحابه ويوقف تلك الكلبة التي ستقتل أباهَا بجبروتها!

\* \* \* \*



جلس إليها عامر وعمر لتسأل الأول "ماذا يحدث معك؟" مسح على وجهه بتعب وهتف "فقط قفقت عليك" نظرت لعمر تستجوبه بصمت ليهتف وهو يتسطح جوارها "عقله مُشئت منذ حكي عمي داود سبب شجاركم معاً" هتفت وعينها عليه "والله لست أنا يا عامر" نهض مُبتسماً وهتف "ليس لدي شك أمي" سألت وعينها تتبعه "إذن تكلم وارحمي" نطق بغضب "شاهدتُ ما نُشر" تطلع إليها ثم أخفض عينه أرضاً يسأل بالدمع "هل أمر النسب الذي ذُكر؟" صرخت بتعب "كذب، أقسم بالله كذب، أنتم أبناء عابد ومن صُلبه" سحبت إبرة المحلول من وريدها بمهنية ونهضت تُفش عن ملابسها تهتف "سأذهب وأواجه الجميع ويحدث ما يحدث" صرخ عُمر يرى دماؤها تنزلق أرضاً "أمي، لا تذهبي، من أجل خاطري وخاطر عامر" صرخت بهم والجنون يتملكها "كفى جبن، بالأخير موتة واحدة وأنا قررت الموت بشرف" أمسكها عامر يمنعها وقد ارتدت ملابسها ليهول عُمر خارجاً يصرخ "عمي داود، أمي؟" وتحت عيون الجميع بغرفتها صرخت بهم "لن يمنعي سوى الموت" تقدم داود إليها يُعاتب عامر بعينه يهتف بأسلوبه المُتجهم رغم نظراته المُشفقة "لا داعي للدراما سلمي، أجريتُ تحليل النسب، عُمر و عامر أبناء عابد مائة بالمائة" همت تعترض ليُخرج ورقة التحاليل من جيب معطفه، فقد أصر على الاحتفاظ بها منذ أبلغه شهاب بأمرها، رفعها صوب عينها يهتف "إقرائي جناب الممرضة أولم تستطيعين القراءة؟ ها إقرائي" همس شهاب إلى أدهم الذي يقف جواره "هل نسب اجتهادي له؟" همس أدهم بدوره يوارى ضحكته "لا عتاب على عاشق يا ولد" جلست فوق فراشها تُناول التحليل لعامر وتهمس بغم ملتوي "شكراً، ولكن لا تتدخل بحياتي ثانياً" صدح من خارج الغرفة ندائها "سلمي؟" لتغمض عينها قائلة بياس "دُرية!"

\* \* \* \*

صرخت هنية والطبيب يُخبرها "البقاء والدوام لله" لطمت وجهها وشقت ملابسها تولول صارخة "يا قنيل ابنتك يا علي" هرولت نُهي حافية القدمين بقلب الحارة تسمع صرخات والدتها ولم تنتبه لستر جسدها وقد ظهرت بشورت قصير وتي شيرت أظهر صدرها بسخاء، نهبت سُلم بيتهم مفعوغة الروح لتدخل وسط النساء بالصالة تسأل "أين أبي" أصدرت النساء صوت أمتعاض من شفاهم يشاهدون هيئتها لتتحرك صوبها هنية تصرخ "قتلتي الرجل يا قاتلة" لطمت وجهها تَكمل بعويل مُنغم "قلبي على ولدي أنفطر وقلب نُهي عليك يا علي حجر" شقت ملابسها والأخرى كما الصنم لتصرخ مُجدداً "يا شين ما ربيت يا علي، يا مغدور الضنى يا علي" صرخت بوجهها "كفى، كُفي عما تفعلين!" حلّ الصمتُ على الجميع لتتقدم أمام الأريكة البلدي بركن الصالة تنوي كشفَ وجهه الذي غطاه الطبيب لكن كفَ هنية منعنها لتدفعها صوب باب الشقة تصرخ "لا تُدنسي جسدهُ بيدك، علي تبرأ منك ونطق بالشهادة وهو يدعوا عليك نُهي" أغمضت عينها تنتهد ثم هتفت بطبعها الشاذ قائلة "عُمره انقضي! لا تضعيها برقبتي" ضربت النساء صدورهن من قسوة قلبها لتتلقى صفة أردتها أرضاً من كفَ هنية الصارخة "أنا لستُ أمك يا جاحدة" مالت تسحبها من شعرها تُلقِيها خارج الشقة "ذنبه برقبته وقبلة ذنب سلمي التي خططت لخراب بيتها أنت وقطة" صرخت مرعوبة "أخرسي" تابعت هنية "أخرس؟ أذاقك الله الفضيحة يا بنت بطني، حدّ الله بيني وبينك!"

\* \* \* \*

نظرت لها بتفحص وهي تلوك المكسرات بفم مُمتلئ، مرّ يومان واليوم  
ثالثهم على زيارتها بالمشفى، استعادت بعض مما سبق لتكتفي ببضع  
ساعات خلال اليوم تزورها فكان أفضلهم وقت الغداء توفيراً لأهم وجبة،  
 وإعادة إينا للمكوث ببيتها فالطفلة مُنهارة نفسياً أثر ابتعاد والدها عنها، حيلة  
نفسية ضغطت بها على سلمى التي استسلمت لاستعمارها عاجزة عن  
الرفض بعد الإشاعات التي شملتها مع زوجها، لذا كتمت اعتراضها، لا  
ينقصها ظن السوء وقد صار الأمر أسطورة حيث أخذ منعطف رومانسياً  
يتغنى به أهل الميديا، احتارت هل تفتح الموضوع معها أم تصمت وتُبقي  
على جمود وجهها! تطلعت دُرية للسيدة ذهب التي لا تُفارق سلمى، عقلها  
عجز عن استشفاف ما بينهم وبين داود الجالس بالحديقة مع أدهم، هتفت  
والفضول يقتلها "ما أخبار قضيتك سيدة ذهب؟" تبسّمت ذهب بتكأف قائلة  
"ألم تعلمي أنني تحصلتُ على البراءة دُرية؟ الصحف والميديا أذاعت الخبر"  
تبسّمت تفتعل البراءة بمهارة قائلة "مُبارك حبيبتى وأعذرني فأنا لا أتابع  
الميديا مُطلقاً" حيثها ذهب برأسها وتبسّمت بصمت تتبادل النظرات مع  
سلمى غافلتين عن ابتسامة دُرية المنتصرة،

وبالخارج جالس يتلظى غيظاً من حضورها الذي أشعره بالذنب وأزّم موقفه  
أمام نفسه، سحبهُ أدهم جانباً يسأله "هل تتوقع أن زوجتك ستفتعل المشاكل  
معها؟" تغلّغت كفاه داخل شعره نزولاً برقبتِه يهمس "لم تُفَاتِحني بشيء  
حتى ظننتُ أنها لا تعرف" شملهُ القلق وتنهد عاجزاً ليهمس بتعب "بما  
تشعر؟ هي زوجتك وأنت أدري بها" شرد يسترجع حالها، هل حقاً يعرفها؟  
أم هي ضحيته دون أن يدري؟ أنها تستنزفه لُبخلها لكن ما يقتله إحساسه  
بالدونية، عشر سنوات يحاول تغيير طبعها حتى يأس ليذهب ما أعتقده حب  
للجحيم وتبقى دُرية، تستنسخ من نفسها السوء لتُغيره عوضاً عنها حتى  
أصبح لها بنك يُسد حاجتها، أرتفع حاجبيه يتفقد المكان حوله ليهتف وقد  
ضاقت به الدنيا "عشر سنوات وبالنهاية حياة عنوانها لا شيء" تقدم عامر  
إليهم وحياهم باضطراب واضح ليسأله "هل حدث شيء عامر؟" هز رأسه

بنعم وهمس وشهاب مُقبل عليهم "أسف" رُمقه بخطر ليهمس قائلاً وعينه بعين داود "أسف! ولكن هناك امرأً خطير لابد أن تعرفه" تقدم داود بعد أن تبادل النظرات القلقة مع أدهم وشهاب ليهتف مُشفق على الولد "لا تتأسف، تكلم ولا تخشى شيء" وبالدمع همس يُناولُه هاتفاً بيده "هذا الهاتف الذي تم تهديد قاسم الوكيل منه، تفقده أولاً حتى أخبرك بالأمر كاملاً!"

\* \* \* \*

أنتهي عزاء اليوم الثالث للعم علي السباك وقد حزن عليه أهل الحارة حزناً شديداً أثر رحيله المفاجئ وما تلقاه من الجاحدة نُهي مما جعل العم شحاتة يبكي فراقه بحرقة صاح الحاج متولي على عُمال الفراشة يستعجل لملة صوان العزاء ليجلس جوار الباكي هاتفاً "وحد الله يا شحاته، لم أعلم أنك تُحبه هكذا" مسح شحاته عينه بكم جلابيه وهمس صادقاً "الرجل ذهب بشربة ماء يا متولي! وصدقاً لم أكن أعلم أنه غالي على قلبي هكذا" أنهى كلماته وعَصَة البُكاء تخنقه ليلمح المعلمة قطعة تجلس بصدر صوان خُصص للنساء تهتف بقوة "ولد يا فتلة أحضر النرجيلة" تطلع شحاته إلى متولي بغضب ليهمس "إما صوان الحريم قائمٌ لهذا الوقت؟ ألم ينتهي العزاء يا متولي" قطع متولي نظراته والتف له قائلاً "ما زال حريم الحارة يُعزّون، ينتهي العُمال ثم أرسلهم لفك صوانهم" رمقتهم قطعة من مكانها غير عابئة لترفع هاتفها دون حياء وتهتف تدّعي الحزن من أجل زوجة أبنها "شكراً أحياناً قطعة ولكل من عزّاني، قررتُ تأجيل افتتاح المطعم حتى انتهاء العزاء" أغلقت البث بعد الكثير من الثرثرة تدفع بكتف نُهي التي جلست جوارها تهمس "ما لزوم تلك الجلسة يا نُهي كُنّا أخذنا العزاء بشقتي" هتفت غير عابئة "لا، لابد أن يراني الجميع بصدر عزاء والدي" همست قطعة بغضب تعوج رأسها "أي عزاء؟ لم تأتي حتى كلبة إليك، نساء الحيّ بأكمله محشورين بشقة هنية" نظرت لبيت مرحومها من بعيد لتتهتف بغل "لذا أنا هنا، ولهذا فتحنا البث حتى ما إن وصل أياً مما تقوّهت به أُمي الي الميديا يجدوا العكس" وارت قطعة فمها بطرحتها وهمست بالضحك "دماغك سُم يا مضروبة ولكن ما ذنبي في رائحة المجاري تلك" تطلعت حولها وكأنها تبحث عن شيء لتتهتف بخفوت إثر

وجود بعض النساء" من الكلب الذي نصب الصوان هنا؟ البالوعة طفحت بهذا الجانب و" سكنت جاحظة تنظر للمعزيين بملابس سوداء عارية لتتهافت إحداهن بقرف "أين نهي؟ نحن جروب التراس نهي حُب وجئنا نُقدم واجب العزاء لها!" هتفت قطعة مُرحبة ومعها نهي المُضطربة "مرحب بحابيب نهي تفضلوا" جلست النساء يتأففن من الرائحة ولدغات الناموس المتوحش عيونهم تتفحص المكان بقرف وبعضهم يسد أنفه بمحارم مُعطرة، هتفت إحداهن مُتهكمة "كيف تعيشين في ذلك الحي نهي؟" أغلقت أنفها بطرفي إصبعيها "إيف" لتهتف الأخرى بعصبية وعينها ترمق الأرض اللزجة توشك على القيء "كيف تعيشين في ذلك القرف لا أفهم؟ صدري سيختنق" تعالت التعليقات السلبية حولها مما أجج سخطها هي وقطة لتهتف نهي بطبعها الشعبي "ماذا؟ على رأي المثل الحس حس ديك والحال ما يرضيك" أسهبت وقطة في وصلة روح مُغممة يطردون النساء والبنات من العزاء ليلحق بهم بعض الرجال والشباب وصوت نهي خلفهم "أوباش" انتهت قطة تسحبها جانباً وهتفت "يا ويلتي ماذا لو قص أحدكم ما فعلناه في الميديا يا نهي" توجهت للبيت تهتف "لا تخافي يا معلمة حينها قولي نهي انتابتها حالة من الجنون والخروج عن السيطرة من وقع الصدمة" رمقتها قطة رافضة تتلمس موت قلبها، صحيح سليطة اللسان وخسيصة لكن قتلها لأبيها كمداً وعدم اكترائها جعلها في عين من تتابعها وحش كاسر تخشى على نفسها منه، هتفت قبل أن تغلق نهي بابها "نهي؟ أين عابد؟ لم أراه في عزاء الرجال؟" تتأببت وهتفت بنعاس "الدية بث مباشر، حقق منه اثني عشر أسد يا قطة" مالت من سور السلم تكمل "فيديوهات العزاء والدفن أثمرت" تتأببت مُجدداً تغلق الباب خلفها "رحمك الله يا أبي جنازتك حققت أرباح وافرة وبالأخير يقولوا مات غضباناً عليها"

تحرك شحاته بعد انتهاء العزاء ينوي الرحيل ليميل على متولي يسأل "متولي؟ من هؤلاء الذين كانوا يصورون كل شبر بالحارة؟!"

\*\*\*\*

## الواحدة ليلاً صباح يوم جديد

رقد على وجهه لتنساب أصابعها اللينة فوق ظهره تضغطه براحة مُلتزمة الصمت رَغَم الصخب، بالأمس قابلت شهاب بعدما أعتذر عن عدم تفرغ سَلْمَى لمُقابلتها بسبب حالتها الصحية والتي شخصها فريق الأطباء الذي أحضره داود لها بأنها تعرضت لهزّة نفسية عنيفة أُختلج على أثرها دقات قلبها مع الإهمال والضعف العام، بدأ الحديث بتحفّظ ثم تطرق للنقاط الشائكة مما جعلها تُفصح عن سبب طلبها الحقيقي للمقابلة حيث شكها ببراءة سلمى التي عادت بها للوراء ثلاثون سنة،

كانت حسناء أو حُسنية ابنة مُدلة وحيدة لوالدها الحاج سيد جمعة تاجر الغلال في إحدى القرى المصرية، توفت والدتها بعمُر الحادية عشر ليتزوج والدها كما أعراف القرى المصرية لتجد نفسها بين الأب وزوجته التي استولت على والدها كاملاً رَغَم حُسن معاملتها لها، توفى الوالد وترك حُسنية بعمُر التاسعة عشر تتجهز لزفافها مما أطرها لتأجيل الزفاف عاماً كاملاً تحت وطأة الأعراف والحزن لتكتشف بعد مرور عدة شهور المكيدة، زوجة أبيها ما هي سوى أخت خطيبها من الأم دفعته إلى طريقها حين علمت أن الحاج سيد جمعة كتب خمسة وتسعون بالمئة من ثروته لها وأبقى خمسة بالمئة كميراث شرعي يُقسم بينهم لتصنع لها فضيحة مدوية بالقرية كان نتائجها تنازلها عن كل ما تملك مقابل عدم عرض ما صُوّر لها وهي مُخدرة، لتخرج من القرية مطرودة خاوية الوفاض إلى الأبد،

هتَفَ الرافدُ تحت كفوفها "رفقاً حسناء لما تضغطين بتلك القوة" انتبهت مُتأسفة وهذأت وتيرة يديها تُدلك كتفيه مُتخذة قرارها بالانضمام صوب سلمى، تعلم أن قاسم دنى النفس، زير نساء واهتمامه الفائق بسلمى يدق ناقوس الخطر! هكذا حذرت شهاب كما قصت عليه لقاء قاسم مع نُهى التي زادت من وتيرة الهجوم بعدها ليتفقا على التعاون بينهم وترتيب لقاء بينها وبين سلمى، أعتدل قاسم يسألها "أين ثرثرتك اليوم؟ أراكي صامتة" لبسته الروب خاصته وقالت باسمه "شردتُ في حال نُهى، غريبة تلك المرأة وغريبة تصرفاتها" نهض يُشعل سيجاره يسأل "وضحي" رفعت كتفها

تدعي اللامبالاة وقالت بغير اهتمام تستقطب رأيه "والدها توفي وِعوضاً عن الحزن تاجرت بالموت على الميديا" قهقهه قائلاً "لما الاستغراب بالأخير قليلة أصل مُتدنية" رمقته بخوف وقالت مُهتمة "ألا تخشى التعامل معها يا باشا؟ تبذروا خائنة والغدر مولاها؟" جلس إلى الأريكة يأمرها بإعداد كأس له وفتح حاسوبه الشخصي مُقررأ مُتابعة الميديا قائلاً "لا تخافي من كان أوله وآخره النقود فأمره هين و" سكت مُتفاجئ بما يرى كيف أتخذ الأمر هذا المُنحنى؟ سأل حسناء ومازالت عيناه تُتابع الشاشة "حسناء؟ كيف أنقلب الأمر من فضيحة الي حالمية؟" جلست جواره تسأل ماذا يقصدُ ليُشير للشاشة، ضحكت مُفتعلة السذاجة وهتف برومانسية "أه يا قاسم، حكايتهم ولا أروع" ألقى سيجاره بالمنفضة وصاح غاضباً يُشير لفيديو لهم زينته أغنية رومانية "ماذا فعلت الساقطة؟ أعطيتها ثلاث ملايين وسيارة فارهة وبالأخير تجعلهم عاشقين والكل مُعجب بهم!" لمعت عينها لاعترافه مع نُهي لتهتف بمُفاجئة "ماذا؟ ولما لم تأمرني قاسم عوضاً عن تسليم رقابنا لتلك السافلة" نفخت في الشرر حتى صار نار ذات لهب أوشكت حرقه وهي تُفند الفرضيات التي ممكن أن تقوم بها نُهي كفضحة أو الزج باسمه وتسجيل ما تم بينهم دون درايته، ظلت تُلقي بناره الحطب حتى أمرها بمتابعة نُهي ليسرد خطته كاملة، خرجت من القصر تُرسل إلى شهاب رسالة مفادها "تم، لا بد من لقاء فوراً" ثم تحركت بسيارتها مُسرعة لترُد على هاتفها الذي رن "مرحباً دودي أين أنت يا رجل" هتف عبر الأثير قائلاً "حسناء؟ أريد مساعدتك في أمر هام" أجابته بالموافقة ليعاود سؤلها "أريد الوصول إلى محامي شهير اسمه داود الرازي!"

\* \* \* \*

تناول الهاتف بيد مُرتعشة يتساءل هل دليل إدانتها بين يديه؟ ما لبث أن أقنع نفسه بأن هناك لبساً في الأمر مقرر البحث عن الحقيقة بنفسه، تفقد رسائل المساومة ولسان حاله يسبها لينتهي مُعطي الهاتف لأدهم يتفقدّه وينتبه الي عامر الذي همس "ماما لا تعلم بالأمر لو علمت" قاطعه داود مُتهكماً "كانت منعتك حتى ولو بالقتل" هزّ رأسه موافق وأكمل تحت نظرات أدهم المُتشككة وأنتباه شهاب الذي تفقد الهاتف بدوره "أسف سيد داود حقاً أسف لا أعلم ماذا أقول ولكن لن تحمل أُمي ذنب ليس لها؟! " ألتقط شهاب الكلمات يسأل "أي ذنب؟ هناك لبس بالأمر" مدّ عامر كفه قائلاً "أليست هذه الفلاشة التي تبحث عنها؟" ألتقطها داود يدسها بجيبه مُتعبلاً وهو يلمحُ مرورَ رباب وسُها مُلقين السلام ليهمس أدهم "داود، لا تتعجل؟" ضحك مُتهكم وقال وعينه على باب منزلها "أستاذة في السفالة يا رجل" تنهّد أدهم بياس وعقله أنقسم بشجار مُحتمد كيف يتهمها وبذات الوقت يُبرأها، هتف إلى عامر مُنفعل "من أين جئتَ بالهاتف وكيف اكتشفت الأمر؟" تنهّد عامر يتطلع عودة شهاب الذي أنشغل مع سُها ليهمس قائلاً "دعوني أقصّ الأمر من بدايته"

\* \* \* \*

همست سُها وقد وقفا أمام صالون التجميل المُشترك "أنا خائفة" سحبتها رباب بقوة تهمس "لا تخافي فقط نقتله" دخلت تسحبها تكتم ضحكها من تلك الساذجة لتهتف بثقة "مساء الخير، نريد صاحب الصالون شخصياً" هكذا قررت حين سمعت أن المرأة الشبح التقت بقاسم هُنا، لذا تهيأت وسُها في أبهى الملابس الفارحة وقررت زيارة الصالون بنفسها، ومن خلف مُجلد مُخصص لصبغات الشعر همست "لا تهتزي هكذا يا سُها وانتبهي هناك شخصٌ قادم إلينا" رفعت سُها عينيها للرجل مُبتسمة وهتفت لا تعلم من أين جاءت بالثقة "مرحباً" هتف الرجل يتفقدُها ومن تُدفن وجهها بالمُجلد "مرحباً يا هوانم، سميّر سرحان صاحب صالون التجميل" تخشب جسدها ووقع المُجلد من يدها وعينها تُشاهده، دقيقةٌ كاملة والاثنان يتطلعان بعضهما لتهتف بصدمة "سميّر؟" أرتعد بدوره وهو يتطلع لزحام المكان وهتف يبتلع رمةً بخوف "رباب العدوي؟ يا لا النهار الأسود" أشرق عین رباب بلمعان خاص لتهتف



فرحة وذراعيها بمنتصف خصرها "سمير؟ سمير قصة؟ صدفة بتجمعنا يا أبو سمرة" اضطربت سها ومالت إليها تسأل "ما الأمر رباب؟ هل تعرفين الرجل؟" قهقهت تستعرض شعرها وقوامها وهتفت "حق المعرفة" ألقت إليها قائلة "أقدم لك سمير! طليقي، وسبب سجنى" شهقت سها وسقط فكها أرضاً ليتقدم سمير يهمسُ إليها "رباب، حبيبتي، لا داعي للفضيحة" رفعت حاجباً واحد قائلة "حبك الموت يا سمير، سأفضحك فضيحة سارق الجزم بالمولد" تطلع سمير حوله بخوف لتجهز عليه وتلكمه بكتفه هامسة "ابحث عن مكان موارد نتكلم به أم تُحب التحدث في العلن؟" هز رأسه بحذر ليدعوهم لمكتبه وما أن وطأت أقدامها ومعها سها سحبته من تلايبه وأغلقت الباب تهتف مُهددة "إما الفضيحة يا سمير الكلب أو؟" هتف سمير والخوف أرعد جسده "أو ماذا رباب، أقسم سأنفذ ما تطالبين ولكن بلا فضائح يا رباب" دفعته بقوة حتى وقع جالساً لتميل إليه تهتف وقد حاصرتُه جيداً "إذن أسمع ونفذ"

\* \* \* \*

تنهد عامر ومسح وجهه قائلاً "الأمر بدأ يوم ذهابنا إلي المُول" أنتبه الجميع ليتذكر عامر ما حدث وكأنه اليوم، توجه مُتحمس وعمر يتبعه يترجأه أن يُعلمه قيادة السيارة مثله هتف عامر موافقاً على شرط لا يتهور، وصل لمغسلة السيارات ليتفقد عامر السيارة يستلمها ليتفاجأ بالعامل الذي أنقذه البقشيش يهتف له بالانتظار ليعود يناوله عبر نافذة السيارة كيس للهدايا صغير كان تحت أحد المقاعد ومعهُ فلاشة وجدها محشورة في المجرى الذي يتحرك عليها المقعد، شكرهُ عامر واضع الأشياء بصندوق السيارة الأمامي هتف عمر "يبدو أن باربي أشرت هدية للسيد داود، أنظر، برفان رائحته مُقرفة مثلها وكارت من آخر العنقود كتبت عليه لا تنساني" ألقى بالحقيبة داخل الصندوق وهتف "دعيه ينسأك ويرتاح يا برربي هانم" تنبه عامر وقد توغل في الذكرى ليُكمل "انشغلتُ بباقي أحداث اليوم ونسيْتُ الأمر تماماً" ارتكزت عينه بعين داود الحمراء وأكمل "حين تحدثنا بالمشفى تذكرت الفلاشة فشاهدتها ثم قررت إبلاغك دون الرجوع لماما" تنهد يبحث عن كلمات تُساعده فما وجد غير الاعتذار ليهتف وقلة الحيلة تُغرقه "سامحني عمي داود، فلن أقبل ظلم

آخر يطال أمي" هتف أدهم وقد باتت الصورة مُكتملة "كيف حصلت على الهاتف؟"

"من لينا" شملته نظرات الاستفهام ليَقْص يوم ابصرها تخرج من منزلهم غير عابئة بالطريق، ركض إليها وقد سحبها للرصيف ليجدها تبكي بحرقة ليرق قلبه لها غصباً، تمسكت لينا بكفه وكأنه ملاذها لتبدأ تشكو والدتها التي باتت تضربها بقسوة وصولاً الى والدها الذي كرّها وقرر تركها، احتواها عامر بشفقة وأفهمها أن والدها يمرُّ بأزمة عمل وأتفق وعمر على اتخاذ المراهب الخلفي لبيتهم مكان يجمعهم بعد علمه بتكرار خروجها دون ملاحظة أحد لتخرج إليهم ذات مرة باكية تشكو ضرب ذرية حين سمعتها تتكلم مع رجل تُطالبه بعشر مليون جنية مُقابل فلاشة! وبالصباح أحضرت الهاتف من حقيبة والدتها خلصة بعدما طلبه عامر!

أنتهى القص ليسأل داود غير مستوعب "ذرية؟ ذرية؟" هتف عامر ينبهه "ليس غيرُها، الوحيدة التي كانت تحتل السيارة" كرر السؤال وعقله يستقرأ الخيانة ببطيء ويهمس له "لا تستغرب من عاب أبتلي" أنحنى بجسده للأمام قدمه اليسرى تهتز بعصبية ليعتدل وعينه متوسعة "ذرية؟ زوجتي؟" جاءه الرد القاطع ورباب تهتف بغضب "أجل ذرية؟ زوجتك يا متر" ناولته فلاشة أخرى وأكملت "هذا الدليل القاطع لما فعلت" مسحت سُها دموعها تدفعها للداخل وتهتف بعدما رمقته بغل "لأنها زوجتك لم يراودك الشك؟ أما سلمي فدوماً سافلة!" فُض الجمع حوله وصار بمجلسه وحيداً يُشاهد فرحتها عن بُعد، عقله وقلبه بصراع مُر والألم يتولاه بالكي، كانت الخيانة لديه رجلٌ وامرأة تشاركوا الإثم لكن اليوم وعي أن الخيانة أشد من جُرم الفاحشة، زوجة تمرغت في قِوامه زوجها برفاهية وجزيلُ شكرها التريُّح به، وُصف من يتربح بزواجه ديوث، فما مُسمى الماحنة، تنهد بصعوبة وأنفاسه حُشرت ليهمس بآلم "ليس كل الخيانات جسداً بجسد، بل أقبحها عجز العقل عن قراءة وتقبل الحقيقة!" غلبه الدمع وضحكاتهما تصله، ليهمس متوعداً "ذرية"

\*\*\*\*

بدل شاشة الحاسوب ما إن لمحها ليفتح شاشة أخرى مُفتعل الانشغال  
وبدورها رمقته بطرف عينها دون سؤال عما يفعل، تعلم أنه بالأيام الأخيرة  
تطرق للمواقع الساخنة وهي تركته فقد زهدت رجولته الخاوية، أنتبه  
لانعكاسها أمام المرأة بعد أن ارتدت ملابسها الملونة ليسأل "هل تخليتي عن  
الأسود ما لبث على موت والدك سوى عشرة أيام؟" انتهت من صبغ شفتيها  
بالحُمرة الداكنة وسحبت حقيبتها قائلة "يكفي عشرة أيام هل سأحزن العمر  
كله" سأل وعقله لا يستوعب جمودها "إلى أين بتلك الأناقة" علقت حقيبتها  
وردت دون مشاعر "قاسم الوكيل! اليوم سأستلم السيارة ما فعلته قطعة غير  
مسار كل شيء"

تركته عاكفة عن سماعه ليمسح وجهه بسقم بات لا يُطبق طبعها منذ تغيرت  
وكان كلاً منهم تعري ليس عري الجسد والمفاتن بل عري الروح عن أسوء  
ما فيها، جشع وطمع، مزلة وإهانة، موبقات الروح طغت عليهما رغم ادعاء  
التحضر، نهض وعينه تجول بأركان الغرفة، كلما دخلها شعر وكأنها قبر  
يُطبق على أنفاسه، تقدم للنافذة يُطالع العيون التي ترمقها وكأنها شيء شاذ،  
الكفوف صكت بعضها والهمهمات هسهست بالفحيح، منذ سماعه شهادة  
الست هنية صار بغير هدى، نُهي وقطة؟! امرأتين جعلاً منه عبداً لهن!، عاد  
لهاتفه مقرر الرحيل من تلك الحارة مُستغل مال قاسم في شراء شقة جديدة،  
يكفيهما فضائح وتلسين أهل الحارة، أنتبه لحسناء تدعوه لبث ساخن ليستعد  
هامساً رون مُبالاة "حارة مُتخلفة وأهلها مُتأخرين" والكلمات الجريئة  
والإيحاءات المبتذلة شارك ليجد أمامه فتاة شبه عارية وأخرى يعرفها  
ليندمج معهم حتى أنصدم والفتاة تُخبره بأنها رجل!

\* \* \* \*

أوشكت على السادسة مساءً لتتظر للطعام الذي أعدته برضا وتترك المطبخ تهتف بهم "أنا انتهيت وأنتم عبئوا كُل وجبة في عُلبه لحالها" توجهت لغرفتها تصيح من أعلى الدرج "حين تنتهوا أخبروني" أغلقت بابها بالفُفل لترتدي النقاب سريعاً، هكذا قررت وأنتهي الأمر "تشجعي ما يحُك جِلدك إلا ظُفرك" عدلت النقاب جيداً لتضع هاتفها على الحامل الخاص به وتفتحه لتبدأ بثها، توقفت أصبعها عن ضغط زر البث والتردد حليفها لكنها عدلت النقاب بعنف واستقامت بالأريكة خلفها تسترجع دخول رباب وسُها إليها حينما كانت تتحدث مع دهب!

هتفت دهب بغضب تدخل غرفتها "ما هذه المخلوقة يا سلمى كيف تتحملي وجودها؟" أغلقت الباب تُطلق تهيدة عالية وقالت "هل رأيتِ؟ بني أدمه سَمجة يا دهب" هتفت دهب والغضب يعتلي وجهها "أريد أخبارك بشيء" أفسحت لها مجال جوارها وه تهتف "كيف تتحملها يا داود؟ ولو أنك بارد مثلاً" تبسّمت دهب من هجومها المباشر عليه وقالت وعينها تنفقدها "لم أرغب في ذكر الأمر أمامها" التفت تلتقط حقيبتها تُخرج منها ظرف أسود اللون قائلة "دعوة حفل بمناسبة براءتي" تطلعت سلمى للدعوة بإعجاب ثم رفعت عينها تهتف "تخلي لي أمناً حتى اليوم" احتضنتها مُقبلة وهمست "أسفة دهب، مُبارك حبيبتي" ضمتها دهب لصدرها بقوة أشعرتها بحنانها وحُبها لتهمس دهب بصوت مُحشرج "أنا من يتأسف بُنيّتي، سبحان الله مُنذ أول طُلة بعينك شعرتُ وكأنك أبنتي" ابتعدت سلمى برفق تنظر إليها فهالها دموعها لتهمس "دهب؟ أتبكين؟" مسحت دموعها وتبسمت قائلة "أحكام السن يا بنت، صرتُ عجوز وضعف قلبي" صاحت ترمقها بعنب "أي عجوز دهب أنت بالكاد تخطيت الخمسين من العمر" علت دقات الباب بقوة لتنهض سلمى إليه تصيح "ماذا هل أحترق العالم ونحن لا ندري" دخلت رباب وخلفها سُها لتهتف الأولى بعصبية مُفرطة يراها الجميع لأول مرة "سأقتلها، أبنه الكلب الباردة التي تجلس بالأسفل" هدأت بعد وصلة ربح لتُقص عليهم ما فعلت وبأن زوجها السابق ساعدها بعدما خر مُعترف تحت تهديدها له بفضحه، جلبت سلمى الحاسوب الشخصي لتفتح فلاشه أخرجتها سُها لترى وتسمع دُرية تنفق مع سمير مُهددة له ومشهد آخر مع قاسم!

صُعقت ذهب مما رأت وأغمضت سلمي عينها تهمس بحسرة "حتى ذرية؟ من بقي لم يخونني" فاقت من شرودها والذكرى تُنكت قلبها فقد علمت أن رباب سلمته دليل إدانة زوجته كما علمت بما فعله عامر وقد عنفته للدرجة التي خرج بها الصبي عن الأدب حين صرخ بها بجرأة "ما زال طبع الهبل مبدأك" عدلت النقاب تسب داود الذي ما إن علم بفعله زوجته أختفى وكأنه شبح، استعدت ولسانها يهتف بغضب أرعد جسدها "أنا السافلة الخائنة وحين يطال الأمر ذرية تُصبح المحظية" ودون تفكير بالعواقب أو تقدير للموقف ضغطت على الهاتف بسرعة تصيح من خلف نقابها "مرحباً أنا سلمي المصري قررتُ قص حكايتي بنفسي ومواجهة أيُّ اتهامٍ منكم" سردت كلَّ شيء عن الفضيحة السابقة، شكها بنهى واتهامها الذي شملَ قطة وكيف كان عابد معها وطالبت أخيراً بالبحث عن حمو، كما ذكرت ما فعلوه بأبنائها وطالبت والدَةُ الطالب أيمن بالإدلاء بما فعلت معها بمُحايدة لتختَم حديثها قائلة "أما عن داود الرازي فهو محامي فرضته الظروف السابقة لا يجمعني به شيء مما أنتشر ويمكنكم سؤال زوجته" أغلقت البث تخلعُ النقاب لتُغلق هاتفها تُلقيه على طول زراعها واعية لفداحة ما فعلت! أرتمت فوق الفراش تبكي وتصرخ وشعور الوحدة مع القهر تقتلها، دقَّ بابٌ عُرفتْها وسُها تهتف "جهزنا ما أمرتِ سلمي" صاحت سُها بصوتها وقد وعت نحيبها "رباب، رباب" تقدمت إليها مُسرعة تسأل بعدما فتحت سلمي "لما كل هذا البكاء؟"

\* \* \* \*

### العاشرة ليلاً

سحبت الغطاء الوثير تسرُّر جسدها وتغمزُ للعاري جوارها "أحبك قاسم" نهض يُقهقه لتُغمض عينها من جرأته كيف ينهض عاري كما ولدته أمه؟ هتف متوجه لحمام غرفته "ماذا! هل تخجلي؟" لملت ملابسها لترتديها وقالت "متى سنأسس لي شقتي الجديدة يا قاسم" خرج يرتدي الروب مُبتسم وقال "من باكر" تناول هاتفه وصوته يأمرها بتعالى "أصنعي لي كأساً" أطاعته وعينها تتفقد غرفته الفخمة بحقد لو تنعم وحدها بذلك القصر!، سقط الكأس من يدها إثر صرخته "ما هذا العبث؟" تفادت شظايا الزجاج متوجه صوبه لتجلس

جواره تستمع لصوتها المُميز "أعلم أن الجميع أخذته الحماية الشرقية وحكم علىّ بعادتنا ولكن رجائي الوحيد لكم أن تبحثوا عن الحقيقة، فنشوا عن حمّو، تقصيتُ عن حياتي فليس بالصعب أن تجدوا الشاهد الأساسي على براءتي" ألقى قاسم بالهاتف جواره ونهض يجرّها من شعرها وقد رأى تعليقات الجميع التي مالت لها ليهمس بفحيح أسود "لم يكن هذا اتفاقاً" صرخت من شدة الألم كما هالها تحوله لتهتف برجاء الخوف "تمام، أهدأ سوف أقلب الموقف ضدّها" دفعها لترتمي أرضاً، زحفت نحو حقيبتها تُخرج هاتفها تُفتش به حتى أرسلت له رسالة، فتحتها والغضب ساكنٌ بوجهه ليتغير بلحظة ويرفع إبهامه بعلامة جيد، تبسمت ومازال الخوف يشملها لتسمع أمره "أريد انتشاراً واسعاً لهذا الفيديو" هزت رأسها ويدها تتعامل مع الهاتف بمهارة ليعلو صوته يصيح بقرف "إلى الخارج لا تأتي إلا حين أطلبك" سحبت حقيبتها مُسرعة تدس أوراق السيارة بها وتهرول ترتدي حذاءها لتصرخ وقطعة زجاج تجز قدمها!

\* \* \* \*

خرج من بيتِ النائب العام بعد أن سلمه بعضُ المُستندات بقضية قاسم الوكيل، لولا معاونة حسناء وقُربها من قاسم ما أستطاع الوصول لتلك المستندات الخطيرة ولا معرفةُ شركائه، أتضح أنه يتعامل مع بعضُ الجهات الخارجية ويُسهّل لهم الإقامة، يشترون العملة الصعبة بسعر يفوق البنك المركزي ليجمعوا تسعون بالمئة من العملة بالبلد، ويُهرب الذهب عن طريق الكثير والكثير من النساء ونجوم المجتمع، تترزين احدهن بما يُعادل الكيلوجرام من الحُلّي وتخرُج من المطار للتنزّه لتجد بالمقابل من يستلم منها ما تلبس، عشرة يسافرون عبر خطوط الطيران يومياً بما يُعادل تهريب عشرة كيلو كل يوم لِيُعاد تصنيعه بالخارج وإعادة استيراده مما جعل سعره لا يقبله العقل، أنتبه للطريق يرفع هاتفه صائحاً "شهاب؟ أين أنت؟" نصفُ ساعة وكان يجلس ببيت شهاب الذي مازال النوم يشمل لهيهتف وهو يُشاهد ما فعلت "لِما، لِما؟" تطلع شهاب بدوره ليصرخ "لهنا وكفي" احمرت عين أدهم يُشاهد الفيديو المُنتشر وقد ظهرت سَلْمى ترُقّص بإغراء سافر ثواني وتوسع الكادر ليظهر داود معها يأكلها بعينيه وقد جلس لمقعد وثير الهيئة ماداً قدميه لطاولة ترامي عليها زجاجة خمر وسَلْمى تتمايل بدلال سافر وقد ارتدت ما سخا مفاتها

أمامه، انتهى الفيديو نهايته المخزية وداود يحملها لفراش مُبعثر يوشوش مسامعها لتصدح ضحكاتهما السافرة! تكلم شهاب وعقله تأثر "لابد أن نجد ذلك المُختفي؟" تحرك الرجلان وأدهم يتصل بذهب ليهتف وقد طاق به الهم "إذا كانت لديك معرفة بمكان ذلك الأحق أخبريه أن ينظر لما أرسلته لك" أغلق الهاتف وقد أصبحا بالشارع ليهتف شهاب وهو يرتاد سيارته "أسرع أدهم لابد من تفقد سلّمي" صاح به أدهم مُعاتباً "كان لابد بإخبارها بتواصلنا مع حمو! هكذا نتأجج اليأس"

\* \* \* \*

فتحت ذهب اللينك المُرسَل إليها دقيقة واحدة وكانت تهزول نحو الجانب المُلقق ببيتها، دقت الباب بقوة ثم دفعته تصيح في ذلك المُنزوي بعنف "يكفي اعتكافاً، كفى داود" تطلع إليها يحك ذقنه التي استطالت لترفع الهاتف بالمقابل له قائلة "تفضل، تركتها للكلاب تأكلها" تناول الهاتف غير واعي وما أن أمّتك تركيزه توسّعت عيناه بصدمه، همّ يسألها ليجد لينك آخر معه رسالة صوتية لأدهم وهو يهتف "شاهدي المجنونة ماذا فعلت! أيّ يأس دفعها لذلك؟" تمالك داود نفسه وتوجه صوب المرحاض دون كلمة تاركاً ذهب التي جلست بحديقة منزلها تبكي حال المسكينة وتتابع التعليقات على الميديا، أغمضت عينها لهول الشتائم والسباب الذي طالها، وبالداخل وقف أمام انعكاسه بالمرآة ينظر الحالة التي وصل إليها، لم يكن يوماً مهزوزاً مهزوماً كما المرة، مسح البخار الذي حال الرؤية عنه وهمس مُتحدياً "استعدوا لجحيم ابن الرازي يا أنذال" مرت ساعة وذهب تُغلق عليها مكتبها بصحبة صُهيّب لينفتح الباب أخيراً وتخرج قائلة له بوجهٍ وصوتٍ أمر "كما فهمت صُهيّب، أريد كل شيء جاهزاً غداً، غلطة واحدة ثمنها رقبتيك" تركها مُتعبجاً لتتوجه للحديقة وهي تلمح داود وقد استعاد صلابته لتهتف بقوة "انتظر يا متر، يجب أن نتحدث" سحبته من جديد الي مكتبها وأملت عليه خطتها وقبل أن يُجيبها بالرفض صاحت به "لا خيار لك!" أكملت تدقق النظر لعينيهِ المصدومة "أنت رجل واهترزت من أول صفة خيانة واجهتها فما بالك بها؟ المخلوقة بدأت في حرق نفسها بنفسها دون أن تنتبه" علا صوته مُقابلها وصرخ "وهل أنا السبب؟" تركت مكتبها والتفت له وعينها تلومه لتقف أمامه شاهرة سبابتها تهتف بما أخلّجه "أنكر إذن! الم

تطلب حسناء مُقابلتك مُنذ أسبوع مضى؟ ألم تُبلغك بأنها توصلت الي حمّو وقد ظنت بالبداية أنه شهاب بما فعل؟ ألم تتأكد يا داود بعد كل هذا من براءتها؟ أجبني؟ أفصح عما برأسك وتخلّ عن الكتمان مرة واحدة!"

جلس بالمقعد المنزوي برُكن الغُرفة صامتً، كفيه يحويان كامل وجهه، تقدمت تُشعل الضوء بجانبه وتهتف "لا أرى لصمتك معنى يا داود، ليس لك من العُذر ما يدفعني لعنق رقبتك" رفع وجهه المُرقط بالدموع إليها وعينه الباكية تشكي لتسأل مصدومة "داود؟ هل تبكي؟!" رفع حاجبيه وهمس مُغمض "أبكيها يا ذهب! أبكي ألامها! أبكي نفسي التي ظلمتها!" مسح على وجهه بقوة وأكمل بروح هاربة "هل اعتقدي أنني أهتم الي ذرية؟" هز رأسه بلا صامته "ذرية بفعلتها عتقت رقبتني من أسرها لي، حلّت وثاقي الذي أدمي رقبتني، أهدنتي حريتي على طبقٍ من ذهب منقوشاً باسم سلّمي حبيبتي، لكن" قاطعته مُتلهفة "لكن ماذا بُني وهل بقي لكن؟"

"لستُ بقادر على مواجهتها! الجُبن والعار يخلع نفسي من نفسي" دفع الطاولة بقدمه يضرب صدره وجرحها يؤلمه "سلمي باتت تكرهني! وآخر ما سيقتلني نظرة عينها الكارهة" ضغط ما بين عينيه يوليها ظهره علّه يوقف نزيف الدموع وحسرة خُسرانها لتتقدم إليه تُديره هامسة بابتسامة ثقة "وإذا أخبرتك أنها تكن لك عاطفة!" نظر إليها يرجو الأمل في كلماتها ليسألها ملهوفاً ومازال اليأس يُحطمه "هل اعترفت بشيء؟ أرجوك تكلمي"

"لم تعترف ولن تعترف لأحد يا داود ولكن من واقع خبرة امرأة بامرأة سلمى تُكافح عاطفتك دون أن تعي على نفسها" انكمش وجهه برجاءٍ حار واستجدها قائلاً "بالله لا تلعبني بالكلمات، لن أتحمل رفضها" تبسّمت والشفقة تشملها لتهمز رأسها قائلة "يا بُني وهل لوما كنتُ على يقين أقدر على فعلها" طالعها باستفسار لتُكمل "ها أنا أسلمها لك صحيح غصباً وسنواجة بالرفض لكن سوف تسنح لك الفرصة لتطيب جرحها" تطلعت لشروده ولمعة التحدي التي أنارت عينه لتهتف وكفها يُشجع عضده "همتك يا متر قتلك قضيتك إما البراءة أو النفي خارج جنتها"

\* \* \* \*



لطمت قطعة وجهها وهي تُشاهد ذلك الفيديو المُنتشر فهتّت بطلبها وما أن جاءها الرد هتفت "أين أنت، لن ترتاحي قبل أن تفضحينا" صاحت عبر الأثير بشماتة "فضيحة؟ الفضائح تصنعها الزانية" تهتت قطعة والخوف يعربد أمامها لتهتف بمهادنة "كفا شراً يا نُهي، كُفّي عن الاستقزاز ما بقي لتلك المسكينة شيء تخافه ولو ظهر حمو" قاطعتها وقد ضاقت بها "حمو، حمو انقطع حمو وانقطعت سيرته، ولا تقلقي لو ظهر سوف أمُّه من الدنيا" ضربت المعلمة قطعة فخذها بقبضتها واحتارت في أمرها من أين جاءت بذلك الجبروت؟ مُنذ وفاة والدها باتت تخشاها وتخاف غدرها فمن قتلت والدها بدم بارد لن ترتدع عن فعلها ألف مرة، هتفت قطعة وخبرتها بالحياة تقرأ الطالع "حسناً افعلي ما بدا لك لكني من اليوم بعيدة عنك، حتى لو تطلب الأمر اعتداري لسلمي!" صرخت والجنون يحتويها "تعذري لمن يا عسل؟ وهل ما فعلناه يُمحي بجرة قلم، أهدأي يا قطعة فما بقي من سلمى مُجرد نفس، أنا نُهي السباك قتلتها حيه" همهمت قطعة بصدرٍ مقبوض "رحمك الله يا سباك وأراحك من سُم ابنتك" انتفضت وعابد يقف أمامها لا تعلم متي دخل وماذا سمع، تبادلت معه النظرات والصمت بينهم كالكلمات الموجعة لترفع لي النرجيلة لفمها وتهمس مُشيرة له "اجلس ما بقي في السر ما يُخفي" جلس يسألها "ماذا فعلتي أنت وهي يا قطعة؟، أشعر مُنذ تلك الليلة السوداء بأن هناك كارثة أنتِ بطلتها" ملئت صدرها بالدُخان وهمست غير قادرة على المواجهة "نُهي من دبرت وأنا ساعدتها" لم تلقَ منه رد ولم تلمح به اختلاجة لتتظر لوجهه بصمت وتبدأ بقص الحكاية من البداية للنهاية، انتهت وانتهى جوارِها لينهض كما الجُنة الخاوية من الحياة والموت، وبشفتة والغرفة المشؤمة تابع أخبارها وما فعله الغدر بها ليقر ويعترف برجولته المعدومة، هو دُمية مطموسة الهوية، صنعتها قطعة وتلاعبت بها نُهي، شَهق بقوة وهو يرى فضيحتها الأخيرة ليرتمي بركن الغرفة يبكي مذلول وهمس بُكائه "ليتكَ هنا يا أبي"

\* \* \* \*

ركض وقلبه مُلتاعٌ عليها ليلمح سيارة أدهم خارجاً، ضرب بوق سيارته وأخرج رأسه يهتف عليهم "احضروا حسناء وحمّو فوراً على بيت سلمي" تحركت السيارات وخلفهم ذهب ليهتف عبر الهاتف "عامر أين أنت؟" رد عامر باكياً "أدركني عمي داود هي لم تعرف بعد" صرخ قائلاً "الرجال لا تبكي يا عامر اسمعني جيداً ولكن أقطع النت عن البيت وعن هاتفها وقابلني عند أول المدينة السكنية" اغلق ليدق على شهاب هاتفاً "شهاب سلمي لم تعلم بالأمر أحضر حسناء وحمّو فوراً لمنزلها" صاح شهاب بغير فهم "ماذا تنوي داود"

"ليس وقتُ الشرح فقط دع الجميع يجتمعُ ببيتها لا أريد أن تتركوها ترى ما نُشر" اغلق الهاتف وعامر يدق عليه ليجيبه "أين أنت" "عند البوابة"

"حسناً رأيته" توقف أمامه قائلاً "أسرع بُني" تحرك مُسرِعاً وكفه تفتح صندوق السيارة الأمامي ليهتف وعينه تتابع الطريق بحذر "فَشَّش عن الفلاشة التي كانت معك" أخرجها عامر ليشرح له داود ما سيفعله، دقيقتان مرّا حتى توقف أمام بيتها وهو يهمسُ إليه "هل فهمت؟" تركه عامر وتوجه الي بيته قائلاً "لا تقلق" وعلى باب بيتها شاهدها ترُص كماً من الأكياس بسيارتها ليتوجه إليها يهتف "الي أين؟" انتبهت لصوته وقد عرفته لترمقه بغل قائلة "ليس من شأنك؟"

"ما تلك الحقايب سلمي؟"

"لا يعينيك الأمر داود" مد كفه يفتح واحداً ليرفع عينه إليها ويسأل "لمن كل هذا الطعام؟" أغلقت بابها وتوجهت إليه تسحب الكيس من بين يده قائلة "أذهب داود، لا أريدُ رؤية وجهك" تذكر نصائح ذهب لتخطر على باله فكرة، ماذا لو تصنع البؤس وطلب منها إحدى تلك الوجبات؟ همس لنفسه "إذا وافقت معناها تُحبك وإذا رفضت!" هتف إليها والماردُ يُعربد داخله وقد راقته له لعبة النرد "سلمي! أنا جوعان، أتضور جوعاً، لي يومان لم يُطعمني أحد" هتفت وسبابتها تُشير صوب بيته "وماذا تفعل تلك الخائنة؟ تأكل طعامي وتخون عِشرتي وأنت تُحابي عليها" تقدمته موجهة سبابتها بوجهه وصاحت "أنا

السافلة وهي المحظية، هيا أذهب لها نُطعمك" اخفض رأسه يدعي البؤس فبدا كطفل أبلغوه باليتم وهمس "جوعان" ظفرت بقوة تفتح باب السيارة الخلفي قائلة "دجاج أم لحم؟" رقص مارده فمال يستند بكتفه لسيارتها يهمس وعينه تأسر عينها "على ذوقك" مالت بجسدها داخل السيارة تسحب كيساً من آخرها لتخرج إليه قائلة "تفضل بالسّم الهاري" التقط الكيس بلهفة يسأل مُجدداً "إلى أين؟" ارتادت سيارتها وهتفت بعصبية "ليس لك شأن" تحركت بالسيارة وقد صعد جوارها يفتح كيس الطعام ملهوفاً لتذوق ما صنعت ويسأل "غداً حفلة السيدة ذهب، متى ستذهب؟" تطلع للطعام الشهوي والمارد بداخله يرقص فقد مالت تُحضر وجبة الدجاج التي يُحبها، أبتسم يلوك الطعام بنهم، وبطرف عينها رمقته لا تعلم ما سرّ الحالة التي شملتها رغم حنقها عليه وكُرهِها له ولموقفه لكن يكفي أنه مازال يأكل طعامها، سحبتها تلك الحالة التي لا تعلم كُنْتها لتسأل داخلها "ماذا لو كانت هي زوجته" فاقت والسيارة تجنح عن مسارها وهي تؤنب نفسها بشدة لتتنبّه لإعادة سؤاله "متي ستذهب للحفل؟" فأجابت بعصبية "ولما تسأل"

"نذهب سوياً" التفت له ترمقه بغضب "والله؟ أذهب مع الخائنة زوجها؟!"

"لم نعد"

"لم أفهم"

"طلقتها" صرخت وقدمها تدعس مكابح السيارة بقوة "ماذا فعلت؟" ترجل من السيارة تحت أنظارها الغير مُصدقة ليأخذ بعض أكياس الطعام يوزعها على بعض الفقراء ليعود إليها قائلاً "هيا تابعي طريقك، أنا معك" تحركت ولسانها عاجز عن التفوه ودون إرياة منها عاودتها الخاطرة لتشرّد في خيال سرمدي جمعهما تحت وطأة تأنيب نفسها ومحاولة الخروج من تلك الحالة السّامة! وبدوره تابع شرودها ليضغط على المذياع عله يُبدد الصمت حولهم ليبدأ مُجدداً لعبته النفسية يهمس داخلياً "الأغنية القادمة موجه منها لي"

مررت بصدري

وحان البكاء فتباً

لدمعي وهذا

اللقاء تركت  
دموعي على  
راحتي وأشعلتُ  
في القلب حفلُ  
عزاء

أُغلقت ملامحه وهو يستقبلُ أول الكلمات وأصابه اليأس للدرجة التي جعلته يُخرس المنياع وهو يهتف مُتهكماً على كاظم مُطربها المُفضل، لتبدأ بفِرط حُبها له دندنة الكلمات،

وبالجانب الآخر فتحت الباب بعد الكثير من الدق هكذا طبعها ما إن زارها أحد ألقته على بابها بصبر عل تأخرها يصيبه بالملل ويرحل! تطلعت لِعامر المُبتسم بسماجة وهتفت بنزق "ماذا تُريد، أول مرة تقوم بزيارتي" تعجب من طريقته العدوانية فقال مُتعلجاً "عفواً سيدة ذرية هناك أمر هام" مد كفه بالفلاشة يُخبرها بسؤالها، وبدورها تعرّفت عليها لتلتقطها من يده تسأله بحذر هل فتحها، أخبرها ومازال الت ملامحه مسترخية أنه حاول لكنها لم تعمل، شكرته سريعاً و وافقت على طلبه لترك لينا تقضي السهرة معهم لتخبره أن لو نعست يدعها تنام عندهم، دخلت بيتها تُفتش عن هاتفها الآخر وقد وضعتها لينا في إحدى حقائبها المُهملة حين افهمها عامر الأمر من السورِ الفاصل بينهم عند المرأب الخلفي!، أشعلت الهاتف وأجرت المُكالمة تُبلغ قاسم نها سوف تستلم المال غداً أو تُذيع الفيديو وتصنع له فضيحةً مُدوية،

وبمنزل سلمى جلست ذهب برفقة شهاب وأدهم ومعهم رباب وسُها تشرح لهم الخطة وما سوف تفعل لتهتف سُها مُعترضة "وأبنائها؟ هل فكرتم بردة فعلهم؟" طالعها شهاب بمحبة وأردف "داود سيتكفل بأمرهم" أعادت السؤال مُجدداً "وابنته وتلك الخائنة زوجته؟" أجابها مؤكداً "داود طلقها منذ علم بفعاليتها" نظرت ذهب في ساعة معصمها وسألت "أين حسناء؟ تأخرت" مر الوقت وقد أنهت توزيع الطعام بأكمله وهو يجاورها لتسأل غير مُتعمدة "لِما بعضُ الناس مُتحفظين معي؟ حتى أن هناك لم يقبلوا الطعام مني!" هتف دون

الاهتمام "هلاً ذهبنا، أحتاج دخول الحمام بشدة" هزت رأسها موافقة ليلمح شرودها فما كان منه سوى الهاتف قائلاً "أو ممكن فعلها في أي زاوية هنا" صاحبت بأنف ترمقه بدهشة "هنا! بالطريق العام؟" ثانية تبادلته بها أنظارهم والذكرى تُعاودهم والضحك بين قلوبهما سيجال لتهتف وقد زارتها تفاصيل الذكرى كاملة "عسا ألا ينتهي الموقف بدراما مُخزية"

"لا ذكرى مخزية معكِ سلمى، ذكرياتك حُلوة المذاق ولها نكهتها الخاصة" أحجمت عن الرد لخزيها مما قامت به سابقاً، اليوم لدغت من الجميع وأخرهم زوجته وبدوره لم يهتم، فقط طلقها من أجل كرامته، لذلك قررت بيع البيت وما تملك في تلك البلد واخذ أبنائها والهجرة إلى أبعد مدى عليها تلوذ بالفرار من ويلات الخذلان والألم، صفت السيارة بالخارج لتلمح سيارة ذهب وكذلك أدهم وأخرى غريبة لتهتف قلقة "خيراً! سترك يا رب"

\* \* \* \*

ضربت الباب خلفها بعنف، تحجل على قدمها حتى جلست بالصالة تهتف عليه والألم يُبرح كاحلها ليخرج إليها بوجه مُشرق وكأنه لم يبكي وينتحب يسألها "كُل هذا الوقت؟ هل استلمت السيارة؟" رفعت عينها تُناظره بقرف لتهتف بكُره "أهذا ما يهْمُك؟ السيارة؟ ألا ترى جُرح قدمي؟"

"كيف جُرحتي؟ هل أخذت باقي الأموال من قاسم؟" صاحبت بوجهه "ماذا؟! لما أصبحت مسعوراً هكذا؟" رمقها بعين زُجاجية خاوية من المشاعر حتى صاحبت من جديد "اجل السيارة تحت بالحارة والأموال معي وأضيف لهم أن قاسم سيجدد الشقة الجديدة بالحي السكني خاصته دون أن نتكفل شيء" لمعت عينها بخبث وراقصت حاجبيها وقالت "سوف نسكن بنفس الحي كي أسود عيشتها بنت المصري"

□ "إلى هنا وكفى نهى لا مزيد من تلك الحرب" توسعت عينها ترمقه بغل وهتفت بجبروتها الكاره "الموت وحده من يردعني عنها، إما موتي أو موتها" تبسم بغضب ومال يجلس القُرفصاء أمامها هامساً بفحيح اسود "سأفصحُ كل شيء إذن! حمّو واتفاقك معه، تحليل النسب المزور وصولاً لفيديو اليوم يا نهى" مالت إليه تهمسُ هي الأخرى بكل الغضب "أما زلت تُحبها؟ أم أن ذلك

الفيديو أجم بك شيء لا تشبع منه عابد؟" احتدت عيناه ليميل لأذنها بهمساً ساخن "أعشق حروف أسمها نهي، والفيديو أجم غيرتي عليها" دفعته بقوة تهتف بتحدي "سأقتلها حتى تغار عليها من جهنم" تبسم مستقيماً بالوقوف وهتف باستفزاز يُثَقِّنُه "ماذا؟ أتغارين علي؟" بادلته الاستفزاز بالابتسام البارد وقالت "بل أغار منها! أحترق من ذكر أسمها" أعتدل يُناظرها بخُبث وهتف "إذن ركزي في العلو والسمو هي بالأخير فُضحت وانتهى أمرها لذا دعينا نركز في حياتنا وعلماً" مدت كفها إليه قائلة "ساعدني لدخول عُرفتي ودعنا نبدأ في مُجاورة الأكاير" التقط يدها وقد سعد بإقناعها لتعطيه كُفها وتهمس لنفسها "دورك انتهى يا بن قطة ولا بد من التخلص منك!"

\* \* \* \*

وجدت عامر وعُمر يجلسان مع لينا الباكية، كانت تشكي هجر والدها المُختفي، الصغيرة صدقت ذرية حين أخبرتها أنه تركها بلا رجعة، لمحتة عينها كما لمحها لتهمس سلمى والشفقة تتملكها "أذهب لها الصغيرة لا تنفك عن البكاء داود" توجه صوبها ليجد كُفها أمسك بكتفه تهمس مجدداً "إياك أن تأخذها بذنب أمها" رمقها بحب جارف ووضع كفه على كفها يضغطة لتنتبه لفعلتها وترمقه محذرة، تقدم للصغيرة الباكية ليقف أمامها مُعتذراً "افتقدتك حبيبتي" حملها لأحضانها يتأسف لها وهمس يسألها عن حالها لتهتف والدموع لا تنفك تنتهي "لا تتركني مع ماما ثانياً" انزلقت من بين أحضانها ورفعت كُم بلوزتها فتكشف حرق كتفها لتهتف باكية "ضربتني، حرقت ذراعي بالملعة" هاله حرق ذراعها بعدما خلعت عنها الضماد الملوث ليحتضنها دامعاً متأسفاً وهو يعتذر "سامحيني، سامحيني يا بابا لن تذهبي عندها مرة أخرى" انخرطت الصغيرة بالبكاء وشهقاتها تعلو وتعلو ليهتف عامر بتأثر "كفى لولو تعالي أغير لك جرحك" رمقه داود سائلاً بغيرة "أنت من اهتممت بها؟" سحب عامر كفها وكفه الآخر يُرتب شعرها ليهتف وابتسامته لها "بلي، تفاجأت بما حدث بالأمس" سحبها داود من كفها الثاني ورمقه بحذر قائلاً "أحضر عُلبة الإسعافات، سوف أغير لها" سحبها عامر وأرتفع حاجبه بعناد وكأنه نسخة من سلمى ليهتف "أتركها لي ولا تخاف" سحبها داود قائلاً "وأسلم القط مفتاح الكرار" تفاجأ بكف لينا يُسحب من كفه وهي تهتف له "دع عامر يفعلها هو لا

يؤلمني" سحبها عامر للداخل لينتبه الآخر لضحكات سلمى وصوت عُمر الذي  
 صدح وهو يرقص أمامه "عيب يا ولد أبأها هُنا" راقص الصغير حاجبيه  
 وجسدهُ أمام داود وهو يُدنين  
 "بنت الجيران شغلاني أنا عنيا وأنا في المكان في خلق حواليا مش عايز  
 حد ياخذ باله من الأنا فيه"  
 تركهم وهروا للداخل ليسألها داود وسبابته تُشير عليهم "هل أبئك يُغيظني"  
 توجهت للداخل تضحك وتُلقي السلام، بُهت وجهها تُشاهد جلستهُ المُقابلة لها  
 لتتهف بلهفة "محمود؟! حمو؟!"

\* \* \* \*

"محمود؟! حمّو؟! " نطقتها بغير تصديق والماضي يتشخص أمامها كالوحش شاهراً بيده شرفها! إما يُلقيه بالجحيم أو يردّه لها بورد الجنة! نهض حمّو إليها وبعينيه الأسف يهتف " مرحباً سيّدة سلمى، كيف حالُكِ يا غالية" لم يلقى رد سوى نظراتها المُتجهمة وهي تتقدم إليه تهتف والذكرى تُعاد أمامها " كيف فعلتها؟، أبعد الجميل يكون هذا ردك؟" شهقت وغصة البكاء تخنقها وتابعت "سترئُك وتفضُحني! مددتُ يدي بمروءة وأنت عقرتُها! لِمَا يا محمود؟ ما السبب؟" رفع كفيه باستسلام قائلاً "أسمعيني فقط وبعدها قرّري" أشار على الجميع وتابع كلماته المُرتعشة "أقسمُ أمام الجميع مستعد أن أذهب للقسم وأدلي بما حدث أو بما تُريدين، فقط أهدأي وأسمعي" هزت رأسها رافضة والبكاء ينحرفها لتهمس وسُها تضمها "وماذا يُفقد بعد أن أصبحت في نظر الجميع باغية" دفعت سُها عنها وتقدمته تصرخ "هل تعلم أنني سُجنت بسببك؟ تشرّد أبنائي وكادوا يسجنوا مثلي؟ واليوم تقول أسمعني!" تقدم إليها داود يُشير لحمو بالجلوس ليجلسها جوار دهب ويسأل "أين كُنت طوال الثلاث سنوات الماضية؟" تطلع إليها وقد هالهُ ما سمع ليهتف والذنب يقتله "فعلتُ كما أشارت علي" اعتدل بجلسته يضم كفيه إلى رُكبتيه "عُودت إلى أمي أكسبُ ودّها" انتبهت مُتذكرة ليسأل داود مُستفسراً "والدتك؟ ألسنت من أهل الحارة؟"

"يا باشا والدي من الحارة طلق والدتي وكُنت في السادسة من عمري حين أحب أخرى وبحكم العادة تربيتُ مع زوجة أبي ومرت الأيام مجراها وأصبحت رجل ناسياً أمي؟" سألت دهب مُتعجبة "متى خرجت من السجن إذن؟" التفت إليها يهتف باستغراب " لم أسجن بالأساس حتى أخرج يا هانم" صرخت به وعقلها يغلي "كاذب، أنت تكذب يا محمود قطعة قالت أنك سُجنت بسبب بيع المُخدرات" هتف مُتعجباً مما يسمع "أي مُخدرات يا ست سلمى؟ على يدك! كانت صفحة وانطوت وكنت أنتِ السبب، إذا كُنتِ نسيتِ فحمّو لا ينسى" ظفر ومازال عقله بغير هُدى وقال وعينه حائرة بينهم "لا أعرف لما قالت المعلمة قطة أنني سُجنت؟ قطعة أرسلت لي أحد صبيانها ببعض المال وأخبرتني أن كل شيء على ما يُرام"



"أنتظر!" هتف داود بمهنته ليسأل قائلاً "هنا يوجد لبس! قل لي يا حمّو ما سبب إرسال قطة النقود لك؟"

"كي لا اظهر بالحارة وعابد يقتلني" صرخت بيأس "وهل عابد يقدر على قتل نملة! ألا تعرفه؟" اعتدل بالمقابل لها يهتف بغضب "يا ست سلمى وهل كانت فعلتي وفعلتها هينة؟ ثم لما تحملت الذنب عنها؟ لوما فعلتي ما حدث ما حدث" صاح داود تلك المرة وقد نهض واقفاً "حمّو؟ كفى خُبثاً ولؤم! أنا رجل لا املك صبراً، تكلم؟ كُن مباشراً" شاع الهرج وكلاً منهم يتفوه بشيء حتى صاح أدهم بالجميع مُنبهاً "أهدأوا!" وبحنكة وكيل النيابة نظر إلى حمّو بثبات يسأله "أسمع يا حمّو يبدو أننا في اتجاه وأنت في آخر! لذا أخبرنا ما حدث بتلك الليلة دون الكذب" وافقه الرأي ليعتدل بجلسته متأهباً وعقله يسترجع ذلك اليوم بأكمليه. دقت نُهى الباب ليفتح مُبتسماً مُنذ فترة وهي تحوم حوله تُذكره بأيام الشقاوة، ظل يُحبها عاماً كاملاً حتى كثرت مطالبها ومشاكلها فصرف النظر عنها لطمعها وطبعها الغادر وقد تلمسه بحكم نشأته بين الأزقة والأرصفة، هكذا حال أبناء الشوارع سواء معدوم العائلة أو من ترعرع بكنف بيته والشارع معاً، عندها قرر العمل بنصيحة سلمى فهي كانت الداعم له حين تورط وانزلقت أقدامه لطريق الإدمان القاتل مما دفعه لقطع طريقها ذات ليلة يُشهر بوجهها مطواة ويُطالها بعقار مُخدر قاتل بحكم مهنتها وبدورها احتوت حالته ولا يعلم كيف أقنعتة بالعلاج بل أدخلته بواسطة منها مركزاً تابعاً للدولة لعلاج الإدمان وأشرفت على حالته بنفسها حتى برأ على يدها، ليخرج بعدها رجلاً عِوضاً عن بلطجي الحارة، كانت لا تنفك عن زيارته والحديث الإيجابي معه حتى أنها اكتشفت جمال صوته فشجعتة على ذلك للدرجة التي جعلتها تتوسط له عند أحد المُلحنين القدامى حين كان مريضاً بمشفى تعملُ به، ليخرج من تلك المصححة رجل آخر بفضلها بعد فضل الله عليه مُقرراً ترك الحارة بأكملها والبحث عن والدته، لتبدأ زيارات نُهى التي جاءت بتلك الليلة تودعه مُتمنية له الاستقرار والشهرة كما أحضرت الطعام ليأكلها ويضحك ويتذكرا بعض الذكريات الطفولية ليتطور الأمر بينهم بدافع منها وبدوره لم يجد مانع ليحدث بينهم ما أصابه فيما بعد بالخزي من نفسه ومذلة الشيطان له! مر الأمر تحت استغرابه، فليست نُهى من تملك اللطف والمحبة ولا هي من تتناول ذكريات الطفولة

والأخوة، ولا حتى تُسلم نفسها دون مُقابل! نُهى لا تملك بين ثنايا قلبها سوى مُضغّة سوداء عَطِبة وطعمُها أشدّ مرارة من الحنظل! وبدوره لم يُصدقها حتى سألها مباشرة الي ما تُخطط؟، وهُنا نهضت تضحك متوجه للمطبخ تصنع الشاي لتعود بوجهاً مُتغير! دقيقة وشملهُ بعضُ الصداق وشيء من الدوار وبخبرته علمَ أنها وضعت بكوبه أقراصُ الهلوسات! ولكن ولسوء حظها انه صار لا يتأثر بتلك الأشياء عدا إذا تضاعفت الكمية لأكثر من ثلاث أضعاف، فقط شعور بالدوار كشاربُ الخمر لأول كأس بالحياة! هكذا تبغيات الإدمان! وتزامناً مع الشاي بدأت بذكر سلمى لينقسم عقله شطرين جانباً واعي مشوش وآخر يملكهُ الخُز عبلات! لكنه أنتبه لمسبتها لسلمى وذلك ما جعل عقله يأبى الانفلات لتزيد على النار الحطب وتتهمهُ بحبها حد الوله! نهض غاضباً يسبها ويسحبها من شعرها ويُبرح جسدها ضرباً حتى تمكنت من دفعه خارج الشقة ليهوى بكُل ثقله على درابزين السلم، اعتدل بشق الأنفُس والدوار يشمله والتف يسحبها من عباتها السوداء حتى انشقت عنها، صرخت بكُل صوتها ليجد عابد أمامه يسبه ويسبها صارخ وقد سحبها من البيت لساحة الحارة، انتبه لما حدث وهرول خلف عابد مذعور يلعن الدوار الذي جعله عاجز عن التفرقة بين نُهى وسلمى!

وبصدر السلم سدت المعلمة قطة الباب ترجوه الهرب درءً للشر وحتى لا يقتله عابد، فكيف يمد يده على زوجته كما أن رجال الحارة بالخارج للفتك به فلا داعي لتأجيل غضبهم، رفض غير مُقتنع بحُجتها لتُقسم قطة أنها ستشرح الأمر لابنها لكن بعدما يهدأ وتهدأ الحارة بعدما روّعته، كيف لأحد أن يمس سلمى أو يُهينها؟ أعتذر لها وقد أذعن لحُجتها وتوسلها ليأخذ منها عهداً وقسماً بإبلاغ الست سلمى بالتباس الأمر عليه وعدم قصده لضربها فهو لم يعي من البداية من هي، عاد إلى شقته واجداً نُهى تدعي الفرع وتتجملُ للحاق بصديقتها ليوصيها بالوقوف حدها، سحب حقيته مُغادراً تحت تعجل نُهى له ليهرع لسطح المنزل هارباً فيكفي المزيد من المشاكل لها بالأخير سلمى لا تستحق أن تُهان تحت أي سبب، رحلَ حمّو والغضب من الخطيئة قد أعمى عينه، كيف اهتز ووقع في شباكها واستدرجته بحقدِها وسوادِ قلبها ليقع بجهنم، خرج من الحارة هارباً ظناً أنه تعدى بالضرب عليها لكنه توقف قاصد الرجوع و

المواجهة ليعدل عن مسعاه سماعه صوت نهى الرفيع تصرّخ بالحارة "كفى، كفى توقفوا" لو يعلم ما حاكنه نهى وقطة ما كان ترك الحي سوى وهو كومة من نار مُندلعة وما كان أرسل إلى قطة صديقه يتفقد الموقف بعد مرور عام كامل ليعود إليه بكومة من المال ومعها توسلاً جديداً منها بأن يلتزم البُعاد لأن عابد يُفتش عنه وأنه مُتهم بقتل شاباً بعدما أقر الجميع بأنه باع له السموم البيضاء، لذا أكتفى بتلك الحِقة غالق أبوابها ونوافذها بالأقفال مُلقّي مفاتيحها لأبعد بُقعة بالكوكب لنمر السنوات وهو يُراعي والدته ويجد في تعلّم الموسيقى حتى تفاجأ منذ شهر بما يُشاع عنها حتى ذكر أسمه ليقرر زيارة الحارة ليلاً ليتأكد من الأخبار، ليقرر اللجوء إلى المحامي الذي ظهر معها بعدما عرف هويته وأسمه من الشيخ حازم الأفاق الذي ما تفوه إلا حين علم بعودة حمّو للانتقام من الكلبة نهى ومعها قطة العجوز الشمطاء، لذا لجأ لحسناء بحكم معرفة سابقة جمعتهم بورشة فنية منذ عام وبالا العجب أن تكون حسناء بقلب الأحداث مُرشدة!

انتهى من القص تحت سكون الجميع، ووجههم علاها التجهم وقلّة الحيلة وهي تنتحب بالبكاء المرير تُفطن للحيلة الخبيثة التي دُبرت بسوء نواياهم المظلمة، همست وجسداً يرتعش "لست باغية! ليت الحارة الظالمة تعلم!" شدّت ذهب من ضمها تُحاول تهدئتها لتتظر رباب بعتاب شديد لسُها التي قتلها البُكاء، ما كان يخطر بباليها أن الأمر هكذا ولكنها مُتأكدة من مُشاركتها الغير مُباشرة لقطة ونهى مما جعلها تتقدم إليها وتجلس القُرفصاء أمامها تترجي المغفرة "أنا السبب! لوما أقنعتك بالذهاب ما حدث ما حدث أختي" "أه يا سُها! ليتك ما حركتي شفقتي؟ ليتني تمسكت بمبدأي! ليت الله أخذني كي ارتاح من تلك الحياة" وفوق درجات السُلّم بكى عامر كما لم يبكي من قبل وهو يعي اللعبة التي حيكت بكُره وأي كُره يدفع المرء للاستئثار بالخُبث؟ العجز لجم أنفاس الجميع عن القول، رباب تهمس بالسباب والشتم وأدهم سيُجن لم يُقابل بمهنته وضاعة كتلك، شهاب؟ شهاب الذي تأكد بأن سُها كانت متورطة بالأمر بفرط سداجتها وضعف شخصيتها الذي تخطى الضعف بضعف! أما عنه؟ المحامي المُخضرم؟ من لدية القُدرة على فك الشفرات وإيجاد الثغرات لم يستطع فك شفرتها حتى صار هو الجاني والقاضي والجلاد مُتخلياً بكامل

إرادته عن الدفاع عنها أو حتى إيجاد الثغرات بحكم مهنته التي تقتضي الدفاع والنقصي لا الظلم! طبع الحياة غادر! كلما ناولتك الثقة سلبتك الحقيقة دون عناء الفهم، لصة ما إن لمحت النعيم بيدك سرقة بكامل إرادتك! درساً قاسي تعلمه المتر داود الرازي، كل صامت مُستتر غطاءً لنار تأكلك! وكل صااح صارخ أساسه أبكم أصم!

دُرية؟ امتهنت الصمت وزينته بالرضى لتكشف النقاب عن صرخات الغدر، سلمى؟ صرخت بقهر لتكشف النقاب عن أتساخ أنفسنا،

"صفعة الحياة نار يا داود فتحمل اللطم صاغراً" همس لنفسه ونحيبها ونحيبُ ابنها ينحره، ليتولى ضميره العمل فكلما طل بعينها سيقنله جرحها لذا اقسم أمام نحيبها مسؤوليته! صاحت ذهب تُبدد الأجواء المُلبدة بالغضب "كفى بكاء بُنيتي، الحق ظهر ونحن معك حتى تواجهي من ظلمك" دفعتها عن أحضانها براحة تلملم شعرها قائلة "كفى، كيف سوف تذهبين لحفل الغد بتلك الحالة" غمرت للبنات تدعوهم لتغيير الأجواء لتبدأ رباب ذات البسمات بمشاركه شهاب الذي صاح "لم أعرفكم على حسناء، ممثلة الشاشة العربية" هتفت حسناء مُبتسمة ولم يخفى عليها نظرة سُها لها "ومعكم أيضاً المُطرب الصاعد؟" صمتت تسأله "صحيح هل انتقيت أسم عوضاً عن حمو؟" هز رأسه بلا صامته وهتف بخفة دمه "ما زلتُ حائر بين محمود زغلول وحمو العو" ضحك الجميع وحسناء تهتف "زغلول، وعاو؟ أنت مُطرب أم قاتل محترف" صاح وعينه على سلمى الباكية "ست الكل من تنتقي الاسم إذن، أثق بذوقها" هزت كتفها بجهل لتبدأ بالتجاوب رُغم دموعها المنهمرة لتهمس بكل ما تحمل من سخط "داود الرازي" قهقه الجميع بصخب على وجه داود المصدوم والذي بدوره أجابها وحاجبيه يرتفعان دون إرادته "داود الرازي؟ ها! الرازي إذن" اغتصبت ابتسامة من أنياب الغم على لزمته بالكلام، دوماً ما تُحرك بها ساكن حتى أنها أحيانا تستنقره لسماعها فما أن نطق "ها" بتحدي وغضب صار اوسم من نجوم السينما! انتبهت لشرودها ترمقه وقبل أن تلاحظ وجيب قلبها لمحت لينا التي نزلت وخلفها عُمر يصرخ "أرجوك تمهلي" سبقته بسرعة تهتف بصدمة وببدها لوحها الإلكتروني تصيح غير واعية "طنط سلمى متى كنت ترفُصين لأبي؟ انظري كيف يُصفق لك!"

\* \* \* \*

تفقد بربية دعوة الحفل المُرسلة من الثعلبية ذهب وغصباً اضطر لقبولها مُقرر الحضور فتلك فرصة ستُعزز موقفه خصوصاً وبعضُ الأخبار وصلتُهُ بأن هناك من يتقصى عنه حتى أنه أوقف سفريات النساء حاملي الذهب كما أوقف وشريكه بيع وشراء العُمَلات مؤقتاً، سيُجمد النشاط شهراً أو شهرين حتى يدعم علاقته مُجدداً بذهب التي بدورها أثبتت أنها لم تشك به مُطلقاً، فقط بقيت ثغرة واحدة وهي كيف يُثبت لداود انه ليس بقاتله؟ مازال يساوره الشك بأن هناك ما يربط داود بسلامى وتسويف أدهم وشهاب واحتوائهم له بذلك اليوم! وتلك المرأة التي تُهدده! لابد أن يجدها فما تملكه هو الدليل الوحيد عليه ودونه يشرب داود من أكبر بحر يُقابله، النقط هاتفه يُراسلها كاتب "النقود جاهزة غداً التسليم في حفلة ذهب الاخشيدي، أبحثي عن طريقة لحضور الحفل" يستلم منها ويُسلمها المال ويُطلق خلفها رجاله ليتخلصوا منها وبذات الوقت يكون ظاهراً أمامهم مما يُنفي التهمة عنه! تبسم والخُطة تستحسن إعجابه ورفع هاتفه ينظر للفيديو المزيف للمرة الألف، تنهد بحرارة يتخيلها تتمايل له وتندلل عليه ليقسم لآب وأن تُصبح ملكه! نهض لفراشه مع بطلة أحلامه يهمس مفتوناً "سُحقاً للذكاء الاصطناعي وما يصنعه"

\* \* \* \*

حرقَت المعلمة قطعة الأجواء كما تحرق حجر النرجيلة لتبدأ بالرد على المُتابعين بعد اشتعال الميديا فور إذاعة الفيديو الفاضح، الكل يسأل كيف كانت تُعاشر تلك الباغية؟ وكيف كان شعورها حين علمت بخيانتها؟ أسئلة سطحية تافهة لكنها تُصيب كبد الحقيقة وبخبرتها تعلم جيداً أن الأمر بات مرهوناً على كلمة منها مُجرد الخطأ كُشف المسئور وما خُبي، وأهل الحارة باتوا في جدال مُستميت منذ تدخل الشباب الواعي بتنفيذ الأمر وطرح الأسئلة دون جوابٍ لها، وبخبرتها علمت بأن النهاية آتية، ظهور حمو المُفاجئ ليس سوى قيام الساعة لها ولابنها وقبلهم نُهى! ظفرت حنقها مع دخان النرجيلة وهتفت وقرارها سحب نفسها من وحل نُهى ليس خوفاً ولكن حفاظاً على ما وصلت له عبر الميديا، لن تُفرط في المدح ولن تسمح بإطاحة عرشها، هتفت عبر الشاشة تدفع

الدخان من أنفها "أحباب قطة القبرُ ليس ببعيد وأنا سامحتُ سلمى مُنذ زمن أما عن ذلك الفيديو فلا أعرف عنه شيء فقط سألتُ نفسي سؤال!" سَحَبَتِ نفس ثم ظفرت دخانهُ باضطراب وداخلها يعلمُ أن كلماتها القادمة ستُغيّرُ أراء الناس وتُقلب عليها نُهي لكن إذا كانت هي حية ترقُص في كُل اتجاهٍ فالمعلمة قطة رفاعية الهوى "جاوبوا عن السؤال! من قام بتصوير ذلك المقطع؟ وما مصلحتهُ؟" أحتاج المتابعين وتوالت التعليقات منهم مُؤيد ومنهم مُعارض وبينهم الألاف غيّبت عقولهم لتتَهَف بصوتها الجهوري الصارم "من منكم يقدر على صنْع فيديو لي وأنا أنحر خاروف في لندن" غامت الرؤية إثر الدخان لتعود الصورة وهي تهتف "هيا مُسابقة وأكثر فيديو ينال رضا قطة سيكون صاحبة ضيفُ الشرف غداً في افتتاح مطعمي" تبسّمت تُشير إليهم بالسلام لتُغلق البث تهتف من بين أسنانها "كان يومٌ أسود يوم وأفقتك يا بنت السباك"

شردت والخوف يرتع داخلها والقلق لم يترك لها مجال لتعترف كعادتِها السرية أن الحقودة نُهي القت بهم داخل قفص السباع لو علمت بذلك الفيديو لمنعتها ولو بالقوة لكنها أعفتها من أي أنفاق، أي ساذج سيهرب ركضاً ما إن صار الرمادُ نار والنار صارت لهجة مُستعرة تطوق لأول كبش فداء لذا ستعزل نُهي وأفعالها وتتفرغ لمُحبيها وحساباتها عازمة على الوقوف في منطقة الأمان حيث لا نُهي ولا سلمى ولا حتى عابد ولدها فهو الآخر بلاء، انتبهت لدخولها تعرُج وتصرخ كعادتِها "ماذا فعلتي؟ هل من عقلك تكلمت؟" رمقتها بمهانة وقرف وصاحت بغدر القطط "أخرسي يا بنت السباك" صرخت بوجهها بجنون "توقفي عن نعتي بذلك اللقب! مات السباك وماتت سيرته" أرتعد جسدها من فرط الغضب لتتقدم إليها تُكمل صراخها "هل جُننتِ يا امرأة أم أصابك الخرف حتى قولتي ما قولتي" ودون مقدمات وحذر رفعت قطة النرجيلة لتقذفها بها وبصوتها الجهوري صاحت "تباً لك" تقدمت إليها تحت أنظارها المصدومة لتأخذ بملابسها وتهتف بفحيح متوحش "انسيت من أنا؟ أنا المعلمة قطة! أدبحك بغير تسمية" دفعتها لتقع خلفها، أشارت من علو وسبابتها باتجاه النرجيلة المُحطمة "هيا" رمقتها بعين لبؤة غاضبة ترأر "نظفي الأرض، وحذارِ أجدُ شيء مُحترق" هزت رأسها بطاعة كما الكلب لتبدأ بالتقاط شظايا الزجاج المُتناثرة تحمد الله أن ماء النرجيلة أطفأ الفحم وهي

ترتعد من الهيئة المُرعبة التي تُشاهدها لأول مرة، انتهت مما طلبت لتتوجه صامئة صوب الباب ليصدح صوت قطة التي أشعلت نارجيلتها الأخرى "إلى أين عرجاء لم ينتهي عملك بعد"

دخلت شقتها والجنون يملكها بعدما انتهت من مسح سُلم البيت بأكمله تحت أمر المعلمة قطة التي جلبت صبيها عضمه يصورها بذلك المشهد! دخلت حمامها تقف تحت مرش المياه بكامل ملابسها الملوثة، والإهانة تقتلها كما قتلت كرامتها لتهمس متوعة "صبراً قطة" ومن داخل غرفة الأشباح خاصته بدأ البث الخاص بعدما تناول تلك السيجارة المُلغمة ليبدأ الهذيان والتطاول على أكابر البلد وصغارها، أنفلت العقل منه بأكمله ليتطرق بسفور ووقاحة وجنون لأمر الدين ويحرض ذلك الشاذ على المعصية ويخلق له الأعذار الواهية ويا لا الأسف حين تفاعل معه جموع الشباب والشابات مدعين لكل كائن حي حُريته فلا يجب أن يُعقب عليها أحد!

\* \* \* \*

مازال عقلها يستوعب كلمات الصغيرة المُتسارعة، دقيقة، الثانية حتى الثالثة وهي أمام المشهد بصمت دون النبس ببنت شفاء، الوقت بمُجمله قصير لكن واقعهُ دهر! الجميع حجب عنها المُشاهدة بأمره المُباشر حتى أنه التقط هاتفا في سهوة يضعه بجيب معطفه، رَفعت عينها تتفقد كلاً منهم على جدى وابتسامة غريبة رُسِمت على وجهها لتهمس بذات الضحكة المجنونة "رقاصة" لمحت عينها عُمر لتهتف وكان لم يمسسها ألم "ماذا؟ أجوعان حبيبي؟ هل أصنع لك رُقاق بالحليب والسكر؟" همس داود بقلبٍ مفطور "سلمي!" زأغت نظراتها ليهب عامر إليها وهي تهتف بخوف شملها "جائع؟" التفت إليها وقد شعر بارتعاش جسدها ليهتف مُنبهاً "سلمي هذا كذب" أخفت اللوح خلف ظهرها تهذي "بلا! لا سجن مُجدداً، لا لا تخافوا" همست لذهب التي تُجاورها وأنفاسها تلهج "خبريهم؟ تكلمي!، لن أتحمل السجن مرة أخرى، سيضربونني وأهان مُجدداً" رمقته بهلع وتمسكت بكتفه راجية "أتوسل إليك لا تقولها أرجوك لست سافلة، لن تزورني بالسجن لا تخف" تطلعت بالجميع على مهل تقضم أظافرها وتهمس "لا تخافي، لن تستضعفك إحداهن! تحملي هو مُجرد جُرح بالرأس" أغمضت بقوة تكبح الدمع العصي وكفها يتحسس جُرح رأسها بألم، تطلعت

بعين عامر خائفة لتنتقل نحو عُمر فضحكت كمن مسها جن قائلة "أتعلموا؟ أمكم قاتلت وحوش ضارية" رفعت إبهامها تأكل ظافره وتنبههم قائلة "قلت لا تخافوا، لما تكون لا أفهم؟" همس عامر بحُرقة "ماما، أُمي لا تفعلني هكذا" تبعه عُمر وقد جلس الاثنان أمامها أَرْضاً "سولي؟ سلمتي لم يحدث شيء فقط تماسكي" هزّت رأسها رافضة ودفعت كفوفهم من فوق فخذبيها تهمس بهستيريا "لا، لا، ابتعدوا، أبتعد عُمر، أبتعد عامر لكن عاهدني أن تُحافظ على أخيك ما دُمت حياً" سحبت نفساً حُشر بصدرها والتفت تهتف على داود وقد بلغ غضبه مبلغ جهنم "يا متر! أرجوك! أوصيك بهم، وفر كل سبل الحياة لهم عَلمهم ينجوا من تلك الأم الملوثة" همت تكمل هذيانها ليهمس إليها مُتغاضي عن فرحته بالثقة التي ألصقتها به "سلمي؟ أهدأي؟ جميعنا نعلم الكذب من الصدق" قاطعته بهدوء وتّر الجميع "أنتم لا تعلمون شيء" مسحت وجهها وأكملت "الصدق مكمّنه قسوة السجن، كتمانُ النسيم بالصدر، الصدق معنى للظلم والغدر وخيبة الأمل، أما الكذب فهو الصدق المحجوب في نفوس البشر! فأنتم لا تعلمون شيء!" نهضت لينهض الولدان يتمسكان بها كما غريق يخشى الموت لتتهتف وهي تُبعد أيديهم عنها برفق "لا تلمساني" تطلعت إليهم وكأنها تُشاهدهم لأول مرة ومالت تُنبههم "لو بيدي لقتلت نفسي كي لا ألوث سُمتكم ابد الدهر" استقامت مُبتعدة تهمس بهدوء مُخيف البُحة "أهربوا من السافلة، ابحثوا عن أم غيرها تُهديكم الأمان والشرف" صاحت بعجز "أقتلوني إذا شئتم لن أغضب أو أعترض" حكّت جُرح شعرها وذكرى السجن تُعاودها وأكملت "أتعلموا؟ لو ذهبتُم لملجأ اليتامى أفضل من المكوث معي، سيعرف الجميع أن السافلة، الزانية، ربيبةُ السجون ماتت وأراحتكم من قذارة سُمتها" دفعت بكفيها الهواء بوهن وهتفت "هيا، هيا، أهربوا لوزوا بالفرار من جحيم السنة الناس وظلم الدنيا وسُمتي" صاح حمّو وقد دمعت عيناهُ شفقةً بها "ست سلمي، نحن ننقّ بك، لا تهتزي يا غالية" ضحكت مُتهكمة ثم أكملت كسكرانٍ أذهب الشرب عقله "كيف حالك حمّو؟ ها أنتَ ظهرت دون فائدة" صكّت كفيها ببعض تُعلن بأسها وصاحت ضاحكة "أحرقوني حية فحتى السماء ستوقف زخات المطر لحين أحترق" تبسمت لُسها بخجل وهمهمت "سامحيني أختي، لن يُقّ بابك ابن حلالٍ مُطلقاً! العالم لا يسكنه سوى أبناء الحرام، تحرري حبييتي أعلني للناس براءتك



من نسبي" أكملت مخنوقة الصوت "وأنتِ رباب تحزنين لما فعلهُ زوجكِ! لا تهتمي بالأخير لم يجرؤ بمس شرفكِ أو فضحك بل ساعدك وقدرك حق تقدير العشرة" نظرت لمن تقدم إليها وقد حال بينهم بضغُ خطواتٍ قليلة وهمست بوجه شديد الحُمره ملتهب "لا تقولها، ها أنا اعترفُ بها، أنا؟ أنا سلّمي المصري سافلة وبجدارة استحقُ عليها الأوسكار" كبلهُ العجز سوى من سحِبها ببطيء يُسكن جسدها المُرتعد بين ضلوعه ضارباً بتحفِظ الجميع عرضَ الحائط هامساً "أبكي هُنا حبيبتي" ودون الإدراك والوعي سكنت إليه تشهق شهقة الموت تبكي مذلة العُمر مغمغمه "خبّني داود، أنا خائفة" بكى الجميع انهيارها، رباب اختفت بسماتها وسُها لم تستطع التقاطُ أنفاسها حتى حسناء الضيفة بكت وكأنها أختا لها! ذهب بكت تحتوي الصبيان بين أحضانها وهمست "لا تخافوا لدي الحل ولكن لا بد من موافقتكم" دمعت عين شهاب الذي سحب سُها للحديقة علُهما يجدان السلوى معا، حتى أدهم بقوة شكيمته لم يتحمل ليأخذ حسناء جانباً يُرتب معها بعضُ الأمور العاجلة وهو يحو الدمع، حملها داود خائرة الجسد وخلفهُ أبنائها وذهب التي رفعت هاتفها قائلة بالأمر "صُهيب، صباحاً على العاشرة"

وبرُكن الصالة لَمَح حَمَو الصغيرة الباكية مُنزوية، هَمَّ إليها مُسرِعاً يسألُها بلطف "لما تجلسين هُنا؟ ولما القمر يبكي؟"

\* \* \* \*

تطلعت لانعكاسها بالمرآة ولاح الفرح في ثنايا عيُنْها، عشرة مليون سيكونون لها بعد ساعات، تراقصت بانسيابية تهتف بسعادة "خطوة واحدة يا ذرية، وبذلك الفيديو المنتشر سيتحقق الحلم الأعظم" توقفت عن الدوران حول نفسها لتنتبه فكيف ستذهب الي الحفلة التي تُقيمها ذهب؟ توجهت لنافذة عُرفتْها لتلمح السيارات المصفوفة لتبتسم بخبت وهي تُميز سيارة ذهب وداود ايضاً، بالصباح ستذهب إليها وتتحسس الموقف وتطلب من ذهب دعوة الحفلة، صفقت بكفيها مُدركة ضرورة حضور داود وبالتالي سوف تُرافقه زوجته المصون ذرية! رتبت أفكارها بروية بدأً من ذهابها لهم بثوب ليّنا وصولاً لمُغادرتها، تمددت على الفراش وأغمضت عينيها تحلم بالمال وتستعد لتحقيق أهم جزء في خُطتها! همست وهي على يقين تام مما سيحدث "أخيراً! أخيراً سأتمكن منك ومن إرثك يا جناب المُمرضة!"

\*\*\*\*

همست بخفوت مخافة جرح صمت الليل الذي احتوى ساكني البيت "لا شهاب، بهذا الحل ستلصق التهم بها! سيظن الناس أن الأمر إنقاذ للموقف" بادلها الهمس بثقة "لا تقلقي سَها وفكري معي لأن العقبة الوحيدة تكمن بموافقة سلمى" وافقت بهزة من رأسها لتهمس بحقن "لن تقتنع" سألها بخبت "هل اقتنعتِ أنتِ أولاً؟ تنهدت مُستسلمة "ليس اقتناع بل ثقة في رجاحة عقل السيدة ذهب" عاتبها يهمس "ذهب فقط؟" أجابت دون انتباه لمقصده "أثق بأدهم لكن داود؟ يكرهها، أخاف أن يجرحها" دفع ذراعها وقد أنقلب وجهه "أنهضي سَها، قلة الكلام معكِ أفضل"

"وماذا فعلت حتى تدفعني هكذا؟" هتف بصوت مُجلجل "وثقت بالجميع فماذا عني؟ هواء؟ شفاف لتلك الدرجة؟" أخفضت عينيها وجاهدت تكتم بسمتها لتهمس بخجل "أنت مَلء العين شهاب ولا يصح" صممت ليُجاورها هامساً "تكلمي! يصح ماذا؟" تشجعت تحت نظراته المُعجبة وشيء حرك بها فرحة لتهمس "لا يصحُ جمعك بأحد، أنت تخطيت الثقة شهاب" ظفر لهيبً ساخنً يسأل "سَها؟ أصدقيني القول! أهنأك شيء من ود ابني عليه سعادتي؟" هزت رأسها موافقة ونهضت مُسرعة تهمس "أكثر من الود" اتسعت ابتسامته وكفه يمسح رقبته ليقرّ بحبها، هتف وقد وصلت باب البيت الداخلي "يا بنت، وسلمى

ماذا سنفعل؟" أشارت على فيها بالسكوت وقالت تُغلق الباب خلفها "موافقة الجميع لن نترك لرفضها محل" تركت الباب موارباً لتشهق وهي تجد رباب مُتخصرة تغني بتهكم "أول مرة تحب يا قلبي وأول يوم أتهنى" كتمت أنفاس المُطربة تهمس "اخرسي رباب، كُفي عن التلصُّص" راقصت حاجبيها وسحبته للداخل تهتف "أمامي، لأعرف كل كلمة دارت بينكم" وعلى القُرب مدت حسناء فلاشه صغيرة إلى أدهم قائلة "هدية مني إلى داود، عربون صداقة من حسناء للجميع" تفحصها بريية وقال "قلم حُمره؟! على ما تحتوي؟" تبسمت بخبت وشردت قائلة "الجزء من جنس العمل يا باشا! نُهي تجبرت وحن ردعها" طالعها مدهوشاً وسأل "غريب تغير موقفك!" نهضت تُغلق حُقبته تنوي الرحيل لتهتف بندم "صحوة عقل وضمير، عالم البث ما هو إلا عرض رخيص تُزل به الأقدام دون شعور، وأنا قررت ألا أذل بعد اليوم" تبسم ابتسامته الواسعة مُعقباً "سعيد من أجل صحتك حسناء" همست والندم بعينها "سَلِمى وصبرها من لهم الفضل! رُغم ما مر بها وما زال يُمر لم تفقد جسارتها حتى مع الضعف" رمقها ومازالت الدهشة تعلي وجهه لتتبسم لاندھاشه قائلة "المرأة الصامدة في لحظات الضعف ليست سوى مُقاتلة، وسَلِمى واجهت اللا شرف بشرف رغم وقوعها مع عدوة لم تدق شرف المرأة" نظر لساعته وهتف "أوشك الصباح البزوغ، أبقي حتى نطمأن على سَلِمى" تحيرت بقرارها ليحسم عنها الموقف حمو الذي يحملُ لينا النائمة هاتفاً "حسناً؟ ساعديني!" ضحكت تحمل الصغيرة عنه وهمست "حمو العو صار بابا نويل" تحركت والصغيرة بأحضانها ليهتف خلفها برجاء "ابحثوا لي عن أسم شهرة فأنا قررت أُحيي حفل اليوم" قبلت الصغيرة تُشد من ضمها ماثورة بعيق البراءة لتهتف من منتصف السُلم "تامر شاهين"

جلست ذهب بجوار النائمة تتبادل النظرات مع داود فأشارت بصمت على عُمر وعامر ليهمس داود إليهم "أريد التحدث معكم بشيء" انتبه عامر لهمسه فهتف مُجدداً "دعونا نتحدث بغرفتك!" دقيقتان وكان يُغلق الباب خلفه ليُشير إليهم بالجلوس ليهتف مُرتبكاً "عامر؟" رد الصبي بغم يجثم على صدره "نعم عمي" تنحنح ساعلاً عيناه بعين الفتى قائلاً "أنا أتقدم إليك بطلب يد سَلِمى والدتك" بُهت وجه عامر ولاحت عليه الصدمة مع هتاف عُمر فرحاً

"تتزوجها؟" تبسم موافقاً يُراقب صمت الآخر ليهتف بتعقل "ما رأيك عامر؟ أنت رجلها ورأيك قبل رأيها، هل أفتح والدتك في الأمر؟" ورغم الصدمة انتفخت أوداج الرجولة بالصبي ليهتف حائراً برجولة بات يُنقنها "أليس التوقيت غير مناسب؟ الناس ستظن الأمر تستراً على ما حدث" رمة بإعجاب لتفكيره واستلقى على المقعد يهتف "العكس تماماً، سأشرح لكما الخطأ ولكن أعرف رأيك أولاً" اعتل عامر بجلسته فلا خلاف على داود كرجل، كل خوفه من احتقاره لها وكونه متزوج بأخرى فتلك نقطة ستتهم بها لتصبح خاربه البيوت العامرة، لذا أعرب بالأخير رفضه القاطع لتلك الزيجة وتوقيتها! تفهم داود موقفه كما تلمس غيرته عليها ليعترف بعاطفته دون التطرق لمواطن توجب حماية رجولته لينتقل بالحديث بفصاحة لسانه يشرح دوافعه كاملة واعداً لهم حمايتها ورد اعتبارها أمام العالم، هتف عمر رغم صغره بالموافقة أمام عامر الذي طال شروده، يعلم بقرارة نفسه احتياجها لمن تتكى عليه كما شعر بعاطفة داود لها وتلك المعضلة، مجرد مرور طيفهما معاً يُدللها ويُلازمها يندلع به شعور حارق فولاذ منصهر صب في نهر متجمد حتى صرخت منه الأبخرة! طالع داود بغضب والأبخرة تخرج منه ليُعالج داود الأمر بحنكته وخبثه قائلاً "مؤكد سيكون الزواج على الورق، فقط لابد من صلاحية لوجودي بينكم" هدأت دواخله ليهمس والطيف يشعل مراجله "موافق" سب نفسه لا يعلم كيف نطقها خصوصاً وهو يستقرأ الفرحة بعينه ليهمس بغيط "أنت محامي لنيم حقاً"

\*\*\*\*

فتحت عينُها مفزوعة من صوت الغراب المزعج، تأوهت بألم وعجزت عن النهوض لتجد ذراعيها وساقَيها مُقيدين بالأصفاد إلى أطراف فراشها، صرخت بمليء صوتها "عُمر، عامر" لا مُجيب أجابها، تطلعت حولها لتجدُ نُهى تقف بباب غرفتها تهتف بفحيح سام "لِما الصراخُ سلمي؟ أزعجتني!" فزعت وعينها تسألُ بصدمة من جاءَ بها هُنا؟ وماذا تفعل؟ لُتُجيب نُهى وقد تناولت سكين من جوار فراشها "أنا هُنا لأفضحك يا حُلوة" ضحكت بشماتة وتراجعت بخطواتها صوبَ الباب تفتحه "معي زائر يتوقُ لرؤيتك" فتحت الباب لتشهق سلمي ما إن رأتُه ليتقدمها هامساً "حبيبتي، اشتقتُ لكي" تلوت تُنازع الأصفاد وقد دنا منها مُقبلاً لتجده يخلع ملابسه ونُهى تُمزع عنها بلوزتها حتى انكشفت مقدمة صدرها بسخاء، دفع الرجلُ نُهى بقوة ليبدأ لمسها بشهوة! صرخت بكل قوتها "لا تفعل! أبتعد!" مالت إليها نُهى تضع السكين لنحرها تُخبرها إما الموت أو ترك نفسها له! صرخت سلمي وقد أشبعها سباب "لما تفعلين هكذا، ماذا فعلتُ لك يا نُهى؟" احتدت نظراتُها وهمست جوار أذنها بكُره "اختاري سلمي! الموت أم الحياة" رمقتها باسمه وأفسحت لقاسم الذي تَخلى عن قميصه واصبح عاري الجذع، أغمضت عينها رُعباً من هيئته وهتفت متوسلة "أتوسل إليك نُهى، ألم نكن صديقتين؟"

"اختاري سلمي اختاري بصمت" سألتها تتلوى بالفراش بهستيريا انتابتها من نظرات ذلك البغل "كيف دخلتم هُنا؟" تبسمت بنشوة وهتفت "لا تُسوفي" صرخت به وبها وقد اقبل عليها "يا أبناء الكلب" دنا يتحسس شعرها نزولاً برقبته "لا تخافي لن يمسسك غيري طالما بين أحضاني سلمي" حركت رأسها بالرفض تتفلّ عليه وحذبت نُهى بجمود قائلة "الموت، الموت أفضل من لمسات ذلك الكلب النجس، افعليها نُهى، اقتليني" تحسس قاسم جسدها بحرارة لكن سكين نُهى كان الأسرع حيث توالى عليها بالطعنات المُتفرقة تصرخُ "موتي، موتي سلمي! أرحلي للجحيم حتى أهنأ" تحشرج أنفاسها وجراحها تنزف بشدة لتصرخ ببواقي طاقة مُستنزفة "داود أبنائي أمانتك"

\*\*\*

ضرب الباب إثر صراخها باسمه ليدخل وعيناه تتفقد هيئتها المبعثرة، تقدم مهرولاً تحت بُكائها الحارق وأنفاسها التي توقفت بصدرها، كفها يمسح وجهها والآخر استقر فوق قلبها، تطلعت له وما زالت بغيبة الكابوس المفزع لصرخ بعصية تلومهُ "أين كُنت؟ أين الجميع؟ لما تركتموهم يدخلوا عُرفتي؟" احتضنتها ذهب جوارها وهمست "ما الأمر" وبدوره أرتفع حاجبيه دهشة من هجومها ليسأل بترقب "من دخل؟ ها! من دخل؟" رفعت ذهب كفها وهي تقرأ غضبه وهتفت توقفه "كابوس! كان كابوساً يا داود؟" تخطى فراشها وصولاً للنافذة يستطلع البيت ليسمع همسها الهستيري "نُهي هُنا ومعها الكلب قاسم يا ذهب" النقطت أنفاسها من البكاء وأكملت "الكلب تلمسني وقُبِل" عضت لسانها وهي تجده أمامها يهتف "ماذا؟ ماذا فعل؟" هزّت رأسها بلا صامته وهمست "كابوس؟ كابوس مُقرّف" تحسست صدرها باهتمام وتفقّدت كفوفها بقلق "نُهي قتلتنِي، غرست السكين في صدري مرة ومرة ومرات" بكت وهمست مُجدداً "أنا خائفة؟" دخل عامر إليها يهتف خائفاً "هل أنتِ بخير؟ لما تصرخي؟" "عامر أتصل على أدهم أريده فوراً، فوراً بُني" صاح ما إن سمعها بغيره وتملّك "وفيما تُريدينهُ؟ ها! لا املاُ عَيْنك أنا؟" رمقته بغضب يتحكم بها وصاحت بوجهه "ما شأنك يا بارد؟ وكيل نيابة وأنا سأقدم بلاغ له" تفرقت نظراته المجنونة على الجميع ليلمح ذهب تُشير له بالهدوء لكنه صرخ كما رضيع فُطم للثو "كل الشأن يا هانم، فأنا! البارد! ها البارد؟ زوجك!" قلبت ذهب عينها من عناده ورمقته بشر تحت صرخة سلمي "زوجي؟ هاو! زوجي من أي زاوية؟" بدأ الشجار وكلاهما يسأل دون إجابة، وتحت النار والحرب دوت صرخة ذهب توقف المهزلة "اصمتوا، توقفوا" انتبها لصراخها بعدما استنفذت رصيدها هتفت بأمر والشر بعينها "سلمي؟ ساعة وسيعقد عليك داود، الأمر مُنتهي" تطلع لدهشتها مُبتسماً بجنون مما أثارَ غيظها لتهتف بعناد "مُستحيل! لو انطبقت السماء على الأرض!" هتف عامر سعيد برفضها "الأمر ضروري ماما، أعيدي النظر!" لحقه عُمر الذي دخل على الصراخ يهتف بحذر "لحظة! هناك زائر؟" دخلت تبتم وببيدها لينا تسأل "هل ستذهبين حفل اليوم معنا طنط سلمى؟" وتحت دهشة الجميع هتفت دُرية بمحبة مُصطنعة

أصابتهم بالعثيان "مرحباً، جنْتُ لأخذ لينا كي نتحضر للحفل، مؤكد سوف أرافق زوجي حبيبي!"

\* \* \* \*

صاحت المعلمة قطة تشذ هم صبيانها وتتفقد تجهيزات مطعمها تُشرف على الذبائح بنفسها استعداداً لافتتاح اليوم، مُنذ قررت تحويل بيتها الذي ورثته عن والدتها وهي تستعد لذلك يوم بعد أن جعلت من الطابق الأرضي محلاً للجزارة يُشرف على الثلاث طوابق العلوية حيث جعلت منهم مطعم بحوائط زجاجية لامعة في تلك البقعة الشعبية التي على ما يبدو ستصبح حديث الميديا ومزاراً للسائحين وكبار رجال الأعمال بالبلد، تقدم عضمه الذي عينته مُشرفاً على المطعم يهتف مؤكداً "النساء بدأن بطهو الطعام يا مَعلَمة متي تحديداً موعد الافتتاح؟" نظرت لساعة يدها الذهب وقالت "أوشك الظهر على الأذان والافتتاح في السابعة، لا أريد غلطة واحدة وإلا روحك ستكون الثمن يا عضمه" صفع رقبتة عدة مرات "رقبتي يا مَعلَمة" اقترب يسأل بمحبة "كيف حُلت مُشكلة التراخيص وخلافة والأمر كان معقداً" رمقته شذراً وصاحت "هل أنا قليلة يا ولد، بارك الله في المعارف والكبار هكذا العزوة إذا أرادت أحداهن " لوحت له بالرحيل واكتفت بما قالت ليرحل ويؤثر الصمت إذعاناً لطبعها، جلست بمقعدها الوثير تُتابع التحضيرات تتذكر صفقتها مع المحامي داود حين تقابلا مُنذ عدة أيام، هدها بمقدرته على محوها ومحو ابنها ثم أغراها باستخراج كافة الأوراق والتصريحات التي وقفت أمامها لتخضع لمصلحتها وتميل جانبهُ ضاربةً بنُهي وابنها عرض الحائط بقوة، كما أنها اقتنعت بدوافعه وقد علمت من تدخله فناء نُهي، لا تُنكر خوفها من حضوره الطاعي ولا تُنكر يقينها بأنه من وضع العقبات أمامها فحين واجهته بشكها لم يُنكر ولم يتصل من مسؤوليته بل اخبرها بأن اللعب معه خسارة فادحة، فهو يلعب بشرف لم تعرفه، لتقرر مُقتنعة أنه خبيث العقل وصادق الكلمة وتلكم الصفتين لا يجتمعان في نذل بل رجل ذو شرف وعزة نفس.

رفعت هاتفها تطلب سبب شقائها لتهتف "تجهزي يا سنديلا الليلة حفل الافتتاح" ردت تسبها سراً "هل سأترك حفل دهب الاخشيدي لأحضر افتتاح مطعمك؟"

"الافتتاح بالسابعة مساءً يا زوجة ابني وحفلك بالتاسعة يا نُهي؟"  
"وكيف عرفتني يا مَعلَمة، قطة؟"

"من الميديا يا روح أمك" أغلقت بوجهها لتتظر نُهي للشاشة هَامِسة "كيف انقلبت ذلك المُنقلب يا قطة؟ ملعونة الشهرة التي عملت منك امرأة" صاحت تتقدم من عُرفة الأشباح لتفتح الباب تزعق "تحضر! سنذهبُ بالسابعة لافتتاح الملكة المتوجة، هي ساعة وبعدها نتمتع بحفل ذهب الاخشيدي" ناظرها صامتاً لتهتف مُجدداً وقد داق بها ما يفعله مؤخراً "ماذا أصابك؟ صارت هينتك كالمُدمنين؟ وما تفعله لا يُناسب ما تتطلع له" مازال يُتابعها بصمت، عينه تنفقدها بغرابة وعقله خاوياً من أي شيء مُنذ علم ما خططت انقلب حاله لأسوء حال تارة يشتاق التمرغ تحت أقدام سلمى مُعتذر وتارة يسعدُ بوحده وإخلاء سبيله من المسؤولية، اليوم لا يعبأ بشيء وغداً يهتم بحاله وهينته وكأنه وزيراً أو رئيساً للجمهورية! مُشتت لا يعرف أين الهدى وهي أمامه بُومة تنعق، تنهد واغلق حاسوبه سائلاً "أعطني تبريراً واحداً فقط لغيرك بها؟" ربت زراعيها ترمقه بغباء ليسم بدنها قائلاً "سلمى! أتكلم عنها! لما خربت بيتها؟ كيف وسوستي لي يا نُهي؟" عوجت فمها بقرف وهتفت "ليتنى ما فعلت" طالعها باندهاش فحواه هل ندمت فصدمة قائلة "ليتنى قتلُها وارتحت! حرقُها وأبنائها! الممرضة ذات العفة"

"اعلم كُرهك لها وغيرتك منها ولكن ما ذنبي أنا؟" تقدمت إليه على وجهها ابتسامة شيطان عصي وملت تهمس بفحيح جهنم "لا تتصنع دور الضحية، بقرارة نفسك كنت تكره صورتك بحضورها" أكملت تلُكم كتفه وعينها تقرأ أفكاره "واجه نفسك بالحقيقة المرة! كم تمنيت الخلاص من أبنائك بالموت؟! تكره حُب الناس لها عوضاً عنك! متى شعرت برجولتك أمامها وكم مرة استصغرت نفسك جوارها؟" دفعته بقوة أوقعته وملكت عينه المذعورة بين عينها وهسهست "تكرر أن عقلك وقلبك، جوارحك نفت الخيانة عنها! لكنك فضحتنا قاصداً لتملك تعاطف الجميع بعدها!" اتسعت ابتسامتها وهتفت "تلومني فيها؟! وأنت أول سهم طالها، حتى أبنائك! تخليت عنهم بكامل كامل إرادتك" جلست على الأريكة وصاحت بصدق "لوما كان استعدادك وتوقك للتخلص منهم ما كُنت أنا هُنا" نهضت تُمَد يدها له وبصوت صارم قالت "أنهض" سحبته بقوة وقالت بيقين العارف "أنا وأنت وجهان لعملة واحدة! ملكٌ خائن وكتابة سطرت بالباطل مجدداً لك" تركته لأشباحه قائلة "لملم شتاتك، الضعيف أضحوكة تنتدر به الخلائق!"

\*\*\*\*



وقّع شهاب وأدهم على عقد القران شاهدين كما وقع داود مُسرِعاً ووقّعت هي مُجبرة بعدما اشترطت أن يكون الزواج حبر على ورق، أغلقت رباب باب البيت بعد أن خلا تكتّم غيظها من داود فلم يُبارك لها مُتحمّجاً بضيق الوقت وارتباطه بالتجهيز لحفل الليلة ليأخذ الصبيين يشتري لهما الحُلّ ويتجهزوا جيداً، هزت ساقها بتوتر بالغ وهي تتطلّع لكل ركن بالمنزل، كيف وافقت؟ كيف سلمت نفسها لرُجل مجدداً؟ هل كانت حُجتهم مُقنعة أم هناك نُطفة بكيانها رغبت به؟" عَضَت شفتيها وتلك الخاطرة تصفّعها لتَهتِف بغل لمن تُراقب توترها "لما يا دهب؟ لا يستحقّ الأمر المجازفة! سجنْتُ نفسي بسجن للمرة الثانية" تمددت دهب فوق الأريكة وتغاضت عن الرد، ستترك لها مساحة تُفرغ بها غضبها عليها تنتبه لدق قلبها، تعلم أن عقلها بحالة من النقم لذا وجب كشف الستار عن واقعها المُستتر، تمطّت دهب بجسدها المتناسق رَغَم سنواتها الخمسون وهمست "بضعُ شهور وسيتم الطلاق سلّمي" غمزت الي رباب التي كادت تعترض وأشارت بالصمت تاركة لها مجالاً لإخراج الطاقة السلبية، ضربت كفيها ببعض تسأل بغل "الكذاب، قال طلقها واليوم اكتشف العكس" نفخت خديها ولملمت شعرها حتى كادت تخلعه "لئيم وخبيث بدرجة لا يستقبلها العقل" سألتها دهب بلؤم ترمّقها من بين رموشها المُغلقة "عفواً، ما شأنك طلقها أم لا؟" نظرت لُسُها ورباب باستغراب وصرخت "هل ينقصني فضائح يا ناس! سيُذاع أني خطفتُ الرجلَ من زوجته، ثم ما رد فعل المُستغلة حينَ تعلم؟" أشعلت سيجارتها تهتِف مع الدخان "يا عالم، أخاف أن تتعاون مع نُهي ضدي" اعتدلت دهب جالسة تطلّب من رباب ففجان قهوة وتهتِف لذات الغضب "الله أحل للرجل أربعة فائزكيها لداود، وهيا لأبد وأن تتجهزي لحفل المساء" صرخت تضرب فخديها "أتجهز؟" شددت بلوزتها تُهدد بتمزيقها "دهب هانم! لما لا تشعرين بي؟ ها! أهكذا انتهى الموقف؟" التقطت هاتفها من الحقيبة قائلة ببرود "لا بأس نذهب لصالون تجميل حبيبتني، لا تهتمي!" قاطعتها رباب بفرح "لا هذه لُعبتي لن يُزين عروستنا سوايا" صرخت بهم "كفا، لا تنطقوا تلك الكلمة، لن اُفعل شيء، لا تُجبروني على القسم بأنني لن اذهب" صمت الجميع أمام عنادها لشُعل سيجارتها ترمقهم بغضب ليتها تملُك آلة الزمن لتعود ليوم وفاة والدها، تُعانق يوسف وترحل معه، سحبت الدخان لصدرها لتجد نفسها بنهاية الأمر أيضاً جواره! صاحت ولم تعي تركيز الجميع لها "يا ملعون! حتى الأحلام والأُمنيات تدخل بها؟" رنت ضحكة دهب الرائقة

لتهتفَ لِسُهَا "بنت يا سُهَا تعالي وخبريني ماذا بينك وبين الولد شهاب؟"  
احمرت وجنتي سُهَا وهزت رأسها تُنفِي لتصيحَ سَلْمَى "كاذب آخر لدينا!"  
أشعلت سيجارة أخرى ونفخت دخانها بقوة تُسب نفسُهَا غير مُصدقة أنها  
أصبحت حَرَم داود الرازي "مُغفلة، سأعيش وأموت مُغفلة" همست لنفسِهَا  
وعقلها مُخدر "لما الحزن؟ تلك فرصة جيدة للانتقام من الكاذب سَلْمَى!"

\* \* \* \*

توغل الصخب بين حوارِ الحي بقوة جذبت الجميع للحدث ليبدأ احتفال  
المعلمة قطة بافتتاح مطعمها الجديد الذي أحيا تلك البُقعة بالحي بعد أن كانت  
خراية يسكنها المُدمنين وشحاذين المنطقة، حَيّت ضيوفُهَا الأوائل بمحبة وبدأت  
بتفقد تجهيزات الحفل ترتدي عباةَها الجديدة كنارية اللون والتي أرسلتها لها  
فتاة من دولة عربية هديةً من والدها الشيخ المُعجب بها! لمحت مجيءُ ابنها  
وزوجته لتتقدم إليهم هاتفةً "لما التأخير؟" تطلعت لعينه بعُمق فتهتفَ لُنْهى  
مُهادنةً "اذهبي وأخبري النساء بالمطبخ تحضير الحلو يا حُلوة" رمقتها بنزق  
دون الغضب لكلماتِهَا لتسحب قطة عابد الي غرفة مكتبها، دفعتهُ تُغلق الباب  
خلفها لتهتفَ بغضب "لم أخبرك بما حدث لتعتم بل لتفريق إلى نفسك وعملك يا  
عابد" تهدلت أكتافهُ يتطلع إليها بصمت ليسأل "كيف هُنتُ عليك يا أمي؟"  
جلست خلف مكتبها الفخم وأشارت له بالجلوس تلتقط لِي النرجيلة وعينُهَا  
عليه هاتفةً "يا لا خيبة أملِي بك يا عابد! أهذا السنْدُ الذي ابتغيت أن يُرافقني  
في شيبِي" اعوج فمها بابتسامة تهكم وبدأت تسرد لَهُ مُنذ حباها الله به انقطع  
النصيب والقسمة، وما تركت طبيباً ولا شيخاً إلا وزارته لترضي به عوضاً  
وسنداً، تفانت في تربيته وقلبها يخافُ على وحيدِهَا أن يجرح النسيم طرفهُ،  
شَبَّ الولدُ وصارَ رجلاً ملئُ العين والقلب لتشعر بهشاشة رجولته وتعي  
أحلامه الشاذة، جاهدت بكل ما فيها لردعه مع علمها بفوات الوقت على تقويم  
اعوجاج نفسه التي غلبت عليها الأنانية وعدم تحمل المسؤولية حتى أنها  
وافقت على سَلْمَى مُجبرة ليس لأنها تكرهُهَا على العكس كانت تحترمُ صبرها  
واجتهادِهَا فهي نشأت تحت عينها وتعلم ما تحملته ولكن لتكون حافزاً لنقدّمه،  
تُعلمهُ المسؤولية لا التواكل والكسل، لينقلب السحر على الساحر ويُظهر عابد  
خنوع نفسه وضعفها أمام مثابرة زوجته التي أسقطت ورقة التوت عن  
سوءته، سوءته التي صارت تُعيرُ بها من كل صوبٍ وحَدب فما اقصى على  
الأم أن تسمع بأذنها نقداً لاذعاً في ضنا رُوحها وتمجيداً في امرأته التي

بطبيعتها المُقاتلة دافعت عن حصنها وبيتها ووقفت أمام سنوات الشقي والفقر بمُفردها، كرهت سيرتها وصبرها كرهت قطعاً منها تجسدت في أحفادها خصوصاً ذلك الشقي الصغير خفيف الدم، فممن ورث سلطة اللسان والهجمات المُرته سوي منها، والكبير عامر ضي العين لو يعلموا كم سعدت يوم ميلاده! ورث عنها ضيق أخلاقها، قطعة منها مُصغرة تغضب كما تغضب وتُجن بعقلها صاعدة لسابع سما لتهبط بالعقل تُخبئ صدقه وحذاقته لها! هكذا طبعُ المرو يظهر بمظهر مُصطنع ويُخبئ حقيقة خلف القلب، أما عن العقل فدوماً يعي ما بعد الحقيقة بحقيقة ولكن يحتفظ بها في قرارة النفس، تلك هي الآفة الكبرى (المكابرة) فرجَم الله من تواضع واقراً بسوء نيته! حتى يُعدل اعوجاجها،

أكملت حديثها تحت نظراته المنتفضة مما أقرت به "يا عينُ قطة وزادها وماءها، ما فعلت غير ما وجدتك عليه، بي أو بنفسك كنت ستصل لذلك موصل، وها أنا اعترف علك تعقل، أنا أسرفت عليك وعلى نفسي بالظلم يا ولدي" نهض من أمامها فاهم مقصدها رُغم انحراف أسلوبها فيما أتلفته ليهتف إليها "بت لا اعرف الصواب من الخطأ أمي، لكني وعيت من أين اكتسبت الأنانية! حطمتي بيتاً وشردت صغاراً، القيت بامرأة في غياهب السجن لأجل سوء استخدامك لطفلك الغر" فرد ذراعيه على وسعهما وابتسم بانكسار مُكملاً "ها أنا أمامك! انظري بنفسك، امعني النظر أمي! من الرابع في مُعادلتك يا معلمة!؟" تركها ذاهباً يهتف "ما كسرت شيء يُمكن إصلاحه قطة! بل أحدثت انفجاراً مُدوياً أمي!" خرج ليجد نهى أمامه ليهتف بطبع لن يزول عنه "هيا دعينا نلحق حفل الأكاير على القليل نختار بإرادتنا مكانة تليق بنا!" وبدورها رمقت قطة بشماتة تطل عليها من باب المكتب هامسة "يا ويلتي! أنت الدب القاتل لصاحبه، اشربي! تمتعي بوجه القطة لقباً وفعلاً" كتمت قطة دموع حسرتها تُشير لها بالانصراف وهي تهتف "بلى سأشرب ولكن! وأنت معي بنفس الكأس يا عَقابي في الدنيا!"

\* \* \* \*

رمقها الجميع بإعجاب دون إبداء الرأي إذعانا لتعليمات ذهب الصارمة تجنباً لعنادها لذا أفرجت السيدة ذهب عن عصايتها وطبعها المتسلط لتهتف بقوة شخصيتها "حسناً؟ هيا مع حمو أنتم من سيصل أولاً" تحركت حسناء مُتجعدة تسمع هتاف ذهب تأمر "رباب وسُها هيا شهاب ينتظرُكم بالخارج" تحركت الفتاتان دون الجراءة على التفوه بشيء لتهتف وهي تُعدل من فستانها ذهبي اللون "وانا صُهب ينتظرُني خارجاً" هتفت بهدوء خشية إثارة حفيظتها "ذهب؟" لم تُكمل وذهب تتركها راحلة لكنها صاحت "أبناءك معي، وداود بالطريق إليك" التفت لها لتلمح الغضب على ملامحها فهتفت وسبابتها مُشهرة "أصبح زوجك سلمي! أياك والسخافات أمام الناس في الحفل" اعتذلت بكامل جسدها صوبها وذادت من نبرة التحدي بصوتها "لمعلوماً! الحفلة بأكملها لأجلك" ألفت ما في جوفها راحلة وهي تُكمل تحت دهشتها "صحيح الفكرة لي لكن داود! زوجك من خطط لما سيحدث الليلة" تركت الباب موارباً لتجلس الأخرى في واديهما الضحل كيف كانت بالأمس وكيف أصبحت؟ داود يهتم لأمرها؟ تلك أعجوبة ثامنة! مازالت السافلة الزانية! الأفاكة من تأمرت عليه؟ أشعلت سيجارتها تتمنى الفناء كما رمادها وهمست "أين تأخذك الخطوات يا سلمي؟ سجن الماضي أم سجن الحاضر؟ أم ستبقي بمن نصف الأسوار عاقلة؟" أراحت جبهتها لكفيها المضمومتين قائلة "ليتني رحلت، بلاد الله واسعة" انتفضت وكفه تختطف السجارة من بين شفثيها المُهلكة لتصيح "فرعتني" ألقي بلعنتها في كوب الماء يُراقبها بتسلي هامساً بصوت كتعويزة ساحرة "موطنك داود الرازي" سحب كفها وعينه تتفقدُها على مهل ليهمس واطراف أصابعه تتلمس غُرثها الجديدة "لا سجانر بعد اليوم" احتدت نظرائها وهمت بقول شيء ليدفعها أمامه بخطوتين يتفقد ثوبها الأسود قائلاً "جميل ومُحتشم" رفع حاجبيه بتقييم لِيُتابع "أكمام طويلة، رقبة عالية و" صاح ما أن لفها ليصبح ظهرها بالمقابل له "أين الظهر؟ ما هذا؟ ظهركِ بأكمله مكشوف حتى آخره! وما تلك الفتحة بأسفله ما" التفت تهتف بعناد "ليس من شأنك؟" ظفر وكأنه لم يسمع شيء ليضع ذراعيه بخصره ويهز رأسه قائلاً "ذهبي وارتي واحداً آخر" أغمضت عينها تتنهد بغير صبر "لا املك غيرهُ" ارتفع حاجبيه يتفقدُها بياس "لا تملكين غيرهُ؟ ها؟ حسناً الحلُ لدي" مد يده

بلحظة خاطفة يسحب دبوسَ شعرها ليتهدل خلفها يُداري ما بعد نصفه، ابتسم وكفه يميلُ يميناً ويساراً قائلاً "مقبول نسبياً" قلبت عينها تهتف بغضب أحبه "داود لا تُثير أعصابي، اتفأفأنا على ورق فلا تستفزني"

"وإذا استفزرتك؟"

"الطلاق فوراً"

"ومن سيسمح لك؟"

"الخلع حل"

"أنسيت أنا محامي؟"

"المساومة إذن!"

"موافق"

"على ماذا؟"

"اترك لك بعض الحرية بمُقابل"

"وما المُقابل لتجَلَّ عني داود؟" انقطع صوته وذراعيه تسحبها كما يسحبُ الموجُ بعضه أسراً شفتيها بين شفتيه دامغاً أسمى بملكيتها، أقشعر جسدها تشعر ببرودة شملت عمودها الفقري أثر كفه الباردة التي تتلمس ظهرها، تنهد يضمها بين موجة العارم ويخرُ ساجداً بمحرابها، وتحت وطأة الموج والغرق جاهدت لالتقاط أنفاسها بقواها الهشة،

غريقاً تمسك بالنجاة بعد يأس ليشدّد الموجُ من سحبها بمدٍ وجذر، وهي قشة خائفة لا حولاً لها ولا قوة أمام ثورة البحر! دفعته بقوة خائفة تتلعثم بالقول لينظر إليها مُتحدياً وينفذ خجلها المُهدر هاتفاً بصوته مُحرك بها وترّاً "لا خُرية دون مُقابل سلمى الرازي"

\* \* \* \*

## 22

أشرفت على طاولات الضيوف بترحاب تنتقل بين الحضور بخفة غزال وأبنها جوارها يتقمص شخصية وريث السلطان، سرعان ما عاد لطبيعته الشاذة واندمج مع الأجواء يرتدي حلة باهظة الثمن ليصبح ظاهرياً بهيئة الوجهاء وبذراعه تعلقت نهي بثوبها الأحمر القصير ذو الصدر العاري تتبختر كما طاووس نفخة الغرور حتى تناسي أن دون ريشه لكان مجرد دجاجة حمقاء، وقفت قطة بالطابق الأول للمطعم وقد خصصته لأصدقاء الميديا تهتف وعظمه يبت فيديو مباشرة "من صنع الفيديو يا أحباب؟" صاح الصبي من خلف الشاشة "انظري للشاشة المعلقة يا معلمة" تطلعت للشاشة العرض الضخمة التي أوصت بها تضحك وهي تُشاهد نفسها تنحرف خروفاً بمهارة تحت برج إيفل، توالى الفيديوهات والحضور يضحكون حتى أمرت بالاكتماء تهتف بصوتها الجهوري قائلة "هنا المغزى يا أحباب قلبي! ليس كل ما تراه العين صدقاً!" تحركت نهي تكتم غيظها لتخرج من الحفل تُخطئ لانتقام قاسي وخلفها عابد لا يهتم فما أن ركب السيارة الجديدة هتف "يبدو أننا سنُجني من النزال القادم مبالغ ضخمة تحرك بالسيارة الفارهة مُتخِم بها ليضحك ويغمر لنهي صائحاً "استعدي للتألق ولا تُركزي مع قطة الكل يبحث عن مصالحة"

\* \* \* \*

من أفخم فنادق البلد بدأ حفل السيدة دهب الاخشيدي تحت أنغام الموسيقى الكلاسيكية الرائقة والجميع بات حضوراً، شخصيات من ارقى رجال البلد، رجال الأعمال ووزراء الحكومة وبعض الشخصيات ذات الطراز الغامض أصحاب الجهات السيادية المحظور ذكرها، وبهيئتها الجدية الراقية تقدمت بين الحضور تُرحب بتعالى يصح لها، رمقت ساعة معصمها لتجذبها قاربت العاشرة لتتفقد أهم مدعوها قاسم حيثُ جلس إلى حسناء التي فرضت وجود نهي وزوجها بأمر داود شخصياً، تقدمت اليهم تهتف وتدعي سعادتها بحضورهم "أنرت الحفل قاسم باشا" رمقت حسناء ثم حيتها قائلة "أنت الممثلة الجديدة على ما أعتقد، مرحباً بك" تغاضت عن نهي التي لم تُخفي نظرات الانبهار بعينها لتهتف بغرور لم يمحو شعبيتها "أنا نهي ملكة الميديا" تبسمت

ذهب بتعالى قائلة "وهل يخفى القمر، أتمنى أن تنال الصُحبة محبتك" أشارت لصُهييب بعدما تطلعت لها تفهها لتتركهم مُسرعة وهي تهتف "عفواً فقد حضر ضيفي الشرف" خَفَّت الأنوارُ قليلاً لتتقدمَ ذهب صوب مسرحِ الحفل تهتف عبر الميكروفون والإضاءة عليها "مساء الخير، ممتنة لحضور الجميع حفلُ براءتي ولكن اسمحوا لي بأن يكونَ سببَ دعوتكم هو السببُ الثانوي للحفل، حفلُ اليوم أساسه احتفالي المُتأخر بزواج أغلى شخصين لقلبي ابنتي واعني الكلمة قلباً وقالباً سَلَمَى المصري وزوجها المحامي داود الرازي "توقفت اثر تصفيق الجميع لتلمحَ بطرفِ عينها قاسم الذي استقبل الخبر بصدمة صبغت وجهه بخمرة الغل وعابد الذي فُتحت عيناه على وسعها وأخرهم نُهى تشيق وصدا صوتها يرنُّ بلفظة مُبتذلة، أكملت ذهب حديثها المُنمق مُدققة على إلصاقِ سَلَمَى بها حتى ظن الحضور أنها ابنتها مما خلق تبجيراً رفيع المستوى يليقُ بقدر ذهب ويتبعُ قدرَ ابنتها، همسَ قاسم بحقد "جعلتها خطأً احمر! ثعلبة تعي جيداً تأمينُ قطيعها" وبيابِ القاعة الرئيسية ارتعشت ساقها رُعباً لتهمسَ له بعد صمت حفهم منذ خروجهم من البيت الي هنا "داود؟ ماذا يحدث؟" امسكَ كفها وقبل أن تسحبهُ شدد من تملكه وهتف وبين عينيه تحذيرٌ شديدٌ اللهجة "سَلَمَى! لا مجال للخطأ" تملكها الرعب من ذلك الوجه أليس ذلك من كان مُنذ قليل يستقرُّها طوال الطريق ويضحك؟! انتبهت لبعض من حديث ذهب لتهمسَ فُباله أذنه "ماذا يحدث؟" ضغط كفها بكفه وبدا بالتحرك الي داخل القاعة على مهل يهمسَ "هذا يومك، ارفعي رأسك عالياً" تحركت جواره بخطواتٍ كئيبة وأنفاس لاهثة، تكادُ تجزم انه سمع دقات قلبها الذي كاد يتوقف، تاهت بتلك الدوامة المظلمة، الجميعُ يصفقُ بكفوف لا تعرف الرحمة، وموسيقى تنعي عُمرها المُهدر، وجوهاً تتفحصُها بلا معني، أضواءً تسطعُ من هولِ المشهد وكأنها تخطو بجهنم، وتلكم؟ عابد ونُهى؟! أصبحت أسمائهم متجاوزة ذات معني! وقاسم! نظراته غلاً يتوعدُها، اطمئنانٌ شملها نسبياً وعينها تقعُ على طاولة حوت وجوهاً تعرفُها وتأمُنُ لها، واثنين تجاورا بعضهما في حُلٍ لا تليقُ إلا بهم وكأنهم ملائكتها بصكوك الغفران حَضروا! كفوفهم تصفقُ والسعادة ظاهرة على وجه الصغير بقوة والكبير كعادته كنوم الملامح لا يستطعُ التعبيرَ دوماً لولا انفراج جبهته لقات "رافضاً يدعي

الفرح" تحفَرت وكفه الساخن يتلمس برودة ظهرها العاري بدفعة رقيقة بعدما سحب لها مقعداً على طاولة خُصصت لهم لتجلس ويميل يُعدّل لها المقعد هامساً "أيّاكِ والخوف أنا معكِ؟" استقبلت همسه عاجزة كيف لا تخافُ وهي بقلب جهنم وزبائنها تتطلع إليها بنظراتٍ شتي، حتى الفهم لم يُقدّر لها، جلس مُلتصق بها وعينه تدور بالمكان بقلق حتى سألتُه ليجيبها "لا أرى ليّنا ابنتي؟" توترت لعلمها بإهمالِ ذرية وأشارت الي عامر وهي تهمسُ لداود تستفزُه "مع زوجتك فلما القلق؟" مالت صوب عامر الذي حضر قائلة "أين ليّنا بُني؟" قبل جبينها واستقام يهتف "عي لي الأمر" تحرك بعدما أماء الي داود بعلامة لا تقلق واتجه خارج القاعة وهاتفه يطلبها بدأت فقرات الحفل بالإعلان عن المطرب الجديد تامر شاهين ليصدحَ صوته من خلف الكواليس بموال شعبي ارّق الجميع إعجاباً،

#### الستة ست الملاح التصون العرض

والسبعة سبع الرجال بعد العز نام ع الأرض، عيني  
أما الثمانية أتمنى الخير تلاقي الخير ولا تضمهاش في يوم الأرض  
والعشرة لو طيبة دي العشرة لو طيبة بدوم على الآخر  
شايب وجايب بنات كلهم ولد في الآخر  
والبنت كان حظها ابيض وزى الفل جه الولد بعدها طابير وقش الكل  
أنا الاخذت الأصيل يا ناس والحلو من كومي  
وحريف وفاهم أصول اللعبة من يومي  
حظي انكتب على الورق والحبر فيه ملطشة  
يا زارع الورد اسقي الورد لا يعطش  
والزهر لطش  
واهي راحت على الحريف



صَقَّ الجميع بحرارة وتشجيع وحمّو يعتلي المسرح بالغناء لتقع عينه بعين عابد ثم نُهي التي اصفر وجهها وهي تهمس برعب ارعد جسدها "حمّو!" وبالخارج وقف عامر يتلفت هنا وهناك بعدما أخبرته الصغيرة انها أمام الفندق مع والدتها ليخرج إليها حين تأخرت عن اللازم، رفع الهاتف مُجدداً وما إن ردت هتف "أين أنت لينا أنا على باب الفندق الخارجي" صاحت الصغيرة تبكي بحرقة "أنا بالخارج عامر ماما تركتني وحيدة" تجاوز عامر باب الفندق يهتف بهدوء زائف حتى لا يُفرعها "حسناً لا تخافي أنا ها خرجت لك هل تريني؟" صرخت تستنجد وصوت ضوضاء حولها "عامر الرجل يسحبني!"

انتهت الغنوة الثالثة وتوقفت الموسيقى وحمّو يهتف بابتسامة واسعة "أسعدني غنائي لأول مرة بتلك المناسبة" تقدم نحو طاولتها ليهتف والميكروفون بيده "اليوم احتفال بزواج أختي وابنة منطقتي السيدة سلمى المصري" دعاها للوقوف لتستجيب صاغرة وأكمل "وزوجها رجل القانون داود الرازي" نهض داود يغمر له ليكمل وهو يتوجه بهم للمسرح "زواج مبارك لكما" استقرت عين داود على الحضور كما استقر ذراعُه على حصرها بتملك ليهتف عبر مكبر الصوت الذي التقطه من حمّو بيده الحرة بيتسم ابتسامة القرش ويبدأ في شكر الجميع على حضورهم ومباركتهم، محذراً بطريقة تجاوزت حدّ التهديد والترويع بأن من سيذكر أسمها سيدد داود الرازي شخصياً أمامه، أسهب مُضيفاً بعض الجمل وفحواها أن لا تلاعب بعد اليوم لينتهي مُعرباً بأن ما ذكر وتداوله الميديا فرط افتراء وشائعة سوف يدفع صاحبها ومن اتفق معه الثمن، كما توعد بالانتقام والغدر وهو يهتف بقوة أرعدت نُهي ومن معها "أكرر إلى تلك المرأة! سلمى الرازي خط احمر أريدك وبشدة أن تتقدمي صوبه" انهى كلماته وعينه على نُهي تارك مكبر الصوت الي حمّو ليتناول من السيدة ذهب غلبة مُخملية يفتحها على الملأ ويبدأ في تزيين كفها بخاتم الماس بديع الشكل، تبعه بسوار ثم قرط مُنتهياً بعقد ابهر الجميع، بدأت الموسيقى بالعزف وحمّو يدعوهم "رقصة العروسين" توجهت ذهب لطاولة جمعت رباب وسها اللاتي يُصقفن مُنبهرين بالمشهد وشهاب وأدهم الذين تبادلوا الضحكات والنكات سراً، أما عنها مازالت بغير استيعاب مقبوضة القلب، ترى أهي بداية كابوس مُزعج أم بداية لنهاية ماضي مازال حياً، لملت بعض فئات من روجها لتستطيع

الهمسَ قائلة "ما الداعي لذلك الفيلم الهندي؟" ضحك برجولة انتبهت لها  
جميلات الحفل ليميل إليها يملأ صدره من عبير الدخان والنعناع يهمس قائلاً  
"أنفسي الخوف سلمي لن يقربك أحد" ابتعد قليلاً ينظر لعينها المراقبة ليعاود  
همسه "أن أوأن الراحة سلمي، اتركي الشقاء لي أنا واستمعي لتلك الكلمات  
هي لك" ضمها بحميمية يتمايل برقة بالغة، أمير وجد ست الحسن خاصته،  
"في قصر بعيد ولا في الأحلام ساكنة أميرة عمري الجاي وأنا من تفكيري لا  
بعرف أنام نفسي أعرف بس أوصله أزاى حراسها كثير والوضع خطير وأنا  
لا أمير ولا حيلتي جاه وقالوا لي أفوق وارجع بالذوق ومبصش فوق وبلاش  
مُعانة والحب حياة"

شدّد من احتضانها رَغَم علمه برفضها للموقف ليهمس ولهاناً "تقي بي سلمي  
فأنت من أدقنتني طعم الغرام" وبدورها وبكل ما تركته بها الحياة من رُكام أبت  
التصديق! الحيرة بداخلها تُقيم احتفال بائس ليس كما الذي تتمايل بين أحضانه،  
احتفال من ألم! صرخات تترنح على ذكراها وتتجرع مرارة جديدة عنوانها  
الساطع - غدراً مازالت تحمله الأيام -

أنا عمري ما أسيب أحلامي  
تغيب لولينا نصيب..  
فالحب حياة

من امتى وكان الحب معاد  
أو سور وحصون حراس  
وبلاده عل شأنها أعدي  
بحور وبحور وأموت لو  
مرة تشوفني جبان حراسها  
كثير والوضع خطير  
وأنا لا أمير ولا حيلتي جاه  
وقالوا لي أفوق وارجع  
بالذوق ومبصش  
فوق وبلاش مُعانة

أنا عمري ما أسيب أحلامي

تغيب لولينا نصيب..

فالحب حياة

انتهت رقصتهم الهادئة العاصفة بقُبلة شديدة الرقة اختطفها تحت صدمتها  
بجراته ليتوجه بها صوب طاولتهم لتلمح عينها من مسافة قريبة نهي وقد دمرَ  
الغل ملامحها، ورغم الخوف الممزوج بالألم ابتسمت بمكر زليخة في متكأ  
دعت له أخصامها، جلست ومنظرها يُحيي جيروت تملكه نُقُور خوض  
التجربة المفروضة عليها، رفعت انفها بغرور وثقة وعينها له قائلة "ادخل  
عليهم يا يوسف" ألم يطلب الزاعم زوجها تلك الثقة؟ ستعطي كلاً سؤله حتى  
ما إن عصفت ريحها اقتلعت قلوبهم من صدورهم دون شعور الذنب  
الموحش، همست لنفسها وعينها العسلية تُطلق شرارات البدء "هكذا الدنيا كلما  
بنيت جداراً من الأمان تتستر خلفه يهده الظالم بقوة" نهضت ليسألها "إلى  
أين؟" جاوبته تُشر للبنات "سأذهب للمرحاض!" تحركت تتمايل بدلال وتبعها  
سُها ورباب لتهتف ما إن خرجت بباحة الفندق "أين عامر خرج ليأتي بلينا ولم  
يُعد منذ مدة" توجهت للرواق القريب وخلفها رباب تهتف "اتصلي عليه سُها"  
وبالخارج صرخ عامر بغضب "لينا؟ أين أنت؟" اهتز الهاتف بين يده وهو  
يُفتش عن رقم داود ليطلب أدهم الذي ظهر بأول القائمة وصرخ "عمي أدهم  
أدركني ليينا خُطفت"

توقفت سلمي وهي تلمح ذرية تسبقهم إلى حمام الفندق لتهتف "أليست هذه  
ذرية؟ أين تركت الأولاد، غيبة؟" لحقتها ورباب تسبق لتهتف سُها "اسألها  
رباب أين الأولاد؟" دخلت رباب تهرول خلفها لتجد المرحاض فارغاً سوى  
من امرأة تُعدّل نقابها لتخرج سريعاً حتى أوقفت سلمي وسُها تهمس وتسحبهم  
لركن موارد "ما بالداخل سوى امرأة تُعدّل نقابها" هتفت سلمي والشك يغلبها  
"ذرية؟" التقطت هاتفها تطلب داود لتهتف سُها وعينها تلمح الرجال يركضون  
خلف بعضهم "انظري سلمي أدهم وشهاب، ماذا يحدث؟" هرولت سلمي  
صوب الرجال تهتف "أنتم راقبوا تلك الحية المنتقبة حتى أبلغ داود" اختفوا  
سريعاً من أمامها لتركض بالمرمر الفاصل بين الفندق وبوابته حتى اصطدمت  
مع أحدهم بقوة، رفعت عينها تعتذر ليسحبها لركن خاوي مُظلم واضعاً كفه

على فمها يهمس " لا تخافي! اعلم انك غُصبتِ على تلك الزيجة" هزّت رأسها بالرفض، عاجزة عن التحدث ليضغط فمها أكثر وينظر داخل عينها المذعورة يُتابع بهمس "سوف اجعله يُطلقك حبيبتي!" اتسعت عيناها والحلم يعاودها لتدفعه بقوة وتهتف بأنفاسها المُهدرة "أنت مجنون! كيف صوّر خيالك هذا المرض" تقدم أمامها وكفه تلتقط كفها بجرأة يهمس ثانياً "حبيبتي سوف أتركك تستوعبين الموقف ووعدني لك أن اجعل ذلك الكلب يُطلقك فوراً" دفعته حتى كاد يقع وصاحت بقوة أوشكت على نسيانها "من الكلب يا بن الكلاب؟ والله لأفضحك فضيحة تليق بمقامك" ركضت من أمامه ترتعد مما سمعت لتلمح الرجال أمام البوابة، صاحت مُستنجدة "داود" هرولت إليه غير مُنتبهة لتلك التي صوّرت المشهد كاملاً تُحضر لفضيحة أخرى! انتبه لصرختها فتقدمها يستقرأ ارتعاشها ببراعة "ماذا بك؟"

"أين الأولاد؟" هزّ رأسه بلا صامته "الرجال يمشطون المنطقة" وضعت كفها تكتّم شهقتها والصدمة تَلُكم معدتها بقوة تهمس ببكاء "هناك شيء خاطئ!" وجدتُ ذرية بحمام النساء ترتدي النقاب" احمرت عيناها وارتفع حاجبيه يسأل "أما زالت هناك؟" تحركت ليتبعها قائلة "سُها ورباب يُراقبها" توقفت رباب ببهو الفندق أمامها وجوارها سُها لتهتف الأولى والشر يلمع بعينها "مرحب ذرية؟" دفعتها الأخرى باضطراب تتخطاها خطوات قائلة "مَن ذرية يا مدام" سحبتها رباب بقوة تهتف بإجرام "توقفي ذرية أمرُك انكشف" شدّت سُها النقاب من فوق وجهها "صوتك فضحك يا كاذبة" كتفاها جيداً وكلاً منهن توعدا بهذا الركن المُنعزل سها تسبها ورباب تُمسك شعرها بقوة وكأنهما من نسل نمم اكلي لحوم البشر، ركض داود وخلفه سلّمي وهو يلّمح المشاجرة بينهم وتدخل بعض العاملين بالفندق ليهتف إلى سلّمي "احضري مفتاح غرفة دهب، الوضع يخرج عن السيطرة" تقدّم يسحب ذرية بعنف يضغط ذراعها ويتعامل مع أمن الفندق ببراعة وحكمة، جُنت ذرية وقد وقعت بالمصيدة كيف ستلحق الرُجل الذي ينتظرها بالنقود، عشرة ملايين لآبد وأن تحصل عليهم وبذات الوقت لا تُريد عداوة تجمعها بسلّمي حتى تُنهي خطتها الثانية، هتفت وهي تجد سلّمي انتهت من مكالمتها "سلّمي؟ دعيه يتركني ثم ماذا فعلت حتى هاجمتني أخيك؟" سحبها داود يهمس بغضب "أخري؟ توقفي عن الجدل ودعينا ننظر المصيبة التي وقعت على رؤوسنا"

احتضنَ عامر لينا تحت ذراعه ومال يهمس لها "لا تبكي لولو أنا معك" رفع عيناه لسائق السيارة والرجل المجاور له، أليس هؤلاء من جاءوا سابقاً لبيتها؟ تملل في جلسته يفسح مكاناً وافرّاً للصغيرة تجنباً لمن يجاورها، شرد فيما حدث منذ نصف راکنٍ ما فعل إلي عمر وحذاقته!

ركضَ حينما سمع صوت صراخها يأتي من بعيد ليصل إليها ويلمخ رجل يحملها ليقطع المسافة صارخاً باسمها وكفه تُرسل رسالة تتبع الموقع إلى عمر، دس الهاتف في جيبه وامسك بذراع الرجل الذي ما إن تفاجأ به لكمه بقوة ليترنج ساحبه معه أرضاً ويلكمه هو الآخر، تغلب عليه ثلاثتهم والرابع يُمسك بلينا!

أنتبه ولينا تهمس له "أريد دخول الحمام عامر!" تحسس كدمة وجهه ومال يهمس لها "هل متأخ الصبر قليلاً" هزت رأسها بلا دامعة ليتنهد وهو يهتف للسائق "يا هذا الصغيرة تريد فعلها بشدة" صاح السائق بغلظة "تفعلها تحتها" هتف يستقره وفكرة ما تندفع لعقله "أنت إذن من سينظف القرف فليس الأمر ماءً فقط" ارتبك الرجل كما ارتبك من جوارهما ليصيح أحدهم مرتاباً بقرف "لن أتحمّل تغوط الصغار ها أنا أنبهك" ومع جدال الرجال همس لها عامر "لينا تصنعي فعلها بقوة واصرخي بالبكاء" تمسكت الصغيرة ببطنها والخوف يتنحى عنها قليلاً ليشجعها عامر بابتسامة مطمئنة، صرخت محدثة ضجيجاً عالياً تتلوى بشكل مفرط قائلة "لن استطع تحمل الأمر أكثر أريد الحمام حالاً" توقفت السيارة قرب استراحة على الطريق ليهتف الجالس بالأمام قائلاً "تعالى معي يا مقرفة" هتف عامر بتصميم "لا، سأذهب معكم" ضحك الرجال بسخرية وأحدهم يتندر "ولما هل سوف تُغير لها يا ماما" فهقه الرجال ليهتف عامر بتأكيد مدعي التأثير "للأسف الصغيرة لا تتمكن من الأمر كاملاً حتى أننا بالأمر تركناها تقوم بالأمر وحيدة من باب التعود ولكن كانت النتيجة تلوث البيت بالقرف" رفع كفيها إليهم وأكمل يستقر أنفهم "خرجت علينا والطين بها" رمق الرجال كفي الصغيرة بريية واحتاروا بتلك البلوى ليهتف عامر مستعجلاً "الأمر خارج استطاعتها، لديها جرثومة المعدة الفاتلة، من كثرة النودلز والرقائق وتلك الحلويات و" قطع حديثه السائق صائحاً "كفى قرف هل ستروي تاريخ حياتها؟" توجه الرجال ومعهم عامر ولينا نحو الاستراحة ولكن أوقفهم عامر يهمس بنبرة صوت هازئة تقصد وصولها إليهم "لواردتم لفت

أنظارِ العالم بغموض مظهرنا ما فعلتُم هكذا" توقف أحدهم وقد سمعهُ ليهتف بغضب "تفرقوا يا بهائم وراقبوا الاستراحة من الداخل، وأنت معهم، وأنا هنا على الباب حتى أخبر الباشا بتلك المُصيبة التي فعلناها" وعلى باب المرحاض هتف عامر "سوف أدخلها حمام الرجال لن أستطع دخول حمام النساء" هتف الرجل مُستغرباً "هل ستدخل معها؟" قلبَ عامر عينه وهتف غاضباً "ألا ترى؟ فستانها سوف يلوثنا جميعاً" تحير الرجل بتلك الورطة ليهتف "إذا تأخرت سأكسر الباب" دفع لينا أمامه إلى الداخل ليُغلق عليه وعليها والصغيرة تهتف "هل سوف تراني وأنا!" رفع سبابته على فمه ينبهها للكتمان ومال يهمس لها "اسمعي جيداً، سوف أعطيك ظهري حتى تنتهي وبعدها سوف نتصرف، فقط أسرع" أعطاه ظهره مُنبهاً عليها بما سوف تفعله ليتقدم صوب الباب الفاصل بينهم وبين الرجل هاتفاً بصوت عالي "ما الذي فعلتيه هذا يا لينا؟" وبدورها صاحت الصغيرة تبكي "أسفه عامر بطني تؤلمني" "هذا قرف، قرف ورائحتك كريهة"

"أسفه أخي غصباً عني" مال ينظر من ثقب الباب وقد انفت نفسه المكان ولكنه مُضطرب لذلك، لمح الرجل بالخارج يُمسك بأنفه لينتبه لكفها التي دفعت خصره وهمسها "انتهيت" التفت لها يُشير بالصمت ليتقدم إلى النافذة التي تعلو مقعد الحمام يفتحها، تحمّد وهو يجدها تطل على مكان خلوي وارتد إليها قائلاً بهمس "سوف اخرج من هنا وأتلفك بعدي، لا تُصدري أي صوت"

\* \* \* \*

انتهى من وصلة الرقص مع حمّو ليجد الطاولة خاوية فاخرج هاتفه يطلب أخاه واجداً رسالته، تحير لما يُرسل له موقعة؟ هم بطلب رقمه لكنه توقف وشيء به يمنعه، تفقّد الحُضور بعينه العسلية ليخرج راكضاً يبحث عن أي منهم ويسأل أين اختفوا؟، دقيقتان من البحث حتى لمح شهاب وأدهم وقد ساد التوتر والوجوم وجوههم ليصرخ "عمي شهاب ماذا حدث؟" تقدم الصغير حدّهم وصاح "هناك شيء مع عامر" رفع هاتفه يكمل "أرسل إليّ موقعة" النقطة شهاب وانتبه أدهم قائلاً "اسمع عُمر هناك من خطف لينا وعلى ما يبدو عامر علق معها انتظر هنا ولا تبرح مكانك حتى نعود إليك" دمعت عين الصبي وهز رأسه موافقاً يهتف "أين ماما؟ أريدها" صاح شهاب يُطمئنه

"والدتك هنا لا تخف أنت رجل" رفع هاتفه يصيح بعد بُرهة "سُها عُمر بالبهو لحاله؟"

وبالخارج صاح قاسم يهرول إلى سيارته "يا أبناء الكلاب موتكم على يدي! كيف أخذتم الاثنين كيف؟" هتف الرجل "يا باشا المرأة نصبت كميناً ما لبثنا حتى وجدنا الصغيرة تهتف أين حقيبة النقود ماما تُريدها" توقف قاسم ينتبه لما يسمع وعقله يسترجع ما حدث فقد أرسلت له المرأة رسالة مفادها أنا هنا أين أنت؟ ليخبرها أن أحد رجاله ينتظرها بالشارع الجانبي للفندق وستستلم منه وتسلمه! فما الذي جاء بابنة داود التي أقرت بنفسها عن أسمها وأسم والدها؟ ما الذي دفع بعامر بن سلمى معهم؟ اتسعت عيناه وانتبه عقله بكينونة المرأة وتوعد داود الذي يلاعبه هل أوهمه بما سبق ودفع بزوجه للمساومة؟ ضرب على مقدمة سيارته وهو يهتف على الرجل "احضرهم فوراً للفندق وأخبرهم انك لم تخطفهم بل أنقذتهم من الخطف" اغلق الهاتف لا يعلم ماذا يفعل ليجلس داخل سيارته مُشتت، كيف سيُبرر ما حدث؟ أما عن داود فسوف يُجبره على تطليق سلمى ما إن هددته بفضح زوجته،

صرخ داود بعد مواجهتها وقد هاله ثبات موقفها فقد اعترفت بانها من ساومت قاسم فتلك فرصة لن تتكرر ولكنها لم تتقصد لصق التهمة بسلمى، ثم ما المانع من التبرُّج؟ هي زوجة داود الرازي وقاسم عرض عليه المبلغ ليُمحي إدانتها! هي تعلم أن زوجها بفرط أخلاقه البالية سيركب فرس الفضيلة ويرفض بكبرياء نفسه "لست زوجتي أنا طلقتك فور علمتُ بخيانتك!" علت أنفاسه بعجز لتتقدم سلمى إليها وقد وصلت من الغضب ما وصلت لتهتف مُقابلها "أين ابنتك يا عديمة الأمومة؟" صرخت ثانياً والأخرى ترمقها بنظرات مُبهمة "أين ليينا يا ذرية؟ ماذا فعلت بها؟" رفعت كتفيها تُجيب دون قلق كيف تُطلق دون ثمن "أنت لما تتدخل؟" أشارت على المحبس والخاتم الذين سكنا إصبع سلمى وأكملت "هل تزوجت حقاً؟" علا صوتها تسأل وقد ظنت أن خطتها الأخرى فشلت "من زوجك سلمى؟" تبادلت سلمى مع داود النظرات الداهلة لتسأل بصوت غاضب "من هذه؟ صديقاً كيف كنت تتحملها؟" التفت صوب دهب التي تقرأ المشهد بصمت وسألت "دهب؟ سامحي سُوالي! أنت لم تُنجبي وحاكي الله بأمومة أنا تذوقت حنائها فكيف لمن صرخ رحمها أن لا تفرع؟" ودون التردد تقدمت إلى ذريته تُمسك بمقدمة ملابسها بقوة وتصرخ "أين ابنتك يا!" دفعتها ومازال

السبب على فمها لتتهف ذرية وقد انتهى رصيدُ العقل لديها وظهر الطمع على وجهها والبشاعة تكسوها "أخبريني ممن تزوجت أولاً؟" وتحت صدمة داود والشلل التام الذي أصابه تقدمت دهب إليها والشك أصبح يقيناً لها لهتف بتروي "تزوجت داود يا ذرية! تزوجته سلمى هل هذا الأمرُ فارقٌ معكِ؟" تهلل وجهُها تحت صدمة الجميع وهتافها بفرحة عارمة "يا الله أخيراً تحقق حلمي" صرخت بها دهب وقد وعت ملعوبها "الله؟ وهل تعبدن الله مثلنا؟ مما خلقتي؟" لمعت عيناها ناسية ابنتها وما فعلت ومن حولها وكل من بالعالم وقالت بثقة "دهب هانم أنت سيدة أعمال الشرق بأكمله تعلمين الحياة صفقة وسلمى صفقتي" وقفت أمام ثلاثتهم تُطالعهم بفخر الحاصل على جائزة عالمية "أنا من وضعت الحب بينهم؟" تقدمتهم بخطوات الأفعى "هل صدقتم ثرعات الهوى والنظرة الأولى وذلك الحب العذري؟" رمقت سلمى بابتسامة واسعة "أنت أردت أحداً يُشعرك بكيانك، يهتم لحزنك، رجلٌ شهم يشمل امرأة مُهلهلة" لوحت له وأكملت "ها هو؟" تقدمته وعيناها تتحداه قائلة "وأنت! جامد صريح الخطى تلزمك امرأة تكسر جمودك وتوافق طبعك رَغَم اختلافها، امرأة تُحفز قلبك وعقلك، تُحفز رومسيك المقتولة بيدي وتُشعل ناراً أخدمتها حتى تركع لها" تنهدت وابتسامتها تزداد ثقة لتهمس "وركعت! رَغَم النكران والرفض هبّت نارُك مع نارها" قهقهت وعيناها بعين دهب التي أوشك عقلها تركها "ما أنا سوى سبب جمع بين البائسين دهب هانم! لذا استحق الجائزة الكبرى" همست دهب غير مُصدقة "أهناك مخلوقة على وجه الأرض بذلك التشوه النفسي! ما جائزتك؟"

"نصف ثروة يوسف المصري واترك عسافيرُ الحب تُرقزقُ بالجنة، لن اطعم في الأكثر" سأل داود بصوت كما خوار أسد يُصارع الموت "وابنتك؟" "تلك مُسكلتك" تنهدت وقالت تُشبك أصابعها أمام بطنها "لولا عنادك لما أرسلتها تستلم المال بنفسها" اغمض عينه والحسرة تتملكه تزامناً مع صرخة سلمى "ابنتك خُطفت؟ خطفها رجالُ قاسم يا ذرية" شردت مصدومة حتى توسعت ضحكاتها وهتفت إليهم دون شعور بالذنب أو الفرع "لا تقلقي الفيديو معي نطلب النقود مُقابله ومعها لينا" التفت له تُكمل "اتصل عليه إما النقود



والبنّت أو تُغرّق الميديا بما فعل، ولا تخاف الناس ستُصبح محامي فضحت رجلاً فاسداً وتُربح الفضيلة كما تدعي

صفعة بقوة عشرون رختر تلقنتها حتى ارتمت تحت سابع أرض ليخرُج داود عن السيطرة مُخرجٌ مُسدسُهُ من خلف ظهره صارخاً "موتك الحل يا سافلة، معنى أن أكلم قاسم أنني متواطئ معك، حطمتي أسمى وتعب العمر يا دُرية، لن أرحمك" صرخت ذهب كما صرخت سلّمي التي وقفت قُبالة تهتف بخوف "لا، لا داود تلك كلبه لا تستحق أن تُضيع مستقبلك من أجلها" صرخَ وقد تجمّعت الدموع بعينه "لا تتدخلني" هزّت رأسها رافضة وقالت برجاء "لا سأدخل ألسنتُ زوجتك؟" صرخ كما المجنون بها "ابتعدي سلّمي" صرخت عليه خائفة "أقتلني أولاً" صرخت ذهب تترجأه هي الأخرى لتدفعه سلّمي في غفلة للوراء تصرخ "يا غبي لا تنسي ابنتك؟ أفق حتى نعلم مصيرها ومصيرُ ابني" تعثر بالمقعد خلفه وكاد يقع لتنتهز الفرصة وتخطف المُسدس من يده وذهب تُحاول دفعه أكثر غافلين عن دُرية التي اغتنمت الهرج وفرّت هاربة

\*\*\*\*

امسك عامر بجسدِ لينا التي القت بنفسها من النافذة ليهمسَ وهو يسحبها "أسرعي لينا" لمَح السيارة التي قَلَّتْهُم فارغة ليتوجه صوبها بحرص بالغ وقد لمَح تجمعُ الثلاث رجال بداخل الاستراحة، حمد الله على ترك المُفتاح بها ليركب من بابِ السائق ويلتقطُ جسدَ لينا معه دافعاً بها للمقعد المجاور ضاغطاً ذرِ إدارتها ويتحركُ مُسرعاً! صاحت الصغيرة تهتف "هل تُجيد القيادة؟" أشار قائلاً "ضعي حزام الأمان؟ أين هاتفك" التفت للخلف مائلة تلتقطُ هاتفها حيث وقع منها ليتناولهُ يطلبُ والدها ويُفعل جهاز التتبع ليعلم أي درب يسلك! جلسَ يُسندُ ذراعيه فوق ساقية والسيجارة مُعلقةً بأصابعه وبالمقابل ذهب صامتة وسلّمي تُدخنُ بشراهة وعينها عليه، لم يعد يعلم من أمره شيء! أين نور عينه؟ صغيرته من تحمّل لأجل عيونها تلك الغولة بشكل امرأة، غولة؟ بل شيطانٌ رجيِم عجزَ عن كشف أمره، كما المُلحد طاف بدينها الرث لا قيمة له ولا معنى، لا مذهب لا صلاة ولا فرض، سنّتها بدعة وإيمانها خِداً وهو المُتعبدُ للوهم! سُحقاً لمن اقرّ وافتي بالتحمل من اجل الضنى فما هي ضنا عُمره قتلتها

كافرة بدين الأمومة والرحم! "حقاً؟" همسَ بها لنفسه وعينه اختلطت بعين سلمى ليكمل لذات النفس المهلهلة "الحق حق داود لا يوجد بتلك الحياة حُب" انتبه لهاتفه الذي رنّ فقطع شروداً كاد يدفعه للكفر لينهض وهو يهتف مُلتاع القلب "لينا أين أنتِ يا عُمري؟" صاح مُجدداً وهو يدفع سلمى أمامه "اذهب على البيت فوراً ونحن بالطريق إليك؟" وصل أدهم وشهاب ومعهم جمهوراً من رجال الحراسة لتلك الاستراحة ليهتف شهاب للرجال وهو يترجل من سيارة أدهم "طوقوا المكان" هتف أدهم مُشهراً مسدسه "شهاب أنظر" تطلع ليجد أربعة من الرجال يضربهم التخبُّط ليزحف الرجلين إليهم بحذر حتى استمعوا لأحدهم يهتف مُضطرباً "لا أعلم يا قاسم باشا؟ الولد اخذ السيارة وهرب" رفع كلاً من أدهم وشهاب وبعض الرجال معهم الأسلحة بوجوههم وأدهم يُحذره بهمس "افتح مكبر الصوت وإياك واللعب" أطاع الرجل كما استسلم من معه وقد وقعوا بكمامشة مدججة بالأسلحة ليصدح صوت قاسم عبر الهاتف يصرخ "حرقكم الله يا أغبياء" علّت أنفاسه حتى صاح مُجدداً "اختفوا من الوجود جميعكم وأنا سوف أحلّ الموقف" اغلق الهاتف ليأمر أدهم بأخذ الرجال الأربعة لمكان حيث أمره النائب العام ليتوجه وشهاب الي السيارة يطلبُ عامر ويسأل عن موقعه حتى يتبعه!

\* \* \* \*

ومن خلف شاشة حاسوبها شاهدت الفيديو مُجدداً تضحك وتهمس "عرض زفاف هابط مثلك يا سلمى وما بنيتَه على باطل لن يهدّه سوى باطل مثله" تركها عابد متوجهاً لُعرفته وصورتها وهي تتمايل بأحضان ذلك المحامي تُأججُ حقدّه، كانت له ولا بد أن تُصبح ملكه، لن يستردها سوى عن طريق الشيطانة نهى! ليتُركها تهذّ المعبد فوق رؤوسهم ويدخل بأخر لحظة كالأمير يُنقذ محبوبته ويفكّ أغلالها الملوثة مُعلنأ براءتها وبراءة ذمتها ويُعيدها الي قصره معززة مُكرّمة وأبنائها يدفون دفوف النصر فرحين بأبوتِه! تبسم بنشوة وأغمض عينه مُستسلماً للنوم يهمس "أنا أولك ونهايتك سلمى! أما ثروتك المعظمة فسوف أحتار كثيراً فيما أنفقها"

\* \* \* \*

لَمِلْت مُجوهراتها وكلُّ ذي قيمة واطعة آخر حقيبة في سيارتها التي أنزلت صورَها على موقع حديث العهد تعرضُها للبيع لسرعة السفر! تطلَّعت من نافذة عُرقتها المظلمة لتجد الجميع يقفُّ خارجاً وكأنَّ الحربُ أوشكَ اندلاعُها، تابعت المراقبة من بين ظلام بيتها حتى وجدت سيارة أدهم وخلفها أخرى غريبة توقفت لتلمح عامر ينزل ويحمل ابنتها بين ذراعيه، همست مُتهكمة "أنقذها بئ الحارة! انعمي سلّمي فلا بُدَّ أن يُثني داود على ابنك ثناء البطل المُغوار" انتبهت لبدء خلو الشارع وقد تخطت الساعة على الرابعة فجراً لتتحرك بعدما لمحت رجال داود يأخذون السيارة الغريبة ورحلوا فوراً، تحركت وقد ارتادت سيارتها تتأكد من وجود مُفتاح شقتها التي اشترتها كتأمين لمستقبلها دون علم أحد! لتتحرك متوجهة صوبها وهي تهتف "إذا لم تدفعي نصف ثروتك بالذوق والرضا الغصب موجود أينها المُمرضة؟" وعلى أعتاب منزل سلّمي احتضنت عامر ولينا التي يحملها تهمس بخوف وهي ترى كدمة عينيه "هل أنتم بخير" ابتسم عامر بتعب وهتف أريد الحمام بشدة" هتف من خلفها بصوت ملهوف "لينا؟" ارتمت الصغيرة صوبه تهتف بكاء "بابا خطفني أربع رجال وعامر أنقذني" شدد من احتضانها وكفه الحُرّة تضغط كف عامر قائلاً "لا اعلم كيف أوفيك حقك بُني" انتعشت رجولته وتعاضمت لديه الثقة مع بعض الغرور المُحبب ليهتف بمحاولة رجولية لتبديد الخجل "وهل فعلتُ شيء؟ فقط اتركوني اذهب إلى المرحاض" أغلقت سلّمي الباب خلف دخول الجميع والتفت وعينها تتابع هرولة عامر تعي حالته لتسأل لينا "ماذا حدث؟ وكيف هربتُم؟" نفخت الصغيرة خديها من فوق قدمي داود وربعت ذراعيها تهتف بنزق "ابنك فظ طنط سلّمي" دمعت عينها بصدق وقالت بخجل ارق الجميع "لن اغفر له ما فعله بي في الحمام القذر" نظرت سلمى بترقب حذر لداود الذي تحفّز يُدير الصغيرة له يتفحصها والشك يعصف به فهتفت بقوة ثقتها بابنها قائلة "تكلمي واتركي هذا الجيئ المُعقد لينا" قصّت لينا ما حدث بطريقتها التي تحبس الأنفاس لتنتهي وهي تتطلع الي عامر الذي حضر وقد أخذ حماماً شديداً سخونة حتى بانّت خُمرة جسده لتهتف وهي تُشير عليه "ها هو، لا بُدَّ أن يُحاسب على ما فعل" كتم الصبي ضحكته وامتنع عن

لمسها قائلاً "هيا اذهبي وتحممي بماءٍ ساخن جداً" حملتها رباب الضاحكة لتصعد بها تهمس "هيا لينا سوف اجعله يتمنى الكلام معك من كثرة نظافتك" صاحت الصغيرة من فوق السلم "يكذب ويصدق كذبتة! لم افعل شيء يا ناس مما ذكر" جلس عامر جوار السيدة ذهب التي أجرت كفها على كتفه بفخر وهمست له "ما شاء الله، كما كانت تصفك سلمى رجل رُغم صغر سنك عامر" تبسم برجولة والجميع يمنحه الثقة ليهتف وهو يغمز إلي عمر الصامت "الفضل لذكاء عمر لولا تفهمه لما كنا هنا" نهضت ذهب وصُهب خلفها قائلة "تأخر الوقت دعونا نذهب ونلتقي غداً" تبعها شهاب وأدهم ثم استأذنت سها تُسند عمر السابح بالنوم ليخلو المكان على سلمى وابنها وذلك الصامت دون النبس، همست لعامر تسأله "هل سينام عندنا؟" رمقها بعتاب يهمس "صار واحدٌ منا هل سوف نطرده؟ ثم ما باله؟ ماذا حدث؟" تهتدت وعينها تُتابع عمق شروده وهمست "تعال نصنع عشاء لك وله وأخبرك بما حدث" نهض ورائها مُبتسماً وقال بمزاح ما إن انفرد بها "تصنعين له العشاء وابنيك الذي قاتل أشرار الفضاء تنسيه يا سُلَيْمَة! لا! أنا حزنّت" تبسّمت تسمع دلالها الخاص به "سُلَيْمَة" لكن كلماته أشعرتها بالذنب! لتهتف باعتذار طلل من عينها "لم اقصِد عامر والله أشفق عليه فقط" احتضنها مُقبِل رأسها وابتسامته تتوسع على مسئوليتها التي لا تقدر ليهمس ومازالت ترتاح برأسها على صدره "كفى جلدًا للذات حبيبتي، اعتقد أن الأوان لُتلقى همومك علينا ولا تعبى بشيء" استكانت فوق صدره وشعورٌ جديد يُلْفها برقة كيف لمن مازال طفلاً بنظرها أن يحوي روحها بذلك الدفء؟ ابتعدت تسمع سُعال داود الذي تملل في جلسته فهمست "لا اعلم كيف التعامل معه" سرقت نظرة إليه وهمست مُجدداً "أُفضي لك سرّاً؟" شجعها مُبتسماً وهز رأسه موافقاً بحماس لتهمس وعينها عليه "أشفق عليه رَغم حنقي منه" فهقه برجولة أسعدت روحها اليايسة وهمس "حضري العشاء وأخبريني بما فعلته باري، واتركي الحنق جانباً" ومن جلسته الصامته سأل وهو يرى عامر يضمها ويفضض لها، متى يكون له الحق في بعض من تلك الفضفضة؟، طرح رأسه للخلف مُغمض عينيه وقد بدأت بالتحرك بمطبخها يسأل نفسه سؤال تكرر في الساعات الفائتة ألف مرة "كيف لا يوجد حُب؟، وتينه يُنبض في حين أن كلمات دُرية هدت المحراب على رأسه

وأدخلت عليه الشك والريبة! يعلم شعور الكره والمحبة ألم يكرهها حدّ الحرق، واليوم لهيب قلبه يشتعل عشقاً؟ فكيف يُخالجه التخبّط بما صنعتُهُ ذرية؟ شتاتاً وتيهاً وضعتُهُ بعقله لتتركهُ تحت رحمة القلب ولوعته! اعتدل وعينه تُلازمها وسوياً مُدبب السهم اخترقهُ، هل لأمس قلبها عاطفة ولو قيد أنملة؟ يرضيه القليل مادام منها، ليتها تترك له فُتات قلبها يقتات عليه! انتبه وعامر مُنبهاً "هيا العشاء جاهز" رفض بصمت وقبل أن ينطق بكلمة أردف الصبي "هيا، لم نأكل شيء وكنا طوال اليوم معاً" سحبه حتى همّ بالوقوف وقال مازحاً "لا تأنف مثلي سُلَيْمة طعامها نظيف" تحرك جواره يتذكر الطعام الذي كان يأتيه من جانبها ليعي أكثر على فداحة الأمر، همس مغلوب الأمر "سافلة" جلس بمنضدة المطبخ وعامر جانبهُ لتهتف لهم وعينها تتفقده "سوف اذهب وأغير ملابسي" ناولهُ عامر واحدة من التوست المُحمّص "تفضل، أنت تحبه هكذا؟" التقطها وابتسم بتهكم "أرى أنكم تعلمون الكثير عني"

"ماذا تقصد"

"لا شيء"

"اعلم أني صغير السن مقارنةً بك ولكن يُمكنك التكلم عمي، لن يخذلك عقلي" طالعه بتقدير الصاحب ليكتشف أن الصبي يحمل في طياته بعضاً من روح يوسف ليهمس صدق من قال العرق يمدّ لسابع جد، تنهد قائلاً بعد صمت "هل هناك ما يُقال عامر؟ انكشفت اللعبة وصارَ الحاضر تجربة أُجريت بمعمل شديد التوحش" ابتلع عامر ما في فمه قائلاً "لكل تجربة نتائجها السلبية والإيجابية! أراك تنظر للفشل! هذا إن وُجد!" طالعه غارقاً بالمعنى وهتف "إن وُجد؟ ألا ترى الأمر سافر؟ مؤكد علمت بما حدث" وافقه بنعم قوية وأغلق فمه يلوك الطعام بروية حتى قال مُبتسماً "لا تفعل مثلي! أنا حاصرني صغر سني وحدثتي بالتجربة، أما أنت سنوات عمرك كافية لتعي الحقيقة من الوهم" التف بكامل جسده ينفض كفيه بهدوء وقال بعمر مضروباً في عشر "هل تسمح لي بالحديث المفتوح دون المُواربة؟" وافقه وعيناه ترجو ما يشدُّ أزره ليبتسم عامر له قائلاً "اتفقنا" تغيّرت ملامح الفتى بلمحة حزن يتذكر يوم فضيحة الحارة ليشرح له حصاراً عايشه بكيانه، فضيحة شرف زينت جبهته

بطلتها والدته تُسحب للسجن تاركتُه بسجن أكبر، لم يجد من يُطِيب خاطره ولا من يحميه من عواصف نفسية اقتلعت صلة الأمومة من كيانه سوى أصرار عُمر، لم يُلقي لها بالاً ومع إهمال الأب وقسوة زوجته والجدة استسلم للوحدة وظُنون الشك التي كتمت أنفاسه حتى بات عاجزاً عن التفوه بكلمة تقهره، لا قادر على الدفاع ولا الهجوم والترفع لتدفعه التجربة القاسية نحو دروب العُنف الذي كاد يُنهي حياته، وهنا فتح الفرَجُ أحد أبوابه لتدخُل والدته وبيدها الدواء، ما كان الدواء سوى الفهم والمثابرة على قراءة نتائج التجربة التي بدأت بفشل حتى تفهم أنها أفرزت فتى بعمرِ اللهو والمُراقة تَلَفَحَ بثوب الرجال والمسئولية، وهنا؟ قمة النجاح حيث استخلاصُ مكنون التجربة بإيجابية! رفع عينه الي داود الذي توسّعت مُقلتيه وارتقعا حاجبيه دهشة مما يسمع، ليهمس له عامر برجولة سَبَقَت المهد "اجل عمي اشعرُ واني مُكتمَل الرجلولة عقلاً وقلباً ويعلمُ الله خُواءُ نفسي من ذرة غرور ولكن الفضلُ بعد الله لواحدٍ فقط" همس داود ورباطٌ غريب يُقيدُه بالصبي "مؤكد والدتك" تبسم عامر هازئ رأسه بلا معني ليهمس وعينه مؤكدة "أنت، داود الرازي" انفرج فم داود من الصدمة وارتعد جسده لينهض عامر يُلملم الأطباق ويُنظف مكانه تاركاً له مجالاً لجمع شتات نفسه حتى انتهى يضع كوبين من الشاي الساخن أمامه "اعلم أن ما قالتَه زوجتك قاسي ويفتقدُ للرحمة ولكن؟ هل لمخلوق على وجه الأرض قُدرة في صنع ما ملكته أصابع ربك" ارتشف من الشاي القليل وأردف "لن أخفي الغيرة التي تحرق دواخلي على أُمي ولكن؟" طالعه داود بصمت الصدمة ليبتسم بخبث جعله نُسخة من سلمى وقال "لم أُجرب الحب ولا اعلمُ كُنْتَهُ ولكن تجربتي اليوم مع لينا أشعرتني بفداحة المسئولية، رُغم أنها طفلة ولا يربطني بها شيء لكنني كنت على استعداد أن أُلقي بنفسي في النار ولا يمسها أحد" اتسعت ابتسامته وسأل والخبثُ يزدادُ بعينه العسلية التي تطابقت بوالدته بتلك اللحظة "ماذا لو كانت حبيبتي؟ صِف لي أنت ذلك الشعور عمي؟" نهض داود والغيط يملكه ليهجم عليه يجذبه من ملابسه ويهمس "احترم نفسك أنت تتكلم عن ابنتي" قهقه عامر حتى دمعت عيناه وهمس وقد تفهم داود مقصده "الحمد لله إذن ستترك سُلَيْمة حبيبتي فهي الأخرى والدتي" وكز داود كتفه ولا يدري كيف ومتي احتضنه ليهمس بصدقٍ

أستشعره عامر بقوة "يا زين ما ربّت سُلَيْمَة، بعمرى لن أفي جزاء ما فعلت من أجل ابنتي" التف داود وقد غلبه النكاء ما إن تذكر ليلى وما كان سيطأها ليبدد عامر الأجواء يهتف "حسناً داود باشا هناك خدمة تصنعها لي" مسح عينه بإبهامه قائلاً "ماذا تريد"

"استخراج بطاقة الرقم القومي"

"الم تستخرجها بعد، كم عُمرِكَ بالتحديد؟"

"كم شهراً وأتم السادسة عشر" جمع ما بين عيناه يسأل "وكيف لم تستخرجها بالمدرسة" توترت ملامحه قائلاً "خُفْتُ قضية والدتي" ارتفع حاجبي داود بصدمة وهتف مُتذكراً "ألا تعلم بأنّي شطبتُ القضية وكأنها لم تكن" سأل مُندهِش "لم تُبلغني ماما" ارتفع حاجبيه مصدومٌ ليمسح مؤخرة رأسه قائلاً "غالباً لا تعلم، يبدو مع الأحداث نسيْتُ أخبرها"

"جيد، سأبدأ غداً في السعيّ لاستخراج بطاقتي الشخصية" تحرك الاثنان والنُعاس يُنْقَلُ جفونهم ليهتف داود "لا تذهب وحذك سوف نذهب معاً، غداً الجمعة سوف نذهب فيما بعد" جلس على الأريكة ليسأله عامر "هل ستنام هنا؟" هزّ رأسه بنعم ليسحبه عامر وكأنه أخّ له "هيا الى غرفتي حتى نُرتب الأمر" اعترضَ رافضاً مشاركة مساحته الشخصية ليستمر عامر بسحبه وهو يتنأب "البيتُ به نساء ونومك هنا سوف يُقيد حريتهم"

"هل تلك نواياك حقاً عامر"

"ماذا؟ هل مثلاً أغار، أخاف أن تذهب لتنام بغرفة أخرى؟" فتح بابَ غرفته وداود يهتف "الديّ شعورٌ بالخبط من جانبك"

"لا تشعُر يا باشا"

"أنت لئيم يا ولد"

"ليستُ بلؤمك"

"نم يا عامر بدأت تهذي"

"استلق هنا جانبي، تصبح على خير عمي"

"وأنت بخير"

\* \* \* \*

انتهت صلاة الجمعة وتجمع شباب الحارة قرب قهوة المعلم متولي يتداولون هواتفهم بينهم تحت صدمته ظهور حمّو الذي أصبح مطرباً أحييا أكبر حفل شهدته البلد، كما أرسل إليهم شهاب مقاطع لم تُذاع عبر الميديا لينشرها الجميع بينهم، صاح شحاته يتفقّد هاتف متولي الذي يجاوره بالجلسة "كانت متزوجة؟ وما أدرانا أن الزواج لم يأتي بعد فضيحتها" صاح أحد الشباب هاتفاً بجديّة هابها شحاته "انتبه يا عم شحاتة المرأة اليوم بعصمة رجل لو نفخ بالحي لجعله دكاً، فلا تثرثر كثيراً في أمور تُحرق ولا تُثمن" صاح آخر يتقدم صوبهم "صديقاً لي من القلعة يعمل بذلك الفندق نادياً قصّ على كل ما حدث، لو ترى كيف وقف الرجل مُندداً بمن يذكر أسمها لتبولت تحتك" صاح شحاته بهم وقد ارتعب "لم أقل شيء! لعن الله الشيطان بما يفعل! سلّمي ابنه حارتنا ولا بد من الفرح لها كما أن حمّو ظهر ولا بد من تقصي الأمر برمته" لم يُكمل حديثه ليجد عربة نصف نقل تدخل الحارة وخلفها أخرى حديثه ينزل منها شاب مُنمق، رفع نظارته الشمسية لمُقدمة رأسه وهتف "مرحباً بكم، أغيبُ عنكم ثلاث سنوات لتأكلوا سيرتي كما تأكل القطّة أبنائها؟" رحب الشباب به ليتقدم صوب المقهى ومتولي ينهض قائلاً "حمو الجن؟ كيف حالك يا شقي" احتضنه حمّو بمحبة مُتذكر نصائحها كما لو كان أبّ له ثم حيّ شحاته قائلاً "مازلتُ على تلك العادة يا رجل يا طيب؟ كفى كلاماً عن الناس يا شحاته" قهقه شحاته يتفحصه بتدقيق ويهتف "عيني عليك باردة يا حمّو أصبحت تنافسُ محمود يس يا ولد" تفقد حمّو الجميع ثم سأل "أين عم علي السباك أحمل له سلام حاراً من الستِ سلّمي" سكن الحزن وجوه الجميع وشحاته يهتف "الم تعرف؟! قاتلتُها أذاعت الخبر على الفيس بوك منذ فترة البقية بحياتك يا حمّو"

"مات؟! عم عليّ توفي؟ لم أعرف ولم أتابع الميديا سوى من قريب" ردّ شحاته بوجوم وحزن "قاتلتُها نهى هُشك بِشك" قصّ متولي ما حدث كما قصّ عليهم هو



الأخر أحداث اليوم ذاته ليهتف شحاته يسأل والشك يتعاضم داخله "من التي كانت معك يومها؟!" هتف حمّو يعلم أن شحاته لن يترك الأمر "كانت شقاوة شباب وتاب الله علينا، ربك ستار يا عمي فلن افصح أنا امرأة" تلوي شحاته بجلسته قائلاً "أقسم بالله عرفتها، نُهي! ليس غيرها؟" أغمض حمّو عينه ونهض قائلاً "كفى يا عم شحاته لا نريد سلمي ثانية فقد جئتُ اردُ عرض المرأة الذي نهش وهي لا ناقة لها ولا جمل" هتف متولي مُتذكر بعض الفضفضة حين كان حمّو ينزحُ بها إليه ونُهي تُراوده قديماً "كفي ثثرة، الحمدُ لله تأكد الجميع من براءة سلمي المصري، رحمك الله يا عليّ يا سباك دافع عنها حتى لحظة نُطقه بالشهادة" تقدم حمو صوبَ السيارة النصف نقل قائلاً "وأنا اليوم جئتُ اذبح هذين العجلين حلاوة براءة سلمي المصري، أُختي وتاجُ رأس المنطقة بأكملها ورقصني يا جدع" صفق الجميع وبدا الشباب بالرقص لينقلب الحال ويقف الجميع مُتأهبّ وقد أتت برجالها وصبيانها تهتف بصوتها الجمهوري "ولد يا حمّو تأتي دون السلام علي" رمقها بحنق قائلاً بفتور "مرحباً يا معلمة قطعة" اقتربت تصيحُ وعينها تدور بالحارة "جدع يا ولد، سبع ابن أسد، ولكَ عندي حقّ عرب أمام الحارة بأكملها" التفت تستعرضُ نفسها أمام الجميع لتُعاود الصباح مُجدداً "وسلمي أيضا لها برقبتي دينٌ غليظ وبداية تسديد الدين عجلين مُقابل ما أتى بهم حمّو علّ الله يتقبل مِني ويغفر ذلتي التي لا تُغتفر" صاحت تحت دهشة الجميع "ولد يا عضمه أين العجلين يا ولد" هتف شحاته يتقدم إليها "سبحان مُغير الأحوال، أنا اطمع في العكاوي يا معلمة" قهقهت ثم هتفت تُشير على عيناها "عيوني يا إذاعة الحارة والشرق الأوسط وسوف أطبخها لك يا شحاته" التفت تتناول السكاكين من عضمه الذي افسحَ له الشباب المكان هو والعجلين لتَهتف "وأنا من سيذبحُ الذبائح بيدي لأجلِ عيونِ سلمي، أم أحفادي ضيّ العين عامر والغالي عُمر" رفعت أنظارها إلى شُرَفات الحارة تُشير والسكين بيدها لتَهتف "زغرودة يا حريم الحارة" التفت تُنتهي الفيديو الذي يصوره عضمه لترسله له مرفق برسالة مفادها "انظر بنفسك يا داود باشا كما اتفقاها، أنا أوفيت ووفيت فقط لا تُدخلني بدائرة جَهَنم خاصتك" هتف شحاته من بين الضوضاء العارمة "اجعلي المرأة أم ولاء تطبخُ العكاوي يا معلمة، تلك

الأرملة التي تركها زوجها ومعها ست أبناء أكبرهم ولاء في كلية الهندسة وتلك الثانية!"

"ستظل النميمة وتقصي حال الناس آفة البشر، وتحت خيام النم نسي الجميع ما حدث وعيونهم مصوبة نحو اللحم بأفواه فتحت تبغي العقر غير عابئين بمصدره، هل لحم طير أو حيوان أو إنساناً مر؟! هكذا سطرت حسناء كلماتها فوق الفيديو الذي أرسله لها حمو فور خروجه من الحارة الظالم أهلها الي المدينة المدججة بالظلم والظلمة الدامسة لتنتشره بوفرة تُشاهد تضاربات القدر، صرخت بغل وهي ترى الحارة ترقص وتفرح برجوع سلمى وبراعتها الحاضرة، لتقسم قائلة "بشر في سيمرغ شرقك مجدداً يا ملاك الرحمة ليست نُهي من تهزم" غافلة عن ماضي بدأ يُغلق أبواب ظلمة ليفتح عنها أبواب إنصافه ويُسد الرامي بما رمى،

\* \* \* \*

دبّ العمل بالطابق الأخير بمكتب داود الرازي واليوم ليس كما سابقه، فسابقاً كانت قضية من ضمن قضايا مكتبه، واليوم! اليوم شرف زوجته وحبيبته، كتيبة كاملة خصصها ربّ عملهم مُعلنًا مكافئات مُجزية، لبدأ التقاني في إثبات براءتها ومع الأسف! الدافع مجرد مكافئة كرامة لمحبوته، آيت الجميع أو البعض يجد بنفسه حمية الشرف كما نصّ عليها المولى، لا حمية الراتب والمكافأة ونيل التراقي والشكر على ما بُذل!

هكذا همس شهاب وهو يوجّههم مُقرّاً بتلك الآفة التي تملك من أخلاق جيل بأكمله، أمل بثورة تُعيد العادات والتقاليد التي باتت بنظر الناس قديمة، بالية، مازال مثله لا تُقيده مصلحة وهناك أدهم لم يتلاعب بالقانون الذي تقلده، ذهب عقل يحكم الأمور بحيادية ونزاهة رغم طبيعة عملها، حسناء التي وعت درب الأمان بعدما ذاق مرارة ذبح الشرف، سُها ارتدت لطبيعة المرأة التي تشعُر بمثلها ليس لكونها أخت ولكن لكونها أنسان أولاً، رباب! الوحيدة التي حافظت على سجيّتها رغم طعنات الغدر، سجيّتها فائرة تغلبت على أحقاد الزمن وبفطرتها تفادت شظايا الحقد المتناثرة ونجت من الخذلان بكامل إرادتها،

حمّو مبعوثاً من جحيم الآفات! عالج نفسه بنفسه ليودع ماضيه بحاضر مُزَيّن  
بشارات النجاح والأمل!

تفقد الميديا التي بدأت في المباركات وتحسين التعليقات تحت وطأة السطوة  
مُشدّداً على الجميع انتشار المقطع الذي توعدّ به داود الجميع بالحفل مُرفقاً  
معه صوراً الثّقطت بعفوية لم تلاحظها سَلْمى أظهرت تناغماً بينهم بدأ يحسدها  
عليه البعض!

\* \* \* \*

بدأ أدهم العمل الرسمي بقضية قاسم الوكيل بعد تكليف من النائب العام  
شخصياً، ملّم بجوانب الموضوع ويستعد لاستجواب رجال قاسم، كما قدم  
مُذكرة تكفل بها داود الرازي مُرفق معها ملف تفصيلياً يشملُ فلاشة احتوت  
على ما يندى له الجبين ذاكراً بأن تلك القضية إن فُتحت فسوف يتولاها  
كقضية مصيرية واضعها تحت راية قضايا الرأي العام مؤكداً أنه منذ تلك  
اللحظة لن يترك عبث الميديا يُشيعُ الفجور بين المجتمع،

\* \* \* \*

أغلقت الهاتف مع السيدة ذهب التي رفضت الحضور لدواعي سفرها الي دبي  
لحضور معرضاً دولياً للمشغولات الذهبية فلم تتمكن من الاعتذار كونها ضيفة  
الشرف، انتبهت إلى ليلى التي دخلت من الحديقة تسأل "أين عامر طنط  
سَلْمى؟" هتفت سَلْمى باضطراب وقد ضاقت من ذلك الجالس بالصالة مُربع  
اليدين وعينه تترصدّها "لا اعلم ليلى، تقريباً بغرفته" صاحت الصغيرة وهي  
تقف على أول درجات السلم "عامر!، عامر تعال هناك من ينتظرك بالحديقة"  
هتف داود مُتحمس "ليلى؟ صوتك؟ سَلْمى والجميع سوف ينزعج منك" هزت  
الصغيرة رأسها بطاعة والدموع تتلألأ بعينها لتخرج إليه سَلْمى مُتحفزة تمسح  
كفيها من رزاز الماء وتلمح خوف الصغيرة التي ترمقها بحذر، هتفت مُشفقة  
عليها "أياك حبيبتي والخوف هذا بيتك وعامر وعمر أخويك تصرفي  
بطبيعتك! ألسن مثل ماما؟" تقدمت الصغيرة دموعها تنزلق تسأل برعب "هل  
ستضربيني وتحرقيني مثلها؟" انتفضت سَلْمى جزعة تلاحظ مدي تأثر

الصغيرة بما حدث لتحملها بنحافة جسدها التي لا تُناسب سنواتها العشر قائلة "أبدأ يا عمري من قال ذلك؟" رمقت داود شذراً لترويعها وهتفت "لينا؟ لا تخافي من أحد ولا تهتمي طالما تفعلين الصواب" انتبهت له وهو يسأل "هل ذرية ضربتك مرة أخرى؟" هزت الصغيرة رأسها وهمست تحتمي بسلمي "حين أخبرتها بأني لا أريد الذهاب لهذا الرجل وحدي صفعنتي على وجهي وقالت اذهبي أو أحرق جسدك" ضمتها سلمي بقوة تهمس بشفقة "لا تخافي يا قلبي لا تخافي ووعد مني لن اسمح لها ولا لغيرها أن يضربك أبداً"

" طنط سلمى؟"

" نعم يا عمري"

" لا أريد الذهاب للبيت مُجدداً"

" لن تذهبي حبيبتي ولن اسمح لها بلمسك طالما هذه رغبتك"

"وعد؟"

"وعد حبيبتي ولا تسمح لي لذلك الرجل أن يوقفك عن اللعب والتحريك بحرية" أنهت كلماتها ترمقه بتوعد وأكملت تسأل "من يريدُ عامر بالخارج؟" انزلقت الصغيرة من أحضانها حينما لمحت عامر تهتف وتمسح دموعها "هناك فتاة جيميلة تسأل عليك خارجاً، اسمها مريم!" حملها يسألها بترقب "هل كنت تبكين؟" أشارت على والدها وهمست "بابا صرخ عليّ، والله لم أفعل شيء يا عامر" جمع ما بين عينيه وقال وهو يتبادل النظرات مع سلمى ثم مع داود "افعلي ما يحلو لك طالما لن تتأذي" التفت بعينه مُجدداً الي داود يسأل بهمسٍ "وقد انزلها أرضاً" لما تصيحُ عليها يا باشا؟"

"لا شيء كانت فقط تصرخ عليك بصوت عالي"

"يا سلام؟ ألا ترى عُمر ماذا يفعل؟" أشار على سلمى وأكمل "وست الحبايب ما إن ثارت أعصابها علا صوتها حتى سمع أهل مصر بأكملها" ضربت كتفه بظهر كفها وقالت "من مريم يا حبيب ماما؟" تذكر الفتاة وهتف "كانت معي بالصف وللأسف رسبت في مادة فجاءت تأخذ بعض الملخصات التي

عرضتها على جروب الواتس الخاص بصفنا "هم بالخروج ليسحبها داود بهدوء هامساً "انتظر يا ابلى؟ هل ستخرج بتلك الهيئة؟" رفعت حاجبها بشر وداود يعدل قميصه يفتح أوله بسخاء ويثني أكمامه للمنتصف بعصرية إلي أن تلاعب بشعره الناعم يميناً ويساراً ثم هتف يتفقد "هكذا الشباب يا ولد" دفعه يهتف خلفه "كنت أشبه بحاجب المحكمة" انتفض يراها مقابلته تهتف وسبابتها مشهورة "إياك ثم إياك أن تُعنف البنت لأي سبب، لا تُلغي شخصيتها" تقدمت خطوة والشر بعينها ليرجع بدوره للوراء يسمعها مُتيماً "لا تُخيفها مني؟ ولا تتدخل بيننا، كُف عن الحركات القديمة التي تفعلها؟" أسهبت في توبيخه غافلة عن استمتاعه بما تفعل، لو تعلم كم يشتهي وصالها تلك اللحظة لاخنت من الدنيا خجلاً؟ عصابيتها فآقت إغراء هند رستم وصوتها بتلك البحة التي تظهر ما إن صاحت عالياً أروغ من صوت أنغام التي يعشفها! تبسم بخبت وساقه تتلمس المقعد من خلفه ليُدعي السقوط للخلف مُستجداً بكفها، شهقت وهي تراه يهوى لتندفع لشدّه، وعوضاً شدها ليسقطاً وهي فوقه! هتفت تحت تأثير الخضة "أنت بخير؟" تفقدته بعينها العصبية تسأل "انكسرت ساقك أم ذراعك" همس وكفاه تحيط خصرها "قلبي سلمي"

"قلبك؟" انتبهت لموقعها لتهم بالنهوض فوراً ولكن ذراعيه لهم الغلبة، هتفت خائفة "اتركني؟ ما هذه الجرأة"

"تجاوزت كما عادتك"

"أي عادة يا مخبول؟ أتركني!" جاهدت لفك قبضتيه دون فائدة فمن يلوم المُتيم سوى جاحدا، همس مُتيم بها "تركتُ لك حرية توبيخي فوجب دفع الثمن" هتفت وعينها تتفحص المكان بخوف "داود لا تستفزني" ضحك على ملامحها الخائفة وهمس "لما الخوف والتلفت؟ أنت زوجتي" رمقته بغضب وهمت بالصراخ بوجهه ليهمس مقاطعها "سلمي؟ سؤال وجوابي بصدق"

"اتركني أولاً وسوف أُجيبك"

"بشرط"

"ماذا؟" التف بوجهه إليها رافعاً وجنته لتصيح ذاهلة "لا أنت لا تقصد؟"

"هيا سريعاً فهناك أحدٌ قادم" ارتبكت تهتف بترجي "داود! ماذا أصابك؟"  
 "اقسم بالله لن أتركك قبل أن تُقبلي وجنتي وإذا ماطلت سيكون فمي" رمقته زاهلة بوجه شديد الحمرة لتَهز رأسها موافقة غصباً، اعتدلَ واعذلها معه يُعطيها وجنته يتقبَّلُ نفحاتها ومارده يُعربد اليومَ في قلبه، شعورٌ خُرافي وشفتيها تتلمس صدغه، عبق النعنع المحمل بالدخان يآثره، أغمض لتكتملَ نشوةُ القُبلة تاركٌ خياله معها، صرخ ينتفض ويدفعها عنه بعدما عقرت شحمةً أذنه بقوة، صاح وكفه تتلمسُ عضتها القوية "متوحشة، مُجرمة" ولأول مرة رنّت ضحكاتها الصافية بقوة، تمايلت مع الضحكات كما وردة راقصها النسيم وسبابتها تُشير عليه متوعدة، همسَ يرسمُها بعينيه كلوحة بديعة بالأبيض والأسود يهمس "غلبتني أخذت أسلحتي، هزمتني داخل مملكتي، نزعَت عن وجهي أقنعتي، لم يحدث أبداً أبداً سيدتي" تنهد و وجيب قلبه يسد أذناه "سَلَمَى؟" هزّت رأسها وما زالت تحت وطأة الضحك ليسأل بخوف "ما شعورك نحوي؟" انحصرت ضحكُها وبُهِتت لتتظر له عاجزة عن الفهم والردّ، سارع بصيغة جديدة للسؤال علّها تفهم "أنا أحبك سَلَمَى فهل هناك أملٌ لذلك الحب؟" تحركت صوب المطبخ بارتباكٍ شملها تهتف ودقات قلبها مضطربة "الطعام؟ نسيْتُ الطعام على النار" هزّول خلفها يسحبها مرة أخرى يسأل برجاء "جاوبي إما بنعم أو لا، لا تتركيني هكذا! هل يوجد أمل؟" أنزلت كفه التي تمسك ذراعها ببطء وقالت بصدقٍ لآخ بعينيه "تسألني أنا عن الأمل؟" تبسمت بخزي وأكملت "أي أمل؟ أنا أشفقُ عليك يا رجل؟ هل خُيِّلَ لك أن من مثلي تُحب" هزّت رأسها بلا وقبضتها تضرب صدرها برتابة "أنسيت! أنا السافلة!" تركته تطهو الطعام مُجدداً تهتفُ بيقين "لستُ بهذا الضعف داود! لدي إرادة سئوصلني لبر ارتاح به بعيداً عن أملٍ كاذب ورجلٍ كما باقي الرجال يراني بعينه سافلة" صدح راديو مطبخها المعتاد وأنغام رفيقةً دربه تصدح وكأنها صارت خصمه

\* \* \* \*

## التاسعة مساءً

جلست ترتشف من فنجان قهوتها على مهل شاردة فيما حدث بينهم، عن أي أمل يتحدث ذلك الأبلّي؟ وما ذلك الحب الذي ظهر بغير أوانه؟ أمثلها يعرف الحب؟ أشعلت سيجارتها وقد اشتاقت لها، دوماً ما تري نفسها كذلك التي بين أصبعين! تشتعل تحت الحصار ثم تحترق والدخان عنها يصعد وتلحق شاربها بالنشوة وما أن تنتهي فبك حصارها وتدعس، بالأقدام تدعس وتُسب وكأنها من قامت بالذنب! نفخت الدخان من جديد بقوة وتحدي وهمست "ألا يوجد أحد يُخرج هذا الرجل من عقلي؟" تطلعت للرسالة التي استقبلها هاتفها لتجد عامر يُخبرها بين بعض الملابس الخاصة بلينا لتختار اثنين منهم وترفق ملاحظتها وتحفظها على الباقي، حتى ابنه تُشبهه لا تحتفظ بالكلام مطلقاً بل تُطلقه كالسهم أينما روشقت، عنيدة وجريئة وخفيفة الظل، القت الهاتف جوارها تتعجب من أصرار داود الذي اصطحب الأولاد معه كي يشتري ملابس جديدة بعدما امتنع عن استخدام أشيائه وملابسه التي مازالت ببيتها، تحيرت تتذكر كلماته مع عامر وهو يُعرب عن قرفه وكُرهه لأي شيء يذكره بها! وهل نسي؟ ما مرّ سوى كم يوماً على افتضاح أمرها، جرّت أسنانها تتذكر دناءتها واعترافها اللامبالي بنصيب الشريك له ولها معاً! تقبل بضرة لها مقابل المال والثروة! همست وقد انتبهت لدقات الباب "بالله هل هذا رجل يُباع لا يشتري؟" نهضت واعية لما تفوهت لتصرخ داخلها "بماذا تهزي يا غبية؟ هل جُننت؟ كفى تخبطاً؟" شدّت طرف بلوزتها من خلف ظهرها تُعدلها وقد وصلت للباب تهتف ضاحكة "أخيراً حضروا! هناء وشرين على الخروج متفقين" تسمرت بأرضها وتوسعت حدقاتها وهي تراه ماثلاً أمامها لتتذكر ما فعله! كيف غفلت عن مسعاه؟ وكيف يجرؤ على القدوم إليها؟ وداود! كيف لم تُخبره! تبسم بسماجة يهتف "مساء الخير سيدة سلّمي" دخل ولم يُعطيها مجالاً للرد يأمر رجاله بوضع بعض الأشياء جانباً، دقيقة حتى ذهبوا لتهتف بغضب "ما جاء بك؟" جلس بصدر بيتها والسيجار معلق بين أصابعه قائلاً بثقة "جنّت أبراً ذمّتي" تركت الباب مفتوحاً على وسعه وتقدمته تهتف "من ماذا قاسم بيك؟" رمقها من مطلع شعرها المموج بسحر وصولاً لأصابع قدميها الصغيرة الفاتنة وتنهّد بحسرة شملتة "سوء تفاهم حدث فجنّت بنفسني اشرح الموقف" تبسّمت باستهزاء وكثّفت ذراعيها تُطالعه بتهكم ليهتف وعينه على مفاتها "بالأمس

حاولَ رجالي إنقاذَ ابنةَ السيدِ داودَ وعندها ظهر ابنك فما كان لهم بحُسنِ التصرفِ قُبلاً وعوضاً عن حمايتهم دفعهم الخوفُ لأخذهم بعيداً

"أحلف!" اضطرب بالقولِ هاتفاً "اجل سَلْمَى، الرجالُ لم يُضمرُوا الشرَّ لأحدٍ حتى أني أمرتهم قبل بدايةِ الحفلِ أن يكونوا بحمايتك دون شعور منك" تبسّمت تقف أمامه بتحدي لتتهف بصوتٍ خبيث النبرة "ظننتك قُمتَ باختطافهم!"

ادّعى الفرع قائلاً "ما عاذ الله" تهكمت ترمقه بطرف عينها "صدّقْكَ! ولكن كان لأبدٍ من محادثة داود! زوجي! لا مُحادثتي" اعتدل يتلاعب بسيجاره بين أصابعه وهتف مُبتسماً "ها أنا جنّتُ له بنفسي" هذر دخانٌ سيجاره جواً وأكمل بمغزى "أين ذهب؟ أيّ عريس هذا يترك النعيم ويرحل" تلبكت من جرائته وهتفت ويدها تتفرق هنا وهناك بغير راحة "ماذا تُريد يا قاسم؟ ها نحن نفهمنا موقفك؟" صمت ملياً وعينه تتابع قدّها النحيف وخيالات تملّكت رأسه تُشعلها، لو تعلمها لقتلته عمداً، سعل بخفوت وقال مُتيمناً "لما تزوجتِ منه سَلْمَى؟ لم يكن ذلك الخيارُ موفقاً؟" اغتاظت وفارَ دُمها من أسلوبه القذر لتتهف بقوة مُقرره طرده "لا شأن لك، اثنانِ جمعهم الحبُ فما أدخلك؟ اخرج من بيتي قاسم ولا تجعلني التقى بك صدفة" نهض من جلسته وذلك الحبُ المذكور لا يلقى في نفسه ترحاباً ليهمس وعينه ترمقها بتوعد "أنتِ لا قِبَلَ لكِ بالحب وتلك الثرّهات، أنتِ امرأةٌ تطوقُ لاستراحةٍ مُحارب وأنا تلك الاستراحة سَلْمَى، يوماً ما وعن قريب ستأتي لبابي بكامل الرضا غاليّتي وحينها سأكون بانتظارك كما لم ينتظر رجل امرأة من قِبَل" وبجبروتها هتفت "اخرج! اذهب الي جحيمك ولا تُريني وجهك الدميم بعد اليوم" تحرك قائلاً بتوعد "سوف اخرج ولكن ليس قِبَل أن تعلمي أن المرأة التي هدّدتي باسمك كانت زوجة داود الرازي، اتفقا سوياً على تلك المسرحية الهابطة وقد جعلت منك كبش فداء لها" رمقها بتحدي وأكمل "أعلمتي لِمَا تزوجك؟ حتى" قاطعت هزيانته وهي بالباب تطرّده وترمقه باستفزاز "أنتَ تهذي قاسم وحديثك محضُ خُرف، للسنِ أحكام يا جدي، كبرت وخُرفت ضريبة أواخر العمر" أشارت تطرده لتجد رباب وسُها أمامها وقد توقفت ضحكاتهن ليخرج دون النبسِ ببنتِ شفة فقط عينه ترمقها بغلٍ إثر نعتها له،

جلست على الأريكة صامته والخوفُ يلعبُ بها لعبة القط والفأر وقبل أن تُجيب سيل أسئلة رباب وسُها انتبهت لصوته الأَجش يصيحُ أمامها بجنون



"ماذا كان يفعل قاسم هنا؟ ها" دثرت وجهها بين كفيها والتزمت الصمت تاركة سها ورباب له، وتحت وطأة الصمت الذي دام لأكثر من نصف ساعة نهض وهو يلمح كومة الهدايا التي تكومت جانب باب البيت ليصرخ وهو يركلها بقدمه يسألها مُجدداً "ما سبب وجود رجلٍ ببيتك سلمي؟ تكلمي؟" طالعه بفرع من التهمة التي باتت تمسها لتهم واقفة تصرخ به نداً بند وبظراتها التحدي "ماذا تقصد؟ وضّح؟" أمسك بإحدى حقائب الهدايا يفتحها بهمجية يُلقي ما بداخلها أمام الجميع صارخاً "فسري أنت؟" صدمت وهي ترى منامة حريرية افترشت الأرض لتهتف والكلمات تتلثم بفمها "ليس لي شأن بهذا، قُمت بطرده ونسيْتُ حقاً امر تلك الهدايا داود" تقدم إليها والغيرة تعصف به للحد الذي جعله كمجنون ذو انفصام تام عن الواقع ليهتف وسبابته بوجهها "كيف سمحتي له بالدخول سلمي؟ كيف قبلتي الهدايا؟" همت بالرد فسبقها قائلاً "ردّ مُقنع؟ أريدُ ردّاً مُقنع يا هانم!" التقطت عدوي الجنون منه والجميع حولهم مُتحفز عامر واقف جواره وشهاب الذي جاء للسهر معهم يُراقب عن كثب، تبسّمت بتهمك تضرب سبابتها بسبابته وتهتف مُحركة من أمامها دون أن تدري "جاء يُعائني! يتودد! يُقبلُ قدمي حتى أطلق منك وأتزوجهُ" فردّت ذراعها تستعرض أمامه وأكملت بصوت طبيعي كأنها تتلو عليه موجز النشرة "هل أفتعتك؟" جلست إلى الأريكة تضع ساقاً فوق الأخرى تُشعل سيجارتها بتروي وتحدي، لو تعلم ما فعلت بما تفوّت لما استطاعت التقاط أنفاسها! وقبل أن تتعمق باستفزازهِ صرخت مُتفاجئة من ردة فعله العاصفة حين مال يحمل الطاولة الفاصلة بينهم مُلقياً بعرض الحائط، دفعها عامر للسلم بحماية يترجى صمتها كما دفعها رباب وسها تزامناً مع شهاب الذي جذبهُ خارج المنزل يحاول تهدئته، نظرت لثورته تبتسم بشماتة ليهتف عليها وقد مات عقله "سافلة، تعيشين وتموتين سافلة!" ملكت عينه بين خاصتها تُخفي حسرتها ببراعة لتبتسم بانكسار وتهتف مُعاندة "هاؤ" خرج من البيت يغلي من شدة الغضب ليصرخ عامر يلحقه "أخي شهاب، أدركهُ، مُسدسه معه"

\*\*\*

بعد مرور شهرين

نهضت ترتدي ملابسها براحة وداخلها يغلي كمدأ، كم مرة عليها الإصغاء لأسم غرمتها، أسمها وشمأ من نار تحرقها، شهرين على مرور إعلان زواجها والميديا لم تخبو نيرانها لا حديث يخلو من سيرتها ولا موقع لم يذكر قصة غرام الرازي بها! منذ انتقلت لشقتها الجديدة وصارت جارتها وهي ترى بعينها معني العشق وكيف يُغرقها غرامه في انهار السعادة الصافية، وهي؟! تحملت من الصمت ما يعجز عنه البشر لذا سوف تضرب ضربتها الكبرى، انتبهت لصوته النزق وهو ينهض هاتفاً "نهى؟ اعدّي لي كأساً" نهضت متأففة مقررّة هذ المعبد على رؤوس الجميع لتهتف غاضبة "أخيراً تذكرت أسمي قاسم بيه" قهقه يستفزها "بيدو أني ضغط على الجرح بقوة" عدلت بلوزتها تُغلق إزارها بعنف "أنا من أشعلت نارك حتى تمنيت وجودها بين يديك" دمعت عيناه وموجة من الضحك تملكه ليهتف إليها باحتقار "حالتك يُرثي لها نُهي" هذاً من ضحكاته يتقدمها ليتحدث وعينه ترمقها بقرف "لا وجه مقارنة، أنتِ تترجين فراشي حدّ التذلل، أما هي؟" اقترب ممسكاً بذراعها يضغطة بقوة ويهمس "كبرياء، كرامة، جوهرة لو ملكها أحدهم لن يتورع عن حفظها بين اللحم والجلد" دفعها عنه بقوة يأمرها "لا تُريني وجهك بعد اليوم، بتّ اقرّفت منك" تحرك صوب الحمام يهتف ببرود وصلف "لا تنسي أخذ ثمنك من بواب القصر" ارتادت سيارتها وأغلقت بابها بعنف تضع طرف النقود بحقيبتها وصوت حارس القصر مازال يرن بأذنها "لا تعودني هنا مرة أخرى" همست وقد اسودّ وجهها من شدة الغل "لم تنتهي اللعبة قاسم الكلب"

\*\*\*\*

هو أنت مين عشان في ثانية تشيل حاجات وتهد رصت ذكريات وتلخص العمر في يومين ليه تبقى مين عشان تزورني تقوم تبات جوة في سواد العين وأخبيك بالسنين،

دندنت مع أنغام تُحضّر الفطور للجميع، شهرين مرّا على تلك المُشاجرة الدامية لئُقن أنها استقرت مارد بداخله أخرجه عن زمام نفسه، لولا ترجيها له بذلك اليوم حين هرولت خلفه لما مر الأمر مرور الخير، لم يتركها الدفاء منذ

أقسمت عليه بحياتها تهتف بخوفٍ صادق لا تعلم متى وُلِدَ "من أجل خاطري داود ادخل البيت وافعل بي ما شئت، سلامتُك قبل سلامتي"، تنهدت تتذكر نظراته الممزوجة باللوم والعتاب وشيءٍ ناعم إثر استسلامه أشعرها لأول مرة بالانتماء، بئرٌ انفجر به الماء خريره نغماتٌ قلبها ومذاقه زمزم بالشفاء، تمايلت غير واعية لرباب وسُها اللتان يُراقباها تُغني لتهمس رباب بضحكتها الواسعة "بنت يا سُها أتشعري بما أشعر" ردت سُها وقد باتت تفهم خلجاتها "طالما شعرتي أنتِ إذن حدث" رمقتها تبسمت وقد تذكرت تدمره الطفولي وهو يُصر على حرق الهدايا أمام عينيها، لن تُخفي شعورها بسعادته حينما شاركته حرقها مُلقية المنامة التي أجبت ماردَه من جديد لتهتف بحرقة "الجهنم علّ صاحبك يلحق بك" التقطت من بين ضبي النار لهيبٌ الإعجاب بنظراته التي دقّت قلبها ورغم ذلك انتهجت جيناتُ أمها حواء في النكد حين استبدت به تُعلن خصاماً دام أسبوعين كاملين إثر كلماته الحارقة،

رصّت التوست المُحمّص كما يُحبه والذكريات الدافئة تلتحفها كيف كان يتحينُ الفرص لإرضائها، منذ عاودت رياضتها الصباحية بالمشي بات مُلزم لها يمشي خلفها عن بُعدٍ قليل يُغني لها بصوته البشع عنها ترضي، وحين أبدت اعتراضها تنهمه بمراقبتها وعدم ثقته بها همسَ وكاد أن يُقبلها "أنا السافل والغبي فقط كُفي عن التمرد يا قاسية" اتسعت ابتساماتها من مُساكسته لها ولكن كلما شعرت بارتجاج قلبها جُبنت وأنكرت لتنتهز الفرص وتبدأ بالنكد! بالأمس تشاجرت معه تنهمه بشكها بعلاقة تجمعهُ بتلك الموكلة اللبنانية لتعود لتأنيب نفسها فمالها تتدخل بحياته؟، انتبهت لنفسها وسألت لائحة "من هذا الذي باتت من أجله تحترق؟" بدأت عقابها النفسي والتقريع، تحتاجهُ جوارها وتشتاق صوته وعصابيته وتذوب ما إن سمعت تهكمه "ها" المنغمة بالتحدي ومع كل ذلك الشوق والوجد تجهر بعلو صوتها "لا حُب بقلبي لك" انقطع اجتماعها النفسي المريض دون الوصول للحظة حاسمة وهي تسمع صوته وقد ارتدي ملابسهُ استعداداً للعمل يسأل "سُها؟ لم تُبلغيني رأيك؟" جلس بمقدمة السفرة وعن بُعد رباب وسُها ليسحبها من كفها مُنبهاً "الم أنبه أن تجلسي فوراً ما اجلس" رفعت حاجب واحد جنن ماردَه وهتفت تجلس وتضع آخر طبق "كُنت احضر الزيتون الأخضر" رمقها بنظرة صارت عاجزة عن

فهمها وهمس "اجلسي، كفى فرط حركة" وقبل أن يبدأ عراك الديوك خاصنتهم أسرع مؤفداً اهتمامه لسهها قائلاً وهو يتناول من يدها قطعة توست مغمسة بالجبن "بماذا اردّ على الرجل سها؟ المجنون يظنّ أنني ارفض" احمرّ وجه سها بشدة وهمست بخجل "أنا أثق في رأيك داود فما هو؟" سألت بتقرب والعصبية بدأت تزحف لها فكيف بينهم شيء لا تعلمه "ما الأمر؟ وفما تأخذ رأيها؟" اصطنع عدم سماعها وهتف يتلاعب بأعصاب الأخرى "عن رأيي فأنا لا أوافق؟" وقبل أن يكمل غصت سها بما في فيها وصاحت رباب منفعلة "موافقة هل لأنها التزمت الأدب والخجل انتهى الموقف؟ هي موافقة! موافقة" هقهه داود سارقاً نبضة من نبضاتها لتسأل وما زالت تُكابّر إحساس كما الوحش يلتهمها "ألا من يفهمني" هدأت ضحكاته وقال يُشير على أختها "شهاب طلب يدها"

"نعم؟ وهل أنا آخر من يعلم؟" طالعها بجانب عينه وقال يغیظها علّها تشعر وتحس "لم افتح الموضوع سوى لسؤالها! ثم أنا رجل البيت، أتصرف كما يحلو لي" صاحت بعند تضرب الطاولة "أنا غير موافقة" نهض ببرود يُراقص حاجبيه لها "اضربي رأسك بالحائط" لوت فمها وتطلعت له مُعاتبة "لم تأكل شيء" ابتسم بسماجة ومال يهتف بوجهها "سدتي نفسي"

"داود؟" غمز لسهها وهتف فرحاً "مبارك يا عروس" وضعت أمامه كوب العصير تُتمتم ببعض الكلمات المُبهمة تشده حتى جلس مُطيعاً كفها يُكمل حديثه لها "الخميس القادم قراءة الفاتحة والفرح بعد شهر" عاندت ومقصدها أغاظته "لِمَا تأخذ القرار وحدك؟ شهر لن يكفي! الفرح بعد سنة" لمح الإحباط بوجه سها وتزمر رباب قائلة "سنة؟ يا قاسية" صاح يُشر عليها "هو شهر، يا عديمة الحب" نهض عنهم يجلس بالصالة يتفقد هاتفه لتهمس "أنا عديمة الحب؟" همست رباب إليها تلوّك الطعام بغیظ "لا، عديمة القلب، أشك بكونك امرأة" نهضت بعصبية تصيح على رباب "من تتحدث؟ الم ترفض الرجوع إلى سمير حين جاء يتذلّل لك!" ضحكت سها والفرحة تُزين وجهها ثم همست ولم تتوقع مردود كلماتها "المجنونة أقسمت إذا جاءها من يُشبه داود سوف تتزوج فوراً" وبعين الغيرة التي صهرت

عظامُها رمقت ربابً بغيظٍ وهمست "هل تتغزلين بالرجل يا رباب" راقصت حاجبها تستشف ما بها لتهتف "وهل داود كما سمير يا سولي؟ أتخيرني بين الفسيخ والبسوسة بالمكسرات" انتبهت وداود يهتف "سليمة! القهوة من فضلك" ضجكت البنات عليها وهي تتوجه الي المطبخ نزقة تُقلد طريقته وقد غلظت صوتها تهتف "سليمة القهوة، بارد ومُسْتَقَرَّ" وارت ابتسامتها ما إن دخلت للمطبخ ثم رمقته بمراقبة وأكملت بين نفسها "رجولي وخفيف الظل" هتف وقد امسك بعينها تُراقبه "ارفعي صوت المذياع كاظم يُغني" أطاعت بمحبة فمن هي لترفض كاظم حتى لومن باب العند وهتفت "أصبحتُ تُحبه!" أجاب يغمز لها مُرسلاً بالهواء قُبلةً أربكتها "إن جاءك الغصب تقبله بالرضا"

"برغم جميع قراراتنا بأن لا نعود برغم الجفاء، برغم البرود برغم انطفاء ابتساماتنا، برغم انقطاع خطاباتنا فثمة سرٌ خفي، يوحد ما بين أقدارنا ويرفض كل اتهاماتنا برغم خريف علاقاتنا، برغم النزيف بأعماقنا وإصرارنا على وضع حدٍ لمأساتنا بأي ثمن برغم جميع ادعاءاتنا بأننا لن وأنك لن فإنني أشك بإمكاننا فنحن برغم خلافاتنا، ضعيفان في وجه أقدارنا شبيهان في كل أطوارنا دفاترنا، لون أوراقنا، وشكل يدينا وأفكارنا وحتى نقوش ستائرنا وحتى اختيار أسطوانتنا دليلٌ عميقٌ على أننا رفيقا مصيرٍ رفيقا طريق، برغم جميع حماقاتنا!"

تحرك بسيارته وما زال الهم يُجثم على صدره شهران وهم على خلافٍ مُستمرٍ وعنادها يزيد من إحباطه وحيرته رغم المناكفة الودودة، ألم يعتذر ويُقر بالخطأ في حق كرامتها المتورمة! ورغم التراضي المُستتر مازال يشعر بأنها لم ولن تُبادلهُ أي عاطفة! تنهد مُتذكراً كلمات أدهم بأنه مع انتهاء قضية قاسم لابد أن يضع لتلك العلاقة التي استنزفته نهاية فيكفي إذلالاً باسم الحب! أي نهاية يسترضيها سوى الموت كمداً بين أحضانها، فقط لو

ثُرْخي لِجامِ قلبِها لا مَسَكَ بِهِ ورَوْضَ رُوحِها الثائِرة لَكِنْ عِنادُها لا يُشْبِهُ عِناداً  
أو تراها لم يدقُ الحُبُّ بابَ قلبِها المُغلق! تنهد والحسرةُ تملأُ قلبه "أين دفنوا  
قلبكِ ومشاعركِ حتى اذهبُ وارويهمُ بما يفيضُ من نهرِ غرامي يا قاسية"  
انتبه لهاتفه ليجدَ شهاب يُخبره بِمكانِ دُريةِ التي طالَ البَحْثُ عنها طوالَ الشَّهرِ  
المنصرِمِ فبعَدَ اختفائها المفاجئِ والتأكّدِ بَعْدَ مُغادرتِها البلادِ ايقنَ أنها تُخطُطُ  
لشيءٍ ما فليست دُرية من تصمّت والطمَعُ معها، اغلق الهاتفُ متوجه لِمكانِها  
بعَداً اتفقَ مع شهاب أن يسبقَ لها

\* \* \* \*

خرجَ من مكتبِ النائِبِ العامِ وإلى جِوارِهِ حِسانَ بعَداً قَدِمَتِ إفادَتِها  
والمستندات التي تُثبت قيامها بالسفر للتنزه والتسوق بين أكثر من بلد أوروبي  
وهي تتزين بالذهب لتسلمه لرجال قاسم بالخارج، كما استطاعت إقناع بعض  
الأخريات للإدلاء بإفادتهم كاملة بعد تخويفهم ببعض التهم التي ستوجه لهم  
لتذهب النساء بكامل إرادتهن وتُدليّن بكافة المعلومات، حتى رجال قاسم الذي  
تم التحفظ عليهم اعترف كلاً منهم باختطاف الأولاد ولكن ليس بأمر قاسم  
حيثُ كانت الخُطة اختطافُ المرأة التي هددته وقتلها ليجدوا الطفلين أمامهم،  
كما اعترفوا بمُخطط قاسم لقتل داود الرازي، تأكد أدهم من توجيه تهمته  
الشروع في القتل إلى ملف قاسم بعدما قدم داود وشهاب بلاغ بمحاولة  
اغتيالهم، كما ارفق داود الفلاشة مع بعض مستندات قضية ذهب ليأمر النائب  
العام بفتح القضية مُجدداً مُشدداً على امتثال المُتهمين أمامه شخصياً وبشكل  
سري لا يُثير ريباً قاسم الوكيل وشركائه حتى لا يتمكنوا من الهرب، هتف  
أدهم وحسان جواره "شكراً حسان بدون مُساعدتك ما كانت فُتحت القضية"  
تبسمت تلملم شعرها وهتفت "الفضلُ لسلْمى بسببها انتبهتُ لما كُنت أُرط  
نفسي به وأنا غافلة"

\* \* \* \*

دقّ شهاب بابَ بيتها وجواره داود المُتَحَفِز، مرّ الوقتُ دون الرد والجواب ليهمس شهاب "غيرُ موجودة دعنا نأتي مرة أخرى" انتبه كلاهما على صوت المصعد وهي تهتف تزامناً مع فتحها الباب "لا فُكْرَتِكَ أروع أنا معك طالما!" توقفت عن الكلام ترى كلاهما لثُغْلَق الهاتف بعد بعض الثرثرة وتبتسم قائلة بتوتر "مرحباً بكم" جلس الاثنان بصالة بيتها لتجلس أمامهم بغرور لم يذهب عنها ليتهف شهاب دون مقدمات "جننا لتوقعي عن تنازل بحضانة لينا يا دُرية" ردت دون عناء التفكير "كم ستدفع داود مقابل ابنتك" سبها وهم بضربها ليُمسك شهاب يده قائلاً "لن ندفع شيء فقط لن نذكر اسمك حين نتقدم ببلاغ عن قاسم الوكيل حتى لا تتورطي" برمت شفتيها وقالت باستفزاز "ليس لي دخل بالقضية وإن سُئلت سألقي التهمة على زوجته خصوصاً وقد ظهرت على الفيديو بذلك النقاب الأسود، كما أن قاسم اتهمها شخصياً قبل سابق" تطلعت لطلاء أظافرهما بتعالي وأردفت "من الممكن أن أضُم بلاغاً اتهم قاسم بخطف ابنتي وقيام سلمي بانتحال شخصيتي من أجل النصب عليه" طالعتهم بابتسامة عرضها السماء والأرض ومالت إليهم هامسه "عصفورين بحجر واحد" اغمض شهاب عينه وهو يعلم مدى ذكائها فمن غيرها لديه القدرة على الابتزاز وقلب الموقف لصالحه، هتف داود والاشمئزاز يُزيّن وجهه "من أين تلك البجاجة؟ كيف عُميّت عن وجهك الآخر" أراحت جسدها للمقعد وقالت "لم تكن اعمي! كنت تعلم من أنا، تُمسك بثرهات الأسرة، تفانيك من أجل ابنتك كنتم صوتك واطهر كُرهاً كنّت تخشي الاعتراف به" رمقها ذاهلاً فسأل "أليست ابنتك؟ ألا تشعرين بالحنين أو الخوف عليها؟ كيف تمكثين مع رجل وأنت تعلمين أنه يكرهك؟" هزّت رأسها بلا مُبالاة وقالت "ابنتي طبعاً ولكن! لن أدفن نفسي وطموحي جوارها، أنت والذها الأولوية لك ألسن قواماً؟، أما مسألة الكُره والحُب فلا تفرّق معي" هتف شهاب ينتهز آخر كلماتها قائلاً "جيد! وقعي عن التنازل أو تحملي رعايتها؟ الخيار لك" رمقته بغضب وصاحت به "ما زلتُ لنيماً يا شهاب منذ صغرك وأنت هكذا؟" لم يُبدي تعبيراً وهو يهتف مُجدداً "قرارك دُرية؟ وقعي أو نُحضر لينا أنت أمها فلا داعي لتبقي البنّت مع زوجة والدها" أكمل داود وقد قرأ الامتعاض على وجهها "دون التخيير شهاب" نهض واقفاً وأكمل "قررت إحضار لينا لها وسوف

أعطيتها مبلغاً أول كل شهر البنّت لوالدتها" تطلّعت لهم بغل ووقّعت على التنازل صاغرة، لا ينقصها طفلة تُعكّر رواق حياتها، باتت تخرج وتذهب وتعلّ ما يحلو لها دون ارتباط بمسؤولية تُقيد حياتها خصوصاً مع العرض الذي قدّم لها من مشفى كندية تطلّب أطباء نفسيين برواتب ضخمة، خرج الرجلين من بيتها لترفع الهاتف تقصّ عليها ما حدث لتهتف صديقتها بغل "ضحكوا عليك، وأنا من فكرتك واعية" فهتفت قائلة "تعالى واحضري شيء يؤكل وسأبلغك بما لمع في رأسي يا نهي" هتفت نهي بالموافقة قائلة "كفى بخل ذرية، سوف أحضر ما يؤكل وأنا الضيفة؟"

وبالسيارة هتف داود "شهاب؟ ذرية تُراقب جيداً" وافقه شهاب الرأي وكلاً منهم لديه يقين بأن هناك ما يُحاك سر،

\*\*\*\*

#### الخامسة مساءً

نظرت لساعتها بقلق، ليس من عادته يتأخر لهذا الوقت وهو يعلم بمجيء ذهب وحضور الجميع ايضاً، هتفت ذهب تسألها "ألا يوجد خبر عن ذرية؟" انتبهت تجيبها "سرقحت محتويات البيت وهربت، لا أحد يعلم أين؟" وهل بحث عنها داود؟" اعتذلت صوبها تهتف بضيق "ولما يبحث؟ الم يُطلقها أم الشوق يذبحة؟ ألف داهيه" ارتفع حاجبي ذهب من المهاجمة ومالت تهمس لها بخبث "مازالت أم ابنته! طبعي يطمئن عليها" رمقتها مُحذرة وصاحت "ولما؟ لما يطمئن؟ خائنة! بني أدمة لا تهتم سوى بنفسها حتى ابنتها تخاف ظهورها!، واليوم يبحث ويطمئن؟" تبادلته ذهب النظرات الضاحكة مع رباب وسُها وقالت تصطنع الجديّة "الرجل ليس بقوة المرأة! الرجل يبقى طفل مُتذمر يرجوا الاهتمام فقط" هتفت رباب بخبثها تأجج غيرتها "صدقاً، واللبنانية تكسب" غمزت لها وأكملت "هل رأيت موكلته اللبنانية، تفوّقت على برّبي بالشكل والجمال والكرم" فهتفت ذهب وجارتها قائلة "تقصدين فتنة، اعرفها أنا من عرّفها عليه" رفت عيون رباب بهيام قائلة "قولي فتنة المرأة أية بالجمال يا ذهب وقوامها يا ستار" تجرأت سُها تهتف وقد وعت لعبتهم "لا وشعرها يربح ومعه عيونها الزرقاء، كنت سأترك شهاب بسببها" ضحكت



رباب وهي تلمح الصدمة على وجه ذهب كما لمحت الغيرة كالشمس تحرق سلمى "أشهد، كان داود وشهاب بالحديقة وفُتنة أنت، أعطاهما المكتب عنوان البيت" نهضت من مكانها نُقلدُها "دخلت وشعرها الأصفر كسلاسل الذهب خلفها تهتف بلكنتها المُدلة "كيفك داود الغالي وينك يا زلمي فتشت عليك العالم يا دلي" توقفت عن الاسترسال إثر الضحك ثم أكملت "كان شهاب يراها لأول مرة ولم يعي على خروج سُها وهو يهتف، يا هلا بليلي لبنان الحلوة، وعينك لا تري سوى النور، القت سُها ما بيدها وبدأت المُشاجرة" ضحك الجميع على خفة دُمها وهم يراقبونها تُمسك بشعرها تتفحصه وكفها الحر يتحسس وجهها لتهتف ما إن وعت على نفسها "دُمها ثقيل وهذا ما يطمث جمالها" هتفت ذهب تستثيرها "سامحك الله، المرأة خفيفة الظل وكريمة جداً" التقت لكلاً من رباب وسُها وأسهب وعينها على الأخرى "أتذكرُ يوم عرّفتها على داود كُنّا بلبنان وأصرّت نزل ضيوفاً بقصرها، كرمها وسخايتها غير حميمية تعاملها معنا" هتف عُمر الذي حضر وقد استمع للحديث برُمته "تتكلمون عن اللبنانية؟ صارووخ يا عالم لو كنت كبير قليلاً لتزوجتها"

"ولد" صرخت بها سلمى ليهتف دون علم بأنه دخل بالعبه معهم "ماذا؟ المرأة قطعة قشطة بالعسل الأبيض أقسم تُنير ذاتياً بالظلمة" تقدم يُقلد مشيتها تحت ضحكاتهم المُجلجلة ليهتف وكفيه يرسمان فوق جسده مفاتن امرأة "طبيعية خاوية من السليكون" صرخت به والغيرة تكوي قلبها "أنت قليل الأدب" هتف ومازال يُشاكسها جاهلاً حالها "وهل فُتنة ينفع معها أدب يا سولي" فرّ راكضاً من أمامها يتفادى خُفها ليُجهز عليها عامر وقد وعي الملعوب بأكملة "دعك من شقاوته ماما فأنا لي طلب؟" هتفت بوجهه "نعم؟" هرش مؤخرة رأسه وقال يتحسس صدره "زوجيني فُتنة!" هدأت الأنفاس من الضحك واللّهو حتى التفت إليها ذهب تُطالعها بجدية طبعها لتهتف بصوت صلب "اتركونا وحدنا" أطاع الجميع بخفر وذهب تُراقبها حتى قالت مُباغثة "متى شعرتي بحبك لهُ" همت بالإنكار مُسرعة لترمقها ذهب مُتحدية وبصلابة وقوة قالت "لا تكذبي وأنت بحضرة ذهب الاخشيدي" نفخت خديها بنزق وصاحت مُكابرة "أجلي الحديث لوقت آخر، ها هم أتوا" جلس الجميع بعد الغداء شهاب يتفق مع داود على أساسيات الزواج، شهراً وينتهي من التجهيزات مُعرباً عن بدأه مُذ فترة بتجهيز

البيت كما رَغِبَتْ سُهّا حتى يبقى فقط بعضُ اللمسّات التي تركها لذوق النساء، هَلَلْ داود مُبارِكاً لتهتف بغضب "هل كنتم تخططون للأمرِ مُسبقاً؟" التفت صوب سُهّا توبخها غير عابئة بإحراجها أمامهم "هل ذهبتِ لبيتكِ؟ تتصرفين وكأنكِ معدومةُ الأهل والهوية؟" نهضت تصيحُ لا تعلمُ ما أصابها فقط حرقه تملّكت قلبها ونارٌ اندلعت بأوردتها "ألسْتُ أختكِ، على القليل دعيني افرح جواركِ! لما سُهّا؟ رغبْتُ في الشعورِ بالمسئولية تجاهكِ أنا بمثابة أمكِ" وتحت صمت الجميع ودموع سُهّا المتدفقة خرجت للحديقة تونبُ نفسها! نفخت أنفاسُها واتخذت جانب لن يراها به لِتشعل سيجارتها التي اشتاقت لها وتبدأ في جلد ذاتها! تعلم انه لم يتقصّد إلغاء وجودها بل يلوزُ بها عن المسؤولية، هو بطبيعة الرجل تلمسُ بها شقاء تحمّل الجميع على عاتقها وكأنهم ميراناً ورتته من الزمن لذا قرّر بدكتاتورية راحتها! تذكرت همسه وإصراره الدائم على قوله اليومي "أنتِ خلقتي للدلال لا للمشقة، اللحظة التي حملتي بها اسمي هي نهايةُ الماضي ما بعدي راحة عهدُها في رقبتي" همست من بين أسنانها "لما تفعل؟ أيُّ حُب تترنم داود؟ لا يوجد بتلك الدنيا حُب" دمعت عاجزة عن المُكابرة فذلك الشيء الذي يتضخّم يوماً عن يوم داخلها صار وحشاً يهدد قلبها، القت سيجارتها المُحترقة أرضاً وأغمضت عينها بقوة تهمسُ علّها تخف الضغط عنها "داود أنا أحب!" انتفضت مفزوعة وهو يهمسُ أمامها "اشتقتكِ سَلْمى!" وبالداخل همّت ذهب بالخروج إليها فمنعها داود قائلاً "اتركيها فهي مرحلة المُجادلة، دعها تُقرر إما الاستقرار معي أو بدوني لتُكمل حياتها" رمقته ذهب والقلق يُورقُها لتسأل "ما الأمرُ داود؟"

"قضيةُ قاسم أوشكت على البدء رسمياً وتلك نُهي سأمحي ذكرها من الوجود، خطوات بسيطة ويذهب عنها الخطر الجميع سيحلفُ بشرِها ونزاهتها ولهنّ الأبد من الوقوف على أكون أو لا أكون"

"أهذا قرارُكِ النهائي؟ أنت مُحامي! أين النفس الطويل والصبر؟" حدّق بالأرض قائلاً "أنا جوارها رجل هزمه العشق، مُتمردة دينها العناد!" "سَلْمى تُحبكِ يا أحمق" أبتسم مُتهكماً وقال ببأس ملك صوتهِ "وهم، سَلْمى عجزت حتى عن حُب نفسها، ها هي أمامكِ لا تؤمن بالحب مُطلقاً!"

"تُكابر،"

"وأنا احترق"

"وبعد احتراقك؟"

"أموتُ راضياً بالعشق" وكعادتي حين تخرج عن العقل هدرت ترمُّقه بغضب  
"تباً لك ولها"

وبالخارج، عادت للوراء برعب وقد بدأ في التقدم إليها يهتف بجدية شديدة  
"دعيني أصلح الأمر، سنتزوج ونربي الأولاد بيننا وهكذا سيتوقف الجميع عن  
مهاجمتك وأولهم نُهي" هتفت مصعوقة "أرحل وإلا صرخت، أنا أكرهك" تقدم  
صوبها بخطوات مجنونة "اصرخي! اصرخي حتى يأتي ذلك الكلب ليطلقك، لا  
مكان لك معه مكانك معي، أنا أول حُب دقَّ له قلبك" صرخت وكفها يصفعه  
"لم يدق؟ ولم أحب سوى داود زوجي" انتبهت لاعترافها السهل وأقرت به بغير  
جدل، تُحبه بل ذاقت أول قطرات العشق بنبعه الحلو، فاقت من غفلتها وعابد  
يهجم عليها مُحاولاً تقبيلها بقوة يهمس "بحبك سلمي! وكما ترغبين ظلي معه  
ولكنه لن يحرمني مما أملك" حضرها الموت يُكبّلها بكل قوه لتصرخ خائفة  
تستجد بملازها "داود؟ أدركني"

صرخ عامر ينزل السلالم مُتِعجلاً "عمي داود، كارثة" وقيل أن يتناول الهاتف  
من يده سمع صرختها المُستجيرة باسمه ليهرع مفزوعاً والجميع يتبعه  
"سلمي؟" جُن وهو يُشاهد عابد مُمزق ملابسها مُستميئاً في استباحة عرضه  
ليهمج عليه ساحبه بقوة يسبه ويلقنه معنى الرجولة والشرف، تركه غصباً  
وشهاب يسحبه ليحملها مُسرعاً وما إن وضعها على فراشها صرخ بالجميع  
"إلى الخارج"

وبالأسفل لطمت رباب خديها وهي تُشاهد مع ذهب وسُها ما أنتشر على مواقع  
الميديا، لطمت وجنتيها بقوة وذهب تهمسُ بأسى "تلك الطامة الكبرى"

\* \* \* \*

حنتها على المُضي قُدماً بعدما اتفقا على ابتزازه مُجدداً ولكن ليس بذلك الفيديو الذي يُثبت إدانته وإنما بمزيدٍ من المد حيثُ قامت بإعطائها ذلك المقطع الذي صورته أثناء الحفل، قاسم وسلمى! رُغم أن حقيقة المشهد كان مُشاجرة لكن بعض الذكاء الاصطناعي جعلهم عاشقين يتحابون بركنٍ حميم، كما أرفقت ما صورت بمقتطفات وهو يزور بيتها والهدايا تسبقه ثم يخرج بعد تجاوز الوقت أكثر من الساعتين، هكذا دبرت الأمرُ برُمته لتكون الطامعة وجهتها، تعلم جيداً ذكاء ذرية البارع لكنها تفتقرُ الي الخُبث والمكر وإلا ما انتظرت طيلة تلك الأشهر أمله بالحصول على عشرة مليون جنيه، فمن ذا عقل سيدفعُ فيما معها ذلك المبلغ، لحسن حظها أن طمعها القائد والحكم وهي نهى ملكة الخُبث ستُنسب كل الأمر هي خلف الكواليس تضحك وتلهو، ليست ساذجة كي تضع اللحم بكفها في فم الأسد حتى ما إن تذوقه عقرها عقره الموت، حمستها وهي تدفعها للذهاب له فلا بُد من التعامل وجهاً لوجه فما أن أرسلت رسالتها طلبها في التو ليس خوفاً من فضيحة فقط ولكن خوفاً أن يطير العصفور المُلون من بين يديه، ومن قلب بيتها فتحت حاسوبها الخاص ما إن تحركت وأذاعت الفضيحة الجديدة على الملأ مرفق معها تسجيل فيديو مُسبق تتهم به سلمى بسرقة ابنتها وزوجها الذي اجبرها اليوم على التنازل عن حضانه لينا صغيرتها وكل مُستحققاتها، حتى البيت قام بإغلاقه في وجهها بعد طردها في منتصف الليل! ضحكت مُنتشيه تُتابع ردود الأفعال التي بدأت من جديد على الميديا والكل صار يسب ويلعن في امرأةٍ خانت صديقها التي صدقت طهرها ليتم الربط بين الفيديو وسابقه حين ظهرت تراود داود واليوم تُراود قاسم الوكيل شخصياً دون مُراعاة الرجل الذي وهبها اسمه وبات يتغنى بحُبها! صارت الميديا سرّك جمع الحيوانات الجائعة وكلاً منهم دفعه الجوع لنهش سمعتها، وأفعي جلست تُشاهد بتلذذ فريسة ألقته للسبع الثائر، تعلم تمام العلم انه سُبّهيها ويُجهز عليها فور وقوفها أمامه، نهضت بعدما أغلقت حاسوب ذرية تلملم ما طالتة يدها وصولاً لُعرقتها لتجد صندوق مُجوهراتها يُغازلها!

\* \* \* \*

"سلمى" همس بها ومرآجله تغلي لولا انهيارها لسحق ذلك المُنخث فكيف تجرأ على القدوم لزوجته بغية افتراسها، هل ظن أن ما به من رخو وزوال نخوة في غيره، تكوّرت على نفسها تنتحب ليعتدل حدّها يهمس "كفى بكاء" هزّت رأسها رافضة وهمست وعينها مغمضة "اشعر بالاشمئزاز" ارتفع حاجبيه والغضب وصل أقصاه ليسحبها بعما جلس وهي بين حجره، استسلمت له ولكفه التي تزيح شعرها عن وجهها وهو يهمس "حبيبي، لا تبكي" زاد نحيبها وهي تزوق حناناً أشهى من العسل، مال بها للأمام والخلف يُقبل مفرق شعرها وجبهتها هامساً والقُبلات بين الكلمات تُهددها "واحد أثنين سرجي مرجي، أنت حكيم ولا تمرجي، أنا حكيم الصحية العيان أديله حقنة والمسكين أديله لقمة" مرغت رأسها في صدره وغمغت "ماذا تُغني" ضمها ومازال يترنح بها والقُبلات تنزلق على وجهها "نفسي أزورك يا نبي يا للي بلادك بعيدة فيها أحمد وحميده" رفعت رأسها ترمقه بتعجب وهمست باكية "يوسف كان يُغني لي تلك التهويده" شدد من ضمها هامساً "أخبرني" لملم شعرها براحة وقبل وجنتها قائلاً "تعالى وتحممي حتى تفيقي" طالعتها بحسرة وكُلما مرّت الدقائق بها أدركت الموقف أكثر لتتهفّ وعينها تترجي توقّف الدمع الحارق "وجدته أمامي، فاجئني داود" مسح دموعها التي حجبت عيناها عنه لتهمس مُجدداً "أقسم ما كنت أعلم بمجيئه هنا" لحقها واضعاً سبابته على فمها يهمس "على ما تقسمين، أثق بك يا مجنونة" تطلعت لعينيّه الصادقة وشعوراً مُلح بضمه يحتاجها وبدون العناد والحسابات المُعقدة رفعت ذراعيها والخجل يُمسك بهما تتوغل بصدرة وتشدّد من ضمتها هامسة "داود" ارتفع وجيبُ القلوب بقوة والصمت حائر بينهم لمن تلك الدقات المُهدرة، عاشقان التقوا بعد طول سفر، همست ليستشعر لأول مرة احتياجها له "داود!"

"أفضى ما بكى يا أجمل من نطق اسمي"

"أنا خائفة" شدّد احتضانها وجسده يُلملمها داخله "وأنا معكِ؟" قابلت ضمه بالضم وهمست "بلي ولكن أخاف الزمن" قَبَل مفرق شعرها وهمس بصدق "نذير الطبيعة دوماً يُخيف فلا تخوني تقتي بطبيعتكِ المُقاتلة" ابدها بشديد الرفق وهم يسأل سؤالاً أرقّه "ألا بات بك شيء سلمى؟ ألا يوجد بصيص حُب يُروي جفاء طبعك؟" افتُرقت شفتيها مُقررة الفيض ليقطع فيضها دقات الباب العاجلة، نفخ أنفاساً حارة وهمس وهو يدفعها عنه برفق "هيا تحممي واتركي"

لي ذلك الغليظ عامر، الغيرة ستقتله" تحرّكت وخطواتها تمتنع تركه لتُغلّق باب الحمام خلفها تزامناً مع فتح داود الباب يهتف والأخر يتفقد العُرفة بعينه  
"أين أُمي؟"  
"خبثت أنت!"

"الوضع حرج أين هي؟" ردّ قلق "ما الأمر؟" سحبهُ عامر خارجاً ليرفع الهاتف قائلاً "شاهد بنفسك"

خرج من البيت بعدما حطمهُ مُنبهاً على الجميع التعامل بطبيعية مُشدّداً على عامر مُراقبتها جيداً، هاتف أدهم للمرة العاشرة دون رد ليتصل على حمّو الذي ما إن رد صرخ به ليأتي لمكتبه، القى السيارة بهمجية أمام مبنى مكتبه ليصعد من فوره لأخر طابق وقد استدعي طاقم العمل ليطرُق الحديد وهو ساخن مُشتعل، حاول شهاب جاهداً منعه مما يُقدّم عليه لكن دون فائدة فسُحقاً لكل البشر مادامت سوف تتأذى مُجدداً، تلك المرة ليست كسابقتها فالיום اللُعبة على وتر النفس يعلم أن فور معرفتها لن تلوم أحدا لكنها ستقتل نفسها بجلد الذات وصولاً للموت، لأخر مرة تَوسَّلهُ شهاب، يسأله الرَويّة، مازالت التحقيقات بالقضية قيد العمل وما سيفعله سيهدمُ تعب شهور كاملة، ومع استمرار التوسّل خرج المارد عن السيطرة ساحقاً الصبر مُقسم بقتل قاسم وُدريّة ونهى والديوث زوجها!، اذعن شهاب بالطوع يراه بتلك الحالة من اليأس والثورة ليجلس داود لشاشة الحاسوب يضع بنفسه حداً لمن ليس له حد ويبدأ في بث فضيحة المُوسم وهو يعرضُ فيديو وثاني وعاشر للسيد قاسم الوكيل مع حسناء الحارة نُهى وقد جمعهم فراشُ الرذيلة غير عابئين بشيء! هتف حمّو الذي دخل إليهم بأنفاس لاهته "خيرُ ما فعلت" سحبهُ داود بصمت حتى أجلسهُ أمام الشاشة في بث مُباشر جمعه مع حسناء لتبدأ المُباراة النهائية، قصّ حمّو ما كان يجمعه بنُهى كما قصّ ما حملته رياحها العاصفة لتُكمل حسناء واضعة النقاط فوق الحُرُوف المُبهمة تروي طبيعة العلاقة التي بدأت بين قاسم ونُهى وكم ساعدته بحقدّها ليصل حد التغرير بامرأة متزوجة، وعلى الجانب القريب فتح داود حاسوبهُ الشخصي يري ما يفعله قاسم الوكيل حيث كاميرات المُراقبة التي زرعا بقصره بأمر من النائب العام وبمساعدة حسناء المُمتلئة، انتفض وهو يري دُرية تجلس بمكتبه ليرفع الصوت وقد انتبه له الجميع بالسمع والرُويّا،

رفع قاسم مُسدّسه بوجهها ما إن علم هويتها يتهمها بالاتفاق مع زوجها، لكن ثرية من فرط خوفها نفّت وأقرّت بمن حرّضتها وأخذت تُفصّل عليه الأمر كاملاً تحت وطأة سلاحه كما أقسمت بأنها لا تملك أيّ نُسخ من الفيديو الذي جمعه مع سلّمي وقد تأكّد أيضاً بنفسه أن الفلاشة التي كانت تبغي أجرها خاوية ليس بها سوي تلك الأغنية الشعبية وكأنها تقصدهم، بكت خوفاً وقد اوشك على قتلها فانهارت مُعترفةً بأن داود طلقها منذ فترة دون علمها كما أنها سعت لزواج داود من سلّمي بكامل إرادتها لتتوصل على ثروتها لو لم بالمناصفة سيكون بالوراثة بعد أن تُدبر لها أيّ حادثة ولكن مع رفض سلّمي ما وجدت غير ابتزازها بتشوية صورتها وادعاء خيانتها وهدم بيتها، فكيف تفعل كل ما سبق بالاتفاق مع داود؟ داود الذي لم يُدق الحب سوى بنكهة سلّمي ونعيمها، وتحت التهديد والضغط أقرّت بمن خططت ودبرّت وهي تصرخ والمُسدس فوق رأسها "نهي؟ نهى السباك من سلمتني فيديو الحفلة وهي من سجلت شكوتي الكاذبة" شرد قاسم يُفند حديثها ليجد أحد رجاله يدخل صارخاً "مُصيبة قاسم باشا كارثة" خرجت من قصره تركض بكل قوتها منتهزه فرصة انشغال قاسم بتلك المُصيبة التي تجهلها لتتحرك بسيارتها على أقصى سرعة تسبّ نهى واليوم الذي تعرفت به عليها،

اقتطع داود الجزء الخاص باعترافها وإقرارها بما فعلت ليبدأ في بثه بعدما لقي بث حمو وحسناء صداً بين الناس ليهتف للعاملين معه "أريد تشويشاً على ما أذاعته الساقطة ومن يقدر على محوه نهائياً له مُرتب سنة مكافئة"

نزل عامر مسرعاً إليهم يهتف "ما زالت بالحمام" هتفت دهب بتوتر "اهدأ عامر وكفى عصبية وأنت رباب هل داريتم ما حطمه ذلك المجنون" جلس الصبي يتفقد وجوه الجميع حتى صاح برباب وسها "كفى بُكاء لو شاهدتكم هكذا لن تهدأ حتى تعلم" التفت إلى دهب مُستنجداً "من فضلك اذهبي لها ولا تنزكيها تُمسك هاتفها" مسحت رباب دموعها وقالت "ليست غبية لو نظرت في وجه دهب ستشك فوراً، دهب لم تذهب لغرفتها منذ يوم زواجها" تأفف حيراناً ليهتف مُجدداً "لو نزلت ورأت منظر البيت هكذا سوف تسأل أيضاً" نهضت سها قائلة "سأذهب إليها بحجة استرضاء قلبها على ما حدث هكذا أوقع" همّت بالتحرك ليهتف عمر "انتظري، اصنعي لها شيء تشربه أو عشاء خفيف حتى تفتنع، هي تعلم أنك مُحال تُبادري بشيء" انتبه الجميع لنزولها تحمّل حقيبتها تبتسم باتساع وإشراق ليسألها عامر متوجساً من هيتها "أنت

ذاهبة ماما؟ الوقت متأخر؟" قَبَلَتْ وجهه وقالت "لا تقلق حُبِّي عمَّكَ داود طلبني، يقول لدية مُفاجئة" هتفت ذهب تسأل بشك "مُفاجئة! أيُّ مُفاجئة؟ انتظري سأجعل صُهيبي يوصلك" مالت إليها مُسرعة وهمست "ماذا ذهب؟ لما صُهيبي؟ فقط قررت الاعتراف لداود بما في قلبي وتلك فرصة لن أجدُ مثيلها" اعتدلَّت تُقَبِّلَ عامر واتبعتُه بعمر حتى رباب وسُها مما جعل عُمر يسألها "ما الأمر ماما وكأنك راحلة لكوكب آخر" ضحكت وهي تخرج من الباب قائلة "أراكم بخير" انسابت الدموع تُغرق وجهها بمجرد ما ارتادت سيارتها لتصرُخ مقهورة "يا لا نذيرُ الطبيعة المُوجع"

هتفت ذهب بقلب مقبوض "داود لا يرد، وكذلك أدهم" صاح عامر "حمّو ايضاً" هتف عمر وقد نزل من غرفتها يركُض "تركت هاتفيها ووجدتُ ذلك معاً" اختطف عامر الهاتف يناوله لذهب وهمس بشديد الخوف "خطابٌ مكتوب عليه داود الرازي" صاحت سُها تتمسك بهاتفها "شهاب أين أنتم؟"

\* \* \* \*

لطمَت قُطّة وجهها تقف بين أهل الحارة والعار يُزبنها، الحقيقةُ تكشفَتْ وبالتبادل أخذت موقعها مما فعلته بُهتانٌ وزوراً كُتِبَ عليها بحق القلم، بالأمس فضحت عرض وليها بالكذب واليوم تقف أمام الحقيقة عاجزة، عجزُ القُدرة على مواصلة الخداع، وكعادتها القبيحة همس ضميرُها المُعاق مُقرّاً أن الجزاء من جنس العمل، صاح الشيخُ حازم أمامها بالكلمات شامِتاً بها وبنسْلِها فكما فضحتُه نُهي فضحها، تقلد شحاتة مسرح الحياة بطبيعته المُزيفة يُمسك سيرتها يُلتهمها كما لحم الضأن ما تعي أكله إلا والتُخمة تُهاجمُك، ترحم على عليّ السباك كما سب ابنته وتربيته لها تاركاً لنفسه العنان بالسب والقذف بيوم لم يلقى به من يتجرأ على منعه مُذكره بالمُحصنات، لملت المعلمة قُطّة عباءتها الملونة وتوجّهت لمنزلها بصمت فقط بعضُ الكلمات التي اعتَلَّت فمها وصارت كما الترنيمة المُنعمّة "على الباغي تدور الدواهي ولكل منا ميعاد"

\* \* \* \*



جلس على الأريكة الجلدية باسطاً ذراعيه على وسعهما مُنتشي بانتقامه، كان سكوته طُوال الشهرين الفائتين لا لأسر الضغينة التي تملكته ولا إثراءً للسلام ولكن تفرُّغاً لرأب تفكُّكها النفسي الذي جعلها آلة مُتحركة دون الشعور والجس، لتأتي الأقدار بما يشتهي ويرغب ويُبسط له بُساط الثأر، سيُعلم وجوه الأفاقين ببصمة الزمن السوداء، وكأن المسيح استُنسخ لألف ألف وجه، لا يخشون قيامة ومُحاسبة، كافرين بأقدار الله الواقعة، لا يعي هل انتصاره باطل أم حق؟ كُل ما شُئِد من باطل فهو في عين المولى باطل وتلك ضريبة الزمن فرضتها الحداثة وتقبلها أناسٌ جعلوا من التقدُّم عبث، لو الأمر بيده لقطع ذلك التواصل اللا اجتماعي عن البشر وعاد بهم أزواج وأفراد لعصر الحجر، لا جدال على الثوابت ولا جدل! ترك الشرود جانباً وهو يسمع صوت شهاب المُضطرب لينهض ومزال قلبه بتلك القبضة نابض ليهتف الآخر إليه بقلة حيلة "سلمى خرجت وتركت لك رسالة" لا يعلم كيف أصبح داخل سيارته ومتى وصل بيتها، ما يعلمه حقيقة دامغة بأنها استسلمت لبرائن اليأس مُقررة الهرب! وبعنون من خانه انتصاره صرخ بوجه عامر وأوشك يضربه "تركتها في عنايتك؟ لِمَا تَرَكْتَهَا؟" اخفض الفتى رأسه وشعور اليتم يُعاوده ليهمس والدموع صارت عادة لن تنقطع "لم يبدو أنها عَلِمَت بشيء" هتف بصوتاً يائس محشوراً بين الصُراخ والهَمس "كيف؟ ليس من عادتها الخروج ليلاً! ليتك انتبهت" مد عامر قبضته يناوله خطابها يبكي وينتجب "تركته بجوار هاتفها" وبحسرة رضيع فُطم للتو تناول الخطاب المُعطر بالدخان والنعناع متوجهاً لمطبخها يجلس برُكنها الفارغ ومذيعها الناعي فراقها، فراغ موحش تركته ينهش ما يقابله من ظِلها،

"شربت من أكوابها صبايةً حتى الملل وعشت في عذابها كآبةً لا تُحتمل  
باركتها في غدرها (آه) ولم أفارق الأمل آه (آه) قاومتها في مكرها من حَكَم  
العقل وصل"

تنهد وخطابها بيده كأنه عقرب سيلدغه، فتح الرسالة بقلب مُرتعش وعطرها يُداعبه، تفرقت شفتاه بابتسامة عجز وهو يرى خطها الصغير المُنمَّق يضحك

له، دُحضت ابتسامته وشهقة مكتومة الصدى تصدر من فاهه وهو يتذوق أول كلماتها،

حبيبي داود

اليوم فقط استطعت الانفراد بقلبي أستخلص ما فيه من حُب، لم أكن أعلم أن ما يُخالجني عاطفة قوية ولدت بداخلي وزينتها الغيرة بزيتها الساخنة، داود؟ يا حبيباً ملكته في الوقت الحرج، أوصيك بأولادي فما بقي لي من ثقة دونك ورجائي أن تغفر لي ما اقترفتُ بحقك بقصد أو دون قصد،

هكذا الدنيا، جمعتنا في لمح البصر وفرقتنا بطرفة عين، داود؟

أوصيك بنفسك خيراً ورجاء لا تبحث عني، أنا صرتُ حطام امرأة، حُجبتُ في قلعة أسوارها الشوك وأبوابها صدئة، وأنت لا تستحق وخزة الشوك، أبلغ حبي للجميع وبلغهم أن سلمى ذبحها اليأس باليأس ورُغم الاعتقاد على الكدر لكن هذا يكفي فطبيعة البشر صارت مُعدمة كلما قرصهم الجوع كان طعامهم لحم ميت وأنا وافقتي المنية منذ زمن، وأخيراً أنا اعترف، أنا أحبك داود الرازي، سامحني فلم أستطع على تلك الحياة صبراً!

سلمى المصري

همسَ ودمع القهر يُغرق حروفها "لما استسلمت؟ ملعونة الدنيا يا سلمى ما دومتِ فارقتي" ترنم كاظم يواسي الجرح بالجرح،

من لم يفق من وهمه فعن أسأه لا  
تَسَلْ لصارت حياته عدم، صارت  
همومه جبل اشرب لوحدك الأسى  
وذق مرارة الفشل إن لم نقاوم  
ضعفنا ليس لنا فيها محل

هي الحياة هكذا، هي الحياة هكذا  
طبعها منذ الأزل، كم أغلقتُ  
أبوابها كم هجرت أصحابها

أحزانها لا تنتهي أفرأها  
لا تُكتم لكم من قتيل في

الهوى قَبْلَ كَفَيَّ من قَتَلَ هَيَّ  
الحياة (هَيَّ الحياة)

همست بغصة البكاء تُشاركهُ الاستماع عن بُعد "بلى، بكل مُفترق طريق قتيلاً  
ينزفُ دماً وأنتِ سَلِمِي نزفتي حتى الموت حية" صَفَّت سيارتُها جانبَ الطريق  
المُظلم وقد وعت على تيهها لتلمح الأضواء الخافتة عن بُعد ترجّلت دون  
الخوف فما حيلة المذبوح وقت النحر والسلخ، دخلت لتجد جموع المقاعد  
الخاوية في استقبالها وبعضُ الموسيقى الفاترة، قطعت شرود أحدهم جالسة  
وقد حل بها التعب، ورغم عُسر حالها وجدت يُسراً في خلو المكان من البشر  
لتجد الطاولة لها معاونة لترتاح فوقها، النوم؟ ذلك العزيزُ العالي باغتها مُشفق  
على العقل والقلب لتغمضَ عسلَ عينها غيرُ عابئةً بالمكان والزمان عليها تنامُ  
أمد الدهر ولا تفيق ثانياً، وكما أن النوم رحوم لكن الآرق يُجبُ الرحمة مُننهزاً  
سكونَ العقل وتشتت القلب ليُعيدها لما حدث •

خرجت بعد حمامٍ ساخن هدأ عقلها المُتعب وصخب قلبها، لتقف أمام مرأتها  
تهمس "منذ متى وأنتِ تؤمنين بالحب يا خائبة؟" لتتذكر خوفهُ عليها، همسهُ  
الحارُّ يُدلّلها، انتبهت لرنات هاتفها وابتسامتها تتوسع لتهتف لنفسها "مجنون،  
وجنن عقلي معه" فتحت الهاتف لتسمع صوتها القبيح يهمسُ كفحيح أفعى "لن  
تسعدني ما دُمْتُ حية" أغلقت الهاتف بوجهها تضغط موضع قلبها الذي قبض  
لتجد سيلاً من الرسائل باغتها، قاسم ودُرية والعالم اجمع اقرؤا أن لا وجود  
في ذلك الكوكب لها، لذا! عليها تركُ الجميع بالحياة ينعم، باتت كالوباء الغادر  
تنقل للجميع العدوى لتتركُ أحبائها ينعموا وتقبل مصيرُها المُلوث دون الفتك  
بهم،

\* \* \* \*

صرخت عبر هاتفها بهستيريا "نُهي أنتِ من سرقتي شقتي؟ مجوهراتي؟ المال أيضاً؟ وبسُّم الشيطان ادعت الجزع لتهتف إليها "غير معقول! تلك حركة لا تصدرُ سوى من قاسم، اهربى دُرية! اهربى لآخر العالم قبل أن يقتلك" قطع حديثها دخول عابد وعلى وجهه سوءات المُجرِم يهتف بصوت أجش "لما الخيانة؟" صاحت بعلو صوتها دون الخجل "الفيديو مُزيف؟" تقدم إليها والجنون يخاطبهُ "حقيقي مائة بالمئة" تبسّمت تُدلك رقبتها وتهتف تنمطي "وأنتَ ماذا فعلت؟ ألقيت بنفسك تحت أقدامها كالكلب" خلعت بلوزتها تتلوى أمامه بإغراء وهمست "اخلع ذلك الوجه، لا يليقُ بك، الم تدعوا بنفسك سلمي لما فعلت؟" هجم عليها يسحبها من شعرها يُبرحها ضرباً والسُّباب لا ينتهي لينطلق الصراخ مدوياً بين سكان العمارة المُنزِعِين مما دفعهم لطلب الشرطة "كيف لزُمرة رعاك أن يتجرؤوا على مُجاورة الأسياد؟" كانت تلك بعضُ عبارات سُكان البناية المُترفة، سكّن الصراخ تزامناً مع قدوم رجال الشرطة ليفتَح عابد الباب بعد الكثير من التفاوض ليتبيّن للجميع هيئته الدامية، اسرع رجال الشرطة باقتحام الشقة ليجدوا نُهي تسبح بدمها وعابد يهتف من الخارج غير عابي "هكذا يُصان الشرف"

\* \* \* \*

امتلكَ زمام قلبه الثائر وصاح يخرج من المطبخ "عامر، احضر حاسوبي الشخصي" سألت دهب والدموع تسبقها "هل هذا وقتُ الميديا؟ أين زوجتك؟" التقط الحاسوب من يد الفتى وفتحه بعجل يهتف "وضعت بمحبس زواجنا جهاز تتبّع" لتمر الدقائق مرورَ السنة وما أن التقط الحاسوب مكانها ركض وخلفه شهاب وعامر، ليهتف عُمر الباكي "الظلمة لم يأخذوني معهم"

ومن بين سُباتها التقطت صوتَ همس ارقّ نومها، أحدهم يتكلّم جوارها! تراه عُمر؟ ما إن حَب يوقظها أخذَ من الثرثرة طبيعتها! همست والنوم يُخيم على عقلها "كفى عُمر! اتركني انعس" انزعجت من النقر فوق كتفها لترفع رأسها بمشقة من الألم الذي كاد يُحطمها، تراقصت أهدابها بقوة لتُفرج عن عيناها تهتف مفروعة "أين أنا؟" تبسّمت المرأةً بوجهها لتعتدل تُدلك رقبتها قائلة "أين هذا المكان خالتي؟ أنا تائهة" تفحصت المرأة وجهها ومازالت على ابتسامتها

لتهمس "استراحةُ مُسافرين ألا تعلمي؟" تهكمت قائلة "اعلم السفر فهذا حال الدنيا ولكن الراحة لها أهلها" تغصن وجه العجوز بمزيد من الابتسام لتجلس جوارها تهمس "الدنيا رحلة، ونحن راحلون أما الراحة فلا وجود لها" جمعت ما بين عينيها وانتبهت قائلة "هل أنت مُسافرة؟ أم تخلت عنكِ الراحة كما تخلت عني يا خالة؟"

"وهل وُجِدَت الراحة لئترك" قالت جمعتها تُخرج من جيب عباءتها الخضراء كيساً فُمَاشي أهدرتُه فوق الطاولة لتتوسع عينُ سَلَمَى وهي ترى مجموعة من الأصداف البرّاقة الملونة، مدّت كفها ناسية كل شيء تلمس صدفه باللون الأحمر الأرجواني تسأل والدهشة تتملكها "مُبِللة؟!" مازالت العجوز تبتسم باتساع وعينها الزرقاء تتفقد من جوارها عن كُتب حتى قالت تضعُ كفُها فوق كف سَلَمَى تُخبئ الصدفةَ بينهم "أين وجدتي السلوان؟ ظننته ضاع؟"

"أي سلوان؟ وهل بتلك الدنيا من يسلو خالتي؟"

"الدنيا ليست لهو ولعب، لكل منا منهج يتعلمه" اعتدلت مقابلها تتلاعب بالصدف لتهتف بيقين "خلقَ الله الفرج مشروط بالصبر، الابتسام يمحو الحُزن، الرضا والسعادة يدحضوا اليأس، النسيان والسلوان يرافقه العوض، أمورٌ عِدّة يُخفف بها المولى طبائع الدنيا التي صنعها البشر، شيء واحد لم يضعه الله بالدنيا يا سَلَمَى "ما هو؟"

"الراحة" أكملت وصوتها كما صدا رائق "وجعلنا الإنسان في كبد"

"وأنا تكبدتُ ورضيت حتى تركني الصبر ورحل" قالتها بروح المهزوم تنهك على نفسها، نهضت العجوز تلملم الصدف مُتجهمة الوجه تهتف بقوة "تنهك على أقدار المولى؟ تسخرين من القدر؟" نهضت سَلَمَى وقد ضاقت بالمرأة وحديثها لتهتف بلامبالاة "حاشا لله يا حاجة! الرضا موجود والصبر بوفرة لكن شر الناس قاتل، أنا قُتلت بما يكفي، وفري النصائح والمواظ اعلمها جيداً، نفذت طاقتي" همّت بالرحيل من الاستراحة المُخيفة لتجد كف المرأة يلتف على ذراعها تضغطه بقوة وابتسامتها مُتسعة تهتف بيقين وفرح "أنّي الفرج سلمى والغمام أنكشف، بقت خطوه واحده" جذبتها المرأة بالقرب لها

وهمست مُجدداً وعينُها مُغمضة "وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ" كرّرت الآية أكثرَ من مرة وكفّها يضغط صدر سَلْمَى، شملها الدوار وترنح جسدها لتدفعها العجوز برحمة تُجلسها للمقعد، وبين الوعي واللا وعيٍ تَمَتَّت العجوز تضغط رأسها بكفها اليمين "النسيان مفروض والسلوان موجود والقلب يُقَلَّب بكف الودود، أما العوض مشروط يا ابنة المصري، تقبلي القدر دون اليأس أو الضجر" رنت الأصداف بين كف العجوز بنغمة سحبتها للنوم كما يسحب النهار الليل،

وبالخارج نزل مهرول من السيارة يُتابع برنامج التتبع بهاتفه ليهتف عامر "سيارتها هُنا" ركض الرجال للداخل ليلمحها تنام وحيدة فوق الطاولة، توجه بخطوات واسعة ليقترّب هامسٌ "سَلْمَى!" لحقهُ عامر يهتف بفزع "أمي، ماما" دفع كتفها لتنتبّه بعد مُدة على الهاتف الباكي "حرام عليك، كاد قلبي يتوقف! أهنا عليك؟" انتبعت ذاهلة لتنهض ومازال النعاس يحتوي وعيها "أين أنا؟ ولما تبكي يا قلب أمك؟" تطلعت حولها باستغراب لتنتبه لسؤال شهاب "سَلْمَى؟ هل أنت بخير؟" مسحت وجهها بكفيها وهمست "لا اعلم! أين العجوز صاحبة الودع؟" سأل عامر يتبادل النظرات مع شهاب مُروراً بذلك الصامت "أي عجوز؟ لا يوجد أحد؟" هزّت رأسها نافية وتلفتت حولها تتحسس سطح الطاولة "أنا مُتأكدة، كانت هُنا مع الأصداف" طالعها شهاب وهتف يوقف الهذيان "انه حُلْم! كنت نائمة بعمق" دارت عينها بالفراغ وصورة المرأة لا تُفارقها، تُقسم بداخلها على حقيقتها ولكن الشك أسكتها لتَهْز رأسها موافقة بغير اقتناع وتهمس "وكأنه حُلْم" لمحت بطرف عينها وقفته المتحفزة الغيظ على وجهه فتجاهلته تحتضن عامر قائلة "حبيبي، حاوطني اليأس ففضلت الرحيل حتى لا ألحق بكم الضرر بُني" حاوط وجهها بكفيه يُقبّل رأسها "أنت تاجُ رأسي سُلَيْمة" طالع عينها ومازالت رأسها بين كفيه ليُكمل "أنا الأسف حبيبتني، أنا العاجز عن حمايتك" أعاد تقبيل رأسها مرتين نزولاً لوجنتيها لينتفضا وهو يهتف "عامر! شهاب! خذا سيارتها ونحُ ورائكم" هتف عامر بغيظ وهو يتحرك "حسناً داود أفندي، لا داعي للصراخ" قهقه شهاب يدفعه أمامه "أخرجنا منها على خير يا رب" تفرّس وجهها بتمهل يُعْض شفته بغيظ ليتقدم إليها قائلاً "تهربين؟ ها! تهربين من ماذا؟" رفرفت

أهدابها وهمست "صاقت نفسي حتى اليأس ولم أشأ توريطك معي" جلست الي الطاولة بتعب تدس رأسها بين كفيها وتهتف "ماذا أفعل بالخوف؟ خائفة والرعب يشملني لو كانت حياتي كابوس لانتهى لكن الظلم مستمر" سقط كفيها فوق الطاولة وكأن الجاذبية تسحبها لتهمس مخنوقة باليكاء "داود؟ ألا يوجد حل؟ تعبت!" انخرطت في بكاء قاتل ليتقدم إليها حائر أضرعها أم يحتويها، جعلته كما الميت الحي لا قادر على الصحو ولا النوم والراحة، جلس جوارها ينوي توبيخها ليجد ذراعيه تضامها لصدرة بحنان، تمسكت بقميصه وسكنت له وكفه يضغط رأسها يهمس "باسم ربي أريقك من كل ما مر بك، باسم القاهر ابتهل يقهر عدوك، باسم الله أتوسل له يهديك"

خرجت من الاستراحة ويدها بيده مفتونة بما سمعت لتهمس تسأله "أين تعلمت تلك الرقية" تبسم ليسحبها بقوة قائلاً "أنت تعلمين الآخرس كيف يشدو" دفعها صوب السيارة يلاحظ ارتعاش جسدها برداً ليفتح الباب الخلفي للسيارة ويأتي بمعطفه الطويل مدخلها إليه قائلاً "حسابك معي عسير سلمى"

"لم اقصد الهرب! كانت مجرد لحظة ضعف" رمقها بغضب قائلاً "لما لم تخبريني بما حدث يوم الحفلة؟ هل تحرش بك ذلك الكلب؟" اضطربت ملامحها وهتفت ويدها تندس داخل معطفه "داود! كيف الخلاص من تلك الدنيا؟" جاوبها وهو يجذبها الي صدره "هناك بعض الجمال يستحق النظر وبعض العوض يحق احتضانه سلمى" انتبه لارتعاش جسدها فمال ينظر دهشتها سائلاً "ما الأمر؟" توسعت عيناها وشهقت مبتعدة بعدما أخرجت كفها من المعطف تنظر لما أمسكتة تهمس بذهول "السؤلان؟" ألتقط الصدفة يسأل بريية "من أين جئت بها؟" تلفتت حولها تفنن عن العجوز بجنون ليدخلها السيارة قائلاً "هيا سلمى واروي لي القصة على مهل" صاحت وعيناها تتبعه حتى ركب جوارها "كيف وصلت لمعطوك؟" عقلها جن وقد تحرك مسرعاً تحت تفقدها للمرأة، هتفت والصدفة بكفها "الديك تفسيراً لذلك الحلم" عوج فمه بابتسامة متهمكة قائلاً "أعرفك بنفسك داود بن كثير الرازي مفسر الأحلام المستعصية"

\*\*\*\*

## الثامنة صباحاً

توجه لحديقة البيت يُفتش عن شهاب المُختفي مُنذ أكثر من ساعتين وعلى ما يبدو أن سُها اختفت معه، تحرك وعينه تدور بجوانب البيت الخارجي فلا بد أن يطمئن على أدهم أيضاً فهو الآخر اختفى دون سبب! انتبه إلى لينا تهتف من خلفه "بابا" حملها مُستغرباً "متى استيقظتِ حبيبتي؟ ولما خَرَجَتي؟ الجو بارد" حكّت عيناها إثر النعاس وأشارت صوب باب البيت تهمس "ذهبت أشرب ولكن وجدت عُمر يبكي بالمطبخ" ارتفع حاجبيه بصدمه وتوجه للداخل يهمس "عُمر! يبكي" انزلها يلمح الصبيّ مُنزوي بركن فاصل بين المُبرد والحائط ليتقدم يسحبه يسأل بقلق "عُمر؟ ما الأمر؟ هل تشاجرت مع عامر؟" رمق عُمر لينا بلوم وهمس لها وهي تشد ذراعهُ تُخرجه "أنتِ واشيه" طالعتها مُعاتبّة وهمسّت "أنا عمر؟" قطع حديثهم يسحبه عنها ويهتف "خافت عليك يا بطل" التف يغمز لها "تفضلي حبيبتي ودعي الرجال يتحدثون قليلاً" راقبتها عيناها معاً وهي تذهب هامسة "حسناً" التفت داود يسأله بقلق "من ابكي البطل؟"

"لا شيء"

"تكلم عُمر ألسنا صديقين؟"

"بلى ولكن!" انحدرت الدموع من عينيه مُجدداً وهو يناظر كل شيء عدى هو حتى هتف ببكاء دامي "أخاف القادم، أخاف أن تذهب أُمي بلا رجعة! فعلتها مرة فسيسهل فعلها ألفاً" احتار داود بذلك الولد فرغم صغر سنه لكن ذكاءه الحاد يلتقط مواضع غفل الجميع عنها، طفل لقي ما لقي وعوضاً عن التفريغ امتنهن الضحك والهزل حتى امتلأت نفسه بتراكُمات التجربة! ليتهُ اعترض كما عامر أو عبّر عما يُخالجه حتى لا يصل لتلك النقطة الضاغطة! استطاع احتواء الكبير ولملمة شتاتهِ بالصدقة لكن الوضع الآن يرنو لاحتياج الأبوة فكيف يفعلها! لا الأب يصلح بدعوة كمن يدعوهُ على حفلاً ولا باصطناع الاهتمام أو الاحتواء الزائف! معادلة صعبة! شرد يستعرض تعاملهُ مع لينا اخذ في الاعتبار طبيعة الأنتى ليقرر ترك الأمر لسجيتهِ علّ الوضع ينفذ، تبسم بحبة وهتف "دعنا نُبرم اتفاقاً عُمر" مسح عُمر عيناها بكُمه قائلاً "ما



هو؟" ضحك داود على فعلته يهتف بتلقائية بعدما سحبهُ للحوض "لو رأي  
عامر فعلتك لحرق البجامة وحرقك" فتح صنوبر المياه يُراقب صالة البيت  
قائلاً "اغسل وجهك، أسرع" ومع تنفيذ الأمر هتف عمر "أمي كانت  
ستضربني"

"تضربك؟ تفعلها وستجذني أمامها" تبسم عمر وسؤالٌ علق بأهدابه المبللة  
ليقرأهُ داود مُجيباً ويناوله المحارم الورقية "هل أقسم؟ أنت بمنزلة الابن  
عمر؟" هز رأسهُ رافضاً وهتف "بلى تقدر، ولكنك فعلاً أب لستُ مجبور على  
تحمل أعباء غيرك"

"من تقصد بغيري؟" ذرف الدمع يهمس والبكاء يشدد "وهل يُشرفك أبناء  
والدهم كما والدنا" فزع داود من المعني وما خلّص له عقلُ الصبي حتى جذبهُ  
لصدره بشعور ابعث عن الشفقة يهتف "ليتكُم أبنائي، دَع تلك الأفكار السامة  
خارج عقلك واجبني، هل تراني أباً يليقُ بك؟ هل ترى ليِنا تليقُ أختاً لك؟ هي  
الأخرى تُعاني ما فعلته والدتها" انتحب الصغير قائلاً "بلى، فكلانا مُتعدلان  
هي بلا أم وأنا بلا أب" هم داود بقول شيء ليقاطعه هتاف عقلة الأصبع تهتف  
"يا لا النكد! أصبحت درامياً عُمر!" اقتربت تُناظره بغضب وحاجبيها ارتفعا  
كما والدها تهتف مُتأففة "ها هو الأب وطنط سلمى الأم، نلخبطهم ببعضهم  
ونُصبح عائلة! بسيطة وسهلة" مال إليها داود مضيق عينه يسألها "الم اطلب  
تركنا؟" تغيرت ملامحها لملامح جرو وتحركت تفتح المُبرد قائلة "جئتُ لأنني  
جائعة" هز رأسهُ يأساً وما زال مائلاً لها، ليهمس لعُمر الذي انفرج وجههُ قليلاً  
"ماذا نفعل؟" همس الصغير "فطور لعقلة الأصبع" حضّر لهم الفطور بما  
استطاع فعلهُ واجلس كلاً منهم ليأكل وهتف إلى شهاب الذي ظهر "هل هناك  
أخبار عن أدهم؟" هز رأسهُ بلا صامته وتوجه للفطور المُعد يشاركهم ليسأل  
داود "أمكن أن يكون مع خطيبته" قالها يسحب طبق عُمر من يده يُحذره  
بعينه ليهتف الآخر ضاحكاً يفتح الثلاجة تاركاً فطور الصبي "أي خطيبة،  
الرجل أعزب" رمقه مُبتسم وقال "قبل أن تندesh دعني أخبرك من كانت معه  
مُجرد صديقة جعلها خلية ليأتي دون تركِ ثغرة خلفه" همس داود بسُبه نابية  
وتوعده، هم يطلبهُ ليجد عُمر يُطالعه بنظرة لم يستطع استقرارُها وقبل أن يسأل

تفاجأ به يشب إليه يهمس "شكراً لأنك موجود بذلك الوقت معنا" قَبَلَهُ بخجل  
ليهمس مُجدداً لذلك المُتخشب "شكراً بابا" تركه يركض خلف لينا التي على ما  
يبدو استفزته بشيء غير واعي بما فعل، تسائل داود بصمت هل ذلك انتصار  
له أم بطولة من ذلك الصبي؟! فاق مُنتبهاً على دخول أدهم يهتف "قاسم الوكيل  
هَرَب"

\* \* \* \*

هرع داود وشهاب وخلفهم أدهم يصيحُ بمحاولة فاشلة لإيقاف هذا المجنون فما أن سمعَ بهروب قاسم الوكيل انتابته حالة جنون عارمة كيف بعد كل ما فعل يلوذ بالهرب من قبضته؟، بالكاد استطاع أدهم اللحاقُ به ليركب السيارة وقد أوشكت على التحرك يصيح به غاضباً "بالله أين ستذهب؟ اترك الأمر لرجال الشرطة هي كفيلةٌ به" لم يلقى رداً سوى شعوره بالطيران على سطح الأرض وداود ينهبُ المسافة الفاصلة بين البيت وقصر قاسم، دقائق مرّت والموت يحضرهم حتى همس الرجلان بالشهادة ممتنين للحياة بأنها تمسكت بهم، ولكن العبث لم يمهلهم الراحة وداود يقتحمُ بابَ القصرِ بسيارته مُحطماً له ليصبح أمام الباب الداخلي، عُشرون ثانية مرّت يدق بها الجرس بهمجية ليفتحَ قاسم هارباً ليجدهم أمامه كملائكة العذاب وكبيرهم يتوسطهم، هتف يبتلعُ ريقه "ماذا؟" هتف داود ونظراته بالتبادل بين شهاب وأدهم يسألهم ساخراً "ماذا؟" تقدم مُبتسم كتمساح بلع قرد وهتف "إلى أين يا حبيب الماما؟" كنتم شهاب الضحك ومثله أدهم ملتزمين الحذر ليفاجئ داود الجميع وهو يقبضُ تلايبب قاسم الذي صرخَ بفزع أثر نطح الثور البري له، ما لبث النطح حتى بدأ اللكم والركل وداود يسبهُ قائلاً "أتظن أنك هارب يا كلب تهربُ من الشرطة جائز لكن من بن الرازي تلك سبةٌ لن أقبلُ بها" أوسعهُ ضرباً تحتَ مرأى ومسمع الجميع ولم يحولُ بينهم سوى رجال الشرطة التي اقتحمت القصر للقبض عليه، اعتذر أدهم لرجال الشرطة وعلل وجودهم للحاقِ بذلك النذل وقد علموا من كاميرات المراقبة استعدادهُ للهرب، سحبهُ أدهم بقوة نحو السيارة المُحطمة يهمس خشيئاً سماع أحد "أُجِنِيت؟" تبسم داود واقترب وبعينه الشر يسأله وهو يطقّق رقبته على الجانبين "كيف حالُ خطيبتك؟ اعزمها اليوم على الغداء عندنا!" اهتزّت مقلتي أدهم وهتف دون تفكير "قَدّر ولطف يا صاحبي، قَدّر ولطف، هيا لنعالج جرح جبهتك" اسرعَ بركوب السيارة قبلهم ليلحقه داود تاركاً لسانه ينطق بما لا يجوزُ بحقه وشهاب خلفهم لم يعد قادراً على كنم الضحك

\* \* \* \*

بعد عشرة أيام

دثرت الصغيرة برداء الحمام بعدما أصرت على تحميمها، منذ وقت وهي تلحظ عدم ألقان لينا للأمر رغم سنواتها العشر لتعلم اليوم أنها لا تعي معنى النظافة الشخصية، أشعلت حالة الصغيرة شفقتها حين تجردت من ملابسها بجهل طفلة باتت تفتقر لإحساس الخجل الفطري المصاحب لذوي عمرها، كيف لصبية على وشك البلوغ أن تفتقر لطبيعتها؟ سألتها ودواخلها كأنها تتجاذب أطراف الحديث معها "هل كانت ماما تُساعدكِ لينا؟" هتف لينا غير مُدركة للمعنى "لا، ناني حفيظة التي تُنظف البيت هي من تُحممني" وارت حسرتها وانتبهت لهتاف لينا "طنط سلمى ما رأيك في تلك البجامة" شهقت وهي تجد الصغيرة تركت روب الحمام مفتوح ليظهر جسدها النحيل بسخاء، تقدمت لها مُسرعة تُغلق الروب عليها وهمست "ليلو، حبيبتي، هناك أمور غاية في الأهمية لا بد أن نتعلمها" تطلعت لها بعيون متوسعة لتُكمل سلمى مُستغلة انتباهها "حرام يرى أحد جسدا! لا تنزعِي ملابسكِ أمام أحد" هتفت لينا شاعرة بالذنب "لم اقصد طنط، ماما كانت تنزعُ ملابسِي أمام الخادمة لم تُقل الأمر مُحرمٌ فهي الأخرى بنت" احتفظت سلمى بابتسامتها وضبطت النفس ومالت تلبسها ملابسها الداخلية ثم البجامة تهمس وتتدعي اللعب "حسناً ليلو بما انكِ لم تقصدي الأمر سوف نُبرم اتفاقاً معاً" سحبتهَا تُجلسها أمامها تُصفف شعرها الذهبي وتعليمها مبادئ الحفاظ على نفسها كما علمتها منذ قليل كيفية الاعتناء بنظافتها الشخصية مُتعمدة بأن تكون نصائحها بوازع الدين وصولاً لطبيعة الأنثى، مُحبيب أن تصير فاتنة ليس بالشكل والملبس فقط لكن بالنظافة والخلق الطيب فحُسن الأنثى حيائها وكرامتها عزة نفسها والتزام تعاليم الدين تحفظها وتُزيدها فتنة، انتهت من صُنع جديلتين طويلتين لاقت بها لتقبلها بقوة وكفيها يُدغدغان خصرها وقد ارتاح قلبها لتقهُم الصغيرة واستيعابها النصح دون التذمر والشعور بالوحشة، همست تُدللها بمحبة وحنان لا تعلم متى تَمكُن منها وقد أشفقت على حالها وحال جسدها المشوه بالذنابات إثر تعذيب ثرية لها "أخ، أخ من ذلك القمر" قبلت وجنتيها بالتبادل لترتمي لينا بحضنها وسلمى تهمس وكأنها قطعة من رحمها "يا قلبي على ذلك الحُضن الدافئ، سأكلكِ لينا هم، هم" قهقهت الصغيرة وقد فلتت منها هاربة تركض خلفها سلمى في مُحيط العُرفة تصيحُ بضحك "تعالِي يا ليلو فقط سأكلُ منكِ قطعة صغيرة" صرخت

لينا بالضحك وما زالت تهربُ لتصيحَ الأخرى وقد أمسكتَ بطرفِها "مسكتكِ! سوفَ أعضك عضّة صغيرة" صرختَ لينا وتمددت فوق السريرِ وسلّمت معها تفتعلُ تقييدها بضحك "عضّة صغيرة يا عُقلّة الإصبع، أنا جوعان وأشتهي المَهلبية" فهقهت الصغيرة بصراخٍ مُحبب حتى أوشك قلبُها يتوقّف لتتهفّ بإحساس باغت قلبها وكيانها الفطريّ "كفى ماما بالله كفى تعبُ من الضحك" توقفت سلّمت عما تفعل وعينُها على الطفلة ذاهلة، تلك التلقائية الساحرة وكأنها بلسم مسّ قلبيهما معاً، هتفت لينا بخوف وقد تداركت ما تفوّتت به "أسفة" دمعت عينها وهمست تسترضيها "لن أقولها ثانياً، لا تغضبي" سحبتها سلّمت تمسح دموع الفرع عنها تضمّها وتُغلق عليها بقوة وتهمس "بلى يا قلبي لا تقولني غيرها، هل تريدان حقاً أن أكون والدتك؟" أغلقت لينا ذراعَها على رقبتهَا وهمسّت بطفولة صادقة "أجل، أنت تُحبيني أكثر من ماما ذرية" لملمت سلّمت شتاتها وحمّلت الصغيرة التي لفت ساقَها حول خصرها لتتهفّ متوجهة لباب العُرفة "اتفقنا من اليوم أنا ماما يا عينُ ماما سلّمت، وهيا دعينا نصنع الطعام سوياً فأبنتي القمر ستُشاركني كل شيء وتكون أختي وحبيبتني وصديقتي وسري" نزلت بها السلم الداخلي وكلتاهُما يضحكن بصخب لتنزلق لينا من بين يديها تهتف بسعادة لم تجدها من قبل "عامر، عمر هناك سرٌّ لأبد أن أقوله فوراً" اتجهت لمطبخها بمزاج مُعكّر وهي تلمحه يجلس بالعُرفة الذي اتخذها مكتباً له غير عابئ بشيء، منذ ليلة هروبها وهو يدعي القمص بحجة أنها لم تُخبره عمّا فعله قاسم معها! همست من بين أسنانها تُراقبه بطرف عينها "ماذا فعلتُ لذلك النكد لا اعلم" سحبت الحلة مُصدرة ضجيجاً مقصوداً علّه يُستفز تسأل نفسها "تُرى هل قرأ الخطاب؟" تذكّرت سؤالها لعامر عنه والذي اقرّ بأنه سلمه إليه يداً بيد، تاهت أفكارها بين الظنون أيعقل أن قرأ اعترافها؟ تُراه كفّ عن حُبها؟ همست تختلس النظر نحوه ثم ألقت تتابع ما تفعل "يا ستار بطل العالم في لي البوز" انتفضت مفزوعة وهي تسمع فحيحه خلفها "من صاحب البوز الملوي يا هانم" رمقته باستفزاز مصحوب ببعض الفرع وسألت مُتهكمة "تخيل من؟"

"مؤكد أنت"

"أنا ها؟ ماذا تريد داود؟ أتركني وشأني"

"جوعان"

"ها أنا أجهز الغداء"

"هل سأنتظر؟ جوعان أنا" تأفت وهتفت بفراغ صبر "حسناً سأصنع لك شيء سريعاً تأكله"

"أريد دجاج" تخصرت تهتف بغضب "طلبت صباحاً لحم؟"

"غيرت رأيي، أريد دجاج مشوي بالفرن" سكت وعينه تجري فوق قدها  
ليهمس مجدداً "أو مشوي على الفحم، أنا جوعان" رمقته بغیظ وغمغت  
"طفل" تقدم لها وكفيه بجيبه "لا تتجاوزي الرد، أنا جوعان" صاحت بوجهه  
"يا لهوي، أتركني إذن"

"يا لهوي أنا، جوعان"

"يا الله، الصبر"

"سلمي!" صرخت به "نعم؟" ثم صرخت مرة أخرى وقد فاض الكيل "عرفت! فهمت! جناب الغليظ جوعان! دعني اطبخ لو سمحت" بدأت بتحضير الطعام وقد ثارت أعصابها ولكنها لم تخفي بسمتها وهي تراه يحوم حولها مفتعلاً اللا شيء، هتف وقد جلس خلف سور المطبخ "علي صوت المذيع واصنعي لي كوب شاي من فضلك" تحركت تعلّي الصوت وتضغط إبريق الشاي تهمس ومازالت تكتم الضحك "ارحمنا يا رب من ثقال الدم" تطلع لقدّها المتحرك برشاقة وهي تُعد الطعام بعجل حيران فيما خطته بخطابها هل من وطأة الموقف أم شعور يملك قلبها بجد، لو تكلم الكلمات ما يُخالج قلبها فقد فاز فوز المنتصر بالحرب، عيناه مازالت ترتقب خلجاتها حتى الأنفاس يعدها ما إن تنفست، همس داخله وعينه تركض خلف مفاتنها بجرأة "انهض لها، تلك الفاتنة صارت لك" وبلحظة خاطفة كان يقف حذوها فما التفت تتناول شيء من خلفها وجدت نفسها داخل ذراعيه بالأسر، شهقت بارتباك "داود" ليهمس بدوره "انطقي بتلك الشفتان ما خطته يدك!" تلبكت واحمر وجهها وهي تعي بما يقصد فهمست والحدود بينهم تنزوي "داود؟ ما الأمر!" شدّها إلى صدره

وكفه تُطوق خصرها "انطقي سلمي، قلبي اعتل" حنيت عيناها وكفها فوق  
موضع قلبه تهمس بخجل "سلامة قلبي ومن يحملهُ" قرصت كفه خصرها  
لتلتصق به تلقائياً وعينها ترمقه بنظرة شقية غير مُمانعة ليعاود الهمسُ  
المجنون قائلاً "ها؟ ماذا قُلْتِ" همهمات ساخنة ضربت صِدْغَه وأنفاسها العالية  
تُدغدغه وهمسة خجلة اخترقت خافقه المُبعثر "حبيبي أنتَ"

"عِيديها يا عُمرى"

"احبك داود الرازي"

"مرةً أخرى تسدُّ جُوعي"

"داود؟ أنا احبك"

"لا تتوقفي عن التّعني بها"

"احبك" لم تشعر سوى بشفتيه تلتقيان مع خاصتها في معركة حامية جُنودها  
الأنفاسُ اللهجة وكلاهما بسلاحه مُدجج،

متمردة، متمردة وأحبها متمردة أحبها متمردة فهي اختيارُ القلبِ وهي حياتهُ  
والعمرُ لو يُهدى العمرُ لو يُهدى لها أهديتها وفّر عليك اللوم، اللوم روحنا  
واحدة"

ومن بين طروادة العاشقين فارساً روض مُهرته يشقُّ بها غمام الحزن والألم  
مُدركاً قلبها وعقلها لأخر نفس، همسَ من بين لقاءٍ كبركان مُتفجّر الحمم "ابقي  
على عهد الحب سلمتي ودائماً وأبدا همسي بالحب ما إن تنفستِ" تأوّهت  
وسكرة الحب تدوخها فباتت لا تعلم كم مرة نطقت "احبك"

لا عقلٌ لا قلب لها

مجنونة ومُعقدة

وهدونها مكرٌ

وضكتها البريئة

مصيدة متمرّدة

ماذا إذا غيرتُها

وجعلتُها ناراً بلا لهبٍ

وشمساً باردة ماذا

إذا فعلا هي بهدوئها

مكرٌ وضحكُها

البريئة مصيدة

يا قلبي يا قلبي لا

تصغي لهم ظلمٌ

عليها حكمهم يا

قلبي يا قلبي

انتبهت فسألت بخجل "داود ماذا فعلت؟" اغلق باب الغرفة ببركة من قدمه  
وهمس "كفا بالله تمرّداً ودعينا ننعم بالحياة دون جدل" ورغماً عنها سلّمت  
واستسلمت له تترك الماضي خلفها وتستقبل الحاضر بأحضانها مُتخمة!

دعنا نصفقُ لانهيارك

وانكسارك

هل أنت حرٌ هل سعيدٌ في

حصارك سجنك تمثالاً

بدارك دعنا نُبارك

إن كان هذا السجن

ما أغلاه من وطن

على قلبي المهاجر

أو كان هذا الحزن



ما أحلاه من حزن  
به تصحو المشاعر  
متمرد ايضاً أنا  
وحبيبتى متمردة  
متمردان مميزان  
وعاشقان بعنفوان  
وحياتنا متجددة  
عيني عيني علينا باردة  
عيني عيني علينا باردة  
دعنا نصفق لإنهيارك  
وانكسارك  
هل أنت حر هل سعيد في  
حصارك  
سجنتك تمثالاً بدارك  
دعنا نبارك

\* \* \* \*

صرخت المعلمة قُطة تلطم وجهها ما لبثَ عابد ينجو من جريمة قتله لُنهي بعد طعنها طعنات مُتفرقة حتى وجد جيش من التُّهم، أحضرت له كبار محامين البلد بعدما رفضَ داود توسُّلاتها لتتولي قضيته، كاد الموقف ينتهي بقضية شرف بعد إذاعة الفيديو الذي جمع نُهي وقاسم الوكيل ليجدَ المُحامي المسؤول عن القضية العديد من التُّهم الموجهة له، ازدراء الأديان والتشجيع على الفجور وجُملة اتهامات لو اتُخذت بالرأفة أودعته السُجن مدى الحياة مما جعل مُحاميه يعتذر عن القضية فمن هو ليقف أمامَ حملة تقلدها مُخضرم يُسمى داود الرازي، لتجدَ نفسها أمام الحقيقة حيثُ رفض عشرة محامين تولي أمره، هروا أهل الحارة لمسكنها ليهتف شحاته سائلاً "لما الصراخ يا معلمة" شقت صدرَ عباؤها الحمراء ولطمت وجهها حتى خرَّت أرضاً ولسان حالها يهتف "من أطعمَ الزقوم للمحصنات ذاقَ الحنظل، ضاعَ وحيدك يا قطة وكما فعلتي بابنة الأحرار فُعل بولدك وأكثر" اعوجَ فمُها بالتواء وشخصتَ عينيها تتطلع بالحارة وشحاته جوارِها يهتف ويضرب كفاً بكف "تلك نهاية كل ظالم مُتجبر" صاح المعلم متولي على صبيها عضمه "اسرع بالطبيب فوراً"

\* \* \* \*

سألها وكيل النيابة عن واقعة الخيانة لتقر بصوت فاجر خاوي من الخجل رُغم التعب بما حدث، حقق معها بثُّهم تشاركت بها مع زوجها عابد ليأمر بحبسها ذليلة فراش المرض تحت حراسة مُشددة، كما وجَّه لها اتهام بالخيانة قدمه محامي زوجها الذي عينه السُجن له، نهضَ وكيلُ النيابة بعد انتهاء التحقيق معها لتتهتف إليه تسأله محامي يدافع عنها فما كان من صدمة الرجل غير انه هتف "صدق من قال الاختشوا ماتوا" اغلق الباب خلفه مُشدداً على حراستها حتى تُنقل للسُجن هامساً بقرف "الجزاء من صنف العمل" انتهت نُهي بفضيحة مدوية وسُجن ينتظرُها، همست من بين الصحو والموت "أخذك الله يا سَلَمَى، مؤكد اليوم تشمتي"

\* \* \* \*

سحبت ذرية حقيقية سفرها مُتجهةً الي كندا فقد قُبِلت بتلك الوظيفة الطبية في مصح نفسي يُطلب أطباء وطبيبات، هكذا سُتحقق حلمها الفائت وتومن الآتي

تاركة ابنتها خلفها دون عناء، ستبدأ بتحقيق طموحها الطبي فليست هي من تخنع لزلزلات الماضي، همست مُبتسمة غير عابئة بشيء "هناك الكثير والكثير من بن الرازي والمُمرضة! لن أغلب في البحث" اتسعت ابتسامتها تتطلع لنافذة الطائفة وأشرق وجهها بالفرح تتذكر مجوهراتها الغالية فيعد أن طُلبت بالقسم ليُحققوا معها اتهمت نهى بالسرقة ليُغلق المحضر بإدانة نهى وتسليمها مستحقاتها، تنفست الصعداء وهي تتذكر الفلاشه الخاوية التي كانت تُهدد بها قاسم ففوراً ثبوت خلوها اطلق وكيل النيابة سراحها وبدورها أقرت بأن قاسم الحق بها التهمة نكاية بزوجها جهلاً منه بأنه طلقها، همست تُرتب شعرها وملابسها "خرجت منها بأعجوبة ذرية" أغمضت عينها تحلم بتحقيق ذاتها دون الالتفاف لمن يُعطل مستقبلها لا تعي غير ذرية فقط،

\* \* \* \*

اصدرَ النائب العام قراره بتحويل قضية قاسم الوكيل للمُحاكمة العسكرية العاجلة بعد اعتراف شريكه العربي الجنسية بالتلاعب بالسوق السوداء سواء ذهب أو عملة صعبة لتكشف خيوط القضية حيث تورطه مع جهات خارجية مسعاها الإيقاع باقتصاد البلد وتكدير الوضع العام بإشعال الأسعار، كما اعترف تجار الذهب بما خططه للوقوع بالسيدة ذهب الاخشيدي، كما وجهت جملة من القضايا منها غسيل الأموال وصولاً إلى تكدير الأمن العام للبلد لتنتهي سيرته على ألسن الناس الذين لقنوه بوحش النواب لتُصير قضيتُه قضية رأي عام وفضيحة مدوية مع فتاة الميديا نهى زوجة عابد درغام!

\* \* \* \*

بعد مرور شهر

علا التصفيق والصفير إثر دخولها من بهو القاعة ترتدي فستانها الأبيض والي جوارها شهاب في حلة العرس الفاخرة ومُوسيقى الزفاف تستقبلهما وصوت حمو يعلو ويتألق بقوة، قهقهت ذهب بقوة وهي تستمع لرباب التي مالت إليها تهتف بفرحة حقيقية "أخيراً فُكت عُقدتها، منذ الصباح وأنا أجاهد مع تلك الهبلاء كي تقتنع أنها أخيراً ستلبس الفُستان الأبيض" تبادلت معها ذهب الهتاف تحت ضجيج الحفلة "سمعت أنها استيقظت بالصباح تتأكد من حذاء

الفرح" فهتفت رباب حتى دمت عيناها لا تعلم بسبب الضحك أم الفرحه، لتهتف مرة أخرى "فاتك الموقف يا ذهب كدنا أنا وسلمي ننبول تحتنا من كثرة الضحك" وكزت ذهب كتفها تسأل "أين سلمى؟ كل ذلك الوقت لتُبدل ملابسها؟" غمرت رباب لها ومالت تهتف من وسط ضجيج الموسيقى "دعها تطلق لجام الأنثى المحبوسة بداخلها يا دودو" هزت ذهب رأسها ضاحكة من تلك المصيبة رباب وأشارت لها بفرح على عامر وعمر الذي بدءا بوصلة رقص حتى سرقا الأنظار إليهم، وقف داود جوار أدهم يسأله بغيط "متي سنفرح بك يا جناب وكيل النيابة، يا صاحب السمو والشهرة" ضحك أدهم يستعرض خلته رمادية اللون بغرور وهو يهتف "منذ تلك المرافعة التي انتشرت على الميديا وبنت اهرب من الحسنات، سمعتي أصبحت على المحك" ضحك داود ومال إليه قائلاً وهو يكتف الضحك "ما رأيك نزوجك رباب؟" فهقه الاثنين وكلاً منهم عينه تلمح خفيفة الظل التي بدأت تُشارك عمر بالرقص ليهتف أدهم ضاحكاً "لا العزوبية ارحم من الجنان" صاحت بضحك وكفها يرتاح على ظهر داود "كفا تنمر على تلك المسكينة وإلا أخبرتها أنك مُعجب بها أدهم" صاح أدهم يدعي الفرع ويرحل من أمامهم "توبة، وهل أنا جمل لسانها الطويل، رباب أجدع ناس" فهتفت على فزعه تنتظر للشارد تسأله "ماذا؟ الم يُعجبك ثوبي الجديد" جرت عيناه ترسم قدها ليطوق خصرها بتملك ويهمس بوجد "دوماً تسرقين نبضي النبض سليمة" قبلت وجنته برقة وجرأة اكتسبتها منه ومن طريقته الساحرة معها حيث الثقة المطلقة رغم الغيرة الحارقة والنقار المستمر، همست وعامر يسحبها لجانب سها "أنت القلب وأنا نبضة يا سلوان سليمة وعوضها" سحبها عامر يرقص أمامها لتبتسم وكفها يتلمس الصدفة التي زينت صدرها، منذ قصت رؤياها التي عجزوا عن تفسيرها اصر داود على تقديس تلك النفحة الربانية ليصنع لها سلسال من ذهب جعل الصدفة تسرق لب من لمحها، تمسك عامر بذراعها يراقصها وجوارها عمر ولينا يرقصان معاً، وبدورها تطلعت لسها وجمال فرحتها لتبدأ في التمايل بالرقص والفرحة تُعربد داخلها، طالعت جموع المدعوين تدور حول نفسها تُقر وتعترف ونظرات الاحترام والتقدير تشملها أن لوما داود بحياتها ما كانت اليوم ترقص وتتمايل بثقة، لوما داود حدّها ويأمن حياتها وأنفاسها لكان مشهدها الراقص ذلك يتصدر الميديا والجميع

ينهشُ شرفها، على قدر احتواء الزوج زوجته تجد مقدارها ينعكسُ في عيون الجميع وهي ذاتُ قدرٍ لا يُضاهيه تقييم بل يليقُ برجلًا صار بها مُتيمًا وجعلها نجمة يتمنى القَمَرُ المرورَ بمدارِها، تمايلتُ بدلالٍ ولينا تتمسكُ بها تتذكر الاعتذارات التي ملأت الميديا فور ما فعله داود وكتيبتُهُ ليطوّر الأمر حد إرسال الهدايا والورود لأعتاب بيتها مُرفق معها اعتذاراً وأسف، اليوم صارت ملكة متوجة لا تخلو الميديا من تتبّع أخبارها ليس بالسوء والظن لكن بحبة، أغمضت عينها تُحرك كَتِفِها برقصة كانت تجمعها مع عامر قديماً تهمس لنفسِها تتذوقُ حلو السعادة وراحة البال "سبحان من يرأب صدع القلوب ويجعل ما بين الخذلان والألم عوضاً تدمع له المُقل" قهقهت وعامر يلُفُّها حول نفسِها لتجده أمامها وكفاهُ بجيب بنطاله وعينه تتوعدها، تقدمت له وابتسامتها تُغازله تتراقص أمامه بشقاوة أثرتُهُ، علا صوت حمّو لينتقل لغنوة أخرى أهداها لهم،

هيفوت عليك في الدنيا ديا ناس نظيفة وناس راضية وناس مع الكسبان تدوم المثل دور ضحية وهو عاشق للأذية حد ناقص نص كوم

الي حبتهم وياما جرحهم ساب ميت علامة كان يعاني القلب منهم دار زمانهم هما عانوا الي حبوا فيك جيوبك واللي داروا فيك عيوبك واللي عافوك عن ذنوبك اشترتهم مهما كانوا

والي كان في المر جنبك كله غاب هو اللي دام لك ده اللي زمالك مش يجاملك أوعي تتغير عليه

تمايلت أمامه بمكر حواء وإغرائها تاركة للشقاوة أمرها، قلبها قرير الحب، والأمان يسكن ثناياها لتودع ماضي ضحل بغير رجعة، غمرت له بطرف عينها وما زالت تتمايلُ وفمها كما يضحكُ يلقي عليه كلمات الأغنية التي مثلتها بكيانها لا همًا يتكبدُها ولا الناسُ واقترائهم عندها من موقع، ارتفع حاجبيه دهشة وهو يراها أمامه مُتألقة، طائشةً بسكرات الحب دوماً ما كان خياله الواسع يرسمها لكنه لم يصل لتلك الفتنة المُدمرة، ابنة حواء المُتمردة فتحت له أبواب الحياة المُغلقة، اتسعت ابتسامتها ليرمّوها بجرأة ويميلُ مُقبل خدّها بهيام،

لِيُكْمَلْ حَمْوُ الَّذِي اشْعَلَ الْعُرْسَ بِالْغِنَاءِ، أَلْتَقَطَ مِنْ أَدْهَمِ الَّذِي قَرَأَ الْمَشْهَدَ عَصَا  
طَوِيلَةً وَتَقْدَمُ إِلَيْهَا فِي نِزَالٍ مِنَ الْعِشْقِ وَالْغَرَامِ الْمُعْلَنِ يِرَاقِصُهَا فِي تَحْدِي مُغْلَفٍ  
بِرِيَّاحِينَ الْغَرَامِ،

وَاللِّي زَاكٍ مِنْ مَكَانِكَ تَحْكِي غِشَّ وَهُوَ خَانَكَ وَاللِّي عُمرُهُ مَا ابْتَسَمَ لَكَ بَسَّ  
فَضَّلَكَ مَكَانَكَ

وَاللِّي حَبِكَ لِأَجْلِ عِلَّةٍ مَا الْجَمَالَ أَوْ حَتَّى ذَلَّةٍ دَهَ اللَّي تَطْلُعُ مِنْهُ قَلَّةٌ أَوْ عِي تَنْدَمُ  
يَوْمَ عَلَيْهِ

عَلَتْ صِيحَاتُ الْجَمِيعِ بِالْإِعْجَابِ وَلَفْهَمِ الْحُضُورِ فِي دَائِرَةِ مُغْلَقَةٍ، رَبَابٍ  
تُصَفِّقُ وَتَزْغُرُ غَيْرَ مُصَدِّقَةٍ أَنَّ تِلْكَ الَّتِي عَانَتْ الْوِيَلَاتِ بَاتَتْ صَافِيَةً  
وَالسَّعَادَةُ أَخِيرًا لَهَا مُصَاحِبَةٌ دَمَعَتْ عَيْنَ دَهَبٍ وَهِيَ تَرَاهُمْ كَمَا النُّورُ يَبْزُغُ مِنْ  
ظِلْمَةِ الْمَاضِي وَالْحَاضِرِ مَعًا مُمْتَنَّةٌ لِكُلِّ الظُّرُوفِ الَّتِي أَتَاكَ لِهَذَا الْحُبِّ أَنْ  
يُولَدَ بِقُلُوبِهِمْ، هَتَفَ شَهَابٌ بِغَيْظٍ وَهُوَ يَمِيلُ نَحْوَ سُهَا الَّتِي تَطِيرُ سَعَادَةً لَيْسَ مِنْ  
أَجْلِ نَفْسِهَا وَلَكِنْ لِفَرَحَةٍ أَخْتَهَا وَتَأَلَّقَهَا "أَرَى أَنَّنَا جِئْنَا هَذَا الْفَرَحَ بِالْخَطِ؟ أَيْنَ  
حَفْلُنَا سُهَا؟" تَطَلَّعَتْ إِلَيْهِ بِعَيْنٍ دَامِعَةٍ تَعِي أَنَّ الْجَمِيعَ غَفَلَ عَنْهُمْ وَبَاتَ الْإِنْتِبَاهُ  
لِسَلْمَى وَدَاوُدَ الَّذِينَ اشْعَلَا الْفَرَحَ لَتَهْتَفَ وَالْفَرَحَةُ لَا تَسَعُ كِيَانَهَا "اتْرَكْهُمْ  
شَهَابٌ، وَاللَّهِ الْيَوْمَ فَرَحَتِي لَا تُقَدَّرُ، وَكَأَنَّ فَرَحَتَهَا تِلْكَ أَذْهَبَتْ ذَنْبِي" طَالَعَهَا  
بِعِشْقٍ يَتَلَمَسُ بِهَا تَغْيِيرًا إِيْجَابِيًّا يَزْدَادُ يَوْمًا عَنْ يَوْمٍ سَعِيدًا بَرَسُو قَارِبَهَا لِشَاطِئِ  
لَا يَعْرِفُ الْغَيْرَةَ أَوْ الْحَقْدَ، هَمَسَ وَقَدْ سَحَبَهَا لِأَحْضَانِهِ "صَدَقْتِي، فَلْنَدْعُهُمْ  
يَنْعَمُونَ بِعَوْضِ الْقَدْرِ وَيَأْخُذُوا ثَأْرَهُمْ مِنَ الْمَاضِي الظَّالِمِ"

وَمِنْ بَيْنِ هَمَسَاتِ الْحُبِّ وَالْغَرَامِ الْمَتَبَادِلَةِ هَمَسَتْ وَهُوَ يُسْكِنُهَا صَدْرُهُ "سِلْوَانُ  
الْمَاضِي أَنْتَ وَحَاضِرِي الْمُزْدَهَرِ يَا بِنَ الرَّازِي"

قَبْلَ نَذْبَةٍ رَأْسِهَا بِشَغْفٍ يَعْتَرِفُ لَهَا أَنَّهُ لَا يَرَاهَا سِوَى تَاجٍ يُزِينُ رَأْسَهَا فَحَوَاهُ  
الشَّرَفَ وَهَمَسَ يَضُمُّهَا دَاخِلَهُ بِقُوَّةٍ "مَرْحَبًا بِامْرَأَتِي الْمُتَمَرِّدَةِ الْمُقَاتِلَةِ ظِلِّي  
دَائِمًا وَأَبَدًا مُتَمَرِّدَةً"

\* \* \* \*

## النهاية والخاتمة

## "سلمى"

صَفَّ سيارتهُ الحَديثة بجوار مقهى المَعلم متولي ووقفَ هو وإخاهُ ينظرون لخراب الحارة وقد عصَفَ بها الكُفور بعد صخب، سبُعُ سنوات وأكثر مُنذ تركا أهلها رحيلاً بلا رجعة ليجدُوها صارت كما الوكر وتبدلت معالمُها بعشوائية ضربت جنباتها ضرباً، نظر عمر لساعته وهتف يُغلق الباب الخلفي للسيارة بعدما التقط بعضُ أكياس الهدايا "هيا جناب المُحامي ليس لدينا من الوقت مُتسع، دعنا نُنتهي تلك الزيارة حتى نتفرغ لحفل تخرجك" تحرك عامر حذوه يقرأ الفاتحة على روح المعلم متولي، ذلك الرجل الذي أوامهم ذات يوم ببيته ليهمسَ وهو يرى حالَ المقهى قد تبدل "سبحان مُبدل الأحوال" هتفَ عمر يسبقهُ بالدخول لبيت جدته يتفادى بعض الصبيان التي هرولت جوارهم تحت صدمتهم "وكأن البيوتَ ترانا كما نراها أخي، تُرى ماذا تهمسُ بعد أعوام مرّت علينا" ارتقا سُلّم البيت الشاهد على ما مضى وكلاً منهم تضربه الذكرى ليقفَ عامر ينظرُ لتلك المرأة التي تصيحُ في مخدومتيها بنزق "يموتُ الزمّار وأصابعهُ تلعب" دفعت الكرسي المتحرك بقوة وأكملت "أخذك لوجهه الله ولا يتوقف لسانك عن الشتم والسباب يا معلمة قطة" أمسكت قطة بدولاب المقعد حتى أوقفتَه بذراعها الذي لم يطالهُ الشلل وهتفت بفم شبه معوج "ابتعدي، لا احتاجُ مُساعدتك" دفعت أم ربيع الكرسي بقوة تصيحُ بها "صحيح آخر خدمة الغُر علقه" أغضت قطة عينها بحسرة وعضّت على جانب شفتها التي طالها الشلل ودمعت تهمس "ليتني ادخرتُ بعضاً من الخير لتلك الأيام الصعبة" صاحت المرأة بغضب "بماذا تُغمغمي يا قطة" انتفضت الانتنان على صوت عامر الرجولي يهتف بقوة أرعدت جسدَ أم ربيع من وقفها "اسمها المعلمة قطة، كيف تتجرئي على تلك المُعاملة" تقدم عُمر يُطالع المرأة بغضب وقد رق قلبه إلى جدته ليعدل مقعدها ويميلُ لها يهتف بصوته الذي بلغ مبلغ الرجولة "كيف حالكِ يا قطة، ماو، ماو" شهقت ودموع الحسرة بعينيها لتهمسَ وحشجةً البكاء تدبّحها "عُمر؟ عامر؟ يا ضي العين أين كُنتم؟" مسح عُمر دموعها والشفقة على حالها تتملكهُ ليتقدم عامر يتفقد المنزل بقرف حتى قال صائحاً

"من تلك المرأة جدتي ولما تسمحين لها بمعاملتكِ هكذا" تطلعت لبيهي وجهه وقوامه الرجولي يُشرف عليها فمدت يُسراها تتمسك بكفه تسحبها إليها حتى همست له ولعمر "كم صارت أعماركم؟" احتوى كفها بكفيه وقال وعيناها ترمق المرأة بغضب "أنا بالثالثة والعشرون تخرجتُ من كلية الحقوق هذا العام وعُمر بالواحدة والعشرون يدرسُ بمجال علوم الكمبيوتر جدتي" تبسمت من بين دموعها وهمست وكفها السليم يتحسس وجوههم التي مالت إليها بالتوالي "اسعد الله قلبك يا سلمى بأبنائك وجعلهم بارين بك" تطلعت إليهم بندم وأكملت "ويُسامحني ربي على ما فعلتُ بها" قبل عامر رأسها رغم ما يجيش في صدره من ألم يسأل "من تلك المرأة؟" ردت ترمقها بعتب "زوجة عضمه، أتى بها من سبع سنوات لترعاني وترعي البيت وهو يرعي محلات الجزارة خاصتي ومُنذ يومها احتلا البيت واستولي عضمه على مالي وحالي وها أنتم جئتم فجأةً لتروا بأنفسكم انتقام الله الحق" انتبها على صوت صبي ظهر من الغرفة الداخلية وأثار النوم تتملكه يصيح بخشونة وقلّة أدب "أمي، اتركي تلك العجوز وحضري لي الطعام، أريدُ الذهاب للمطعم باكراً" أغمضت قطة عينها على ما تبقي من دموع الندم وهتف عمر وعلى وجهه ابتسامة عاودته ما إن دخل الحارة ليعتدل صوب الفتى صاحبُ العشرون عاماً قائلاً "يا مراجب بعجل أمه عديم التربية" غمز لجذته بشقاوة يناولها هاتفه وساعته ليهمس لها بطبعه المرح "استعدي قُطتي والفُظي عنكِ المرض سنعود لأيام الشقاوة" توجه للصبي يجذبه من فائلته الداخلية المُهلَهلة يصيح وما زال يبتسم "ودع أمك يا بن عضمه صبي المعلمة" نطحه عمر بمقدمة رأسه تحت صراخ أمه النائحة "ربيع؟ ولدي" مرّت ساعة انتهى بها عمر وعامر من تطهير البيت من الغُزاة ليصبح عمر من شُرفة المنزل يُلقي حقيبتين مدرستين بقلب الحارة "يا أبناء الكلاب، لا أريدُ رؤية خيالكم هنا مُجدداً" جرّرت أم ربيع أبنائها وخلفها ربيع يبكي كمداً اثر الضرب الذي تلقاه والعم شحاته يصيح خلفها بأعوامه التي تجاوزت الستون ببراح "الحارة نورت يا أبناء الغالية خيراً ما فعلتم بطرد مصاصين الدماء" صعد شباب الحارة الي الرجلين وكلاً منهم يتقدم للمساعدة ليهتف أحدهم على عامر قائلاً "مرحباً بصاحب الطبع النزق جئتُ للمساعدة" تفرّس عامر وجه الشاب يشعر بمعرفته ليتقدم مادّ يده بالسلام قائلاً "جئتُك معذراً رغم أنك كنت



ستقتلني منذ سبع أو ثمان سنوات" ارتفعاً حاجبيّ عامر دهشة والرجل يُكمل "أيمن!" تبسم في وجهه وأكمل "مُلازم أول أيمن البسيوني ويشرفني صداقتك عامر درغام!" انتهى اليوم ليس كما بدأ حين أعرب الولدان عن اعتراض صريح بعدم الرغبة في زيارة الجدة ليدفعهم داود بحكمته بعد موافقة سلمى على مضض لوصول رحمهم تاركين الانتقام والحقد لله القهار، لم يعلم كلاً منهم أن حنين الرحم سيبدل بالشفقة ولكن ما حدث لم يكن يحدث سوي مع اثنين تصالحا مع الماضي بالحاضر تاركين ما مرّ خلفهم للقدر، ساعدهم أيمن في المجيء بامرأة حسنة السمعة، مُطلقة عكفت عن الزواج لعقمها مقطوعة من شجرة ارتضت برعاية المعلمة قطة على أن يُدبروا لها مسكناً عوضاً عن غرفة تسكنها في بيت آيلٍ للسقوط، تقبلتها قطة فُبولاً حسن وتعجبت فور معرفتها حتى هتفت إليها "أنت بُشري؟ حفيدة الشيخ التهامي إمام مسجد السيدة نفيسة" وبطبع كمدته قطة داخلها تبسمت بمحبة تُخرج عنه لبراح ما بقي لها بالحياة قائلة "وكان الله تقبل توبتي حتى رزقني بك لترعي شيخوختي يا بُشري" ارتاح قلب الولدين ليقف عمر أمام مقعدها الذي أوشك عامر على دفعه "انتظر يا جناب المحامي المُبتدئ حتى تري جدتي ما أحضرت لها" فتح حقائب الهدايا يستعرض العباءات ويمسك إحداها يراقصها أمام ناظريها "اصفر كناري كما تُحبين وصدرها ذهبي التطريز يا قطتي" بكت بحرقة الندم تُناظرهم وقالت "بالله لا تغيّبوا بالسؤال، وبالله لا تخرجوا من الباب إلا والسماح يمس قلوبكم" مدت كفها بمجموعة من المفاتيح العتيقة قائلة "بشري، بأخر دلفه بدولابي صندوق خشبي احضره" دقيقة وكانت تفتح الصندوق الذي اسنده عامر إليها لتناول كيساً قماشياً صغير نسبياً وتهتف "أعطيه لسلمى وابلغها ندمي لو صح الندم" مسحت دموعها وهمست "استغفرُك ربي وأتوب إليك" وتنهدت تستجمع نفسها وأردفت مُجدداً "أبلغوا أمكم أن ما بين الخذلان والألم نار تحرق الظالم وبرداً وسلاماً على المظلوم" دفعها عامر صوب الحمام وقد اتخذ هو وعمر قراراً بموافقتها ببيع جميع محلات الجزيرة والمطعم إذا لم يجدوا شريفاً يُديرهم، تسلمت منه المهمة بُشري وهي تبسم وتتناول عباءة جديدة وتترنم بصوتها العذب

"(قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ)

\* \* \* \*

دفعه أحدُهم جانباً يصرخ بوجهه "اجلس هنا يا؟ هل نسييت نفسك؟" جلس عابد جانباً بعد أن قام بتنظيفِ الزنزانة على أكمل وجه غير قادر على التفوه بكلمة، هكذا حاله طوال سبع سنوات مضت حتى اعتاد على الإهانة دوماً، همس وهو يتكلم جانباً "هانت كلها أيامٌ واخرج من هنا لأبدًا يا زمرَةُ الأوباش يا نفاية المُجتمع" تفقد الجميع والخوف قد اعتلي عينه ليهمس بينهم "سيُبدل الحال يا مُجرمي السجن" صاح أحدُ المساجين مُتهكماً وقد استمع لهمسه "يا خيبة الرجال ستخرج من هنا لكي تتمطي على الميديا ثانياً، بلا شرف أنت" قهقهه مساجينُ الإجرام ليهتف آخر قائلاً بصوت كما الحمار "لا تنسينا يا أختاه فقط أرسلني لنا صور زوجتك عارية حتى نُقيّم أدائكم ونُكيس لكم" صرخ بالجميع ضاحكاً "تكبيس" صاح رجل بصوت بدا عليه الحكمة رَغَم دوام صمته "نحن في زمن يصير الكلب أسد مادام من يدعمه بلا شرف، رَغَم جُرْمنا و وحشيتنا لكن لنا شرف، سُحقاً لرجُلٍ تخلّى عن شرفه بكامل إرادته حتى صار امرأة دون إرادة" سبع سنوات لاقى كل أشكال الامتهان بما فعل فبمجرد علم نزلاء السجن بهويته صار كما المسحة بينهم رَغَم معرفتهم انه طعن زوجته واخذ ثلاث سنوات بقضية شرف ولكنه أضاع شرفه ما إن ظهرت حقيقة ما كان يفعله من لقاءات الميديا التي حوت الشواذ والمُلحدين والفجرة، صاح كبيرُ المساجين وزعيمهم قائلاً "بت يا دودو تعالي طقطقي ظهري" تحرك عابد مُبتسماً والرعب يشمله ليهتف بطبعه ضعيف الشخصية "أوامرك يا معلم" همس لنفسه معترفاً بأن ما بين خذلان النفس وألمها خنوعاً ومذلة، رفق الجميع غير عابئ بالإهانة وهمس "اصبر يا عابد ما بقي سو القليل وتخرج"

"فَارْأَهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ"

\* \* \* \*

نظرت للشمس التي توسّطت كبَد السماء بقوة وكأنها تتحداها شخصياً، قطعت الخطوات بعرج واضح أصابها صبيحة دخولها السجن بعد الحُكم عليها بسبع سنوات مع الأشغال الشاقة، تحسست جُرح وجهها الغائر وقد ترك بها ندبة بشعة بدأ من داخل شعرها مروراً بعينها انتهاءً بوجنتها وطرف أذنها، همست بغل زاد ونمي داخلها "لوما قاومت المرأة المتوحشة لما هُدر وجهي بتلك الطريقة الدامية" هكذا كان أقل استقبلاً لها بالسجن بعدما تم إيداعها بعنابر الآداب وما احتوت من نساء كُشفن سترهن بإرادتهن الحرة وقد تخلوا برحابة صدر عن الأدب والأخلاق عدا القليل ممن رحمهن ربي، كانت أول احتفالاتها ذلك الجرح الغائر حينما علمت نساء السجن بهويتها وهويته ما فعلت، لم يفرق معهن الزنا أو اعوجاج القيم والأخلاق ولكن جميعهن اتفقن دون اتفاق على بشاعة الترسّد بامرأة حرة وكان كلاً منهن تعاطفت مع سلمى وهن يرين فيما وقع عليها جزءاً مما يُخالج ماضيهم، هن اعلم واكثر علماً أن البداية دوماً تكون تحت وطأة ظرف سلب شيء من براءة وطهر المرأة حتى صرن جميعاً يتشاركن اصل الحكاية رغم اختلاف الحدث والظرف، لتصبح المرأة دوماً هي المتهمة الأول بإفساد المجتمع وهدر الأخلاق دون النظر لمعطيات الحياة التي أدخلتها تلك المعادلة الصعبة، تلك تكالبت عليها الديون وتلك أودعها أباه يد الرجال وهذه غدر بها حبيب بعد اعتلاء شرفها وبين الظالم والمظلوم الذنب واحد، لا فرق بين من أجبرت أو من أتنه طوعية بالأخير نساء هجرتهم الأخلاق ولا داعي لمعرفة السبب، سبة عريضة في وجوههن وشمت دون رحمة من أشراف المجتمع، أشراف المجتمع؟ الذين فعلوا ابشع من الفحشاء والمنكر ولكن بالخفاء المستتر، تفوقوا في إخفاء وجوههم الأثمة تحت لثام التقوي والورع،

ونهى السبّاك كما قال الكتاب تخلت عن برقع الحياء دون رمشة جفن وحين أقبلت عليهن تمتهن القوة وتستعرض الجراءة فوجئت بسيرتها العاطلة كما فوجئت بسيرة سلمى الباقية داخل أسوار السجن مما أوفد أمواج الرعب لدمائها حين تواجّهت سيرتها بسيرة ضحيتها وكأن موجة عاتية ابتلعت بعنفوانها كل ضئيل محمل بعكارة البحر الغابرة،

لتنقم سلمى باسمها وتُبرحها بما لاقت انتقاماً جباراً لم تعلم عنه شيء ولا خطر يوماً بباليها، استباحَت نساء السجن نُهي حتى صارت لهم بمقدار الواجب المُقدس تمتنهُ إحداهن كُل ليلة حتى تُكتب كافرة، صلاةً باطلة فُربانها يُقدم لشيطانٍ دونَ رحمة لا يعي الندم، ضرب وسُباب نهاراً، والليل؟ تخلّى عن سترها لتُصبح لياليها امتهاناً في صحبه زُمرة من الشواذ تتولي أمرها، تلك لياليها وأيامها سبع سنوات مرّت سبعون ألف من العذاب والقهر دون رفضها!، خذلاناً وألم وما بينهم جحيماً رفض حتى احتوائها،

فتحت باب شقتها الفارحة التي تركتها بذلك الحي لتدخل سريعاً لشرقتها الخفية تتطلع بعين الحقد لتجدها تجلسُ جوار حاميتها بحميمية تضحكُ بسعادة وتتحسس مصوغات والدتها! يبدو أن قطة سلمتهم لها، تلك العنقاء التي غدرت واتخذت ذلك المُحامي ستاراً تتخفي خلفه، جرت أسنانها وجرح وجهها يقرصها لتعود الي الداخل مخافة شمس النهار الملهبة لتلمح خيالها البشع بمرآة غرفتها فتهمس من بين الغل والحسرة "سأرجع سلمى" توجهت لدولابها تُخرج حاسوبها الشخصي دقائق وكانت تفتح الميديا وتتفقد أخبارها وأخبار زوجها وأبنائها بحسرة، توقفت إثر دقات الباب المُعجلة فما إن فتحت وجدت أمن المُجمع السكني أمامها ومعهم ضابط شرطة يهتف "أيمن البسيوني الضابط المسئول عن قسم المنطقة" ارتعشت قائلة "نعم" تبسم بمكر قائلاً "نعم أنت؟ كيف دخلتي تلك الشقة؟" صاحبت بطبعها الشعبي "أجنت، هذه شقتي" تغيّرت ملامح أيمن للشر وهتف يستدعي عساكره ويهتف "إذن أنت المُحتالة التي وضعت يدها على الشقة قبل سبع سنوات فائنة"

□ "هذه الشقة ملكي" أغمض الضابط عينه بملل ثم فتحهما مُجدداً يهتف بما صدمها "الشقة باسم رامز قاسم الوكيل يا هانم بن قاسم الوكيل ووريثه الوحيد، السيد قاسم مات مُنتحراً بالسجن من سبع سنوات، ووريثه باعها للمدعو عامر عابد دُرغام الذي قدم بلاغ من عدة أيام يُفيد استيلاء إحداهن على الشقة دون حق فهل لديك ما يُثبت ملكيتك للشقة أم تتفضلين معي على القسم بتهمة الاستيلاء على ممتلكات الغير"

وقفت بالحارة ووالدتها من الشرفة تصرخ بعد طردها ذليلاً بلا مسكن "لا  
تُريني وجهك مُجدداً لستِ ابنتي ولا أعرفك" صاحت المرأة تستجير باهل  
المنطقة "يا ناس اليوم أشهدكم أنني براء من نسل الزانية المُجرمة، كتبتُ بيتي  
لدار الأيتام يستلموه لحظة موتِي وهذه وصيتي" أغلقت شرفتها كما أغلقت  
قلبها تدعو الله وتبتهل العُفْران مُتقبلةً عقاب الدنيا بقلب تكلى فقدت وليدتها  
وما زالت بها حياة، لتهمس بدموع الخوف من المولي "غُفرانك يا غافر الذنب  
اغفر لي ما أذنبت وما قصرتُ بتربية تلك الفتاة" ومن ويلات السجون  
لويلات اشد قسوة حيثُ الشارع والذئاب لترسو مركبها الخبرة لبيوت  
الغانيات علها تجد ما يأوي جسدها المُستباح أو ما يسد جوعاً لن تلقى له  
شبع،

أيام تُداول أيام وبينها عوض الزمن أختلي بالحق كخلوة شمس النهار  
بالسما،

\* \* \* \*

انتهت من ورديتها بالمشفى النفسي للتوجه لغرفتها المُلحقة بسكن العاملين  
فبعد أن تقدمت بأوراقها للإدارة المشفى رُفِضت شهادة علم النفس والاجتماع  
لا الطب ودراسة الأطباء، مُشددين على أن ما ذُكر بالطلب شهادة كليات  
الطب لا كليات علم النفس والاجتماع كما كانت تزعم دائماً، لكن القدر كان  
لها بالمرصاد حين تعرفت على طبيباً مُهذب ساعد في تعيينها بالمشفى  
كممرضة مُبتدئة على وعد بمساعدتها في إكمال شهادتها حيثُ الطب بالميديا،  
فقط سنتين أو ثلاثة لتحصل على شهادة طب يُعتمد بها، وساعدتها أخت الطبيب  
واحتواها الأخوين حتى أمنت لهم بعدما بسطت بساط الأمان والطبيب يقع  
بحبها كما وقعت له بعدما علمت بثروته الطائلة، ويوم الزفاف تفاجأت  
بالطبيب واخته تركا البلد بعد سرقة كُل ما تملك تاركين لها رسالة مفادها  
"ماذا فعلتي بحياتك حتى تكونين صيداً سهلاً هكذا" ضربتها الصدمة بمقتل  
وهي تعلم بعدما أبلغت الشرطة انهم زوجين قاما بالنصب عليها، وقعت بين  
الخدلان والألم تتذوق الغدر وما صنعت يديها،

انتبهت من شرودها وكبيرة الممرضين تهتف عليها بصرامة وقوة "ذرية  
غرفة عشرة تريد دخول الحمام"

أيام تداول أيام بينهما الزمن أختلى بالحق كخلوة شمس النهار بالسماء،

\* \* \* \*

ومن مشرق يوم جديد جلست كملكة متوجة وبجانبها قيصرها، تتألق بثوبها  
ناصع البياض يزين خصره حزام احمر قرمزي شابة سلسالها الصدفى  
بالألوان، عن يمينها لينا ذات العشرون عاماً وعن يسار داود وعمر مبتسماً  
بإشراق، خلفهم رباب وسها وشهاب يحمل صغيره سالم ذو الثلاث سنوات  
بمحاولة بانئت بالفشل عله ينام، كما جلس كلاً من أدهم وحسنا التي لهجت  
أنفاسها وهي تعتذر عن التأخير فلم تتمكن من القوم مبكراً قبل أن تؤمن  
والدة حمو زوجها والذي بدوره سوف يحي حفل اليوم بالجامعة، سألتها رباب  
تحت ضحكات السيدة ذهب "أخبريني يا بنت كيف هي الحياة الزوجية مع  
حماتك الغالية بعد تركك للشهرة والأضواء" ضحكت حسنا تعدل من  
حجابها وهتفت "على خير ما يُرام، العاقبة لكي رباب" فهتفت ذهب ورباب  
تهتف "لااا ما أحلى العزوبية يا أختاه أنا في نعيم سرمدى حبيبتي والحمد لله"  
مالت إليه سلمى تسأل وقد استبد بها القلق "داود أين الصغار؟" قبل كفها  
مبتسماً وقبل أن يجيبها هتفت سلمى ذات السبع سنوات بلسان منطلق "خالتي  
سلمى ابنك المجرم تاج الدين قال لي أعطني قبلة مقابل الشكولاتة" ارتفع  
حاجبي داود كما ارتفع حاجبي سلمى وصوت شهاب خلفهم يصيح وهو  
يعطي سالم الي سها "قبلة؟ تعالي هنا سلمى كم مرة يجب أن أقول ابتعدي  
عن ذلك الولد، متحرش وما زال بالسابعة من عمره" هتفت رباب بخفة دمه  
"لمن طبع هذا الواد؟ بالأمس جلس جوارى وهمس مُعلقاً على بطل الفلم الذي  
كان بالتلفاز (الغبي خجل ولم يُقبلها)، ما حوار القبل معه لا اعرف!" فهقه  
داود مُغمض عيناه وسلمى تصيح بالصغير تكتم الضحك ايضاً "ولد؟ ألن  
تتأدب؟" رفع تاج حاجبين مُمائلين لوالده وهتف إليها بكبرياء وغرور "وهل  
توقف الأمر عندي؟ ما فعلتُ سوى ما يفعل أبي، طوال اليوم يُقبلك ويهتف  
قولي أحبك سليمة" صرخت به بوجه احمر لا تعلم هل تضحك أم تتصنع

الغضب "ولد" فصاح وهو يرمقها بخبث واضعاً كفيه داخل جيبه يبحث له عن مقعد "تمام، تمام، تمام الأدب فضلوهُ عن العلم" جلس الي جوارِ عُمر ومال له يهمس "فكّر معي في خطةٍ أوقعُ بها صديقتي بالصف ودعنا من ابنة خالتك حتى لا يُهدر دمي" فقهقه الجميع وقد التقطوا الهمسَ بتلك اللحظة الفاصلة من السكونِ ومُعد الحفلة يُعلن عن بدأها، ومن جَلستِها نظرت إليهم بعينٍ دامعة تتذكرُ ذلك اليومَ الذي وَقَعَتْ بِهِ سَلْمَى بحديقة المنزل ليصرخ داود عليها "ذهب احضري طبيباً فوراً" تبسّمت وسَلْمَى تصرخُ كما الصاعقة "حامل!، أنا حامل؟" ليهتف داود بذات الصدمة نافسَ كتفيه بخيلاء "الأول" كما تذكّرت أيام حملها العُضال وقد شارفت الأربعين ليلاتي يوم الولادة وقد أوشك داود على حرق المشفى بأكملها فكلما صرخت تتألم بالطلقات صاح بمن أمامه حتى علّت صرخات الصغير ليهتف بأنفاس قطعها الدمع وهو مُشرف على البكاء "رحبوا بتاج الدين داود الرازي" انتبهت ذهب من الذكرى وهي تراها أمامها تدمع وبدورها مسحت دموعها وابتسمت وثقتها بالله وبنفسها يوماً عن يوم بازدياد فمالّت تهمس لخليل رُوحها بحبة "ذكرني الليلة بأن تكونَ السهرة على غنوة الست هذه ليلتي" مال يُقبل خذها خلسةً وهمس بحرارة قائلاً "شرط أن ترقصي عليّ" فقهقه الاثنان بقوة وصوتُ عامر يعلو من المسرح مُتباهاً كونه الأول على الدفعة ليهتف وعينه بعين داود قائلاً "مرحباً بروو" علا التصفيق وداود يُصفرُ فرحاً ويرفعُ أصبعيه بعلامة النصر حتى قال عامر "حضرتُ الكثير من الكلمات المُمنقة لهذا اليوم ولكن" رفع الورقة التي اعدّها يُمزقها قائلاً "لا يسعني البوح سوى بما في قلبي" تطلع وجوه الحضور بلمحة سريعة وهتف بما جال بنفسه "رحلتنا بين الخذلان والألم كانت طويلة، مُفجعة لنجد بأخر الرحلة العوض وحنان البعض، صداقة خالصة وأهلاً بلا صلة الأهل، مؤازرة وعالم كُشف لنا" دمعت عيناه وهو يُشير لها قائلاً بصوت تملكه الصدق "بين الخذلان والألم سلمى أمي وتاج شرفي" سحب نفساً قوياً وأكمل مُرتعشاً "سلمى المصري؟ أمي وتاج رأسي عهداً عليّ وها أنا أتممتُ دراسة الحقوق بتفوق ألا اتركُ مظلوماً يُقهر كما طلبت" صَفَّق الجميع وقد شملَ الجو الشجنَ لِيُكملَ وعينه تستقر على داود مرةً أخرى "داود الرازي؟ أبي الرُوحى وصديقي وحبيبي"

صمت بعض داخل فمه يستجدي بعض التماسك ليكمل بصوت متأثر رغم ادعاء الفكاكة "كيف حالك برو- الحمد لله أن جعلك لي أب وسنداً فما حققتك من فضل بمعاونة الله أولاً وأنت ثانياً أبي" انزل الميكروفون والتف قليلاً يمسح الدمع عنه بخجل وعاد للجميع يبتسم قائلاً "تعلم اني دخلت الحقوق حُباً فيك ولكن اليوم وعدي لك أن أكمل معك مسيرتك التي بدأتها منذ سبع سنوات مضت، محاربة فساد الميديا والأخلاق المتدنية، فهل تسمح لي جناب المستشار المبجل أن أكون جوارك أمد العمر والدهر" نهض داود ساجباً سلمى معه وما أن اعتلى المسرح استقبل عامر الذي ارتمي بين أحضانه يهمس متأثراً "شكراً على كل المحبة والدعم أبي" ضرب داود ظهر الفتى بقوة وهمس بالمقابل يخفف من وطأة الشجن "برو افضل يا حبيب أمك" صاحت لينا بجمالها الخلاب تهتف بصوتها العذب "مبارك عامر التخرج" كما صاح عمر مباركاً ليتقدم عامر وقد تغير وجهه يرمق لينا بشر قائلاً "نهار أبوك اسود، ما هذا الثوب، أين الظهر والأكتاف يا ابنه الرازي؟" ارتفع حاجبي داود ينظر لسلمى بدهشة لتهتف من بين ضحكاتها وسعادتها "متملك حتى في غيرته! لا اعلم ممن اكتسب هذه الصفة" صاح عمر بهم يحمل الصغير تاج "هيا نأخذ صورة للذكرى" ليصيح تاج وهو يغمز لعامر قائلاً "قبلها! لا اعلم لما تتمنع" فهقه الجميع وسلمى وداود يضمان الأسرة بينهم حتى اجتمع الستة جوار بعضهم البعض بعدما خلع عامر جاكيت خلته يضعه فوق كتفي لينا العارية وقد نفخت خديها ضجراً لكنها تبسمت إثر همسه إليها "لا تحرمني ضحكك يا غفلة الأصبع بهذا اليوم" صاح تاج يهتف تزامناً مع التقاط الصورة "قولوا كما يقول أبي لأمي" وقف بالمنصف يبتسم باتساع قائلاً والجميع يضحك "أحبينيييييبيبي"

التقطت الصورة الرائعة لهم لجعلها المصور خلفية لشاشة العرض الهائلة ليتقدم حمو ويبدأ بالغناء والطرب من جوارهم فارضاً جواً من الشجن والجميع يُغني معه



يا اللي ب تسأل عن الحياة خُدها كده زيّ ما هي  
فيها ابتسامة وفيها آه وفيها آسية وحنية ياما الحياة  
فيها اللي يشقيها واللي ب يرضيها (آه) واللي  
يقاسيها (آه) الدُنيا ريشة في هوا  
ياما ناس تتقابل من غير ميعاد يجمع بينهم  
وناس تتحايل على الفراق يبعد عنهم

\* \* \* \*

"ما بين الخذلان والألم حياة لمن أراد الحياة"

مع حبي

أميرة مختار ♥♥♥♥♥

<https://www.facebook.com/share/17YukmqR5n/?mibextid=wwXlfr>

[/https://www.facebook.com/share/g/1GGEF5YyYZ](https://www.facebook.com/share/g/1GGEF5YyYZ)